

جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
الدراسات العليا بقسم الثقافة

أ.د / محمد رجب البيومي وجهوده في الدعوة إلى الله

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الباحث / محمد كمال محمد علي عوض

إشراف

أ.د / أحمد ربيع أحمد يوسف
رئيس قسم الثقافة (مشرقاً)

أ.د / عبد الرافع عبد الحليم السيد
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة (مشرقاً)

د / محمد عبد المولي قاسم
مدرس بقسم الثقافة (مشرقاً متابعاً)

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وفي الحديث الشريف:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما: عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: { فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير } (٢).



(١) سورة فصلت — الآية رقم ٣٣ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه — كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ج ٤ / ٣١٣، ٣١٤ حديث رقم ٢٦٩٤ — ط — دار الفكر بيروت — لبنان سنة ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م وقال عنه الترمذي: حديث حسن غريب، وقال عنه الشيخ الألباني صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته [الفتح الكبير] للألباني — ط. المكتب الإسلامي بيروت — دمشق — الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م ج ٢ / ٧٧٦ حديث رقم ٤٢١٣ .

إهداء

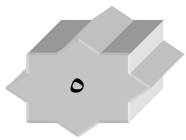
أهدي هذا البحث إلى والدي الغالي سائلا المولي جل وعلا أن يتغمده برحمته، وأن يُسكنه فسيح جناته، وأن يجعل ما قدمه لي من عطف ورعاية، وبر وكفالة في موازين حسناته، وأن يُنير عليه قبره، وأن يجعله له خضراً وروحاً وريحاناً، وأن يكون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأن يجمعني به في جنات النعيم .

كما أهديه أيضا إلى والدتي الغالية، أسأل الله أن يُمتعها بالصحة والعافية، فلکم سهرت على راحتي، وأولتني بالعناية والرعاية، وشجعتني على إتمام هذا البحث، وكلما تكاسلت شدت من أزمي، ودفعنتي للكتابة بما تمده لي من نصائح وتوجيهات، أسأل الله أن يجزيها عني خير الجزاء وأن يتولي مكافأتها بنفسه فقد عجزت عن مكافأتها ، وما زلت أحاول فلا أستطيع .

كما أهديه إلى طلاب العلم والمعرفة عموماً، وطلاب الدعوة الإسلامية خصوصاً، فإن شخصية البحث مثل يُحتذي وأثر عظيم يُقتفي، وقدوة حسنة لكل من اقتدى .

أسأل المولي سبحانه أن ينفع به كل من قرأه بنية التعلم، وكل من تصفحه بنية التفهم، وأن يرزق كاتبه الإخلاص وأن يوفقه ويهديه سواء الصراط، والله من وراء القصد . . وهو الهادي إلي سواء السبيل .





شكر وتقدير

انطلاقاً من قول النبي ﷺ: { من لم يشكر الناس لم يشكر الله } (١) فإنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلي كل من أمدني بالعون والمساعدة في هذا البحث بادئاً بفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام بشر، فهو الذي اقترح عليّ هذا الموضوع، وكان أول مشرف علي هذه الرسالة، وقد أمدني بنصائحه وتوجيهاته، فأسأل المولي سبحانه وتعالى أن يجزل له المثوبة وأن يوفقه لخدمة العلم ونفع طلابه .

ثم فضيلة الأستاذ الدكتور / رضا عبد المجيد المتولي أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، وقد ساعدني عن طريق الهاتف ولم أشرف بلاقائه إلي الآن، فأسأل الله أن يبارك فيه وأن ينفع بعلمه طلابه وأن يزيده علماً.

ثم فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف الحديدي برد الله بالرحمة مثواه، وجعل ما فعله معي في موازين حسناته، فلقد غمرني بمساعداته الكثيرة رغم أنه لم تكن بيني وبينه معرفة قبل أن ألقاه حتى إنه من كثرة ما فعله معي قال لي د/البيومي رحمه الله لقد فعل معك د/ عبد اللطيف ما لا أستطيع أن أفعله أنا معك، فأسأل الله العظيم أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يجمعني به في جنات النعيم وأن يجعل له قبره روضة من رياض الجنة وأن يكون له روحاً وريحاناً .

ثم فضيلة الأستاذ الدكتور /عبد الرحمن أبو عامر الذي بعث فيّ الأمل بعد طول يأس، فلقد أشرف عليّ بعد سفر الأستاذ الدكتور / عبد السلام بشر ، وأولاني بالنصائح والتوجيهات التي غيرت مجري حياتي ودفعنتي للكتابة والانتهاء من هذا البحث، فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن ينفع بعلمه طلابه وأن يبارك فيه ويوفقه لخدمة الإسلام والمسلمين .

(١) ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وقال عنه صحيح — حديث رقم ٦٥٤١ — مرجع سابق ج٢/ ١١١٤ .

ثم فضيلة أستاذي الدكتور / عبد الرافع عبد الحليم حفظه الله وقد أشرف عليّ بعد سفر الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن أبو عامر، وقد أمدني بتوجيهاته العظيمة ونصائحه السديدة ودلني على ما أفادني فأسأل الله العظيم أن يجزل له المثوبة وأن ينفع به طلابه ويبارك فيه ويسدد خطاه ويشرح صدره ويهديه سواء السبيل .

وفضيلة الدكتور / محمد عبد المولي قاسم حفظه الله، فلکم أتعبته كثيراً في تصحيح الأخطاء ولم يضمن عليّ بنصائحه، بل أمدني بالكثير وأفاض عليّ من علمه الغزير وأرشدني إلى النافع المفيد، فأسأل الله العظيم أن يزيده علماً وحلماً، وأن ينفع به طلابه، وأن يجعل ما فعله معي في موازين حسناته وأن يجزيه الجزاء الأوفى . . . اللهم آمين .

ثم شأنت الأقدار أن يسافر الأستاذ الدكتور / عبد الرافع بعد أن شُكلت اللجنة، ويُشرف عليّ فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد ربيع ، رئيس قسم الثقافة، وهذا من فضل الله عليّ ، فقد صمّم عليّ أن يفحص الرسالة من جديد رغم كثرة أشغاله، وقرأها من أولها إلي آخرها فمحصّنها، وغمرني بتوجيهاته السديدة، ونصائحه الرشيدة، فكان نعمّ الموجّه، وخير الناصح ، وكان ذا صبر وجلد وسعة صدر حيث تحمّلني ووسعه أن يقرأ رسالتي علي ما بها من كثرة الأخطاء، وتفضل عليّ ، ففرّغ لي وقته ليتصفح في رسالتي رغم أن واجباته أكثر من أوقاته .

فأسأل المولى الكريم أن يجعل هذا الجهد في موازين حسناته وأن يُمتعه بالصحة والعافية وأن يُطيل في عمره وينفعنا بعلمه، وأن يجزل له المثوبة، ويُحسن له الختام . . اللهم آمين .



أما بعد د:

وقد عرفت ساحة الدعوة الإسلامية رجالاً خرجوا من حدود خدمة العالم الإسلامي في مصر وحدها إلى خدمة العالم في أرجاء المعمورة كلها، رجال سطوروا أسماءهم في التاريخ بحروف من نور، وسطوروا أعمالهم في صحائف من ذهب، وسيقف التاريخ أمامهم طويلاً؛ ليكتب ما قدموه لخدمة الإسلام ودعوته، ويرجع الفضل في ذلك إلى الأزهر الذي كان منذ القدم وما زال كعبة العلم، ومنارة الدين، فهو كالشجرة الطيبة التي تثبت أصولها، ورسخت جذورها، وانبسطت ظلالتها ذات اليمين

وذات الشمال في كل مكان من أرض الإسلام؛ لينعم بظلمها الظليل وثمرتها الطيبة المباركة كل مسلم في مصر وغيرها من سائر الأقطار الإسلامية الأخرى .

فكان من الواجب علينا تجاههم أن نقوم بدراسة شاملة لحياة هؤلاء العلماء، ونبين الدور الذي قاموا به في الدعوة، وخدمة الإسلام، عرفانا لهم بالجميل، وإقرارا لهم بالفضل، ودعاء لهم بالرحمة والمغفرة، فقد علمنا القرآن الكريم الدعاء لمن سبقونا بالإيمان فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١)﴾، ودعوة للدعاة والعاملين في حقل الدعوة أن يقتدوا بهم .

وأتناول النقاط التالية :

أ – أهمية الموضوع :

لقد كان من فضل الله تعالى علي هذه الأمة أن قيض لسنة نبيه ﷺ علماء أعلاماً، أفنوا أعمارهم في خدمة السنة المطهرة، فحفظوها وصانوها، ودفعوا عنها شبهة المعتدين، وكيد المبطلين؛ لذا اهتم علماء الإسلام منذ القدم بدراسة الشخصيات التي لها دور بارز وفَعَّال في خدمة الإسلام، بداية برواة الأحاديث فيما عُرِف بعلم الجرح والتعديل، ومروراً بالعلماء والزهاد والعباد والأئمة، وفي العصر الحديث اهتمت كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة في جهد تُشكر عليه، بتوجيه طلاب التخصص بدراسة شخصيات الدعاة ومناهجهم الدعوية، ليتعرف المسلم علي المنطلقات التي ينطلق منها كل داعية في دعوته متمثلة فيما يلي:

- ١- معرفة طرقهم ومناهجهم وأساليبهم في الدعوة إلي الله .
- ٢- الوقوف علي الجهود والخدمات التي قدموها لدينهم، حتى يستفيد منها الناس عامة، والدعاة والعلماء خاصة في العصر الحديث .

٣- الوقوف علي نتائجهم العلمي والفكري والعملية، مما يُعين علي فهم كتاب الله وسنة نبيه .

٤- الوقوف علي الايجابيات في حياتهم الدعوية، والافتداء بها، ومعرفة أهم السلبات والمآخذ والتبعات في حياتهم، والتي لا تقلل من شأنهم، وبيان ملابساتها والمحاولة الجادة في الاستفادة من ذلك .

٥- توضيح وتحليل المنهج الدعوي للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — بحيث يُمكن للمتابع لعطائه تكوين فكرة كلية عن منهجه الدعوي، وأصول هذا المنهج ، والأدوات التي استخدمها لتحقيقه على أرض الواقع من أجل ذلك اخترت شخصية الأستاذ الدكتور / البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — لتكون موضوعا لرسالتي في مرحلة التخصص (الماجستير) في الدعوة والثقافة الإسلامية .

ب — أسباب اختيار الموضوع :

إن الأسباب التي دفعنتي للكتابة عن د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ تتلخص فيما يلي :

١- سعة إطلاعه حيث إنه لم يقف عند حد تخصصه كشأن غيره من بقية الأساتذة، بل جاوزه، فهو في الحقيقة أستاذ الأدب والنقد، وهو على مستوى من القوة والإبداع في هذا التخصص، وكتبت عنه رسائل في هذا التخصص تشيد بفضلته، ونجابته، لكنه ألم بنواحي الثقافة الإسلامية إماماً عاماً، فكان علي نفس المستوى من القوة والإبداع، وكان بحاجة إلى دراسة تشيد بفضلته ونجابته في هذا المجال الواسع، حتى تكون دعوة إلي الذين لا يكادون يعرفون شيئاً غير تخصصهم الدقيق، فتبين لهم أنه إذا جاز التخصص الدقيق في العلوم التجريبية، فلا يجوز في أقسام الثقافة الإسلامية، إذ يجب أن يكون الأستاذ ملماً بنواحي هذه الثقافة علي وجه عام، فالثقافة الإسلامية جزء لا يتجزأ، وكم لا ينفصل، فلا بد لدارس الفقه، والحديث، والتفسير أن يدرس علوم الأدب، لأنه لا يستطيع التعبير عن نفسه إلا إذا رزق البيان الناصع .

٢- أنه كتب عن شخصيات كثيرة، وله مقال شهري في مجلة الأزهر عن الأعلام، فإذا كان هذا الرجل قد جند نفسه للدفاع عن الآخرين والإشادة بفضلهم، وتكريمهم، فمن الإحسان أن أكتب عن هذا الرجل وأشيد بفضله، وصدق الله إذ يقول :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (١) .

٣- بيان نقاط القوة في منهجه عن غيرها حتى يستفاد من نقاط القوة، ويستكمل من يلحق بركب الباحثين، والدعاة ما ثم قد يكون من أمور- والعصمة لكتاب الله ولنبيه ﷺ .

٤- أن شخصية البحث عظيمة الأثر، والتأثير في الخاصة والعامة علي المستوى المحلي والعالمي .

٥- أن هذه الشخصية لم تحظَ بالبحث والدارسة في هذا الجانب الدعوي حتى يكشف فيها عن فكر هذا الداعية، وعلمه وجهاده، ومنهجه وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى فكان حقا علي طلاب العلم، وباحثي كلية الدعوة الإسلامية أن يسدوا هذا الفراغ، وفاء بحق البحث العلمي وبحق د/ البيومي رحمه الله .

ج - صعوبات البحث:

لقد كانت الدارسة - يعلم الله - شاقة ومضنية - وخصوصاً ، وأن نتاج د/ البيومي رحمه الله - كثير متنوع، وقلمه سيّال، فقد عانيت كثيرا في البحث والتقيب في الكتب والمجلات لاختيار مادة هذا البحث، وقد تركت الكثير حتى لا أطيل فيه .

فإن كتبه ومقالاته ثرية بالموضوعات الهادفة، ولن تحصيها رسالة كهذه، فنتاجه أعظم من أن يحتويه بحث، وكنت كلما تحيرت في أمر من أمور البحث كلمته عبر الهاتف، وربما حدد معي موعداً فقابلته فيه في منزله بالمنصورة، وبسبب مرضه وكبر سنه - رحمه الله - كنت لا أستطيع أن أطيل معه، وبعد وفاته ذهبت إلى ابنه د/ حسام طبيب أطفال، وطلبت منه أن يعطيني بعض الكتب وسألته عن والده، كما ذهبت إلى مقر مجلة الأزهر الذي رأس تحريرها عشر سنوات.

وقابلت الأستاذ/ عادل خفاجة مدير المجلة وسألته عن مواقفه التي تركت صداها في نفسه، كما سألت أحد موظفي المجلة عن معاملة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ويشهد الله أنني لم أدخر وسعاً في سبيل إخراج هذا البحث علي الوجه الأكمل وفاء بحق هذا الرجل العظيم العملاق الذي لم ينل ما يستحقه من التكريم في الدنيا ، فأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث ليكون نوعاً من تكريمه رَحِمَهُ اللهُ .

د — الدراسات السابقة عن الموضوع :

إن شخصية د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ذات شقين :

الشق الأول: د/ البيومي أديب وشاعر .

والشق الثاني د/ البيومي داعية ومفكر إسلامي .

وقد تناول الشق الأول كثير من الباحثين والباحثات فكتبت عنه سبع رسائل

وهي:

١— الإبداع الأدبي في نتاج د/ محمد أحمد البيومي — د/ على محمد علي إسماعيل — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية بالمنصورة — قسم الأدب والنقد سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م .

٢— التصوير البياني في شعر د/ محمد أحمد البيومي وشهرته رجب البيومي — للباحث أحمد إبراهيم محمد علي — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالزقازيق — قسم بلاغة ونقد سنة ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م .

٣— التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي — للباحثة / عبير عبد الصادق محمد بدوي — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية — قسم الأدب والنقد سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م .

٤— أشهر شعراء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين وأشعارهم في الجانب الاجتماعي في الحياة المصرية عرض ودراسة ونقد — د/ السيد فتح الله عبد العزيز

— رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٤١١هـ — ١٩٩١م .

٥— محمد رجب البيومي بين المسرحية الشعرية والقصة التاريخية — للباحث عوض عبد الونيس عبد الرازق عوض — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية بإيتاي البارود قسم الأدب والنقد سنة ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٥م .

٦— محمد رجب البيومي — حياته وشعره — للباحثة عزة محمود البكري — رسالة ماجستير — جامعة الأزهر — كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة .

٧— منهج د/ رجب في الترجمة الأدبية — للباحث / إبراهيم أحمد عبد العزيز عزب — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية بالقاهرة — قسم أدب ونقد سنة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٦م .

والملاحظ أن جميع الباحثين الذين تناولوه بالبحث قصروا همتهم علي إبراز ما يخصهم وهو جانب الأدب والنقد أو البلاغة والنقد، وأما الشق الثاني فلا أعلم أحدا تناوله ، فكان بحاجة ماسه إلي إبراز دوره في هذا الجانب، وهذا ما قامت به هذه الرسالة بإذن الله وحده .

هـ — منهجي في البحث :

وقد نهجت في تناول هذا البحث نهجا — أرجو من المولي تبارك اسمه أن أكون فيه مؤفقا ، وأن يهيئ لي به من أمري مرفقا — يقوم علي:

أولا : اعتمدت في بحثي هذا علي المنهج المتكامل الذي يجمع بين عدة مناهج؛ ليتناسب وطبيعة البحث .

أ — المنهج الوصفي^(١) والتحليلي: حيث تتبعت سيرة صاحب الشخصية ونشأته وآثاره العلمية، ثم قمت بقراءتها وتحليلها مستنبطاً ما فيها،
ثم صنفته الحقائق والبيانات التي تم جمعها، وقمت بتفسيرها تفسيراً شاملاً؛ لاستخلاص نتائجها ودلالاتها.

ب — وقد استخدمت أيضاً المنهج الاستقرائي^(٢): حيث قمت باستقراء بعض كتب د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ومقالاته قراءة متأنية، والاستدلال بها في مواضع مختلفة من البحث.

ج — كما استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستدلالي^(٣): فدللت علي كل قضية تحدث عنها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — من خلال كتبه ومقالاته، وما أثر عنه من آثار مطبوعة ومخطوطة.

د — المنهج التاريخي^(٤)، وذلك من خلال الحديث عن تأثر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — بالعصر الذي عاش فيه، وقد تتبعت بعض الأحداث والظواهر التي سادت في المجتمع آنذاك من

(١) المنهج الوصفي هو: ما يقوم علي وصف الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية. ينظر — حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة — مجلة علمية سنوية محكمة — الجزء الثاني — قسم الثقافة الإسلامية — العدد الخامس والعشرون سنة ١٤٣٢هـ — ٢٠١١م — بحث بعنوان: ضوابط البحث العلمي ومناهجه ومصادره بقلم د/ عبد الرحمن أبو عامر ص ٩٠.

(٢) المنهج الاستقرائي: ويبدأ من الحكم علي الجزء، يتجه للحكم علي الكل، فالباحث الذي يستخدم المنهج الاستقرائي يلاحظ الظاهرة وتكرارها، ثم يقوم بإجراء بعض التجارب عليها، ثم ينتقل إلى وقائع مماثلة يستقرئها، ويستغرق كل الجزئيات المماثلة للظاهرة الأولى في محاولة لتعميم انطباق الظاهرة علي وقائع مماثلة، فيما يعرف اصطلاحاً بالتعميم. ينظر — مناهج البحث العلمي وطرق كتابة الرسائل الجامعية — د/ عبد الرحمن أحمد عثمان — ط — جامعة إفريقيا للنشر — الخرطوم — سنة ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م — ص ٤٥.

(٣) المنهج الاستدلالي وهو: السير بالعقل من قضايا يقينية مسلم بها حتى يستخلص منها قضايا أخرى دون الالتجاء إلى التجربة. ينظر — حولية كلية الدعوة — مرجع سابق ص ٨٩.

(٤) المنهج التاريخي هو: عملية منظمة وموضوعية لاكتشاف الأدلة وتحديدتها وتقييمها، والربط بينها من أجل إثبات حقائق معينة والخروج منها، باستنتاجات تتعلق بأحداث جرت في الماضي، إنه عمل يتم بروح التقصي الناقد لإعادة البناء، وصُمم ليحقق عرضاً صادقاً أميناً لعصر مضي. ينظر مناهج البحث العلمي وطرق كتابة الرسائل — مرجع سابق — ص ٥٤.

نواحي الحياة المختلفة •

ثانياً : تتبعت المصادر المعتمدة التي أشرت عن د/ البيومي — ﷺ — وهي علي النحو التالي:

أ — ترجمته الذاتية التي كتبها بخط يده •

ب — عن طريق المجلات والصحف التي كُتب فيها عن د/ البيومي ﷺ •

ج — اتصلت بـ د/ البيومي ﷺ شخصياً والتقيت به مرات عدة وسألته عن غوامض هذا البحث، كما أنني اتصلت بابنه وقابلته بعد وفاة أبيه •

د — تتبعت مواقع النت لاستكمال ما كُتب عن د/ البيومي — ﷺ — •

ثالثاً: قمت بجمع المادة العلمية التي تبرز عناصر البحث من مصادرها

الأصلية •

رابعاً: كتابة الآيات مُشكَّلة وعزوها إلي سورها مع ذكر رقم الآية •

خامساً: خرجت الأحاديث النبوية تخريجا علميا مختصراً، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بعزوه مشيراً إلي الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما بينت الحكم عليه من حيث الصحة والضعف •

سادساً: ذكرت في الرسالة أقواساً معينة للنقول، وما تمت صياغته من

فكرتي بأسلوبي، والآيات والأحاديث وهي:

١— للنقول وضعت علامة التنصيص " " •

٢— وما تمت صياغته بأسلوبي وضعت له هذين القوسين () *

٣— وللآيات وضعت هذين القوسين ﴿ 》 •

٤— وللأحاديث وضعت هذين القوسين { } •

سابعاً: الترجمة الموجزة لبعض الأعلام، وبخاصة غير المشهورين الواردة

بالرسالة قدر الاستطاعة •

ثامناً: ترجمت للفرق والمذاهب الواردة في البحث •

تاسعاً: قمت بكتابة قائمة للمراجع التي استعنت بها في هذا البحث، ورتبتها أبجدياً حسب حروف الهجاء، ثم وضعت فهرساً للموضوعات .

و - خطة البحث:

وقبل أن أعرض خطتي في هذا البحث أبين أنني تناولت في بحثي هذا أركان الدعوة الخمسة، فتحدثت عن الدعوة وعرفتها في اللغة وفي الاصطلاح، وذكرت فضلها .

ثم تناولت الداعية د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - فتحدثت عن سيرته العطرة وأخلاقه وسلوكه العملي .

ثم تناولت المدعوين من خلال دعوة د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - وكيف تأثروا بكتاباته ومقالاته .

ثم بينت منهج د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - في الكتابة في الكتب والمقالات وبم تميز في ذلك .

وأخيراً تحدثت عن الوسائل والأساليب التي اعتمدها د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - في دعوته .

وأما عن الخطة فقد قمت في هذا البحث الذي هو بعنوان (أ.د / محمد رجب البيومي وجهوده في الدعوة إلى الله) كالتالي:

١- بدأت هذا البحث بمقدمة دار الحديث فيها عن النقاط الآتية :

أ - أهمية الموضوع .

ب - أسباب اختيار الموضوع .

ج - صعوبات البحث .

د - الدراسات السابقة عن الموضوع .

هـ - منهجي في البحث .

و - خطة البحث .

٢- ثم تثبت بتمهيد حددت فيه المفاهيم الواردة بالعنوان، فعرفت كلمة الجهود، وكلمة الدعوة في اللغة وفي الاصطلاح، ثم تحدثت عن فضل الدعوة، والدعاة إلى الله .

٣- ثم قمت بتقسيم هذه الرسالة إلى خمسة فصول وهى:

الفصل الأول : وجعلته بعنوان (البيئة^(١) الاجتماعية، والفكرية، والسياسية للدكتور البيومي) .

وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

- ١- المبحث الأول: البيئة الاجتماعية للدكتور البيومي . وقسمته إلى ثلاثة مطالب:
- أ - المطلب الأول : تعريف عام بـ د/ البيومي . وتناولت فيه اسمه ولقبه ، ومولده ، ونشأته .
- ب - المطلب الثاني : الأسرة ودورها في تكوينه . وتناولت فيه دور الوالد في تكوينه، ودور الوالدة ، ودور خاله .
- ج - المطلب الثالث : البيئة وأثرها في نشأته وأخلاقه . وتناولت فيه أثر قريته الكفر الجديد في نشأته ، وتحدثت عن نشأته الصوفية بالقرية ، كما تناولت صفاته الخلقية .

(١) مفهوم كلمة البيئة : البيئة لغة: المنزل ، وقيل منزل القوم حيث يتبأون من قبل واد أو سند جبل ، وكذا الحال والحالة يقال: باءت بيئة سُوءٍ ، علي مثال بيعةٍ : أي بحال سُوءٍ، ويقال : إنه لحسن البيئة : أي الحالة . ينظر لسان العرب — للعلامة ابن منظور — ط — بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م — ج ١/٣٩ . وينظر أيضا شرح القاموس المسمى (تاج العروس من جواهر القاموس) للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي — ط — دار الفكر للنشر والتوزيع — بدون تاريخ — ج ١/٤٧ .

واصطلاحا هي : ما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما . يقال بيئة طبيعية ، وبيئة اجتماعية ، وبيئة سياسية . ينظر المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية سنة ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م — مادة باء — ص ٦٦ . وهي أيضا : الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ، ويحصل منه علي مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوي ، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر . ينظر البيئة ومشكلاتها — أ / رشيد الحمد ، أ / محمد سعيد صبارين — سلسلة عالم المعرفة — سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت — العدد ٢٢ — أكتوبر ١٩٧٩م — ص ٢٤ ، ٢٥ .

من ذلك يتبين لي أن البيئة هي : الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان يتأثر به ويؤثر فيه، هذا المجال قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جدا وقد تضيق دائرته ليشمل منطقة صغيرة جداً لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكن فيه .

٢- المبحث الثاني : البيئة الفكرية للدكتور البيومي • وقسمته إلى خمسة مطالب:

أ — المطلب الأول: مرحلة ما قبل التعليم الأزهرى • وتناولت فيه تعليمه بالمدرسة الإلزامية قبل التحاقه بالأزهر •

ب — د/البيومي في التعليم الأزهرى ، وتدرجه في الدراسة والمناصب •

وتناولته من المعهد الابتدائي وحتى حصوله علي العالمية ، ثم التحاقه بمعهد الإسكندرية العالي، ثم اشتغاله في حقل التربية والتعليم مدرساً، ثم حصوله علي درجتي الماجستير والدكتوراه وتعيينه بجامعة الأزهر، كل ذلك وأنا أسجل مواقفه في كل مرحلة من مراحل التعليم التي تدل علي نبوغه وتفوقه منذ عهد الطلب ،ومن أجل مواقفه كتابته وهو طالب بالقسم الثانوي في مجلة الرسالة التي يكتب فيها الأساتذة الكبار • كما تحدثت عن جوائزه الأدبية ورحلاته العلمية •

ج — شخصيات مؤثره في تكوينه •

وتحدثت عن كبار المفكرين والعلماء الذين كان لهم عظيم الأثر في تكوينه العلمي، وهم: الأستاذ/ محمد فريد وجدي رحمته الله، والأستاذ/ أحمد حسن الزيات رحمته الله، والأستاذ/ محمد الخضر حسين رحمته الله •

د — صلته بالجمعيات الدينية •

وتحدثت عن صلته بجمعية الإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين •

هـ — آثاره العلمية •

وقمت بعرض مؤلفاته العظيمة التي أثري بها المكتبة الإسلامية •

٣- المبحث الثالث البيئة السياسية للدكتور البيومي • وقسمته إلى خمسة مطالب :

المطلب الأول: الحكم الملكي وأثره في نشأة د/ البيومي • وتحدثت عن الحكم الملكي من بداية حكم الملك فؤاد الأول وحتى نهاية حكم الملك فاروق، وأثر ذلك على د/ البيومي •

المطلب الثاني : موقفه من قادة ثورة سنة ١٩٥٢م • وبينت موقفه من قادة الثورة بعد أن تحولوا وانحرفوا عن المبادئ التي أعلنوها •

المطلب الثالث : الحكم الجمهوري وأثره في نشأة د/ البيومي • وعرضت صورة الحكم الجمهوري من بداية الرئيس محمد نجيب، وحتى الرئيس محمد حسنى مبارك، ثم تأثر د/ البيومي بهذه الفترة وخصوصاً فترة الرئيس جمال عبد الناصر •

المطلب الرابع : موقفه من الأحداث الجارية • وبينت موقفه مما يحدث في فلسطين المحتلة وعرضت قصائده في ذلك ثم ذكرت وصفه الدقيق لليهود •

المطلب الخامس : وفاة الراحل د/ البيومي رحمته الله •

الفصل الثاني: جهود د/ البيومي في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية • وقسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : جهوده في خدمة الدراسات القرآنية • وقسمته إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في الحديث عن تاريخ التفسير عموماً، والتفسير البياني علي وجه الخصوص •

وعرضت أولاً: تأريخه للتفسير بوجه عام بدءاً من التفسير النبوي وحتى التفسير المعاصر •

ثم تناولت ثانياً: تأريخه للتفسير البياني بصفة خاصة بدءاً من الجذور الأولى له في عصر النبوة والصحابة والتابعين، وحتى عصر الرافعي رحمته الله •

المطلب الثاني: جهوده في قضايا تتعلق بالتفسير البياني، وعلوم القرآن • وعرضت أولاً: عدة قضايا تتعلق بالتفسير البياني ، واخترت منها قضية: التكرار في كتاب الله •

ثم عرضت ثانياً: قضايا تتعلق بعلوم القرآن، واخترت منها قضية:

المناسبة بين الآيات القرآنية •

المطلب الثالث: التفسير المقارن لبعض آيات القرآن الكريم. وقمت باختيار بعضاً مما عرضه من التفسير المقارن للعلماء مع الموازنة بين الأقوال، وذكر ما يراه راجحاً.

المطلب الرابع: الرد على المستشرقين في قضايا قرآنية • وقد تناولت بعض القضايا من كتابه الرد على المستشرق الفرنسي "جاك بيرك" •
المطلب الخامس: إبراز مناهج بعض المفسرين المعاصرين • وتخيرات منهم فضيلة الإمام الداعية الكبير/ محمد متولي الشعراوي رحمته الله •

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية • وقسمته إلى ستة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في الرد على المستشرقين حول الطعن في ثبوت السنة النبوية • وتناولت ذلك من خلال ما كتبه في كتابة الرائع البيان النبوي وقد تناول فيه ما حيك حول السنة النبوية من شبهات وأراجيف بثها المستشرق المجري اليهودي الكبير "جولد زيهر" للطعن في ثبوتها •

المطلب الثاني: جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي • وتناولت ذلك من خلال ما كتبه في كتابه البيان النبوي، وقد عالج فيه كثيراً من القضايا من أمثال:
الخصائص الأدبية للأقصوصة النبوية •
سمات خطابه ﷺ •

المطلب الثالث : جهوده في إبراز سمات الأسلوب النبوي • وتناولت ذلك من خلال ما عرضة من العناصر الثلاثة في الأحاديث النبوية وهي:
أ – الأفكار في الحديث •
ب – الصور البيانية في حديث الرسول •

ج – ناحية التعبير من الحديث •

المطلب الرابع : جهوده في إبراز نماذج من التفسير النبوي للقران الكريم •
وتناولت ذلك من خلال تقسيمه ما استشهد به من النماذج النبوية للتفسير القرآني إلى
ثلاثة أنواع وهي:

- أ - نوع يكشف عن المعاني المجهولة لألفاظ لا يُوحى بها المنطوق •
- ب - نوع جاء تفسيره في سياق إرشادي يُمهد لمراميه ويكشف عن مدلوله •
- ج - نوع أوحى به المقام من توجيه سؤال أو واقع حال •

المطلب الخامس: جهوده في عقد موازنة بين الأسلوب القرآني، والأسلوب
النبوي • وتناولت ذلك من خلال ما كتبه في كتابه البيان النبوي تحت عنوان (بين
إعجاز القران وإبداع الحديث) •

المطلب السادس: جهوده في عرض ما ذكره بعض القدماء والمعاصرين عن
البيان النبوي

فمن القدماء نقل ما قاله الجاحظ رحمته الله، و الشريف الرضي رحمته الله ، و ابن الأثير ، ومن
المعاصرين نقل ما قاله الرافعي رحمته الله ، والعقاد رحمته الله ، و الزيات رحمته الله •

الفصل الثالث: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديما وحديثا •

وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً • وقسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في عرض ثبت تاريخي لمجالس العلم في حرم المساجد
من عصر النبوة إلى العهد الفاطمي • وتناولت ذلك من خلال ما سطره في كتابه
(مجالس العلم في حرم المسجد) •

المطلب الثاني جهوده في إبراز مآثر أعلام مساجد هذه الحقبة الزمنية •
وتناولت فيه حديثه عن مآثر هؤلاء الأعلام الذين قاموا بتعليم العلم في حرم المساجد
بدأً من ابن عباس بالمسجد الحرام وحتى يعقوب بن كلس بالجامع الأزهر •
المبحث الثاني : جهوده في إبراز تاريخ الدعوة حديثا • وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في إبراز دور الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان من العصر المملوكي وحتى قيام ثورة ١٩١٩م • وتناولت ذلك من خلال ما سطره في كتابه (نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر) •

المطلب الثاني: جهوده في الرد علي الطاعنين في قضايا تمس الأزهر الشريف • وتناولت من هذه القضايا ما يلي :

- أ - اتهام الأزهر بأنه عدو الحرية ووكّر الرجعية وصنيعة الحاكم •
- ب - اتهام الأزهر بأنه لا يُسهم ايجابيا في السلام الديني •
- ج - اتهام الأزهر بالتدخل في شئون الفكر •

المطلب الثالث: جهوده في إبراز مواقف الأزهر الشريف من المؤلفات التي تطعن في ثوابت الاسلام • وتناولت من هذه الكتب الآتي:

- أ - الإسلام وأصول الحكم لمؤلفه الأستاذ/علي عبد الرازق •

- ب - الشعر الجاهلي لمؤلفه الدكتور طه حسين •

الفصل الرابع : المناحي الفكرية لنتاج الدكتور/ البيومي • وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول : الشخصيات الإسلامية • وقسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول:تراجم لعلماء الإسلام • وتناولت فيه من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة •

المطلب الثاني : دفاع عن شخصيات دينية مظلومة • وتناولت فيه شخصيات ظُلمت في التاريخ عن عمد تولى دكتور البيومي الدفاع عنها من أمثال:

- أ- الشيخ طنطاوي جوهرى رحمته الله •

- ب- الإمام مالك بن أنس رحمته الله •

المبحث الثاني: القضايا الإسلامية • وقسمته إلى ستة مطالب •

المطلب الأول : قضايا دينية • وتناولت فيه قضية: الفدائية والتهلكة .

المطلب الثاني : قضايا فكرية . وتناولت فيه ما يلي:

أ- انحدار المستوى الثقافي بالجامعات •

ب- ينالون ٩٩ % فى الثانوية ثم ينحدرون • وهذا عنوان افتتاحية مجلة الأزهر

عدد شعبان ١٤٢٧ هـ - سبتمبر ٢٠٠٦ م •

المطلب الثالث : قضايا اجتماعية •

وتناولت منها ما يلي :

أ- من مضايقات الزواج •

ب- الطفولة المعذبة في مصر •

المطلب الرابع: قضايا أخلاقيه وتناولت منها ما يلي:

أ- حقوق الحيوان فى الإسلام •

ب- العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية •

المطلب الخامس: قضايا سياسيه • وتناولت منها عقوبة الإعدام •

المطلب السادس : قضية التصوف وموقف د/البيومي منها • وتناولت فيه

نشأته الصوفية، ودفاعه عن كبار المتصوفين، وموقفه من التصوف •

المبحث الثالث: ما يتعلق بالسيرة النبوية • وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خطر يحيق بالسيرة النبوية • وتناولت فيه تحذيره من خطورة

رصد الأساطير الشعبية التي أضيفت إلى السيرة النبوية .

المطلب الثاني: غزوات الرسول وأسبابها الدافعة • وتناولت فيه حديثه عن

الغزوات مبيناً أنها فى حقيقتها دفاع اضطراري أمام هجوم عدواني لا سبيل إلي

تلافيه، لا كما زعم بعض المتسرعين أنها هجوم مفاجئ لكسب المواقع وبسط النفوذ •

المطلب الثالث: الخلافة الراشدة • وتناولت فيه حديثه عن عصر الخلافة

الزاهي ثم ردّ مفتريات صاحب كتاب (قبل السقوط) في انتقاص الخلافة الإسلامية •

المبحث الرابع: ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي • وقسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما لم يكتب من تاريخ الأزهر • ويُقصد بذلك مرحلة التعليم الأزهرى بالمساجد حيث أغفل دور الأزهر فى هذه الحقبة وذكر دور الكتاتيب الريفية والحضرية •

المطلب الثاني: متى نكتب التاريخ المعاصر؟ • وقد عرضت فيه ما ذكره من وجهات النظر فى ذلك وموازنته بينها مرجحاً ضرورة تدوين التاريخ المعاصر دون انتظار لوقت يحدد بنصف قرن علي أن يكون المدون رجل تاريخ لا رجل سياسة •

المطلب الثالث : كتاب الأغاني والتاريخ الإسلامي • وبيّنت فيه حديثه عن كتاب الأغاني مبيناً أنه لا يُعد مصدراً من مصادر التاريخ فلا يعتمد عليه في نقل الأخبار التاريخية لأنه كتاب أدب، ورواياته التاريخية لا تثبت للنقل •

المطلب الرابع: عاشوراء في تاريخ الإسلام • وتحدثت فيه عن حديثه عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكيف ترك صدهاء لدى الشيعة •

المبحث الخامس: الأستاذ الدكتور / البيومي رحمته الله ما له وما عليه • وقسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : المادحون والمؤيدون للدكتور البيومي رحمته الله • وعرضت فيه أقوال العلماء وآراءهم في شخصية د/ البيومي رحمته الله •

المطلب الثاني : الناقدون والمعارضون للدكتور البيومي • وعرضت فيه ما أخذه بعض الناقدين علي د/ البيومي رحمته الله.

الفصل الخامس: وسائل وأساليب الدعوة عند دكتور البيومي رحمته الله. وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول : وسائل الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله • وقسمته إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وسيلة القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة • وتناولت فيه الحديث عن تطبيق الفضائل التي دعا إليها د/ البيومي رحمته الله على نفسه أولاً، ولا شك أن الداعية إذا امتثل ما يقول كان ذلك أدعى لقبول دعوته •

المطلب الثاني: وسيلة المناظرات والمسرحيات الدينية وأثرها في الدعوة •
وتناولت فيه مشاركته العلمية في بعض المناظرات ونظم المسرحيات الدينية ، وأثر ذلك في الدعوة •

المطلب الثالث: وسيلة المحاضرات وأثرها في الدعوة • وتناولت فيه بعض المحاضرات التي ألقاها وأثرها في الدعوة •

المبحث الثاني: أساليب الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله •
وقسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب التأليف والتدوين وأثره في الدعوة وتحدثت عن سماته في مؤلفاته ، وعن المنهج الذي سلكه في التأليف وأثر ذلك في الدعوة •

المطلب الثاني: أسلوب التكرار وأثره في الدعوة • وبيّنت فيه انه كثيرا ما يلجأ إلى أسلوب التكرار ليكون أنجع في العلاج •

المطلب الثالث: أسلوب الحوار وأثره في الدعوة • وبيّنت فيه أن دكتور البيومي اعتمد على الحوار كأسلوب لتبليغ دعوته .

المطلب الرابع: أسلوبه في معالجة القضايا المعاصرة •
وتحدثت فيه عن خمس قضايا ، وهي :

أ- كتابة المصحف بالإملاء الحديث • وطرح دكتور البيومي رحمته الله هذه المسألة لحاجة العصر إليها فإن الطلاب بالمدارس لا يعرفون اصطلاحات الرسم العثماني فانه يخالف ما تعلموه من قواعد الإملاء المعاصر، فيقعون في أخطاء لا سبيل إلى تفاديها إلا إذا كتب لهم المصحف بهذا الإملاء الحديث •

ب — القرآن وشريط الكاسيت • وقد عرض دكتور البيومي رحمته الله لمشكلة واقعية وهى قراءة القرآن الكريم في شريط الكاسيت وما يحدث فيها من أخطاء واستخفافات من قُرَّاء لا يرجون الله وقاراً •

ج — حول التراث الإسلامى • وتحدث دكتور البيومي رحمته الله عن قضية واقعية تتعلق بكتب التراث وهى لصوص النشر •

د — نشر الجرائم فى الصحف • وذكر أن ذلك يُمثل خطراً عظيماً على الأخلاق لأن فى ذلك دعوة سافرة إلى مزاولة الجرائم •

هـ — جريمة الاغتصاب تحتاج إلى عقوبة صارمة • وتناولت فيه حديثه عن هذه القضية مبيناً أن قانون العقوبة على هذه الجريمة يحتاج إلى تعديل لان عقوبة الاغتصاب لم تعد رادعة فى هذا الزمان •

وفى الختام اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن ينفع به طلاب العلم والمعرفة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل •

تمهيد تحديد المفاهيم

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: تحديد المفاهيم الواردة بالعنوان .

١- مفهوم كلمة الجهود .

٢- مفهوم الدعوة إلى الله .

ثانياً: فضل الدعوة والدعاة إلى الله .

تمهيد تحديد المفاهيم

في البداية لابد من الإشارة إلى أن لتحديد المفاهيم فائدة عظيمة وهي " وضع الأشياء في موضعها وعدم إضاعة الوقت والجهد والفكر في شيء لا يفهم أساسه ولا يعرف أصوله و لا جذوره"(١) .

وقد وردت في عنوان هذا البحث المصطلحات الآتية:

أ- كلمة الجهود . ب- الدعوة إلى الله.

١- مفهوم كلمة الجهود :- " (الجُهد) بفتح الجيم وضمها :

الطاقة ، وقرئ بهما قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ (٢)، والجهد بالفتح: المشقة يقال (جهَدَ) دابته، و(أجهدها) إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، و(جهَدَ) الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ وبأبهما قطع، . والتجاهد بذل الوسع والمجهود "(٣). " وجهد في الأمر جهداً: جد وطلب حتى وصل إلى الغاية ، وفي القرآن

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾ (٤) ، " (والجهدُ) المشقة والنهاية والغاية ، والجهد الوسع والطاقة يقال ابذل جهدك "(٥)، وجاء في لسان العرب " جهد جهدا : جد...، واجتهد بذل ما في وسعه"(٦) .

ومما سبق يتبين: أن الجهد ما يقوم به الإنسان من جد ، واجتهاد، وبذل الوسع في أمر ما حتى يصل إلى الغاية المرجوة، وأقصد بجهود الأستاذ الدكتور/ محمد رجب

(١) دكتور يوسف القرضاوي — الإسلام والعلمانية وجه لوجه — ط — مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ — ١٩٩٠م ص ٣١ .

(٢) سورة التوبة من الآية رقم ٧٩ .

(٣) الإمام الرازي مختار الصحاح — طبعة دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م مادة جهد ص ٧٤ .

(٤) سورة الأنعام من الآية رقم ١٠٩ .

(٥) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ط وزارة التربية والتعليم سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م / ص ١٢٢ مادة " جهد " .

(٦) ابن منظور — لسان العرب — ط. دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٩م — ج ١ / ٧٠٨ مادة جهد .

البيومي رحمه الله ما قام به من جد، واجتهاد، وبذل الوسع في معالجة القضايا المتنوعة، وكذلك ما قام به من مناقشات، وردود حول الشبهات التي يثيرها من يتناول على المعاني الإسلامية، و يعمل على تشويهاها من الكتاب المعاصرين، وما قام به أيضاً من كتابات عظيمة في خدمة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعلوم الإسلامية، والكتابات الرائعة عن الأعلام من القدامى والمحدثين، وغير ذلك مما يزاوله من كتابات للذود عن الإسلام، ونفع المسلمين.

٢- مفهوم الدعوة إلى الله:

أ - الدعوة في اللغة: إن للدعوة في اللغة معاني عديدة ذكرها العلماء تمهيدا للمعنى الاصطلاحي "لأن المعاني اللغوية أساس تقوم عليه المفاهيم الاصطلاحية" (١)، فالدعوة "اسم من الفعل دعا، ومصدره الدعاء، والدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء بمعنى الاستغاثة، كقولك: إذا لقيت العدو خاليا فأدع المسلمين، ومعناه: استغث بالمسلمين، وقد يكون الدعاء بمعنى العبادة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ (٢) (٣) .

وجاء في المصباح المنير " دعوت الله، وأدعوه دعاءً: أي ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ٠٠ ناديته، وهو داعي الله، والجمع دعاه، ومنه دعا المؤذن الناس للصلاة، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد" (٤)، وجاء في أساس البلاغة " دعوت فلاناً، وبفلان: ناديته، وصحت به" (٥) .

(١) د /أحمد غلوش - الدعوة الإسلامية أصولها - وسائلها - أساليبها في الفرآن الكريم - ط - مؤسسة الرسالة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م ج ١/ ٢٦٠ . (٢) سورة الأعراف من الآية ١٩٤ .

(٣) لسان العرب ج ٢/ ١٣٨٥ مادة دعا بتصرف مرجع سابق .

(٤) العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ - المصباح المنير - ط - دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -

٢٠٠٠م، مادة دعا ج ١/ ٨٩ .

(٥) الإمام جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - أساس البلاغة - ط - دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٢هـ -

١٩٨٢م ج ١/ ١٣١ .

ومما سبق يتبين أن: الدعوة في اللغة مشتقة من الدعاء، وقد تكون بمعنى العبادة، وقد تكون بمعنى مخاطبة الغير، ومحاولة إقناعه، واستمالاته بفكرة ما ليلزمها، ويمكن القول بأن الأخير أنسب لأنه الغالب في إطلاق الدعوة.

ب - الدعوة في الاصطلاح:

بالرجوع إلى دلالات اللغة، وألفاظ القرآن الكريم، وكلمات السنة النبوية، واستعمالات العلماء لمصطلح الدعوة الإسلامية يتبين أنها تأخذ مسارين مختلفين وهما: المسار الأول: ويعني أن الدعوة هي دين الإسلام ورسالته، وقد وردت تعريفات عدة للدعوة بهذا المعنى أرى أن أقصر علي تعريف فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد غلوش، ويعرفها فضيلته قائلا : "الدعوة الإسلامية هي النظام العام، والقانون الشامل لأمر الحياة، ومناهج السلوك التي جاء بها محمد ﷺ وحيًا من ربه وأمره الله بتبليغها إلى الناس، وبيان ما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة" (١).

يتبين لي من هذا التعريف أن الدعوة تطلق ويراد بها الإسلام بنظامه الشامل لكافة جوانب الحياة وبه صلاح الدنيا والآخرة .

المسار الآخر للدعوة، ويعني أنها تطلق ويراد بها النشر، والبلاغ، وقد وردت بذلك تعريفات عديدة ، وأرى أيضا أن أذكر تعريف فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد غلوش، ويعرفها بقوله : " الدعوة الإسلامية هي: العلم الذي به تُعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة التي يقوم بها القادر علي تبليغ الإسلام علي الوجه المشروع ، وتحقيق انتشاره بين الناس وفق خطة علمية مدروسة " (٢)

وبالنظر في هذه التعريفات يتبين لي ما يلي :-

١- أن الدعوة بمعنى النشر علم مستقل له موضوعه وخصائصه وهدفه .

(١) د/أحمد غلوش — الدعوة الإسلامية — أصولها وسائلها — أساليبها في القرآن الكريم — ط — مؤسسة الرسالة — بدون

تاريخ — ص ٣٣ .

(٢) السابق ص ٣٦ .

- ٢- أن القائم بالدعوة لابد وأن يكون عنده القدرة علي التبليغ والتأثير، ولابد من تنشئته وتربيته وإعداده إعدادا خاصا ؛ ليتمكن من أداء مهمته على الوجه الأكمل .
- ٣- أن هدف علم الدعوة تبليغ الإسلام للناس مع مراعاة تنوع عمليات التبليغ؛ لتناسب الناس جميعا، والاهتمام بمن توجه إليهم الدعوة رجاء إيمانهم واستقامتهم علي منهج الله .

ثانياً فضل الدعوة والدعاة إلى الله :-

إن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء، والمرسلين، والدعاة هم ورثة الأنبياء، لذا فإن الدعوة إلى الله هي أفضل ما يزاوله الناس من أعمال، ولا أحد أفضل ممن دعا إلى الله تعالى قال الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فكلمة (من) استفهام متضمن معنى النفي أي: لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله .

قال ابن كثير (٢) في تفسيره لهذه الآية :- " يقول ﷻ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﷻ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﷻ أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه، ولغيره لازم، ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتهم بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك ،كما قال محمد بن سيرين، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم " (٣) .

(١) سورة فصلت — الآية رقم ٣٣ .

(٢) هو الشيخ الإمام الحافظ المفيد البار، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذراع القيسي البصري — نسبة لبصري الشام الدمشقي الشافعي ولد في (مجدل القرية) من أعمال مدينة بصري و اختلف في سنة الميلاد ، نشأ في دمشق يطلب العلم ، ويسمع الشيوخ ويحفظ المتن، وأقبل على معرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب، ألف كتباً شتى في علوم القرآن، والحديث، والتوحيد، والفقه، والسيرة والتراجم، والتاريخ، توفي سنة ٧٧٤هـ ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية . انظر ترجمة ابن كثير في كتاب البداية والنهاية لابن كثير — ط — دار المعرفة — بيروت — لبنان الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م ج ١ / من ٧ — ١٦ بتصرف .

(٣) الإمام الحافظ ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — طبعة مكتبة مصر بالفجالة، بدون تاريخ ج ٤ / ١٠٠ .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ — أن يعلن في الناس أن طريقته ، وسنته الدعوة إلى الله قال عز من قائل ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله (٢) في سياق تفسيره لهذه الآية : "إن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ — أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله ، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله ﷺ ، وهو على بصيرة ، وهو من أتباعه ، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله ، ولا هو على بصيرة ، ولا هو من أتباعه ، فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل في أممهم ، والناس تبع لهم ، والله سبحانه قد أمر رسوله ﷺ — أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه ، وضمن له حفظه وعصمته من الناس ، وهؤلاء المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه ، وتبليغهم له .

وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ، ودعا لمن بلغ عنه ، ولو حديثاً ، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ، لأن تبليغ السهام يفعلها كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه " (٣) .

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١هـ في قرية زرع من قري حوران ، وهي تبعد عن دمشق خمسة وخمسين ميلاً ، نشأ في بيت علم وصلاح ، وكان والده قيماً على المدرسة الجوزية مدة من الزمن فقبل له (قيم الجوزية) ، طلب العلم في سن مبكر ، وكان يزاحم العلماء في حلق العلم ، حتى تفنن في علوم الإسلام ، له مؤلفات من أهمها : زاد المعاد ، والتفسير القيم ، وعدة الصابرين ، وغيرها كثير ، وتوفي سنة ٧٥١هـ ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته . ينظر ترجمة ابن القيم في كتابه : (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي — الداء والدواء — ط — أندلسية دار الفجر بالقاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م — تحقيق أ / الشحات الطحان — ص ٦ ، ٧ بتصرف .

(٣) الإمام ابن قيم الجوزية — جلاء الأفهام في فضل الصلاة علي محمد ﷺ خير الأنام — تحقيق أ / شعيب الأرنؤوط ، أ / عبد القادر الأرنؤوط — ط — دار العروبة — الكويت — الطبعة الثانية — سنة ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م — ص ٤١٥ .

بهذا يتضح لنا: فضل الدعاة إلى الله تعالى " فهم صمام الأمان للمجتمع بأسره فإن قيمة الفرد منهم تعدل الكثيرين ممن ليسوا على هذه الصفة وفقدان أحدهم بالموت يعد خسارة لا تقدر بثمن إذا لم يخلفه غيره يقول أبو جعفر بن محمد بن علي بن حسين عليه السلام: {عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد} ^(١) .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: { لموت ألف عابد، قائم الليل، صائم النهار أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه} ^(٢)،
وقال كعب رضي الله عنه { موت العالم نجم طمس، موت العالم كسر لا يجبر، وثلمة} ^(٣)
لا تسد { " ^(٤) .

ولعل السر في تفضيل العالم على العابد: أن العابد يعود نفع عبادته عليه وحده أما العالم فإن نفعه يتعدي لغيره ممن ينتفعون بعلمه .

لذا فقد جاء في فضل العالم عن أبي أمانة الباهلي رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

رجلان أحدهما: عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه الإمام العلامة ابن عبد البر في كتابه : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله — باب تفضيل العلم علي العباد — حققه وراجع أصوله أ / عبد الرحمن محمد عثمان — ط — مطبعة العاصمة — شارع الفلكي بالقاهرة — والمكتبة السلفية بالمملكة العربية السعودية — المدينة المنورة — باب الرحمة — الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م — ج ١ / ٣٢ .
(٢) أخرجه الإمام العلامة ابن عبد البر أيضا في كتابه السابق نفس الجزء ونفس الصفحة .
(٣) الثلمة : الخلل في الحائط ، وغيره . انظر مختار الصحاح مرجع سابق ص ٥٩ مادة ثلم .
(٤) أخرجه العلامة الآجري في كتابه أخلاق العلماء — حققه وراجع أصوله وعلق عليه فضيلة الشيخ / إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمته الله — ط — مطابع النشر الحديثة بالرياض — نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية — سنة ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م — ج ١ / ٣١ .

{ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير } (١) •

وأحسب الأستاذ الدكتور /محمد رجب البيومي رَحِمَهُ اللهُ مِنْ هؤلاء العلماء لم له من قلم سيَّال معطاء أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي تخدم الإسلام •



(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه — كتاب العلم باب ما في فضل الفقه على العبادة ج ٤ / ٣١٣، ٣١٤ حديث رقم ٢٦٩٤ — ط — مدار الفكر بيروت — لبنان سنة ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م وقال عنه الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال عنه الشيخ الألباني صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته [الفتح الكبير] للألباني — ط — المكتب الإسلامي بيروت — دمشق — الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م ج ٢ / ٧٧٦ حديث رقم ٤٢١٣ •

الفصل الأول

البيئة الاجتماعية، والفكرية، والسياسية للدكتور البيومي

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن ثلاثة أمور : أولها :

- أثر البيئة الاجتماعية ودور الأسرة ،والقرية في تكوين د/ البيومي العلمي والخلقي
- ثانيها: أثر البيئة الفكرية من خلال تعليمه وترقياته العلمية ورحلاته و تأثيره بكبار العلماء والمفكرين ، وصلته بالجمعيات الدينية ، فقد كان لذلك أكبر الأثر في تكوينه العلمي والفكري ، وآثاره العلمية
- ثالثها: أثر البيئة السياسية من خلال الأحداث السياسية ، وأثرها علي تكوين د/البيومي العلمي والفكري

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البيئة الاجتماعية للدكتور البيومي

المبحث الثاني: البيئة الفكرية للدكتور البيومي

المبحث الثالث: البيئة السياسية للدكتور البيومي

المبحث الأول: البيئة الاجتماعية للدكتور البيومي •

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: تعريف عام بالدكتور/ البيومي •

ويمكن أن أتناوله في النقاط التالية :-

١- اسمه ، ولقبه: ورد في معجم البابطين أن اسمه "محمد رجب البيومي" (١) •

والحقيقة أن هذا هو اسم الشهرة، وأما اسمه في الرسمية فهو "محمد أحمد البيومي الشهاوي" (٢) •

وأما لقبه فقد لقب ب رجب البيومي "واسم رجب هذا قد اختارته له والدته فما كان منه فيما بعد إلا أن جمع بين الاسمين فعرف بـ (محمد رجب البيومي) " (٣) •

٢- مولده: ولد د/ البيومي سنة ١٣٤١هـ " في أول أكتوبر سنة ١٩٢٣م في الكفر الجديد — مركز المنزلة من محافظة الدقهلية شمالي دلتا النيل بمصر " (٤) •

(١) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين — هيئة المعجم — ط — دار القبس للصحافة ، والطباعة ، والنشر بالكويت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م ج ٤/٣٩٦ •

(٢) د/أمال أحمد خليل مخلوف — تحليل قصيدة د / البيومي [الذين جاءوا بالإفك] — ط — مطبعة السلاموني بأسبوط بدون تاريخ جامعة الأزهر — كلية البنات الإسلامية بأسبوط — ص ٧ •

(٣) د/ علي محمد علي إسماعيل — الإبداع الأدبي في نتاج د/ محمد أحمد البيومي — رسالة دكتوراه — جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية بالمنصورة قسم الأدب والنقد سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م ص ١

(٤) مجلة الأزهر عدد ديسمبر ١٩٨٦م [محمد رجب البيومي شاعرا] — أحمد مصطفى حافظ — ص ٥١٥ •

٣- نشأته: نشأ د/ البيومي بين أحضان أسرة فاضلة متمسكة بالدين، والفضائل ويحدثنا عنها قائلاً: "تعودت صغيراً منذ بدأت أفكر فيما حولي عن بصيرة، أن أجد باب منزلنا يُفتح قبيل الفجر دائماً، حيث ينهض والدي للصلاة، كما رأيت من والدي ووالدتي مُشجعين لي على أن أخف في هذا الوقت لأقف بين يدي الله" (١) . وبلا شك أن هذا الموقف من الوالدين يدل على تمسكهما الشديد بالدين الذي كان له عظيم الأثر في صبغته الدينية .

المطلب الثاني: الأسرة ودورها في تكوينه:

١- دور الوالد الشيخ / أحمد البيومي، وكان له عظيم الأثر في نشأته وتكوينه حيث يُعد المرجع الأول الذي استمد منه د/ البيومي ثقافته، ولم يُغفل د/ البيومي هذا الدور بل تحدث عنه كثيراً في كتاباته، ومن بين هذه الكتابات ما كتبه تحت عنوان عن والدي حيث يقول: " اضطرب القلم في يدي حين حاولت أن أتحدث عن والدي لأن ما بنفسه عنه أكبر من أن يتناوله القلم، فقد كان مع أبوته الحانية رجلاً مؤمناً كأحسن ما يكون المؤمن لا يبرح تفكيره أمر الله ونهيه، فهو يهتدي في كل حركة بما يعلم من قول الله ، وحديث الرسول ﷺ، وقد أورثه ذلك مهابة واعتزازاً لدى الناس في قريتي، فهو موضع الأمانة، تحفظ عنده الودائع، وكأنه بنك رسمي، وقد يدع الرجل لديه من المال ما لا يُطلع أبناءه عليه، وأذكر أن رجلاً من هؤلاء توفى فجأةً وعلا الصراخ عليه في جوف الليل وجاء النبا إلى أبي ، فلم ينتظر إلى الصباح، بل اتجه فوراً إلى عائلة الميت، وقدم ما لديه من الوديعة، ورجع مسروراً لأنه وضع عن كاهله حملاً ثقيلاً " (٢) .

(١) د/ محمد رجب البيومي — مدرسة المسجد صور من مجالس العلم في حرم الإيمان ط مطبعة السعادة سنة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م ص ٩ ، ١٠ .

(٢) د/ محمد رجب البيومي — ظلال من حياتي خيوط لترجمة ذاتية — مخطوط تحت الطبع — أخذته منه شخصياً أثناء لقائي معه بمنزله بالمنصورة، ولم يك مرقماً فقمتم بترقيمه ص ١١٧ .

وتحت عنوان رجل المسجد يتحدث عن والده قائلاً: "لقد عاش والدي أكثر حياته تاجراً يعمل في متجره، فليس له بالمسجد وظيفة رسمية يحرص على أدائها قياماً بواجب معاشي، ولكن المسجد كان يأخذ منه أكثر مما يأخذه متجره من الأوقات، وكان الذي يحب أن يراه ييمم^(١) المسجد حين لا يجده في منزله أو في متجره، إلا أن يكون مسافراً غير دان، وحينئذ يكون أكثر وقته في المسجد، لقد كان المسجد بالنسبة إليه روضة ذات زهر وشجر وثمر وماء، فهو مهوي القلب، وراحة العين، ومهد السكينة والاطمئنان"^(٢).

ومن الصفات التي يتحلى بها والده كذلك أنه يُعين المحتاج، ويُحب حملة القرآن الكريم، ويُضيفهم في منزله عادة بعد الفجر ويحدثنا عن ذلك قائلاً: "وأذكر أن المسجد في عهد طفولتي كان مأوى الغرباء من أبناء السبيل، فعند الغروب يجتمع الغرباء تحت المئذنة، ويوقدون النار في الشتاء مصطليين^(٣)، وقد تعود أهل الخير في القرية أن يرسلوا إليهم طعام العشاء، فكان أبي يرسلني إلى هؤلاء بما يجود به الله، وبعد صلاة الفجر كان يمر ببعض الغرباء فيصطحبه إلى المنزل، وكذلك يفعل كرام الناس في القرية"^(٤).

ويقول د/ البيومي: "وقد تعودت أن أجد والدي يصطحب معه بعد صلاة الفجر ضيفاً جديداً إلى المنزل، وكثيراً ما يكون هذا الضيف من حملة كتاب الله أو ممن أصابوا يسيراً من العلم، فأرى أريكة الفناء قائمة في الشارع القصير يجلس عليها الضيف تالياً بعض السور، وبجواره يجلس والدي مستمعاً، ولا يفارقان المنزل إلا بعد طلوع الشمس بعد أن يتناولوا الفطور كما تهيأ تلقائياً دون استعداد خاص، وقد ينضم

(١) ييمم: قصده انظر مختار الصحاح — مرجع سابق مادة ي م م ص ٣٩٧ .

(٢) مدرسة المسجد — مرجع سابق — ص ٩ .

(٣) اصطلي النار، وبها: استدفاً بها . انظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٣٦٩ مادة اصطلي .

(٤) ظلال من حياتي — مرجع سابق — ص ١١٩ .

إلى مجلسهما ثالث يشم رائحة الغريب الوافد فيقرع الباب بالعصا، ليؤانس مستمعا فمسامرا فمفطرا" (١) .

ويحدثنا عن إمامة والده للمصلين، وثقافته الدينية قائلاً: " وكان عمي الشيخ/محمد البيومي إمام المسجد فإذا تخلف لأمر شغله حلّ والذي محله، فإذا نهض أبى للقراءة أخذ يرتل في ابتهاج، وكنت أحرص على أن أصلى الفجر وراءه يوم الجمعة لأسمع سورتي السجدة، والدرر مرتلة بصوته المؤثر، وقد حفظت السورتين من إلقائه قبل أن يأتي دورهما في مكتب القرية، وله في القنوت خشوع، وإخبات يُنسبك أنك في الدنيا فلا تذكر إلا أنك بين يدي الله" (٢) .

ويحدثنا د/البيومي عن مصادر ثقافة والده الدينية قائلاً: "وكان من علماء قريتي أستاذ فاضل هو الشيخ /إبراهيم الخميسي — رَحِمَهُ اللهُ — حال مرضه دون توظيفه، فكان يطيل الجلوس بالمسجد حيناً من اليوم، ثم ينتقل إلى متجرنا حيناً آخر، والذي معه في المسجد يقرأ له مجلات الأزهر والإيمان وهدى الإسلام، فإذا حان العصر وحضر بعد صلاته إلى المتجر شهدت والذي يقرأ معه كتباً حديثة، وأذكر أن كتاب (سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل) للمغفور له/محمد أحمد جاد المولى — رَحِمَهُ اللهُ — قد شغلها أكثر من عام قراءة، واستعادة، وتلخيصاً، وكنت أحاول أن أفهم عنهما جهد طاقتي، فلما شهد والذي رغبت في الفهم، قال لي سأقرأ بالمسجد مع الشيخ إبراهيم الخميسي — رَحِمَهُ اللهُ — كتاباً يناسب عقلك فلتكن معنا عند الضحى، وكان الكتاب هو نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري — رَحِمَهُ اللهُ —" (٣) .

وكانت لهذه الجلسات ثمارها الياقة، فقد آتت أكلها بإذن الله تعالى، حيث أصبح الشيخ/أحمد البيومي من أهل العلم يُلقى الدروس بالمسجد ويُرجع إليه في الفتاوى، والأحكام .

(١) مدرسة المسجد — مرجع سابق ص ١٠ ، ١١ .

(٢) ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣) مدرسة المسجد — مرجع سابق ص ١٢ ، ١٣ .

ويحدثنا عن ذلك د/البيومي قائلاً: "والتحقت بالأزهر، فاشتدت صلتي العلمية الوثيقة بالديني، لأنه على علم بقواعد النحو تماماً، ودارس لكتب الفقه الشافعي، فكان في الإجازة الصيفية، يقرأ معي المقرر القادم في السنة التالية، وكان له اسم بين نبهاء القرية في مجال الفتوى الدينية، حيث كان مرجعاً دقيقاً في شئون العبادات، والمواريث، والطلاق، ولأجل ذلك قرأ كتباً كثيرة في التشريع الإسلامي تجمع بين القديم والحديث، وكنت أشهد بعد تخرجي في الأزهر مناقشات والدي مع أخي العزيز الأستاذ/محمود فهمي البيومي، وهو محام نابه درس الشريعة الإسلامية دراسة مستفيضة مع دراسة القانون الوضعي بكلية الحقوق، هذه المناقشات التي تتعرض إلى قضايا دقيقة في مسائل الأحوال الشخصية من طلاق، وزواج، وميراث، فكنت أستمع إليها، وأنا لا أستطيع الخوض في دقائقها" (١) .

وأما دروس والده بالمسجد فيقول: "أما دروس أبي بالمسجد في ليالي رمضان، فكانت تراعى مقتضى الحال مراعاة تامة، إذ يتبسط مع سامعيه في مسائل من الفقه، وشجون من السيرة، ونبذ من تفسير آيات الكتاب ذات المنحى الخلقي، وأذكر أنه قرأ كتاب شفاء الصدر للعلامة الشيخ/إبراهيم الجبالي - رَحِمَهُ اللهُ - قراءة مستظهرة، وقد حفظ والدي كل ما نشره الشيخ الجبالي - رَحِمَهُ اللهُ - بمجلة الأزهر عن تفسير سور النور، والحجرات، والرعد، ولقمان، وكل ما شرحه من أحاديث البخاري، ومسلم على صفحات هذه المجلة وقد ورثت عنه حب هذا العالم العلامة الجليل! " (٢) .

بهذا قد استطردت في الحديث عن والد د/البيومي رَحِمَهُ اللهُ، لكي أنسب الفضل إلى أهله فإن المتفضل الأول على د/البيومي بعد الله تعالى هو والده لأن والدا بهذه المنزلة

(١) رسالة دكتوراه للباحث إبراهيم أحمد عبد العزيز عزب — منهج د/ رجب البيومي في الترجمة الأدبية — كلية اللغة العربية

بالقاهرة — قسم أدب ونقد سنة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٦م ص ٤٩ .

(٢) مدرسة المسجد، مرجع سابق ص ١٤، ١٥ .



الرفيعة في العلم والخلق لا يُستبعد أن يكون ثمرته د/ محمد رجب البيومي، وسوف أبرز دور الوالد من خلال النقاط التالية:

١- القدوة الصالحة: فقد تبين من خلال ما سبق عن حال هذا الوالد أنه كان قدوة صالحة أمام ولده ، فكان محافظاً على فرائض الله وقافاً عند حدوده وقد انعكست هذه العبادة على سلوكياته فأورثته أخلاقاً كريمة، وعلى رأسها الأمانة، والكرم، فنشأ د/ البيومي على نفس المنوال، لأن الولد يقلد أباه في كل شئ ويترسّم خطاه، ولأن الولد ينشأ على ما عوده أبوه، فإن عوده على الفضائل في صغره سار عليها في كبره .

٢- متابعته واصطحابه معه منذ نعومة أظفاره إلى المسجد، وحلقات العلم : ويظهر ذلك من خلال قوله : " وكان إذا أراد أن يختبرني في أجزاء القرآن، وأنا طفل ناشئ يصحبني للمسجد لألقى على سمعه كتاب الله بعد أن أتوضأ "(١) .

وقوله : " وتمر الأيام ولا أنسى مشهدا لوالدي معي وأنا في الخامسة من عمري إذ أصيب رأسي ببعض القروح، فاصطحبني إلى طبيب بالقاهرة في ميدان السيدة زينب، ونزلنا بإحدى اللوكاندات بالميدان، فكننت أجد أبي يوقظني قبل الفجر بساعتين لنذهب إلى المسجد الزينبي، حيث يصلي متفلاً، ثم أجد شيخاً مهيباً يقرأ درساً علمياً وحوله الناس ولوالدي سرور بالغ ، وإشراق مضئ، حين يجلس مع الجالسين مستمعاً، وأنا إلى جواره يغالبني النعاس ولا أكاد أعي شيئاً مما حولي، فإذا انتهى جاء شيخ حسن الصوت ، وجعل يقرأ القرآن، وحين تقدمت بي السن، والتحقت بالمعهد الثانوي بالأزهر كنت لا أزال أتخيل صور هذا المجلس العلمي في الحرم الزينبي، فسألت والدي، فقال: إن الذي كان يشرح الدرس هو العلامة الشيخ/محمد السمالوطي

عضو هيئة كبار العلماء — رحمته الله — ، ومن عاداته أن يقرأ البخاري قبل الفجر، وله جمهوره الفاقهون وأن قارئ القرآن هو الشيخ/ أحمد ندا — رحمته الله — " (١) .

٣— اصطحابه للقيادات الدينية: فكان يصطحب معه واعظ المركز ويضيفه في منزله، وهذا له عظيم الأثر في تنشئة الولد محبا لأن يكون واحدا من هؤلاء وهذا ما حدث بالفعل — د/ البيومي رحمته الله، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " ولم أنس أيضا أن والدي اصطحب ذات صباح شيخا مهيبا، أخذ يخاطبه في إجلال، وحين جاء إلى المنزل لم يجلس معه في الغذاء بل اصطحبه إلى حجرة الضيوف هكذا كانت تسمى، ولم أفهم سر هذا الاحتفاء، فقلت لوالدي من القادم، فقالت في فرحة واعظ المركز يا بني، وكان مهيبا بلحيته البيضاء وعمامته العالية ومسبحته التي لا تنقطع دررها بين أصابعه، وقفطانه اللامع وما فوق القفطان من جبة وعباءة وشال، وعلمت بعد حين أنه سيقضى بين متنازعين ويصدر الحكم، فيقع موقع القبول بدون خلاف إذ هو القاضي العرفي في الريف الذي يعلو صوته على قضاء المحكمة نفسها، وتم الصلح عن تراض فتعانق الخصوم، ورأى أبي حيرتي فيما أرى وأسمع، فقال لي ستدخل الأزهر إن شاء الله يا بني، وعليك أن تجتهد لتكون مثل هذا الرجل بإذن الله، لقد رأيت لك رؤيا صالحة ، والله معك " (٢) .

٤— تعهده بالوصايا والنصائح: ومن بين هذه الوصايا وصيته إياه عند المذاكرة ويحدثنا عنها قائلاً : " وحين التحقت بالمعهد الديني قال لي وصية هامة وكررها مراراً، قال يا بني إذا أردت أن تذاكر دروسك في أي علم من العلوم فابدأ بقراءة سورة من القرآن، فإن تلاوة الكتاب تفتح عليك وتسهل ما يتعسر من المسائل العلمية ، كما قال لي انو حين تبدأ المذاكرة أنك تستجيب لأمر الله إذ تذاكر مادة

(١) مدرسة المسجد — مرجع سابق ص ١١ .

(٢) د/ محمد رجب البيومي من أعلام العصر كيف عرفت هؤلاء — ط الدار المصرية اللبنانية — الطبعة الأولى سنة

الدرس ،فهذه النية الصادقة لها أجرها عند الله، وستكسب ثوابها، وكنت في أثناء الطلب أحرص على تنفيذ هذه الوصية ما استطعت " (١) .

ومن بين هذه النصائح: نصيحته له بأن يكتب عن أئمة المذاهب الفقهية بدلا من كتابة المقالات الأدبية، ويحدثنا عن ذلك قائلا: " وحين بدأت أنشر مقالاتي بالمجلات الأدبية كنت أرسل بعضها إلى والدي إذ يهمه أن يتابع ما أكتب، وفي جلسة هادئة معه قال لي أنت يا ولدي تكتب مقالات عن الغزل في شعر المرأة، وانجلترا في مرآة حافظ، والجن في منطق الأساطير، وشعر معروف الرصافي والزهاوي وهذا جيد،ولكن الأجود منه أن تكتب كتابا يفيدك في الدنيا والآخرة، قلت في أي موضوع أكتب؟ فقال بدلاً أن تتحدث عن الرصافي، والزهاوي، وحافظ، وشوقي تتحدث عن الأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل ، فتزداد علماً وفقهاً، ويدركك الثواب من الله ، فكان حديث والدي مدعاة لأن أكتب مؤلفا مستقلا عن الإمام أحمد بن حنبل في نسق أدبي يزيل جفاف التراجم الفقهية " (٢) .

وأترك دور الوالد ﷺ يتلأأ جمالا وإشراقا ،لأتحدث عن الدور الذي قامت به والدته .

٢- دور الوالدة في تكوينه: ولم يُهمل د/ البيومي دور والدته، ولكنه أشار إلى القليل، وضمن (٣) علينا بالكثير، ويمكن إبراز دور الوالدة فيما يلي:

أ - تشجيعه على أن يصلي في المسجد صيفاً، وشتاء منذ نعومة أظفاره، وعندما طلب منها أن يصلي معها في البيت رفضت يقول د/ البيومي: "وقد تعودت صغيراً منذ بدأت أفكر فيما حولي عن بصيرة، أن أجد باب منزلنا يفتح قبيل الفجر دائماً ، حيث

(١) ظلال من حياتي مرجع سابق ص ١١٧، ١١٨ .

(٢) السابق ص ١٢٥ .

(٣) ضن بالشيء : يضمن بالفتح — ضنا بالكسر ،وضنانه بالفتح أي بخل فهو ضنين به . انظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة [ض ن ن] ص ٢١٥ .

ينهض والدي إلى الصلاة، كما رأيت والدتي تشجعني على الذهاب معه صيفا وشتاء مهما تدفق المطر في الطريق" (١) .

ويقول أيضاً: " وأنا في سن الخامسة، كنت أفطن إلى صرير الباب قبيل الفجر، فأعلم أن والدي قد تأهب للذهاب إلى المسجد، وأبصر والدتي تقوم تتوضأ وتصلي، فأقول لها أريد أن أصنع ما تصنعين فتقول : كلا أنت ولد فاذهب مع أبيك" (٢) .

ب — تهدئة حدة الخلاف بينه وبين والده في الفتاوى المتعلقة بالطلاق ،

يقول د/ البيومي : " كان والدي ﷺ يخالفني مخالفة شديدة في أمور يراني تجاوزت فيها حد الحق، وبخاصة في مسائل الطلاق، إذ دأب القرويون من الباعة والتجار والفلاحين على حلف اليمين المعلق بصورة متكررة، والطلاق المعلق يقع عند الأئمة الأربعة، ولكن قانون سنة ١٩٢٩م الخاص بالمحاكم الشرعية قد جعله غير واقع من الحالف ما لم يقصد طلاق امرأته، وعليه سارت الأحكام دون رد، فكان أحدهم يجيئني كطالب في الأزهر متسائلاً عن الحكم في طلاق معلق، فأفتيه بأنه لا يقع، ويصل الخبر إلى والدي، فيثور ثورة عنيفة ،ويقول إني أحل ما حرم الله، وأن الأئمة قد أجمعوا على وقوعه، فكيف يعيش الرجل مع زوجته في الحرام ،وقد كانت والدتي تهدئ من روعه وتقول له: إن ابني يقول إن الدولة، والمحاكم الشرعية ودار الإفتاء، ولجان الفتوى بالأزهر وغير الأزهر تتفق معه فلماذا تغضب أنت؟ فيسكت، ثم لا ينطق إلا بقوله لا حول ولا قوة إلا بالله" (٣) .

ج — ما تقوم به من جهد عظيم في تحفيظه للقرآن الكريم ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " وكنت لا أجد في المكتب ضيقاً أوهما لأن والدتي كانت كل ليلة تحفظني المقرر

(١) ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ١١٨ .

(٢) من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٧٣ .

(٣) ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

من كتاب الله ، فأصبح وقد عرفت سلفاً ما سيمليه الشيخ أو نائبه عليّ ، وأقوم بتسميعه حين يختبرني الشيخ ، فيعلم أنّي مجتهد لا أضيع لحظة واحدة في المكتب، ويقول لوالدي حين يزورني في المكتب أنّي ذكي وسريع الحفظ ، وهو يبذل معي جهداً خاصاً، ووالدي يبتسم لأنه يعرف الذي تقوم به الأم" (١) .

٣- دور خاله الأستاذ/ عبد المطلب أحمد عبد المطلب: ويظهر دوره من خلال إرشاده لـ د/ البيومي إلى معاني القصائد التي يختارها له والده ليحفظها ، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " وقد شهد والدي أنّي أحاول الحفظ مستظهِراً من صفحات نور اليقين، فقال لي سأدلك على ما تحفظ، وعين لي قصائد لحافظ، وشوقي، وغيرهما مختارة من كتاب جواهر الأدب فكنت أصد إلى دكة المسجد كل صباح لأحفظ ما يختاره أبي من الشعر ومازلت إلى اليوم أحاول أن أجد لذة المحفوظ كالأمس فلا أستطيع، وكأن للصبا حاسة تستمرئ وتتذوق وتستطعم ليست للكهولة، ومن الإنصاف أن أذكر أن خالي الأستاذ الفاضل/ عبد المطلب أحمد عبد المطلب كان يرشدني إلى معاني القصائد التي اختارها أبي إذ كان كلفاً بالأدب الرفيع، يقرأ الرسالة، ويكتب في مجلة الإخوان المسلمين، وقد مات له ولد فرثاه في جريدة الجهاد رثاءً ذا رنين" (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) مدرسة المسجد مرجع سابق ص ١٣ .

المطلب الثالث: البيئة وأثرها في نشأته وأخلاقه: — إن للبيئة عظيم الأثر في نشأة د/ البيومي رحمته الله ، فقد نشأ في قرية متدينة تتمتع بالأخلاق الفاضلة، والعادات الكريمة فانعكس ذلك على سلوكه، فأكسبه دماثة (١) الأخلاق، وأشرب في قلبه حب الفضائل لأنه درج على ذلك في الصغر، فصار في الكبر يتنكر لما وصل إليه حال المجتمع من فساد وانحطاط في الأخلاق يقول د/ البيومي: "حين نشأت في القرية الصغيرة بمحافظة الدقهلية (الكفر الجديد) كان كل شيء فيها يتعلق بأريج (٢) الإيمان، فالمسجد هو المكان الجامع، وشيخ المسجد صاحب القدوة والامتنال، والمناسبات الدينية كالهجرة، والمولد، والإسراء، ورمضان ترسل البسمات الوضيئة في الوجوه الراضية، كانت القرية الفضيلة، والحب، والتراحم إذ لا تباع فيها الفاكهة، والخضروات، والألبان، بل تُهدى إهداء لكل طالب، والفتاة هي بيضة (٣) الخدر (٤) لا يستطيع أحد أقربائها أن يبادلها الحديث في الطريق، أما الآن فقد انتشر الفيديو، وتجمع حوله الجيران يرون ويسمعون ما يفزع، ونشر الولد على أبيه، وجاهرت الزوجة صاحبها بالتمرد، واختفت البسمة المشرقة من الوجوه القانعة، ليسيطر جدول الضرب بماديته الصماء" (٥) .

(١) دمث دماثة ، ودموثة : سهل خلقه ، فهو دميث . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق — مادة دمث ص ٢٣٣ .

(٢) أرج — الأرج والأريج : توهج ريح الطيب . انظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة أرج ص ١٨ .

(٣) بيضة الدار : وسطها . انظر المعجم الوجيز — مرجع سابق مادة باضت ص ٦٩ .

(٤) الخدر: كل ما وارك من بيت ونحوه، وستر يمد للمرأة في ناحية البيت انظر نفس المرجع السابق مادة خدر ص ١٨٧ .

(٥) من أعلام العصر مرجع سابق ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

ويقول أيضاً: " لم يكن نور الكهرباء قد دخل القرية ولكن نور التقوى كان يشع في كل أفق من آفاقها، فالناس ينسلون من كل حذب إلى بيت الله الصغار مع الكبار دائماً، فإذا كان الوقت وقت رمضان ، فالدنيا تموج والمسجد يأتلق ، وكأن مهرجاناً يُقام " (١) .

ومما علق بذهن د/البيومي عن البيئة التي نشأ فيها صورة شيخ الكتاب في القرية الذي جلس بين يديه، وحفظ القرآن عليه ،ويصور لنا ذلك بقوله: "وكان من عادة الشيخ أن يصنع المقاطف، والقفف من خوص النخل، وقد فرض علينا أن نجمع الخوص، وأن نغمسه في ماء البحر وقتاً غير قصير، ولى نصيب وافر من هذا العمل، كما أن بعض الزملاء يذهبون إلى الحقول فيجمعون له (السريس)، وهو يختلط بالبرسيم، ليكون إدامه حين يتناول الغداء مع الجبنة القريش إن وجدت، وإلا ففي السريس الاكتفاء، وكان يقول لنا إن العجول والبهائم تأكل السريس فيكفيها ولا تحتاج إلى غذاء آخر، فكما يقوم بغذاء الحيوان، فإنه يكفي لغذاء الإنسان! ونحن نصدق لاسيما وهو مكتمل الصحة، لم يشك مرضاً، ووالده مثله قد زاد على الثمانين ويأكل مما يأكل، ولا يشكو مرضاً، مع أنهما لا يذوقان اللحم إلا في العيدين حين يأتي إليهما هدية من أولياء الأمور" (٢) .

قلت: وقد أرشد النبي ﷺ الأمة إلى التقليل من الطعام وأخبر أن كثرة الطعام مجلبة للأسقام فعن مقدم بن معد يكره ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فتلت طعامه، وتلت لشرايه، وتلت لنفسه } (٣)، "وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها وقد روى أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمه قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلّموا من الأمراض، والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيدلة،

(١) مدرسة المسجد — مرجع سابق صـ ١٠ .

(٢) ظلال من حياتي مرجع سابق صـ ٤١، ٤٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه — مرجع سابق كتاب الزهد رقم ٣٧ — باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل رقم ٤٧ — حديث

رقم ٢٣٨٧ ج ٤/ ١٦٨ . وقال : حديث حسن صحيح .

وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم، فهذا من منافع قلة الغذاء، وترك التملوء من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته" (١) .

وبالرغم من أن البيئة التي نشأ فيها د/البيومي تتمتع بالإيمان والتقوى والفضائل إلا أنها لم تسلم من وجود بعض الصفات الاجتماعية السيئة، ومن هذه الصفات الظلم، حيث يشكو د/البيومي من ظلم وقع عليه وهو في سن الطفولة، وصورة هذا الظلم أنه تم إجراء مسابقة في حفظ القرآن الكريم بين طلاب المدارس على أن يتم اختيار طالب واحد يكون أفضل المتسابقين لإعطائه الجائزة، وكان د/ البيومي أحد المتسابقين وقد أجري الامتحان وتم رصد الدرجات فوجد الممتحنون رقمين متماثلين هما أعلى الدرجات أحدهما رقم د/البيومي، والآخر رقم أحد زملائه فقرروا أن يعقدوا بينهما امتحانا لاختيار أحدهما كما هو مشروط وتم إجراء الاختبار، فكانت المفاجأة يُمتحن د/ البيومي في ساعة ونصف تقريبا ويمتحن الطالب الآخر في أقل من خمس دقائق ثم يقال له مبروك، وأدع د/ البيومي يحدثنا عن الواقعة الأليمة التي تركت صداها على وجدانه حيث يقول (٢)* تحت عنوان (امتحان زائف)، أعلن أحد الأثرياء من تجار مركز المنزلة أنه متبرع بعشرين جنيها مكافأة لأحسن تلميذ في مدراس الإقليم يحفظ كتاب الله وشكره مجلس المديرية الذي يقوم على شئون هذه المدارس، وعلى الفور قرر عقد لجان الامتحان، ولكل مدرسة لجنة تمتحن المتقدمين؛ لتختار الطالب الفائز على أن يتم تجميع الفائزين من جميع المدارس وامتحانهم مرة أخرى؛ ليتسنى للمسؤولين اختيار الطالب الذي يحصل على أعلى درجة، وقد شغل هذا الامتحان أولياء الأمور فجعلوه شغلهم الشاغل وأجرى الامتحان وحضرت اللجنة الممتحنة، وتم امتحان كل طالب شفويا على حدة ووقع الاختيار على د/البيومي، فكان أحسن طالب على مدرسته، وبعد أسبوعين ذهب المتفوقون من جميع المدارس إلى مدينة المركز وأجرى لهم امتحان مماثل برئاسة السيد المفتش، وأخذ كل ممتحن يضع الدرجة في ورقة

(١) الشيخ / أحمد فريد — البحر الرائق في الزهد والرفائق — ط دار الإيمان بالإسكندرية سنة ١٩٩٠ ص ٩٠ .

(٢)* ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ٤٣ وما بعدها بتصرف .

خاصة به، وعند الرجوع إلى ما دُون من الأرقام وُجد رقمان متماثلان حازا أعلى الدرجات فحار الممتحنون، فمنهم من أوصى بتقسيم الجائزة، حيث يأخذ كل فائز عشرة جنيهاً، ومنهم من تشدد وقال إن صاحب التبرع قد حدد شخصاً واحداً واشترط ذلك فلا بد من تنفيذ رغبته، وبعد نقاش طويل تراءى للمسؤولين امتحان الفائزين مرة ثالثة ليقع الاختيار على الأفضل وحان موعد الامتحان وتخلف عضوان من اللجنة الممتحنة، ولم يحضر إلا المفتش وحده وقد اتصل تليفونيا عليهما فقالا له اختر أنت أحدهما بعد امتحان دقيق ونودي على د/ البيومي ليدخل لامتحانه أولاً، فدخل يقول: " فوجدته يفتح المصحف الشريف، وينقل بي من سورة إلى سورة قرابة ساعة ونصف، وأنا أجيب قدر المستطاع، ثم أمر بانتهاء الامتحان، ونودي على المتسابق الثاني، فما راعني إلا أنه خرج بعد أقل من خمس دقائق، وتعجبت فقلت له ماذا تم؟ فقال سألني سؤالاً واحداً، وقال لي مبروك! فغلى الدم في عروقي، ولم أجد بداً من المواجهة الصريحة، فانتظرت حتى خرج المفتش متجهاً إلى الباب، فقلت له في حده، أتمتحن الطالب في دقيقتين ثم تقول له مبروك: لو كنت ذكياً لاستمر الامتحان ساعة، ثم أعطيته ما تشاء: فاصفر وجه المفتش ونظر إلى في غضب، وتركني؟ ذهبت باكياً إلى والدي، وحدثته بما كان، فقال يا بني: إن الله لم يشأ لك الجائزة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١) .

ومن يدرى لعل الله صرفها عنك منعاً لعيون الناس فقد أكثروا الكلام في المرة الأولى حين فزت في المدرسة، وخافت والدتك عليك . إنس هذا الموضوع ، فقد صنعت كل ما تقدر عليه ، وهذا يكفي " (٢)

(١) سورة الإنسان من الآية ٣٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ٤٥ ، ٤٦ .

ومما كان له عظيم الأثر في نشأة د/البيومي، مجالس الصوفية التي كانت تُعقد في مسجد قريته (الكفر الجديد)، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: "نشأت محبا لمجالس الذكر في بيت الله إذ كان مسجد قريتي (الكفر الجديد) دقهلية، يحفل بهذه المجالس، وأنا في دور الطفولة والصبا منذ نصف قرن، فبعد صلاة الجمعة تقام الحضرة في صفين طويلين من الذاكرين يجلسون على الأرض بهدوء، يرددون لفظ الجلالة في هدوء، ثم ينشط الذاكرون تدريجياً فتزداد السرعة، وشيخ الحضرة في الوسط، يضبط الإيقاع ويضرب على كفه، حتى يسود جو من الروحانية الخالصة، فيهب من فوره واقفاً، وينهض الجالسون تبعاً له" (١) .

وتعلق د/ البيومي بهذه المجالس قد حال بينه وبين غض الطرف عنها ، ولعل مما ساعده على ذلك أنه كلما نسي هذه المجالس جاء ما يذكره بها، ولكل مرحلة من مراحل تعليمه دور في إحياء هذه المجالس، ففي المرحلة الابتدائية يحدثنا عن هذه المجالس قائلاً: "ثم انتقلت إلى طلب العلم بمعهد دمياط الديني، ونسيت حلقات الذكر بقريتي الصغيرة حتى جاء من يذكرني بها إذ وفد لزيارتنا شاب صالح (هو العارف بالله الشيخ على محمود عثمان فيما بعد) فقال لي لابد أن نصلى الجمعة في مسجد أبى المعاطي، وأنا أعرف شهرة هذا المسجد، وأعلم أن أبا المعاطي (٢) من كبار الأولياء . . . فلما حدثني الشيخ على بالذهاب إلى المسجد يوم الجمعة رحبت وفرحت، وأديت الصلاة مع الجموع، ثم رأينا شيخاً يتلأأ وجهه بالنور، ويلبس القفطان الأبيض، والجبّة البيضاء، والعمامة البيضاء أيضاً، وللحيته إشراق يسطع في وجهه المتلألئ،

(١) د/محمد رجب البيومي — في مجالس التصوف، سلسلة التصوف الإسلامي الكتاب الحادي و الثلاثون القاهرة، دون إشارة للسنة، ص—٢٤ .

(٢) أبو المعاطي هو من كبار الأولياء، نزل في دمياط في أوائل عصر المماليك واسمه [فاتح بن عثمان] وجعل يسقى الماء في الأسواق قربة واحتساباً دون أجر ، ثم اختار المقام بمسجد جهد في ترميمه وتبليطه ، وأجرى الماء في صهاريجه ، وأحبه الناس وجعلوا مسجده قبله للراكعين والساجدين ، وحين مات دفن به فصار أحد معالم التصوف في المدينة . ينظر مجالس التصوف مرجع سابق — ص—٢٤ .



ذلكم هو الشيخ العارف أحمد زين الدين - رَحِمَهُ اللهُ -، وكان من عادته أن يعقد مجلس الذكر بعد الصلاة، وله مريدوه الكثيرون يوزع عليهم أجزاء القرآن أولاً، فيقرأ كل إنسان الجزء الذي في يده في تودة لا تعرف التسرع، فإذا انتهى الزمن الكافي لتلاوة الجزء، نهض من يجمع الأجزاء لبدأ الذكر الممتد، والقوم جلوس، فإذا مضى وقت التحميس، والاستعداد، نهض الشيخ ونهض أصحابه ذاكرين، ودوى المسجد بالتسبيح المتناغم، وقد غاب عنى اليوم اسم من كان يتولى الإنشاد وسط الحلقة وكان رجلاً جميل الصوت، حسن الاختيار لما ينشد، عالماً بأوقات الانتاد والإسراع في التسبيح، وما زلت أذكر أنه كان يردد في عذوبة ضارعة :

إلهي لست للفردوس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم

وقد بكى من فرط التأثر، فبكى معه خلق كثيرون، وانتهى المشهد الرائع، وجلست مع الجالسين، فقام الشيخ أحمد زين الدين - رَحِمَهُ اللهُ - يدور على الجالسين بزجاجة عطرية تحمل ماء الورد، وهو يضع في كف كل ذاكر نقطة أو نقطتين، فسطع ريح عاطر ملأ المكان، وجاء بعده من يحمل ما يسمى (بالنفحة) وهى قطع من الحلوى الصغيرة يأكلها، ويحتفظ بها للتبرك من يحتفظ^(١) .

وفى المرحلة الثانوية يحدثنا قائلاً: "وبعد المرحلة الابتدائية ذهبت إلى معهد الزقازيق الديني للمرحلة الثانوية، وفى الزقازيق يقام مولد سنوي للشيخ أبى خليل - رَحِمَهُ اللهُ -، تكون ليلته الأخيرة موضع احتفال رائع، إذ تنصب السرايدات لحلقات الذكر خارج المسجد، فوق ما يتسع المسجد الكبير لأمثالها، وقد قيل لنا: إن العارف بالله الشيخ /على عقل - رَحِمَهُ اللهُ - وهو من كبار الصوفية فى عصره، سيلقى عظة بالغة، يتبعها مجلس للذكر يكون هو المنشد فيه، ولم أكن أعلم شيئاً عن هذا الرجل الكبير، فلما حضرت مجلس الوعظ: سمعته يشرح قول الله ﷻ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١) شرحاً ما أظن أحداً قد اهتدى إليه، إذ أخذ يبين كيف يطمس الشرك، نور الإيمان، لدى من لم يخلص لله، فيعتقد في غيره النفع، ويراه أهلاً لأن يكون موضع الرجاء دون خالقه، ومزج القديم بالحديث، حين تكلم عن شرك الجاهلية، وشرك المعاصرين من ضعاف اليقين، وانتهى من الدرس ليصلي العشاء جماعة، والمسجد مزدحم ليس فيه موضع قدم لمن يدخل، وأقيمت حلقة الذكر، فكان الشيخ منشدها، وميزة الشيخ أنه يرتجل الشعر بديهة، ولا ينشد من المتعارف المحفوظ" (٢) .

ثم يحدثنا د/ البيومي عن ذكرياته مع مجالس التصوف بعد انتقاله إلى القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية قائلاً: " وأسرعت الأيام، فالتحقت بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وكنت أعرف أن الموسم الديني في مولد الحسين — عليه السلام — يجمع طوائف الذاكرين والمنشدين، وما زال ميدان الحسين — عليه السلام — بجهاته الأربع مصدر عبق (٣) ديني رائع، إذ لا ينقطع فيه التسبيح ليلاً في المواسم الدينية" (٤).

ومن ذكريات د/ البيومي مع التصوف ما كان بينه وبين الشيخ صالح الجعفري — رحمه الله — إمام الجامع الأزهر في ذلك الوقت حيث يتحدث عنه قائلاً: " وكان درسه بالأزهر عقب صلاة الجمعة يختم بمجلس ذكر عامر بإنشاده الرقيق، ومن نوادري معه، أنه كان كثيراً ما يختم عظاته الدينية بقول الشاعر (٥) وهو يردد:

(١) سورة يوسف آية رقم ١٠٦ .

(٢) في مجالس التصوف مرجع سابق ص ٢٨ .

(٣) (عبق) به الطيب — عبقا : ظهرت ريحه بثوبه أو بدنه . أنظر المعجم الوجيز مرجع سابق مادة عبق ص ٤٠٤ .

(٤) في مجالس التصوف مرجع سابق ص ٢٩ .

(٥) الشاعر هو أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل المعروف ب (صردر) . ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان — لابن خلكان — تحقيق أ / إحسان عباس — ط — دار صادر بيروت — الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م — ج ٩٢/٧ .

وعهودهم بالرمل قد نقضت وكذاك ما بيني علي الرمل •
وصادف أني كنت أقرأ كتاب وفيات الأعيان ، فوجدت شاعراً ناقض هذا البيت
فقال (١): ولم نبن على الرمل فكيف انتقض العهد ؟
فوقفت عند البيت طويلاً، ثم قابلت الشيخ مصادفة، في أصيل (٢) يوم صائف،
وكان يجلس في صحن الجامع الأزهر فقلت له: لقد وقفت على بيت يناقض ما
تستشهد به، فقال باسم ما هو، قلت قول القائل واسمه ابن المعلم العراقي:

ولم نبن على الرمل فكيف انتقض العهد ؟
وما أدري أني أثرت بهذا البيت ثائرة الرجل الكبير، فقد نهض متواجداً، وهو
يقول لا إله إلا الله! فكيف انتقض العهد يا رب؟ فكيف انتقض العهد يا رب؟، وأدرك
الناس أن الرجل ينشد، فأخذوا يتجمعون في صفين، وما مضت لحظات حتى امتلأ
صحن المسجد بالذاكرين (٣) •

بهذا الذي سطره د/البيومي عن التصوف يتبين: أنه يميل إليه ويحب أهله حتى
بعد أن تخرّج وصار أستاذاً، كان له أصدقاؤه من الصوفية، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: "
كان فقيه الصوفية، وشيخ الطريقة الهاشمية، صديقي وزميلي الأستاذ/ محمود أحمد
هاشم - رَحِمَهُ اللهُ - فريداً في بابهِ، إذ كانت ساحته العامرة في قرية بني عامر، محط
الرائحين والغادين من ذوى الحاجات في كل يوم، أما يوم الجمعة فهو يوم الاجتماع
الحاشد للسائلين، يرجونه فيجيب، ويدعونه فيلبى ويستمنحونه فيعطى فإذا حانت الصلاة
تكس المسجد بما لا يسع من المصلين، وقد ذهبوا على شوق إلي استماع الخطبة وأداء

(١) قائله هو ابن المعلم العراقي واسمه محمد بن علي بن فارس • ينظر موقع الحكواتي —

الموقع <http://www.al-hakawati.net/arabic/Civilizations/book13a840.asp/> • تاريخ الدخول

٢٠١٢ / ١ / ٣ م في الساعة السابعة ونصف صباحاً •

(٢) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب • أنظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة [أ ص ل] ص ٢٠ •

(٣) في مجالس التصوف — مرجع سابق ص ٣٠ •

الفريضة، ثم الانضمام في حلقة الذكر المججلة بالتهليل والتكبير، ولها منشء خاص يحبه السامعون، ويرتقبون حلوة ترجيعه" (١) .

ومقصد د/ البيومي: أن هذا الرجل يُلبى حاجات السائلين في حدود استطاعته وإلا فقد يُسئل ما لا يقدر عليه ، وعندئذ يعجز أن يجيب .

إن الذي يستطيع أن يُجيب حاجات السائلين مطلقاً إنما هو الله وحده الذي لا تنفذ خزائنه قال الله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٢) .

والحديث عن التصوف الحقيقي لا يجد معارضا ، إذ يجد الدارس له جذوراً قديمة تنتهي إلى عصر صدر الإسلام، وهو في صورته المثالية ، أن يكون المتصوف ذاتياً (٣): ملتزماً بكل تعاليم الإسلام ، وهى تتركز في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتنفيذ أوامر الله تعالى ، واجتتاب نواهيه .

ولا يفوتني أن أشير إلي ما كتبه د/ البيومي عن التصوف، فقد كتب مقالا عن التصوف بيّن فيه أن للتصوف جذوراً قديمة تمتد إلى عصر الصحابة رضوان الله عليهم .

يقول د/ البيومي: " و ليس التصوف حدثاً طارئاً في الشريعة الإسلامية، فلقد كان بعض الصحابة — ﷺ — من كبار الأتقياء، وكانوا من الصفاء والنقاء في درجة سامية، ثم خلف من بعدهم خلف لزموا نهجهم السوي ، وساروا في طريقهم العلوي، وإن فقد كان التصوف بمعناه الفطري من سمات المسلم الأول، يُقبل في ارتياح عليه، وينجذب إليه في حنين ، حتى تبدلت الحال ، وانغمس المسلمون شيئاً فشيئاً، فيما جلبته

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٢) سورة النحل من الآية رقم ٩٦ .

(٣) أقصد بالتصوف الذاتي : أن يلجأ المسلم المتصوف إلى عبادة الله تعالى، دون انضمام إلى فرقة معينة، أو ما يسمى بالطريقة وما أكثر هذه الفرق أو الطرق، ويكون بعيداً عما يفعله الجهال من التصفيق أو التمايل ، والشعوذة ، وما شابه ذلك . ينظر منهج د/ رجب في الترجمة الأدبية مرجع سابق ص ٥٦

الحضارة من الترف والنعيم، وهنا يبدأ التصوف يظهر بصورة جديدة، فقد أغضب هذا المصير قوما عرفوا الله حق معرفته، فاعتزلوا الناس، ولانوا بقمم الجبال، ومطارح الخلوات، نائمين عما يغمر الحضر من لذة ومتاع، وفي هذه الخلوات الهادئة، هبطت عليهم أشعة السماء، فغمرت أرواحهم بالنور، ومدت أجنتهم بالقوة، فحلّقوا كالنور في آفاق رحبية، ورزقوا عيوناً بصيرة نافذة، ترى ما لا يراه الناظرون" (١) .

وهو مقال مسهب، فصل فيه الحديث عن الصوفية، وهيامهم، ووجدتهم، مستشهدين بأدلة، على ما ذهبوا إليه، في حالاتهم التي يهيمنون فيها، وتعلق أرواحهم بالسماء، غير مدركين لما يدور حولهم، وقد استشهد بغيابهم عن الوعي، بما حدث لنسوة العزيز، حين قطعن أيديهن، وقد غاب شعورهن عن إدراك ما يفعلن!! ، ، وهكذا هيام الصوفي عنده .

وينتهي من الأمثلة الكثيرة إلى موقفة من التصوف فيقول: " و بعد فقد حاولت أن أروح عن نفسي بكتابة هذا البحث، إذ حُبب إليّ أن أقوم بجولة خاطفة في ميدان التصوف النظري، فأطالع الأسفار، وأستتطق السطور، بعد أن أخفت في ميدان التصوف العملي، فقد أعددت العدة، وسرت خطوة، ثم وقفت كالمقيد المكبول، فلا أستطيع أن أتقدم، ويعز عليّ أن أرجع حيث بدأت" (٢) .

(١) أ.د/ محمد رجب البيومي — أشواق العارفين — صفحات من تاريخ الصوفية — هدية مجلة الأزهر رمضان سنة

١٤٢٤هـ — ج ١/٦ .

(٢) نفس المرجع السابق — ص ٢٣ ، ٢٤ .

الصفات الخلقية للعلامة د/ البيومي : وكان لنشأته الدينية في ظل أسرة فاضلة تتمتع بمكارم الأخلاق ، وفي ظل قرية كريمة تعشق الفضيلة ، وتحب التدين عظيم الأثر علي أخلاقه ، فتعود علي الأخلاق النبيلة في صغره ، حتى سار عليها في كبره، وقد أورثه ذلك الكثير من الصفات الخلقية والتي من أهمها ما يلي :

١- "أنه يكره الدعاية والشهرة، ويؤثر الانزواء والعزلة، وينفر من الأضواء والضجيج" (١)، ومما يؤكد ذلك أنني عندما أخبرته - ﷺ - بالكتابة عنه رفض وقال لي فضيلته لا أستحق أن تكتب عني، ابحت عن غيري .

ويحدثنا الأستاذ الدكتور/ حمدي فتوح والي عن د/ البيومي - ﷺ - أنه "يكره التكلف ويزهد أشد الزهد في طلب الشهرة وحب الظهور .

ثم قال: وما زلت أذكر إلحاح القنوات الفضائية عليه لكي يظهر على بعض الشاشات لكنه رفض أشد الرفض .

وعندما ألحت عليه قناة المجد الفضائية، وتوسلوا إليه ببعض أصدقائه من أساتذة الجامعة السعوديين قبل منهم شريطة أن يأتوا هم إلي منزله في المنصورة، وبالفعل نزلوا على إرادته وجاءوا إلى المنصورة، فسجلوا معه ساعة، وعندما طلبوا حلقة أخرى اعتذر لهم، برغم أن الحلقة الواحدة كانت مقابل ألفي جنيه (٢٠٠٠جـ)، وعندما راجعته في ذلك، قال: لم أجد في نفسي انشراحاً لذلك " (٢) .

وبسبب عزلته وانزوائه أشيع عنه بين تلاميذه وأحبابه في المملكة العربية السعودية منذ خمسة أعوام أنه قد توفاه الله (٣) .

(١) التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي — مرجع سابق ص٧٠ .

(٢) ينظر مقال بمجلة الأزهر بعنوان (الدكتور محمد رجب ٠٠ كما عرفته) للأستاذ الدكتور حمدي فتوح والي عدد ربيع

الآخر سنة ١٤٣٢هـ مارس ٢٠١١م ج٤ السنة ٨٤ ص٥٨١ .

(٣) نشر الخبر في صحيفة عكاظ يوم الاثنين الموافق ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ ١٧ يوليو ٢٠٠٦م العدد ١٨٥٦

وكتب تأييده د/ عائض الردادى . موقع الصحيفة /

• <http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/٢٠٠٦٠٧١٧/con٢٠٠٦٠٧١٧٣٢٧٤٩.htm>

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢م في الساعة السادسة صباحاً .

وقد علق د/ حمدي علي هذا الحدث قائلاً: وقد استمعت في أسف وحسرة إلى الدكتور رجب وقتها وهو يطلعني على نعيه منشوراً في بعض الجرائد السعودية، وبجانب النعي قصاصة أرسلها إليه أحد أصدقائه من الأدباء المصريين وهو أديب قبطني يقول له فيها مواسياً: الحمد لله يا دكتور رجب أن الله أعلمك قبل موتك كيف يحتفي بك أبناؤك وأحبائك عندما تموت . . فلك الآن أن تموت قرير العين بعد أن لمست هذا الثناء العاطر وهذا المديح الكريم " (١) .

٢- الوفاء، وقد بلغ الذروة في ذلك الخلق النبيل، وأستعرض موقفين من أبرز المواقف في وفاء د/ البيومي - رحمه الله - وهما: الأول وفاؤه لزوجته: وقد تزوج بالسيدة /عصمت أحمد عبد المالك، ولزواجه منها قصة يحدثنا عنها بقوله: " لقد رأيته لأول مرة في ثوبها المدرسي لطيفة أنيقة كبرعم يهم أن ينفتح، فسألته عن أخيها جمال وكان تلميذي بالمدرسة الثانوية، فأخبرتني عنه في لطف رقيق، وكان طريقها إلى المدرسة يومياً يوافق طريقي، فكنت أستصبح ببراعتها الوديدة وأنظر إليها في ميل هادئ لم أفطن إلي حقيقته بادئ ذي بدء ، حتى وجدتني أكاد أستوحش إذا لم أطلعها في الصباح، ثم أري طيفها يعاودني في خلوتي فينعشني كأن شذى عاطراً حمله إلي النسيم، ولم أكن من إقليمها، بل بين بلدينا مئات من الأميال، ولكن الوظيفة قد حملتني إلي بلدها لتحتل مكانها من قلبي فأتقدم إلي والدها الكريم خاطباً فيجيب " (٢) .

وقد أثمر هذا الزواج ستاً من البنات وولداً واحداً، والبنات هن: رباب، وإيمان، وأمل، وعبير، وغادة، ونجلاء، والولد هو حسام ويعمل طبيب أطفال الآن (٣) .

" ولكن ما أقصر لحظات السعادة في هذه الحياة الدنيا، فلم تك هذه الأسرة السعيدة تنعم بالألفة والمودة حتى تراكمت في سمائها الغيوم التي عكرت صفوها، فمرضت الزوجة مرضاً شديداً كان سبباً في وفاتها .

(١) ينظر مجلة الأزهر مرجع سابق صـ ٥٨٠ .

(٢) التيار الإسلامي مرجع سابق صـ ١٠ .

(٣) ينظر السابق صـ ١١ - ١٢ .

وبذل الزوج أقصى ما يستطيع بذله إنسان من أجل علاجها وشفائها، ولكن قدر الله أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وتفيض روحها إلي بارئها (بالسعودية) وقد دفنت بالبقيع • حيث كان يعمل زوجها أستاذاً مساعداً لمادة الأدب والنقد هناك • وقد كان موت هذه الزوجة الوفية المخلصة صدمة قاسية بالغة الأثر علي قلب هذا الزوج الذي حطّمه الألم، واعتصره الحزن الشديد على فقد حبيبته الغالية التي تركت له المسؤولية الكاملة بعد أن كانت تتحملها هي بمفردها دون أن تُشعره بأدنى تعب أو ملل، فأصبح يقوم بدوري الأم والأب معاً لهؤلاء الصغار الذين حرمهم القدر من حنان أمهم فغمرهم هو بحبه وحنانه وأبي أن يتزوج بعدها، بل ظل وفيًا مخلصًا لزوجته الراحلة وفاء يكاد يكون نادراً في هذا الزمان " (١) •

ولم يجد د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - شيئاً يخفف عنه آلامه ومصيبته سوى الشعر، فألف (ديوان حصاد الدمع) الذي خصصه كاملاً في رثاء زوجته وأم عياله وذكر فضائلها ومآثرها وأثرها الكبير على حياته، مما يدل على عظم وفائه • ومن هذا الديوان قوله :

فقدتُ التي كانت تزود سريرتي	فما دونها سترٌ على النفس يُسدل
ترى غصصاً في غور نفسي دفيئة	فتعلمها علم اليقين وأجهل
فتغدو نطاسياً (٢) يعالـج مدنفاً	ليبرئه من دائه وهو معضل
أجل، هي كانت في البلايا طبيبتي	فيا لجراحٍ بعدها ليس تدمل
فكانت نعيم الله يبهـج منزلي	وها هو ذا عن وجهتي يتحوّل
تعر صباها الغضّ في موحش الثرى	لقد كدت أهوى للثرى فأقبل
هياماً به إذ صار منزل حسنـها	فما شاقني من بعدها اليوم منزلي " (٣) •

(١) محمد رجب البيومي بين المسرحية الشعرية والقصة التاريخية — مرجع سابق ص ١١ •

(٢) النطاسي : العالم الماهر والطبيب الحاذق • ينظر المعجم الوجيز ص ٦٢١ •

(٣) ينظر ما كتبه د/ سليمان خاطر في شبكة الفصح لعلوم اللغة العربية تحت عنوان (وفاة العالم الأديب محمد رجب البيومي)

والثاني: وفاؤه للأستاذ/ محب الدين الخطيب - رحمه الله - ، فمن أواخر ما كتب قبل رحيله مقدمة لكتاب مقالات العلامة محب الدين الخطيب - رحمه الله - لمؤلفه محمد بن سعود الحمد .

وجاءت هذه المقدمة معبرة عن إحساس د/ البيومي - رحمه الله - بالأسى والحزن على هذا الرجل العملاق الذي لم يأخذ حقه، وظلم من أبناء جيله ظلماً بيئياً، حيث أغفل دوره العظيم في الدعوة إلى الله تعالى والدفاع عن الإسلام فقلما تجد من يتحدث عنه، ونص المقدمة:

" الحمد لله على كل حال، وإليه المرجع والمآل أُملي هذه السطور وأنا أرزح تحت سطوة كبر السنّ وتقادم العمر، من عاش أخلقت الأيام جدّته *** وخانه ثقته السمع والبصر (١) رفيقي ونديمي في وحدتي وخلوتي كُتِبَ تَقْرَأُ على مسامعي عن سير الأعلام والعلماء والمفكرين والمصلحين الذين يفتخر الزمان وبنوه بأخبارهم وآثارهم، وإن من أعطر وأزكى السير سيرة أستاذ وشيخ المفكرين الإسلاميين المعاصرين المسلم الغيور على دينه وعروبته وأُمته: محب الدين الخطيب، الذي تعرف له المحافل والمجامع نضاله وإخلاصه في إعلاء شأن الإسلام والعروبة يالأسى أقول بكل مرارة وحسره وألم إنّ هذا الرجل العظيم من المبخوسين والمظلومين من جيله، فقلما يجد الباحث دراسات أو كتابات عن هذا العملاق وأثره في الدعوة إلى الله وإلى عزّ ورقيّ الأمة الإسلامية، وقد كان من أقطاب وأركان النهضة الإسلامية، قضى حياته يافعاً وكهلاً وشيخاً يزود عن حياض الإسلام بأسلوب بليغ وإيمان عميق ومُذَكِّراً بكل ما أوتي من بيان ، بالرجوع إلى سيرة عظماء الأمة من صحابةٍ وتابعين ومصلحين .

واقروا إن شئتم كتابه العظيم (مع الرعيل الأول)، وغيره من صفحات دافع فيها عن مبادئ الإسلام النبيلة، وإني قرير العين ومرتاح خاطر والضمير بما قام به

(١) القائل هو : ابن أبي فتن . ينظر موقع الموسوعة الشاملة — مجمع الحكم والأمثال .

الموقع // <http://islamport.com/d/3/adb/1/234/1555.html> .

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م في الساعة الثامنة صباحاً .

ابننا الوفي الأديب البَحَّاثَة: الشيخ محمد بن سعود الحمد، الذي أوقد شمعة في هذا الليل السادر وردّ الاعتبار لعلم كِدْنَا أن ننسأه أو ننتأسأه، بجمعه لمقالات محب الدين الخطيب في مجلة الأزهر .

ويدور الزمان دورته وأتشرف برئاسة تحرير هذه المجلة التي كان يتربع على سُدّة رئاستها وتحريرها محب الدين الخطيب وعلماء أجلاء سبقوني بالعلم والفضل رحمهم الله أجمعين وجمعنا جميعاً مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعد طول عمر وحسن عمل .

وقد سبق أن كتبت تاريخاً للعلامة محب الدين الخطيب في (موسوعة النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين)، كما كتبت مقالاً عن صلتي الشخصية به في كتاب (كيف عرفت هؤلاء) أحيل إليهما لمن أراد أن يعرف من هو محب الدين الخطيب ولمن أراد أن يقف على جهوده في النهضة الإسلامية المعاصرة ودوره الريادي في اليقظة والصحوّة الإسلامية.

أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية

ورئيس تحرير مجلة الأزهر " (١) .

ولا أري إلا أن د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - قد رثي نفسه بهذه المقدمة .

٣- الشفقة والرحمة، وقد بلغ في ذلك الذروة حتى إنه ليتألم لألم الحيوان فهو " إنسان رقيق الطبع، مرهف الحس، جياش العاطفة، يتأثر بغيره أكثر من نفسه، ينفطر رحمة وشفقة على كل كائن حي " (٢) .

(١) ينظر موقع بعنوان (وفاة الأديب الكبير محمد رجب البيومي) — ملتقى أهل الحديث .

الموقع / ٢٣٧٧٦٤=t= http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢م في الساعة الحادية عشرة صباحاً .

(٢) التيار الإسلامي — مرجع سابق ص ٦ .

يقول عن نفسه: " أنا إنسان رقيق الطبع، جياش العاطفة، دمت الحديث ٠٠ وأنا إنسان أشفق من قتل البرغوث، وسحق الصرصور، يسؤني أن أجد خادما يتألم في بيتي " (١) •

لذا فقد كان يختلف مع زوجته حين تقسو علي الخدم في الحق، لأنه لا يستطيع أن يشاهد أحدا يُعذب أمامه، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " ولا أذكر أن جدالا حقيقيا نشأ بيني وبينها في غير ما يتعلق بالخدم، إذ كانت تقسو بعض الشيء، وكنت أوتر الغفران حتى مع السارقات، ثم ينتهي الأمر بالنزول علي إرادتي " (٢) •

٤- كان الدكتور/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - زاهداً في حطام الدنيا، عازفاً عن المناصب والشهرة، يجد متعته بين كتبه، وخلوته، وكان لا يحب الأضواء .

وقد حدثني الأستاذ/عادل خفاجة مدير تحرير مجلة الأزهر في لقاء معه (٣) عن موقفين له يبرزان ذلك وهما: الأول: موقفه عندما جاءت شركة لطباعة الكتب تتعاقد معه على طبع كتبه بسعر زهيد جداً، في حين أنها وضعت في العقد امتيازات لها طغت على حقوق المؤلف، وقدم الأستاذ عادل للعقد للدكتور/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - ؛ ليقراً ما فيه معتقداً أنه لن يوافق، ففوجئ بأن د/ البيومي همّ؛ ليقع علي العقد مع ما فيه من جور له فاعترضه ببيان ما فيه من ظلم، فقال له: دعهم وما يأخذون فهؤلاء هم الذين يعرفوننا للقراء •

الثاني: موقفه لما فاتحه الأستاذ عادل في آخر لقاء معه عن سعي بعض الأفاضل في ترشيحه للحصول على إحدى جوائز الدولة التقديرية، فقال له: إنني انتظر تكريم الله يا عادل • ومات بعد الموقف بأسبوع •

(١) مجلة الأديب - عدد أغسطس سنة ١٩٦٩م - ص ١٧ - مقال بقلم محمد رجب البيومي (إنها زوجتي) •

(٢) التيار الإسلامي مرجع سابق ص ١١ •

(٣) التقيت مع الأستاذ / عادل خفاجي بمكتبه بإدارة مجلة الأزهر بمقر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة يوم الاثنين الموافق ٣ شعبان سنة

١٤٣٢هـ - ٤/ يوليو سنة ٢٠١١م •

٥- " كما كان لا يحب استغلال النفوذ والسلطان، فقد كان — كما عرف عنه أثناء فترة رئاسته لتحرير مجلة الأزهر — يتحاشى نشر أي دراسة عنه أو عن أدبه وفكره، وكان يحذر من ذلك" (١) .

٥- الذكاء وسرعة البديهة وقوة الملاحظة، وأضرب مثلاً بتلك الواقعة يقول: " كنت طالبا بالقسم الثانوي من معهد الزقازيق الديني وكان الأديب الكاتب (إسعاف النشاشيبي) تنشر مقالاته وبحوثه الرائعة في نقد العقد الفريد على صفحات الرسالة فكنت علي حداثة السن وغرارة الصبا شديد الإعجاب والعجب بما أقرأ أما الإعجاب فلما ألمس من دقة التحري، وبعد الغوص، وشمول النظرة، وعمق الاستقصاء ، وأما العجب فلاختفاء التوقيع، وغموض الرمز، فتارة بحرف (ن) وتارة بكلمة (قارئ) وتارة بثلاثة أنجم، وتارة بعبارة (أزهري بالمنصورة) ثم أجز بكلمة (السهمي) . وقد حرصت على أن أكشف النقاب عن وجه الباحث الكبير، فرأيت أن ما ينشر في الرسالة تحت عنوان (نقل الأديب) مشفوعاً باسم النشاشيبي الصريح، قريب الشبه كل القرابة في حواشيه وهوامشه بما ينشر دون توقيع، ثم تأكدت، فتملكني شعور جارف بتقدير النشاشيبي وإجلاله، وكنت فتى ناشئاً ينظم الشعر ويباهي بقرضه، فنظمت قصيدة كاشفة لنقاب النشاشيبي وقد جاء فيها:

دع اللثام فقد واليت تعذيبي	يا طالما ضل في واديك تنقيبي
حجبت نفسك في سماء شاهقة	لكن سيبك عنا غير محجوب
فكنت مثل النسيم الطلق ينعشنا	ولا نراه بتحديث وتقليب
فيم استتارك؟ والأشواق جامحة	والعين ما بين تشريق وتغريب

إلى أن يقول:

(١) ينظر موقع د/ ربيع الزواوي مقال كتبه بعنوان (أ د محمد رجب البيومي في ذمة الله) .

الموقع /http://www.rabiealzawawi.com/Content.aspx?cid=٥٣٦

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢م في الساعة الحادية عشرة وربع صباحاً .

أستاذي الفذ قل لي غير منتظر من أنت؟ واكشف قناع الشك والريب
قلبي يحدثني في كل آوانة أن اسمك الحق إسعاف النشاشيبي (١) •

٤- التواضع الجم، ويحدثنا الأستاذ أسامه الأباصيري المحامي عن تواضع د/ البيومي قائلاً : أشهد أني رأيت هذا الرجل وأنا لا أعرف من هو، وكان وقتها عميدا لكلية اللغة العربية وكنت اسكن في حي السمنودي بالمنصورة وأنا طالب بالجامعة يشتري حاجياته بنفسه ويسير في هدوء وتواضع، وكنت أعجب من هذا الرجل الذي يصعد سطح منزله وينظر إلى السماء لوقت طويل حتى عرفنا أنه عميد كلية اللغة العربية بالأزهر وأنه يقرض الشعر ثم تابعت كتاباته في مجله الأزهر والتي كانت رائعة في مضمونها الفكري والأدبي - ﷺ - رحمة واسعة جزاء ما قدم للإسلام " (٢) •

٥ - عطفه علي المساكين، وهذا ما اتضح بعد وفاته - ﷺ - ، فقد حدثني الأستاذ عادل خفاجة مدير تحرير مجلة الأزهر في لقائي معه (٣) أن رجلا أتاه وقال له بالحرف الواحد إنني كنت معتمداً اعتماداً أساسياً في معيشتي على مساعدة الدكتور رجب - ﷺ - فماذا أصنع بعد وفاته؟ وطلب منه أن يكلم له فضيلة الإمام، ولكنه اعتذر قائلاً له: لا أستطيع أن أكلمه عن ذلك كلمه أنت •

٦- كما كان - ﷺ - "هادئ الطبع ميالاً للهدوء، يبرر كل خطأ لأي أحد!، وهذه طباع المتصالحين مع أنفسهم، ومما يدل على ما أقوله أن بعض الأفاضل ذكر أمامه ما يفعله الشيعة من أفعال جاهلة لا تمت للإسلام بصلة، وردّ عليه بأن هؤلاء

(١) التيار الإسلامي مرجع سابق ص-٩ •

(٢) ينظر موقع منزلاوي التعليقات على وفاة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي تعليق الأستاذ أسامه الأباصيري المحامي •

الموقع / http://www.manzalawy.net/main/article.php?id_art=١٠٣٢٩&id_top=٦ •

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢م في الساعة العاشرة صباحاً •

(٣) اللقاء هو نفسه السابق بنفس التاريخ •

عامة الشيعة ورعاعهم، وأن العامة من أهل السنة لهم فظائع مثل ذلك، فهل نؤاخذ أهل السنة بهذه الفظائع؟ " (١) .

من خلال ما سبق عرضه من صفات أخلاقية تحلى بها د/البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - يتبين: أن علم د/ البيومي الغزير يصاحبه خلق كريم، لذا فقد ذاع صيته، ونفع بعلمه أينما حل، وقلّ منتقدوه .

وهذا ما يستفيد منه الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى فيتحلون بالأخلاق الفاضلة، فلا قيمة للعلم مهما بلغ صاحبه الذروة فيه بدون خلق كريم، فالأخلاق الفاضلة إذا ما صاحبت العلم النافع أثمرت الدعوة الثمرة المرجوة ولاقت رواجاً بين الناس وبوأت صاحبها المكانة الرفيعة والذكر الحسن .

(١) ينظر موقع طيبة للدراسات الإنسانية مقال بقلم ربيع الزواوي بعنوان (أ.د محمد رجب البيومي في ذمة الله) .

الموقع /<http://www.tayyebah.org/Content.aspx?cid=٧٨٠> .

تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م في الساعة الحادية عشرة وثلاث صباحاً .

المبحث الثاني: البيئة الفكرية للدكتور البيومي . وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مرحلة ما قبل التعليم الأزهري: وأقصد بهذه المرحلة ما تلقاه د/ البيومي من القرآن الكريم والعلم قبل بلوغ سن الثانية عشرة من عمره استعداداً لدخول الأزهر الشريف حيث إن الأزهر لعده كان لا يقبل أن تكون سن الطالب أقل من اثنتي عشرة سنة ليتمكن من حفظ القرآن الكريم (١) * .

لذا فقد حرص والد د/ البيومي على أن يحفظ ابنه القرآن الكريم؛ ليتمكن من دخول الأزهر الشريف ، فأرسله إلى مكتب تحفيظ القرآن الكريم بالقرية وهو في سن الرابعة .

يقول د/ البيومي: " حين بلغت الرابعة من عمري أرسلني والدي إلي مكتب القرية، لأحفظ القرآن الكريم ، وأتعلّم مبادئ القراءة والكتابة في اللوح الخشبي الذي يُمسح كل يوم بعد أن أحفظ ما فيه ليُملأ من جديد، وكان زملائي من التلاميذ يجلسون علي الحصير البالي، وفيهم من يبلغ الرابعة ومن يمتد به عمره إلي الرابعة عشرة، ولا حرج في ذلك لدي الشيخ، فكلهم يقرأ، والكبير يُعلم الصغير" (٢) .

وقد أرسله والده كذلك إلي المدرسة الإلزامية لتحصيل بعض العلوم المختلفة، من الإملاء، والحساب، والجغرافيا، والتاريخ، وغير ذلك، وعن التوفيق بين الدراسة في المدرسة الإلزامية، ومكتب التحفيظ للقرآن الكريم .

يحدثنا قائلاً: " وكان موعد المكتب يبدأ من الساعة السابعة صباحاً، ثم نُغادره إلي المدرسة الإلزامية في الساعة الثانية عشرة، لأن البنات يتعلمن في الصباح، ونحن نتعلم بعد الظهيرة علي ذلك كان يجري النظام" (٣) .

(١) * ينظر من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٧٣ .

(٢) ظلال من حياتي مرجع سابق ص ٤١ .

(٣) السابق ص ٤٢ .

وعن طريقة التدريس والتعليم بالمدرسة الإلزامية يقول د/ البيومي: " والذي يجد ما يحمله تلاميذ المدارس اليوم من الكتب المتعددة، ذات الحمل الثقيل، ويرى الحقائق المنتفخة بالكتب، والكراسات، لا يعلم أننا في المدرسة القديمة، لم نكن نحمل غير كراستين، إحداهما للحساب، والثانية للإملاء، أما كتب المطالعة فتوزع علينا عند الدرس بالفصل، ثم يجمعها المدرس لتوزع في فصل آخر، وكذلك كتب الحساب، والمحفوظات، والأشياء، والأشياء هذه كانت بضعة أمور تتعلق بالصحة، وبسائط المعلومات الخاصة بالطبيعة، والجغرافيا، والتاريخ، والعجيب أننا بهذه الكتب الصغيرة عرفنا ما لا يعرفه أصحاب الحقائق المليئة اليوم، الذين يأخذون الدرس الخصوصي بعد انتهاء اليوم المدرسي، ثم لا يبلغون مبلغا من العلم إلا بشق الأنفس! فهل نحن في حاجة إلي أن نرجع للوراء، والزمن يتقدم في ضوء قواعد التربية، وأصول التدريس" (١) .

وأجيب علي د/ البيومي قائلاً: نعم نحن في حاجة ماسة إلي ذلك، وخصوصاً بعد تدني مستوى التعليم اليوم، فكثير من حملة المؤهلات لا يفقهون شيئاً ولو طُلب منهم التدريس لتلاميذ الابتدائي ما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً .

وقد أثمرت هذه الدارسة ثمارها الياقة، فحفظ د/ البيومي القرآن الكريم، وانتهى من المدرسة الإلزامية قبل بلوغ سن العاشرة من عمره، ثم لزم متجر القماش مع والده عامين، وكان يحفظ فيهما متون العلم في الفقه، والنحو، والتجويد، مع ديوان (حافظ إبراهيم)، وبعض القصائد التي اختارها له والده من كتاب (جواهر الأدب) .

ويحدثنا عن ذلك قائلاً: "حفظت القرآن، وانتهيت من المدرسة الإلزامية قبل العاشرة من عمري ولزمت متجر القماش مع والدي عامين قبل أن ألتحق بالأزهر" (٢) .

ويقول د/ البيومي: " كان الأزهر لعهدنا لا يقبل أن تكون سن الطالب أقل من اثنتي عشرة سنة ليتمكن من حفظ القرآن الكريم قبل الالتحاق، وقد حفظته في سن العاشرة،

(١) نفس السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) مدرسة المسجد — مرجع سابق ص ١٢ .

وبقيت سنتان حفظت فيهما متون العلم في الفقه، والنحو، والتجويد، مع ديوان (حافظ إبراهيم) الذي اختاره أبي مع قصائد من كتاب (جواهر الأدب)، وكان ذا ذبوع بين المتأدبين إذ وصلت طبعاته إلى العشرين، وإن فقد التحقت بمعهد دمياط الديني، وأنا أفضل علميا كثيرا من زملاء " (١) .

بهذا يتبين أن د/ البيومي قد استمد ثقافته في هذه المرحلة من خلال الآتي:

١- ما تلقاه في مكتب التحفيظ للقرآن الكريم، فقد حفظ فيه القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة .

٢- ما تلقاه في المدرسة الإلزامية، حيث درس فيها الإملاء، والحساب، والمطالعة، والمحفوظات، وتعلم أموراً تتعلق بالصحة، وبسائط المعلومات الخاصة بالطبيعة، والجغرافيا، والتاريخ .

٣- ما حفظه من متون العلم في الفقه والنحو والتجويد، وبعض القصائد التي اختارها له والده من كتاب (جواهر الأدب)، وكذلك ديوان (حافظ إبراهيم) .
كل ذلك جعله بحق يفوق كثيرا من زملائه كما أخبر .

المطلب الثاني: د/ البيومي في التعليم الأزهرى، وتدرجه في الدراسة

والمناصب، ويمكن تناوله من خلال ما يلي:

أولاً: التحاقه بمعهد دمياط الابتدائي: بدأت رحلة د/ البيومي مع الأزهر في سن الثانية عشرة من عمره، حيث التحق بمعهد دمياط الابتدائي ، ولعل السبب الذي دفع والده أن يُلحقه بالأزهر هو أن: " الأزهر الشريف في ذلك الوقت كان بمثابة الحرم الذي يؤمه كل طالب يريد أن يتعرف علي أصول دينه الصحيحة " (٢) .

(١) من أعلام العصر — مرجع سابق ص٣٧٣ .

(٢) د/ السيد فتح الله عبد العزيز غزالة — رسالة دكتوراه بعنوان (أشهر شعراء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين وأشعارهم في الجانب الاجتماعي في الحياة المصرية عرض ودراسة ونقد — كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٤١١هـ — ١٩٩١م ص٢٤٠ بتصرف يسير .

يقول الأستاذ / أحمد حسن الزيات - رَحِمَهُ اللهُ - في حديثه عن الأزهر:

" كان للأزهر علي عهدنا القريب جلالة تغطي العيون، وقداسة تملأ الصدور، لأنه المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغير، فانتهدت إليه أمانة الرسول، واستقرت به وديعة السلف، واستعصمت فيه لغة القرآن - الكريم - فأرضه حمي لا ينتهك، وأهله حمي لا يستباح "(١) .

" وكانت المعاهد بمصر على عهد د/البيومي لم تزد عن سبعة فقط "(٢)*، وكانت مدينة دمياط أقرب المدن إليه، فالتحق بمعهداها، ووجد البون شاسعا بينها وبين نشأته في الريف المتمثلة في قريته الصغيرة (الكفر الجديد)، ويحدثنا عن ذلك بقوله :

" وكانت دمياط بالنسبة إلي القرية الصغيرة التي نشأت بها تمثل في عيني شيئا جليل الخطر، بشوارعها النظيفة، ومنازلها العالية، ومرافقها الحيوية، وشارع البحر الذي يمتد طويلاً، وقد أحاطت به الأشجار علي الجانبين ، كل ذلك قد أخذ بلبي "(٣) .

وعن أسرة التدريس بالمعهد، وشيخ المعهد كتب قائلاً: " وكان المعهد حينئذ يضم النخبة المختارة من الأساتذة، وشيخ المعهد هو رجل الإقليم هيبه وعلما وذيوعا، وكان من شأنه أن يمر بالفصول ليستمع الدرس ويناقش المدرسين ويسأل الطلاب، فهو أستاذ الجميع، ولهذا المرور المتصل أثره في انكباب المدرسين علي تحصيل المادة أولا ثم الاجتهاد في تذليلها للطالب المبتدئ ثانياً " (٤) .

وأما مناهج الدارسة بالمعهد، فيحدثنا عنها د/ البيومي قائلاً: " التحقت بالمعهد الديني الابتدائي بدمياط، فكنت مسروراً سعيداً، لأن دراسة المدرسة الإلزامية قد عرفتني قواعد النحو، ومسائل الحساب، وشجوننا من حوادث التاريخ، فكان الدرس

(١) مجلة الرسالة — عدد ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥م — مقال أ/أحمد حسن الزيات بعنوان (الأزهر بين الماضي والحاضر) .

(٢)* ينظر من أعلام العصر — مرجع سابق — ص ٣٧٤ بتصرف يسير .

(٣) ظلال من حياتي — مرجع سابق — ص ٥٠ .

(٤) من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٧٣ — ٣٧٤ .

العلمي في أكثره غير جديد عليّ بالسنة الأولى، وكان لا يحتاج لاستيعابه ما يحتاجه غيري ممن لم يعرفوا ما أعرف " (١) .

وكانت مدة الدراسة بالمعهد للمرحلة الابتدائية أربع سنوات، لكنها تعادل الدراسة الجامعية اليوم، حيث إن طالب الابتدائية الأزهرية قديماً، كان يفوق كثيراً من حملة الشهادات العليا اليوم، مع أن الأزهر هو الأزهر، ولكن الطالب قديماً كان لا يلتحق بالأزهر إلا إذا حفظ القرآن، وتعلم القراءة، وحفظ المتن، وهذا الإعداد الخاص من شأنه أن يرفع الطالب إلى هذا المستوى الرفيع .

يقول د/ البيومي: " وإذا كانت مدة الدراسة بالقسم الابتدائي أربع سنوات، فقد كانت كافية لإتقان مواد الفقه والنحو والصرف والسيرة النبوية والتاريخ على أحسن وجه، بحيث كان الطالب الذي يحمل الابتدائية بالأزهر أفضل بكثير ممن يحملون الشهادات العالية منه اليوم، بل ليتهم يصلون إلى نصف مستواه العلمي " (٢) .

وأما مصادر ثقافته في هذه المرحلة فهي كالآتي :

١- قراءاته المتنوعة في المكتبة :- فكان يقرأ الكتب والمجلات والجرائد، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " وكان اليوم الدراسي يمتد إلي ما بعد العصر، تتخلله فسحة طويلة للغذاء، وأثناءها تفتح المكتبة أبوابها لمن يريد، وقد أعجبنى أن أجد الجرائد اليومية، مع المجلات الدينية تُقدّم لمن يريد ، فكنت أحرص علي قراءة الأهرام بالذات، فإذا فرغت طلبت بعض الكتب التي أجد أسماءها في الفهرس، ومن طريف ما أذكر أنني وجدت كتاباً يسمى (بالعمدة) ولم أكن أعرف أن العمدة يشغل بعض المؤلفات، وهو ريفي يرأس القرية فحسب، فطلبتة فإذا به العمدة لابن رشيق، ولم يمكث معي طويلاً

(١) ظلال من حياتي — مرجع سابق صـ ٥٠ .

(٢) من أعلام العصر — مرجع سابق صـ ٣٧٤ .

فأعدته، وكان أمين المكتبة شيخاً لطيفاً فقال لي في ابتسام: العمدة كبير عليك، اطلب كتاباً عن شيخ الغفر أو شيخ البلد علي الأكثر، فابتسمت لما قال "(١)•

٢- حضوره مجالس العلم التي تنظمها إدارة المعهد للناس بالمسجد ، ويحدثنا عنها بقوله :

" ثم علمت أن إدارة المعهد تهيئ دروساً تطوعية للناس جميعاً بجامع البحر بعد العشاء، فكنت أرتاد هذه الدروس في أكثر الأيام، وأخذت أوازن بين درس، ودرس، وأستاذ، وأستاذ، فاصطفيت من الأساتذة من صادم هواي ، وبهذه الدروس تطلعت إلى أفكار جديدة"(٢)•

من ذلك يتبين أن: اجتهاد د/ البيومي، ونبوغه وليد الصغر منذ أن كان طالباً بالمرحلة الابتدائية ، فقد أعطاه الله تعالى عقلاً راجحاً، وذكاء خارقاً، وقوة ملاحظة •

ومن ثمار ذلك أنه كتب عدة مقالات رائعة وهو في هذه المرحلة وهي:

أ - كتب مقالاً إسلامياً عن كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل يدعو به إلى الإسلام، ومما دفعه إلى ذلك أنه قرأ مرة مقالة بإحدى المجلات الدينية عن غزوة بدر، فوجدها لا تخرج في مضمونها عما جاء بالكتاب المقرر بالمعهد، فقال في نفسه إذا كانت الكتابة بهذه السهولة، فلماذا لا أكون كاتباً؟ وبالفعل أخذ يقرأ عن كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل يدعو به إلى الإسلام، فكأن فكرة عن الموضوع، وكتب مقالاً يجمع عدة عناصر في إطار المدون المكتوب دون تحليل أو استنباط لجديد، وبعث به إلى مجلة الأزهر أكبر مجلة إسلامية في ذلك الوقت .

وقد اعترف د/ البيومي أن ذلك كان تسرعاً منه، وكان يرأس تحريرها في ذلك الوقت الأستاذ الكبير / محمد فريد وجدي - رَحِمَهُ اللهُ - ، فبعث إليه المقال دون أن ينشره، ومعه رد توجيهي، وثلاثة من مؤلفاته هدية، وكان مضمون هذا الرد أنه سرَّ كثير السرور لاتجاهه الأدبي الحميد، ولذا بعث إليه هذه المؤلفات هدية، ولكن

(١) ظلال من حياتي - مرجع سابق ص ٥٠

(٢) السابق ص ٥٠-٥١ •

المقال الإسلامي ليس ذكرا للأحداث المدونة كما جاءت في صحف التاريخ، ولكن الكاتب المعاصر يتخذ من هذه الأحداث مجالا للتحليل والتعليل واستنباط الجديد إلي المتعارف (١)*.

وبلا شك فإن د/ البيومي قد استفاد كثيرا من هذا الرد التوجيهي الرائع، وتدارك ما فاتته في كتاباته، وأحاديثه بعد ذلك، والدليل أنه في خلال هذه المرحلة نظم المعهد احتفالا بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية، وقد رُشح من شيخ المعهد لإلقاء كلمة الطلاب في هذا الحفل، فأخذ العدة في هذه المرة وظل يقرأ في المجلات الصادرة في هذه المناسبة ويختار المعاني الجديدة التي لم يُسبق إليها، حتى اكتمل ما يصلح للأداء، فصادفت كلمته استحسانا من الحاضرين لأنها أضافت الجديد بعكس غيره فقد تكلم عن المتعارف المؤلف (٢) .

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى ما يلي :

١- أن علي الداعية ألا يقتصر علي سرد أحداث السيرة، وإنما يغوص في أعماق هذه الأحداث ليستخرج الدرر الكامنة؛ ليضيف الجديد الرائع إلي المتعارف المدون في الصحف .

٢- أن المجلات الدينية تُعد مصدرا هاما من المصادر التي يعتمد عليها الداعية في أحاديثه، فإنها عصارة فكر الكبار من العلماء الذين يستنبطون المعاني الجديدة التي تتناسب مع الواقع، وتأتي بالجديد؛ لينضم إلي المتعارف المؤلف، وهذا ما فعله د/ البيومي في حديثه، فقد اقتبس من كبار الكتاب المعاني الجديدة عن هذه المناسبة، فكان حديثه موضع ارتياح كبير .

ب - كتب مقالا أدبيا عن الشاعر (جميل)، ومحبوبته (بثينة) ، وقدمه إلي جريدة دمياط، التي يرأس تحريرها الأستاذ / علي المغربي - رَحِمَهُ اللهُ - ، فقام بنشره تحت عنوان (شهاد الحب)، وهذا العنوان لم يكتبه د/ البيومي، ولكنه من وضع رئيس

(١) ينظر من أعلام العصر - مرجع سابق ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) ينظر ظلال من حياتي - مرجع سابق ص ٥٥ .

تحرير المجلة، وقد أثار هذا العنوان علي د/ البيومي قلقاً مزعجاً، وألّب عليه شيخ المعهد، فقام بثورة ضده، لولا أن بعض محبيه من الأساتذة تدخل فاسترضي الشيخ، وهذا الموقف (١)* .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي كان عنده ولوع بالمقالات الأدبية منذ الصغر، بل كان من أمنيّاته أن يكتب مقالاً أدبياً وينشره بالجرائد (٢)* .

ج — كتب رداً على الأستاذ/ عبد المتعال الصعيدي في مسألة نحوية تتعلق بشعر الأعشى، ونشره بمجلة الرسالة (٣)* التي يصدرها الأستاذ الكبير/ أحمد حسن الزيات — رَحِمَهُ اللهُ — وهي من كبري المجالات في ذلك الوقت، ولا يكتب بها إلا الكبار، فأحدث بذلك دويّاً بين الأساتذة بالمعهد ولفت أنظارهم إليه ، حتى إن بعضهم دعاه لزيارته مُشجعاً (٤)* .

يتبين من ذلك تبّحر د/ البيومي وتفوقه في فهم العلم ، مما جعله يُراجع الأساتذة الكبار .

ثانياً: انتقله إلى معهد الزقازيق الثانوي: وبعد أن انتهى د/ البيومي من المرحلة الابتدائية بمعهد دميّاط، انتقل إلى المرحلة الثانوية بمعهد الزقازيق، لأن مراحل التعليم قديماً لم يكن بها المرحلة الإعدادية، حيث إن الطالب لم يك في حاجة إليها، فبحصوله علي الابتدائية يصل مستواه العلمي إلى درجة عظيمة، حتى لكأنه أخذ المرحلتين في مرحلة واحدة، فإذا ما انتقل إلى القسم الثانوي تجد له قدماً راسخة في الخطابة والشعر والكتابة، الأمر الذي يجعلك تحار بين طلبة الماضي، وطلبة الحاضر، لأن ما بينهما كما بين السماء والأرض .

ويحدثنا عن معهد الزقازيق قائلاً: " انتقلت من دميّاط إلى المعهد الثانوي بالزقازيق، فرأيت المجال أرحب وأفسح، لأن طلاب القسم الثانوي إذ ذاك كانوا أدباء

(١)* ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص٢٥٤—

(٢)* ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص٥٢ .

(٣)* ينظر العدد ٣٤٢ الصادر في ٢٠/ يناير سنة ١٩٤٠ م .

(٤)* ينظر من أعلام العصر — مرجع سابق — ص٣٧٥ .

كُتَاباً وشعراء وخطباء، ولهم في الجمعيات الدينية، وأندية الأحزاب السياسية صولات أسبوعية تستدعي الانتباه " (١) .

وقد ظهر نبوغ د/ البيومي، ودوره الإيجابي في هذه المرحلة من خلال الآتي :

١- رثاؤه للأستاذ/ محمد أحمد جاد المولى - رَحِمَهُ اللهُ - صاحب كتاب (سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل): فعندما علم د/ البيومي بنعيه هرع إلى رثائه، لأن لهذا الرجل حقاً عليه، فلقد تشبع من كتابه المذكور، وتعلم منه الكثير، وقد علق بذهنه هذا الكتاب منذ طفولته لما رأى والده يُكثر من قراءته، فقد شغله أكثر من عام (٢)، وقد تميز هذا الكتاب بتتبع الأحداث بالتحليل والاستنباط من غير الوقوف عند سرد الوقائع فحسب، وبطريقته الرائعة في مواجهة مفتريات الخصوم . وقد رثاه د/ البيومي بقصيدة مطلعها:

حن لليث عرينه(٣)	ما عسي يُجدي حنينه
كلما ظن لقاءً	عاجلاً خابت ظنونه
كم غدا يسأل عنه	أين ساقته منونه؟
فإذا لم يلف رداً	شافيا هاجت شجونه

ثم بادر بإرسالها إلي مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية فنشرها الأستاذ / صالح عثماوي رحمه الله فور وصولها، وأرسل إليه خطاباً يقول فيه: إن صفحة

(١) من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٧٥ .

(٢) ينظر صفحة — ٣٨ — من هذه الرسالة

(٣) العرين، والعرينة: مأوي الأسد الذي يألفه، وأصل العرين جماعة الشجر . ينظر مختار الصحاح مرجع سابق — مادة ع ر ن

الشعر بالمجلة تشكو الفراغ، وإنه يرحب بشعره في الإسلاميات!! وقد تأثر د/ البيومي بهذا الخطاب وعده ثروة هبطت عليه من السماء! (١) * .
ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله الآتي:
أ — اعتراف الداعية بفضل غيره ممن قرأ في كتبهم وانتفع بعلمهم ، ومكافأتهم بما يستطيع .

ب — أن كتاب (سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل) للأستاذ/ محمد أحمد جاد المولي - رحمه الله - ، كتاب رائع في السيرة النبوية، فعلي الداعية أن يقتنيه ويتعلم من أسلوبه العظيم في عرض أحداث السيرة واستنباط الجديد النافع الذي يواكب العصر .

ج — أن د/ البيومي رُزق قريحة في الشعر هائلة ، فاستطاع أن يقرض الشعر منذ حداثة سنه .

٢— رثاؤه لصاحب جريدة الأهرام جبرائيل تقلا باشا: فقد توفي صاحب جريدة الأهرام جبرائيل تقلا باشا، وخرجت الأهرام مجللة بالسواد حدادا علي صاحبها الصحافي الشهير، وخرجت الصفحات الكاملة في الجريدة بأشعار الكبار والصغار، فرأى د/ البيومي أن يشارك في ذلك، وخصوصا وأن هذا الرجل كان حريصا علي نشر البحوث الإسلامية بروح إنسانية لا تُوجد عند الكثيرين، فنظم قصيدة في رثائه وبعث بها إلي الجريدة، وعليها توقيع (محمد رجب البيومي طالب بمعهد الزقازيق) فرأت إدارة الجريدة أن تضع للقصيدة عنوانا مثيرا يحمل اسم المعهد بأسره فكتبت (دمعة معهد الزقازيق) ونشرت القصيدة تحت هذا العنوان فأحدث ذلك مشكلة عظيمة

(١) * ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ٣٧٦ .

بين د/ البيومي وبين شيخ المعهد، فدعاه واستنكر عليه أن يتكلم باسم معهد الزقازيق في رثاء صاحب الأهرام، ولكن د/ البيومي بيّن له أن الجريدة هي التي كتبت هذا العنوان دون علمه "(١)*".

يتبين من ذلك أن علي أصحاب النشر التزام الأمانة العلمية، فلا يضيفوا شيئاً إلا بعد إذن الكاتب، حتى لا يُسبّبوا للكتاب أدني حرج في ذلك .

ثالثاً: انتقاله إلى كلية اللغة العربية بالقاهرة، وشيوخه بها: فبعد أن انتهت السنوات الدراسية بالقسم الثانوي انتقل د/ البيومي إلى كلية اللغة العربية بالقاهرة، ولم تكن القاهرة غريبة عن ذهنه قبل انتقاله إليها، لأنه كان يقرأ عنها في الجرائد .

ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " بعد المعهد الثانوي انتقلت إلى كلية اللغة العربية بالقاهرة، ولم تكن القاهرة غريبة عن ذهني، فقد كنت أطلع في الجرائد ما ينبئني عن شوارعها، وآثارها التاريخية، وثرواتها الأدبية التي كنت أحرص ما يكون علي الاستمتاع بها، لذلك ما كدت ألتحق بالكلية حتى اطمأننت إلي بعض زملائي في السنوات العالية كي يكون رائداً لي في التعرف علي ما أحب، وكان الرائد وفيّاً أميناً كما وددت"(٢)*.

يتبين من ذلك أن القراءة عن المكان قبل النزول فيه تُعطي للقارئ معلومات مسبقة عنه، فلا تفاجئه روعة المكان عند زيارته، لأنه قد علم ذلك عن طريق القراءة عنه، وتُعطيه كذلك الشوق لمعرفة ما علق بذهنه أثناء قراءته عن هذا المكان، وهذا ما حدث بالفعل لـ د/ البيومي، فعندما ذهب إلى القاهرة لم تكن غريبة عن ذهنه لأنه قرأ عنها في الجرائد، وعندما التحق بالكلية عمد إلي بعض زملائه ليكون رائده في التعرف علي ما يحب .

(١) * ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق — ص ٥٧ — ٥٩ .

(٢) السابق — ص ٦٣ .

وعن أسرة التدريس بالكلية كتب قائلاً: " أما الكلية فقد كان رجالها من خيرة الأساتذة، ولهم شيخ كبير هو الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الجبالي عميد الكلية، وكان من عادته أن يزور الأساتذة في المحاضرات، يجلس مستمعاً، ثم يناقش الطلبة والأستاذ فيما يعنّ له، والرجل طويل الباع في العلوم الشرعية واللسانية معاً، فكان يبهرنا حين يناقش في دروس الأصول والمنطق، كما يناقش في دروس الأدب والنحو والبلاغة وكأنه تخصص في هذه المواد جميعها! والجامعات الآن لا تري من حق العميد أن يزور الأساتذة ويناقشهم في دروسهم، وكان الأولي أن تُصر علي هذا التقليد الأزهري القديم، لأن الأستاذ إذا توقع مجئ العميد اجتهد واستعد!! وتلك غنيمة للطلاب " (١) .

وكان د/ البيومي في هذه المرحلة من كتاب مجلتي الرسالة والثقافة، فكان له دويّ وذكر حميد لدي الطلاب والأساتذة، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " مضت أيام الزقازيق، وذهبت إلي القاهرة طالباً بكلية اللغة العربية، ووافق ذلك انتمائي إلي مجلتي الرسالة والثقافة كاتباً وشاعراً، والمجلتان — والرسالة بالذات — مهوي طلاب الأزهر، فانتشر لي بالكلية ذكر حميد، حيث عرفني الطلاب، وشجعني الأساتذة تشجيعاً لم أكن أتوقعه " (٢) .

وقد شارك د/ البيومي في هذه المرحلة بمشاركات إيجابية عديدة مع أساتذته وشيوخه، وهي كالآتي:

١ — المشاركة في إعداد بعض دروس الأدب وإلقائها علي زملائه: ومن ذلك ما كلفه به أستاذه / أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب المعاصر بالكلية، فقد كلفه بإعداد بعض الدروس وإلقائها علي زملائه، وهو يستمع ناقدًا، وقد دعا ذلك بعض الزملاء إلي احتذائه ، فأوجد حركة أدبية بين المتنافسين عادت بالأثر الحميد (٣) * .

(١) نفس السابق ص ٦٤ .

(٢) من أعلام العصر — مرجع سابق — ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

(٣) * ينظر السابق ص ٣٧٨ .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي كان متفوقا على زملائه في هذه المرحلة بدليل أن الأستاذ كان يكلفه من بين زملائه، والأستاذ لا يكلف إلا الكفاء من الطلاب، لذا فإن زملائه يتنافسون لاحتذائه .

٢- موقفه مع عميد الكلية الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الجبالي - رَحِمَهُ اللهُ -: ويحدثنا عنه قائلاً: " ولي مع الشيخ قصة طريفة، فقد كان من ابتكاراته ألا يسمح لطالب بإجازة ما دون أن يري الطالب ويسأله عن مبررات الإجازة، وقد اعتاد أن يوجه للطالب سؤالاً علمياً؛ ليجيب عنه، فإن أحسن الإجابة شفع له اجتهاده فيما يطلب، وإن أخطأ قُوبل بالصدود، وفي ذات يوم جاءني خطاب من والدي يُخبرني فيه أنه سيزور القاهرة في الساعة الثانية عشرة من يوم حدده، وقد طلب مني أن أكون في استقباله بمحطة باب الحديد عند وصوله ، فتقدمت بطلب الإجازة لفضيلة الشيخ، فأجلسني ثم قال: أريد أن تعرب قول الشاعر :

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطي القنا قوماهما أخوان

وكنت على ذكر من هذا البيت ألم بمعناه، وأعرف مناسبته، وأعرف أن المبتدأ في أوله، والخبر في آخره، فقلت للشيخ مبتسماً سأعرب البيت كما تريد، ولكني سأسألك عن قائله، وعن مناسبته، وعن أخطأ في إعرابه من كبار النحاة! فابتسم الشيخ وقال جئت بأبدة جئت بأبدة فقلت: كل مبتدأ، وأخوان خبر، والجملة الشرطية معترضة، والذي أخطأ في إعرابه هو العلامة ابن هشام في كتاب المغني! وكان بالمجلس أستاذنا الشيخ/ محمد الطنطاوي أستاذ النحو، فقال للشيخ هذا الطالب من كُتاب مجلة الرسالة، فأشرق وجه الشيخ، وقال مبتسماً: اذهب يا بني لوالدك ولغير والدك، نحن لا نتشدد في الإجازة إلا مع المتعلمين! أما العلماء أمثالك فلهم ما يشاءون " (١) .

وهذه شهادة من الأستاذ الدكتور / إبراهيم الجبالي عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة، بأن د/ البيومي من العلماء وهو ما زال طالبا بالكلية، وهذا إن دلّ علي شيء

فإنما يدل علي ثقافته الواسعة التي بهرت الأبصار وحيرت العقول، فليس بطالب عادي، وإنما هو طالب من نوع خاص قلماً يوجد مثله في علمه وثقافته، والجمع بين الشعر والأدب والثقافة الإسلامية، وهذا كله ثمرة قراءته المبكرة في الجرائد والمجلات، وكتب الأدب، وكتب السيرة وغيرها .

٣- موقفه مع الأستاذ / شبل يحيي: وخلاصته أن الأستاذ/ شبل يحيي كان يُدرس مادة المنطق بالكلية، وقد اشتهر بالشاعرية، فكان ينظم القصائد ويلقيها في ندوات الجمعيات الدينية، وقد دفع بإحدى قصائده إلي تلميذه د/ البيومي ليطلعها ويصلح ما بها من أخطاء، وقال له: يا بني الحق أحق أن يتبع، وقصائدك في الرسالة والثقافة تثبت براعتك الفائقة، والشعر موهبة، وقد أكون ناظماً لكني غير موهوب! (١)* .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي تفوق علي أساتذته باعتراف منهم ومثل هذا الموقف مع أستاذه/ شبل يحيي، تكرر مع أستاذه/ محمود رزق سليم (٢)، فقد برزت شخصيته العظيمة العملاقة منذ أن كان طالباً ناشئاً، فتفوقه ونبوغه ولید الصغر فقد منحه الله موهبة عظيمة، فكان شاعراً وأديباً متفوقاً علي أقرانه، وقد سخر مواهبه في نشر الفضائل ومحاربة الرذائل والدفاع عن الإسلام ، ورحم الله والده الذي غرس فأثمر .

٤- الاعتراض علي تدريس اللغة العبرية، والمطالبة بتدريس الفارسية: فحين تقرر تعديل المناهج بكلية اللغة العربية، وكان من بين هذا التعديل أن يتم تدريس إحدى اللغتين العبرية أو الفارسية، واختار المسئولون تدريس اللغة العبرية ذهب د/ البيومي مع نفر من زملائه إلي عميد الكلية وهو الأستاذ/ عبد الجليل عيسي، وطالبوه بتدريس اللغة الفارسية قائلين بأنها لغة إسلامية، والأزهر أولي بها، فقال لهم بأن كلية الآداب لم ترسل غير مدرسين للعبرية، وطلب منهم أن يذهبوا إلي الدكتور/ عبد الوهاب عزام

(١)* ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص٦٦ — ٦٧ .

(٢) ينظر السابق ص٦٧ — ٦٩ .

بكلية الآداب وكان عميدها، ويقنعوه بإيفاد مدرس للفرسية، وبالفعل اتجهوا إلى مكتبه وانتظروه حتى قابلهم وكان متواضعا فترك مكتبه وجلس معهم يسأل عن مقصدهم في ابتسام، فأخبروه، ثم قال لهم: إنه لا يوافق علي أن تكون الفرسية مزاحمة للعبرية بكلية اللغة بالذات، لأن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة، ولا بد من أن يجيدوا لغتها، وأن يقرأوا صحفها، وأن يسمعوها إذا عنتها؛ ليكون منهم من يدافع عن دينه، ومن تعلم لغة قوم أمن مكرهم، ففوجئوا بهذه الكلمات التي وقعت منهم موضع القبول المطلق واستأذنوا شاكرين (١) .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي كان جريئاً في قول الحق حريصاً ومحافظة علي كل ما هو إسلامي، ولم يكن كشأن غيره ممن آثروا السكوت، ورفضوا المعارضة خوفاً من بطش المسؤولين، كما أنه لم يكن متعصبا لرأيه فعندما اقتنع برأي الدكتور/ عبد الوهاب عزام - رحمه الله - رجع عن قوله، وأعلن القبول للرأي المخالف لرأيه عن رضي واقتناع .

رابعاً: انتقاله إلى معهد التربية العالي بالإسكندرية: فبعد أن تخرج د/ البيومي - رحمه الله - من كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٩م (٢) * .

انتقل مباشرة إلى معهد التربية العالي بالإسكندرية، وفوجئ بأن الأساتذة بالمعهد يختلفون عن الأساتذة بالأزهر، فأساتذة المعهد لا يقبلون النقاش أثناء الدرس العلمي بحال من الأحوال، فالطالب يسمع منهم ولا يناقش، وكأنه يسمع من المذيع، وهذا علي عكس ما كان عليه أساتذة الأزهر إذ يرحبون بالنقاش مهما طال أمده، ويرونه أمراً طبيعياً في الدرس لا محيد عنه .

ووجد أساتذة المعهد عندهم اعتزاز شامخ بمواهبهم العلمية ، فهم من حملة الدكتوراه في التربية، وعلم النفس، والاجتماع من جامعات أوروبا، وفوجئ في الأسبوع الأول من الدارسة بأن كل أستاذ يؤكد علي أن الدارسة بالمعهد تختلف عن

(١) * ينظر من أعلام العصر - مرجع سابق ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) * ينظر محمد رجب البيومي حياته وشعره - رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة - إعداد

الباحثة / عزة محمود البكري - ص ١٧ .

الدراسة بالكليات الأزهرية، لأن هذه الكليات تعتمد في الدرس علي كتاب واحد ينحصر الأستاذ في دائرته ولا يتعداها، أما الدراسة بالمعهد فلا تعتمد علي كتاب واحد، بل يقدم الأستاذ في نهاية الدرس طائفة من المراجع، فيبحث الطالب في المكتبة عنها ويقرؤها، ويبني الموضوع علي أساسها، ولكن سرعان ما تغير هذا الكلام في الأسبوع التالي، فقد فرض كل أستاذ علي طلابه كتابا من تأليفه الخاص، وقال بأنه المرجع الأول ولن يخرج عنه الامتحان، وعندئذ شعر د/ البيومي ومن معه بالدهشة لهذا التراجع، وتساءل قائلاً: فأين الحملة علي الكتاب الأزهرى مع أنه قد يكون أرسخ قدما في موضوعه من مذكرات الدكتور التي جعلت في هيئة كتاب (١) * .

يتبين من ذلك الفارق بين الأستاذ في الأزهر، والأستاذ في معهد التربية، فإن الأول تخرج من الجامعة بمصر، والآخر تخرج من جامعات أوربا، فوقع في خلد أنه حاز علي درجة علمية فاق بها غيره، فأورثه ذلك العجب، فكان لا يسمح لأحد من الطلاب أن يناقشه فيما يقول . في حين أن الكثير من هؤلاء لا يحسن التحدث بالعربية، ويشرح الدرس بالعامية، مع أن العامية ليست لغة العلم، ولكنه لا يتقن لغته الأصلية؛ ويعتذر مباحيا بأنه أمضي في لندن ست سنوات لا يتكلم بغير الإنجليزية حتى نسي لغة بلاده، وهو اعتذار مُضحك، لأنه قضي في مصر ثلاثين عاما يتحدث باللغة العربية ، فكيف لم يعمل علي إتقانها (٢) * .

ومن الإنصاف ما ذكره د/ البيومي بأن من بين هؤلاء الأساتذة من كان يقبل النقاش ويصبر عليه، وقد وصل إلي مستوي رفيع في شرحه وتوضيحه، وكان ذا أسلوب أدبي أتاح له الإفاضة المشبعة في تحليل المادة، وبذلك كان هو الوحيد الذي حاز علي تقدير الطلاب من بين أساتذة المعهد حتى تمنوا أن ينقلوا كل كلمة يقولها ، وهو الأستاذ / أحمد عزت راجح (٣) * .

وأما مشاركات د/ البيومي الإيجابية في هذه المرحلة فتتجلي فيما يلي:

(١) * ينظر ظلال من حياتي مرجع سابق ص ٧٣ — ٧٤ .

(٢) * ينظر السابق ص ٧٤ — ٧٥ .

(٣) * ينظر نفس السابق — ص ٧٤ .

١- موقفه مع فصيلة أستاذه الدكتور/ أحمد راجح: وخلاصته أن د/ أحمد راجح قرر علي الطلاب عدة بحوث يقومون بإعدادها، وحدد لكل طالب بحثه الذي يجب أن ينتهي منه في شهرين لترصد درجاته قبل ميعاد الامتحان، بحيث لا يجوز لمن رسب في مادة البحث التربوي أن يدخل امتحان الدور الأول، وكان من نصيب د/ البيومي أن يكتب في (اللعب وأثره في تربية الطفل)، وقد بحث في المكتبة فوجد كتباً خاصة بهذا الموضوع، وكتباً أخرى تشمل فصلاً عنه، فاستطاع أن يكتب بحثاً شافياً يشمل كل الجوانب الهامة، وحينما رآه د/ أحمد راجح لم يصدق أن هذا العمل الرائع هو جهد طالب مبتدئ، وقال له: قل الحق ولا تكذب، من أين جئت بهذا البحث! إنه ليس بحث طالب مبتدئ! لقد قرأت مراجع كثيرة، فلم أهدأ إلي موضع بحثك هذا، وهو ليس من نتاجك بكل تأكيد، عندئذ تحير د/ البيومي ولم يستطع أن يقول شيئاً حتى قبض الله زميله الأستاذ/ عبد المنصف - رَحِمَهُ اللهُ -، فنهض في القاعة قائلاً بصوت مرتفع: يا سيدي إن الأستاذ/ رجب البيومي من كتّاب مجلتي الرسالة والثقافة، واسمه يأتلّق مع أسماء العقاد، والزيات، وأحمد أمين، وكبار الكتّاب في المجلتين! فكيف تتهمه بالسطو علي بحث في اللعب! فنظر د/ راجح إليه، وقال بعد تفكير!

إن البحث لا يكتبه غير أستاذ متخصص، وسأُنشره في مجلة التربية باسم صاحبه، والمجلة تدفع خمسة جنيهاً لكل بحث ينشر! وأخرج من جيبه ورقة مالية بالمبلغ ودفعها إلي د/ البيومي، وكان ذلك في عام ١٩٤٩م، فكانت خمسة جنيهاً ذات شأن كبير (١)* .

يتبين من ذلك سعة إطلاع د/ البيومي وإلمامه المتميز بالموضوع الذي سيبحث فيه، وجودة كتاباته، فقد فاجأ أستاذه في بحثه بما لم يهتد إليه، مع أنه أستاذ كبير، فعندما طالع الأستاذ البحث لم يصدق أن طالباً ناشئاً يستطيع أن يُسَطر هذا البحث القيم، لأن هذا البحث لا يستطيعه إلا أستاذ كبير متخصص، ولم يعرف أن د/ البيومي

(١)* ينظر ظلال من حياتي — ص ٧٥-٧٦ .

من كُتاب الرسالة والثقافة، وعندما علم ذلك لم يملك بعد تفكير قليل إلا أن يقول: إن هذا البحث لا يكتبه غير أستاذ متخصص وهذه شهادة من أستاذه يُعْتز بها .

كما يستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله أن علي الداعية إذا ما أراد أن يتحدث عن موضوع ما، فعليه أن يبحث عن مراجعه، ولا يقتصر علي بعضها، فإذا كثرت المراجع استطاع أن يُلم بالموضوع، ويتحدث فيه من كل جوانبه، وبذلك يُهر الأنظار، ويجذب الأسماع إليه، لأنه يأتي بالجديد غير المعهود .

٢- كتابة المقالات: ومن ذلك ما كتبه تحت عنوان (حيوانات تصوم كالإنسان)، وقد نشره في رمضان بجريدة الأهرام، وكتب تحته اسمه وتحت الاسم (معهد التربية العالي بالإسكندرية)، وعندما ظهر المقال اتصل به علي الفور الأستاذ صديق شيبوب محرر الصفحة الأدبية التي تصدر بجريدة البصير بالإسكندرية، وأخبره بأنه عرف عنوانه من جريدة الأهرام، وأنه يأسف لأنه لم يتعرف به، وأنه يقرأ له ما يكتبه، وقد قرأ له بحثا في التصوف فلفت نظره إلى أشياء يريد أن يحدثه عنها، وقد حدد معه موعدا بإدارة البصير مساء الغد (١)* .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي قد شغل بال الكثير من كبار الكتاب والأدباء في عصره بكتاباته الرائعة التي حيرت العقول، وبهرت الأبصار بروعة الأسلوب، وجودة الصناعة، وتسطير غير المتعارف المؤلف .

٣- تقديمه للأستاذ الدكتور / محمد يوسف موسي: ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " وقد دُعي الأستاذ الدكتور / محمد يوسف موسي أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر في موسم العام الثقافي سنة ١٩٥٠م، ليلقي محاضرة شاء أن يكون موضوعها، (لنكن قوة تفعل لا مادة تتفعل) .

وقد قدر لي أن أتولي تقديم المحاضر الكبير، إذ كنت إذ ذاك طالبا بمعهد التربية، واتحاد الطلاب هو الذي يدعو المحاضرين، وهو الذي يتولي تقديمهم دون أساتذة المعهد، وكانت لي صلة ثقافية بمؤلفات الدكتور، ومقالاته، كما كنت أعرف من

(١)* ينظر السابق ص ٧٦ .

تاريخه العلمي دقائق قد تغيب عن غيري، فعرضت إلي نبوغه في التأليف موجزا الإشارة إلي اتجاهاته العلمية، ثم انتقلت إلي الحديث عن درجة دكتوراه الدولة التي نالها الدكتور من جامعة السوربون بباريس، وكان مما قلت: لقد شهدت قاعة ريشيليو الكبرى بجامعة السوربون مناقشة فلسفية لرسالة علمية كتبها الدكتور/ محمد يوسف موسي تتضمن بحثا عن الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلسفة العصر الوسيط .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من خمسة أساتذة من السوربون، والكوليج دي فرانس، وقد رأس المناقشة البروفسور ليفي بروفنسال، كما شهدها الدكتور/ طه حسين مع نخبة من دراسي العلم في باريس عربا ومسلمين، واستمرت المناقشة خمس ساعات كاملة ظفر بعدها الدكتور محمد يوسف موسي بأرقى درجة علمية تمنحها جامعة السوربون، ثم أعلنت الجامعة دعوة الدكتور محمد يوسف لإلقاء المحاضرات عن فلسفة التشريع الإسلامي باللغة العربية .

وبعد انتهاء الحفل أرسل الدكتور محمد يوسف من يدعوني للقاءه ، وسألني عن أخبرني عن احتفال الدكتوراه بالسوربون، فقلت :إن الجرائد اليومية أشارت إليه في مصر، وعنهما قلت ما قلت، فابتسم شاكراً، وطلب مني أن أسهر في الفندق حيث يقيم هذه الليلة، فقلت: إنني أرحب باللقاء وأعتز به، ولكنك مجهد بعد هذه المحاضرة الدسمة، فقال: لقد ارتحت للقائكم ارتياحا أزال عني التعب، فهل تصحبني؟ قلت: تلك فرصة أغتنمها، فكيف أتخلف؟" (١) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي موسوعة علمية متعددة الجوانب منذ أن كان طالبا ناشئاً فقد علم ما لم يعلمه الأساتذة الكبار، فكان الأولي بتقديم المحاضر أحد الأساتذة، ولكنهم لا يعرفون عنه إلا وظيفته الجامعية فقط، وعندئذ لم يجد اتحاد الطلاب غير د/ البيومي فاختره لتقديم المحاضر لأنه قرأ عنه كثيراً، ولديه المقدرة علي تقديمه .

خامساً: اشتغاله في حقل التدريس بالمدارس الثانوية: فعندما تخرج من معهد التربية العالي في عام ١٩٥٠م انتهى دور التكوين الرسمي في معاهد التعليم؛ ليبدأ دوراً آخر في الحياة، حيث استقبل الحياة مدرساً (١)*، فقصي في حقل التدريس ما يقرب من خمسة عشر عاماً (٢)* كانت مليئة بالعطاء حيث نشر العلم في مختلف المحافظات بالجمهورية " ومنها علي سبيل المثال: مدرسة أبو تيج الثانوية بأسسوط، ومدرسة المنصورة الثانوية، ومعهد المعلمات بالفيوم " (٣)، وقد ترقى في السلم الوظيفي إلي مدرس أول للغة العربية بالمنصورة، ولكفائه اختارته وزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٠م المدرس المثالي ومنحته لذلك جائزة مالية، وفي خريف سنة ١٩٦١م ترقى إلي مدرس أول للغة العربية بمعهد المعلمات بالفيوم (٤)* .

وبالرغم من كثرة أعباء التدريس إلا أنه استطاع بفضل الله أن يوفق بينها، وبين مواصلة تعليمه العالي بجامعة الأزهر الشريف، حيث استكمل تعليمه، فالتحق بالدراسات العليا بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وحصل علي درجة التخصص الماجستير في الأدب العربي عام ١٩٦٥م عن موضوع (الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر)، ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٦٧م عن موضوع (سيدنا محمد ﷺ في إبداعه الأدبي) بمرتبة الشرف الأولى (٥) * .

"وحصوله علي الدكتوراه لم تزده علماً، ولم تضيف إليه نواة يستند إليها، فهو ركيزة الركائز، وواجهة الوجهات علماً وأدباً وشعراً، قبل أن يضيف إلى أسلحته

(١)* ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ٣٨٦ .

(٢)* ينظر مجلة الأديب عدد سبتمبر ١٩٦٦م بقلم د/ محمد مهدي علام — مقال بعنوان (محمد رجب البيومي في بحثه عن الأندلس) — ص ٨ .

(٣) الباحث /علي محمد إسماعيل — رسالة دكتوراه بعنوان الإبداع الأدبي في نتاج د / محمد أحمد البيومي — كلية اللغة العربية بالمنصورة قسم الأدب والنقد سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م .

(٤)* ينظر محمد رجب البيومي حياته وشعره — مرجع سابق ص ١٧ .

(٥) ينظر التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي — رسالة دكتوراه للباحثة / عبير عبد الصادق محمد بدوي جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية قسم الأدب والنقد سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

الكثيرة هذا السلاح الذي يصح أن يعده مكملاً لأسلحته التي يختزنها داخل عقله، ويعيها حية رابضة، متأهبة في أي وقت، وفي أي مجال " (١) .

وأوافق علي أن مستوي د/ البيومي العلمي الرفيع كان قبل حصوله على الدكتوراه ، فإن هذه حقيقة يُقر بها كل من درس شخصية هذا الرجل العظيم ، وتعرّف علي مستواه العلمي الرائع ، فما رأيت أحداً قرأ لهذا الرجل إلا وأشاد بفضله، ومقدرته العلمية الفائقة، ولكن كيف يقال إن رسالة الدكتوراه لم تزده علماً، ولم تضيف إليه نواة يستند إليها! إن هذا الكلام فيه نظر، فمما لا شك فيه أن د/ البيومي تعلم واستفاد الكثير من هذه الرسالة العظيمة التي تناولت البيان النبوي الشريف، وخصوصاً وأنه أول من تناول هذا الموضوع بدراسة مستقلة بعد أن تناثرت أبوابه، وفروعه في بطون الكتب .

سادساً: تعيينه مدرسا بجامعة الأزهر الشريف وترقياته العلمية: بعد حصوله علي درجة الدكتوراه " صدر الأمر بتاريخ ٣٠ / ٦ / ١٩٦٩م بتعيينه مدرسا بقسم البلاغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتدب للتدريس في كلية اللغة العربية بالرياض أستاذاً مساعداً لمادة الأدب والنقد، ثم أستاذاً لمادة الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة، ثم انتدب للإشراف علي قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقازيق، ثم شغل منصب عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة لمدة ثماني سنوات، ثم صار أستاذاً متفرغاً بالكلية حتى وفاته، كما شغل منصب مقرر لجنة البلاغة؛ لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، وكان عضواً بلجنة الأدب والنقد، لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، وأستاذاً بالجامعات العربية يحاضر في مواد الأدب والبلاغة والنقد عدة سنوات . واشترك في مؤتمرات علمية في عواصم مختلفة بالدول العربية . وأشرف على كثير من الرسائل الجامعية، واشترك فاحصاً في كثير من هذه الرسائل " (٢) .

كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة الأزهر حتى توفاه الله تعالى .

(١) محمد رجب البيومي حياته وشعره — مرجع سابق ص ١٧ .

(٢) التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي — مرجع سابق ص ٥٥ .

سابعاً: الجوائز الأدبية التي نالها: لقد رُزق د/ البيومي حب التسابق الشعري، لذا فقد شارك في العديد من المسابقات الأدبية ونال الجوائز التي تُقدمها الدولة للفائزين، وهذه الجوائز هي :-

١- جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر سنة ١٩٦١م عن مسرحيته الشعرية انتصار .

٢- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٢ عن مسرحيته الشعرية فوق الأبوة .

٣- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٣م عن ديوانه صدي الأيام .

٤- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٤م في الدراسات الأدبية عن كتاب الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير .

٥- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٥م في التراجم الأدبية عن حياة السيد/ توفيق البكري .

٦- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٢م عن المسرحية الشعرية بأي ذنب .

٧- جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م عن المسرحية الشعرية ملك غسان " (١) .

" ورُشح لجائزة الملك فيصل ،فقد قرر مجمع البحوث الإسلامية بإجماع الأصوات وبتزكية من د/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق - رَحِمَهُ اللهُ - ترشيح د/ محمد رجب البيومي لجائزة الأدب العربي، وجامعة الإمام/ محمد بن سعود لخدمة الإسلام في جائزة الملك فيصل للعام القادم، وجاء الترشيح بناءً علي طلب تقدمت به مؤسسة الملك فيصل الخيرية إلي الإمام الأكبر للترشيح في خمسة فروع هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والعلوم، والطب " (٢) .

(١) التصوير البياني في شعر الدكتور / محمد أحمد البيومي وشهرته رجب البيومي رسالة دكتوراه للباحث /أحمد إبراهيم محمد علي - كلية اللغة العربية بالزقازيق قسم بلاغة ونقد سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص-١٤ .

(٢) التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي - مرجع سابق ص-١٦، ١٧ .

ثامناً: رحلاته العلمية : لقد دُعي د/ البيومي إلى دول شتى فلبّي بعض الدعوات، وأبطأ عن البعض لظروف طرأت فمنعته من التنفيذ، يقول د/ البيومي: "ومما أعلمه من نفسي أنني دُعيت إلى دول شتى، فلبّيت بعض الدعوات، وأبطأت عن بعضها؛ لظروف طرأت فلم أستطع التنفيذ، ولكني الآن أشعر بندم لأنني لم أستجب لكل ما وُجه إليّ، مهما قامت الأعذار" (١) .

وهذه الرحلات كالآتي :

١- رحلته إلى الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية: وكان قد ابتعث أستاذا بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، وكان يكتب في المجالات السعودية بمكة والرياض من قبل، فوجد من الإخوة السعوديين من يُذكره بالخير، ومن سعي متفضلاً إلى زيارته مُكرّراً، ودعاه إلى زيارته في تصميم متكرر .

كما أن القائمين علي الإذاعة المسموعة بالعاصمة أرسلوا إليه من يدعوهم إلى إلقاء بعض الأحاديث، وإلى المشاركة في ندوات أدبية وعلمية، وكان له برنامج أسبوعي دائم امتد أربعة أعوام متتالية، فشرع عندئذ أنه في مصر تماماً، لأن الجو الأدبي هو الجو الأدبي، وكرم الضيافة تبدو مظاهره الكثيرة دون انقطاع، وكانت المقررات بكلية اللغة العربية بالرياض هي نفسها المقررات بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وإن اختلفت الكتب والمذكرات، فالمضمون واحد، ووجد الطلبة هناك حريصين كل الحرص علي استماع الدروس، ولهم رأيهم المعتدل في كل أستاذ، بل هم المفتشون الحقيقيون، لأن الإدارة تستمع إلي أقوالهم، فإذا اتفقوا علي الإفادة من أستاذ كان ذلك أكبر تزكية له، وقد تخرج في السنوات الأربع التي شغلها هناك من صاروا اليوم من كبار أدباء المملكة، ومن القائمين علي إدارات هامه في الصحافة ودوائر الإعلام ومازال بينه وبينهم مراسلات إلي الآن .

وبعد انتهاء البعثة التعليمية لم تنقطع زيارته للمملكة، فكان يفد إلي الرياض أستاذاً زائراً، وإلي جدة محاضراً في النادي الأدبي عدة مرات، حيث تفضل الأستاذ/

عبد الفتاح أبو مدين رئيس النادي بدعوته المتكررة لإلقاء عدة محاضرات، فكان الجو الأدبي الذي يلمسه يُشعره براحة نفسية لا حد لها، وفي زيارته المتكررة لقي كبار الأدباء ممن عرفهم من قبل قراءة أمثال الأساتذة/ علي الطنطاوي، ومحمد سعيد العامودي، وعبد القدوس الأنصاري، وأحمد جمال، وغيرهم (١) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي كان معروفا في السعودية قبل أن يرحل إليها بسبب مقالاته في المجالات بمكة والرياض وقد أحدثت له ذكراً حسناً بين السعوديين، فعندما قدم إليهم استقبلوه بالحفاوة والترحيب، ودعوه للمشاركة في ندوات علمية وأدبية، وجعلوا له برنامجاً أسبوعياً دائماً استمر أربعة أعوام مدة هذه البعثة، وبعد انتهاء البعثة دُعي لزيارات أخرى متكررة مما يدل علي تألقه وإبداعه داخل مصر وخارجها .

٢- رحلته إلى تونس: ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " وأترك المملكة العربية إلى تونس فأذكر أنني سعدت بزيارتها أربع مرات في مواسم ثقافية زاهية، لأن معالي الأستاذ الدكتور/ علي الشابي وزير الشؤون الدينية يُقيم كل عام احتفالاً علمياً بالمولد النبوي الشريف يدعو له من يختاره من مفكري العالم العربي، وقد حدد موضوعاً هاماً للمحاضرة يتناوله كل محاضر من وجهة نظره" (٢) .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي معروف خارج مصر بأنه في طليعة كبار مفكري العالم الإسلامي .

٣- رحلته إلى الجزائر: فقد دعا السيد/عبد العزيز البابطين إلى مؤتمر أبي فراس الحمداني منتخبا صفوة من رجال الأدب والسياسة لحيوا ذكرى هذا الشاعر الفارس كما هي عادته في كل عام، حيث يحتفل بشخصية أدبية، أو سياسية في إحدى العواصم العربية فيعيد للأذهان أجمل الذكريات عن العزة الإسلامية، والعبقرية العربية، وقد كانت الدعوة موجهة إلى الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد الطنطاوي شيخ

(١) * ينظر السابق ص ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) نفس السابق ص ١٣٨، ١٣٩ .

الأزهر الأسبق - ﷺ، ولكن أعماله الكثيرة في ميعاد المؤتمر عاقته دون الحضور فأناوب عنه د/ البيومي - ﷺ قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام، وسارع د/ البيومي فأعد بحثاً وافياً عن علاقة أبي فراس الحمداني بابن عمه سيف الدولة وهي علاقة تكنفها الضباب حيث لم يتضح تفسير شاف لعزوف سيف الدولة عن الشاعر النابغة بعد احتفاله به، وتقديره إياه .

وعندما قدم د/ البيومي البحث للمسئول على المهرجان قال له في أسف: إنه سينشره في مجموعة الأبحاث، لأن البحوث التي ستلقى في هذا المحفل قد طبعت ووزعت على القراء لإبداء النظر في مضمونها، وليس بينها هذا البحث الطريف، فلم يجد إلا أن يشارك في النقاش، وكان من حظه أن يعرف بعض الجزائريين عنه بعض ما كتبه عن الإمامين الجزائريين الكبيرين عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، فجاءه من الأدباء إخوة فضلاء ذكروا تقديرهم لما كتب، وقالوا إن مصر والبلاد العربية في حاجة إلى مثل هذه الكتابة الهادفة، لأن قراء الجزائر يعرفون كل شئ عن مصر أدباً ودينياً وثقافة وفناً، ولا تكاد مصر تعرف شيئاً عنهم، فقال لهم: إن الشعب المصري يحب الجزائر البلد الشقيق، وكان يتابع كفاحها الباسل فخوراً بتضحياتها الغالية، وهو بعد استقلال الجزائر يقرأ كل ما يقال عنها، وقد كانت جرائد مصر ومجالاتها أيام المحنة تنشر المقالات الضافية مؤيدة هذا الجهاد الباسل، ثم دقت طبول النصر حين انقشع غيم الاحتلال وأشرق نور الاستقلال .

وقد سعد د/ البيومي بهذا اللقاء سعادة لا يستطيع تقديرها، فقد عرف منه قوة الالتحام الأخوي بين الشعوب العربية، كما أدرك أن الوحدة الإسلامية لا العربية فقط هي السبيل إلى إنقاذ المسلمين في كل مكان من برائن (١) الطغاة (٢) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي علم لدى كثير من الدول العربية فما قدم دولة من الدول إلا وأتاه من يعرف فضله، ويُشيد بكتاباته الرائعة الهادفة .

(١) البرائن: من السباع والطير كالأصابع من الإنسان ، والمخلب ظفراً لبرثن . ينظر مختار الصحاح — مرجع سابق —

مادة ب ر ث ن — ص ٣٦ .

(٢) * ينظر ظلال من حياتي مرجع سابق — ص ١٤١ — ١٤٣ .

٤- رحلته إلى باريس ممثلاً للأزهر الشريف هناك: ففي ١٥/١٢/١٩٩٨م رحل د/ البيومي إلى باريس ممثلاً للأزهر الشريف في مؤتمر حوار الأديان هناك، وكان المتحدثون جميعاً من أقطاب الفكر الديني، حيث يُمثل الإسلام، والمسيحية، واليهودية من يشرح رسالة دينه في أدب متزن .

وقد أدى هذا الحوار إلي إيجاد أرض صلبة يقف عليها المؤمنون جميعاً، وكان الاتجاه البارز هو التمسك بالآداب الخلقية التي جاءت بها الأديان السماوية، إذ هي مما لا خلاف عليه بين دين ودين، و كان من أهداف هذه الجلسة الحديث عن حماية الشباب من النزعات الإلحادية، لذا فقد رأى د/ البيومي أن يوضح في كلمته أن كثيراً من الشباب يُعذر في انحرافه لأن بعض الكليات تؤسس أفكارها الحديثة علي أساس إنكار العقيدة، فعلم الاجتماع والنفس والتربية لدي كثيرين من أدعياء الفكر العلماني ترتكز علي إنكار عالم الغيب، وتؤيد كل نظرية تدعو إلي هذا الإنكار، والشباب معذور حين تفرع أسماعه هذه الاتهامات من أناس يلبسون طيالس المحاضرات .

والعلاج لهذا النشاز (١) أن يكون الأساتذة من ذوي النزعة الدينية، لاسيما أن تزعزع العقيدة هو الذي أدى إلي انحراف الشباب لأن الشاب الذي لا يعرف بوجود الله يقدم علي الموبقات غير هيّاب بل لا يري مانعا من ارتكاب الجرائم إذا احتاط في جريمته فلم يُبق أثرا ينبئ عنه! وهو مستريح تماما لأن الله في اعتقاده غير موجود! وما كاد ينتهي د/ البيومي من كلمته الرائعة حتى توالي التأييد دون اعتراض، وسجل الأستاذ الدكتور/ علي السمان في تقريره أن الكلمة كانت محل اتفاق بين المتحدثين (٢) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي كان محل ثقة شيخ الأزهر حيث أنابه عنه بحضور هذا المؤتمر الخطير الذي يُمثل فيه الأزهر الشريف، ويُمثل فيه مصر وكان

(١) النشاز : الشيء لا يكون في مستوي غيره . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق مادة نشز ص ٦١٦ .

(٢) * ينظر ظلال من حياتي مرجع سابق ص ١٤٤ — ١٤٥ .

بفضل الله عند حسن الظن به فكان صورة مُشرقة للأزهر ولمصر، حيث تحدث عن حماية الشباب من النزعات الإلحادية، فأبان عن أسباب الانحراف وقدم العلاج، وكانت كلمته موضع تقدير ومحل اتفاق بين الحاضرين.

٥- رحلته إلى إيران: دعت إيران الأزهر الشريف إلى إحياء ما بدأه الإمامان عبد المجيد سليم - رَحِمَهُمُ اللّهُ - ، ومحمود شلتوت - رَحِمَهُمُ اللّهُ - من التقارب الرائع بين السنة والشيعة، فاستجاب الأزهر الشريف، وأرسل وفداً من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وكان من بينهم د/ البيومي - رَحِمَهُمُ اللّهُ - ، وقد لمس هذا الوفد الأزهر في شتى الجلسات الحوارية، والأسمار الحرة في أوقات الراحة في إيران حكومة وشعباً احتفالاً بالغاً بمصر ومبعوثيها إلى المؤتمر، وقد زار د/ البيومي ومن معه بلداً عزيزة ، وجلسوا في حلقاتها العلمية، وخالطوا ذوى الرأي من كبار الشيعة، وقد نجحت الزيارة أحسن نجاح، لأن الإخلاص الرائد، وصوت القرآن يهتف في الآذان

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) وصوت الرسول ﷺ يصيح.. {المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً} (٢) (٣) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي معدود من رجال الأزهر وعلمائه الأجلاء فهو بحق مفخرة الأزهر في الداخل والخارج، وأكثر من يقرأون له يشهدون بذلك مما جعل القائمين علي أمر الأزهر يُرشحونه لتلك المهام الصعبة ليُمثل الأزهر في الخارج، وقد نجح في ذلك فكان بحق خير مُمثل له وكان عند حسن الظن به، وأفاد كثيراً واستفاد الكثير من هذه الرحلات .

(١) سورة الحجرات من الآية رقم ١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم — باب نصر المظلوم — حديث رقم ٢٤٤٦، ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ط دار الغد العربي الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م ج ٧/ ٤٩٧ ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب — باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم — حديث رقم ٢٥٨٥ ، ينظر صحيح مسلم بشرح النووي — ط دار الحديث بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ج ٨/ ٣٨٣ .

(٣) * ينظر ظلال من حياتي مرجع سابق ص ١٤٧ — ١٤٨ .

المطلب الثالث

شخصيات مؤثرة في تكوينه

أولاً علاقته بالأستاذ الكبير / محمد فريد وجدي (١) - رَحِمَهُ اللهُ - :-

لقد بدأت علاقة د/ البيومي بالأستاذ/ محمد فريد وجدي منذ أن كان طالباً بمعهد الزقازيق الثانوي، فقد كتب مقالاً متواضعاً عن كتاب الرسول ﷺ إلي هرقل يدعوهُ للإسلام، سارداً ما روته كتب التاريخ عن أثر الكتاب في نفسية الإمبراطور الروماني وعن اجتماعه بأبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وسؤاله عن نبي العرب، ثم اجتماعه بالبطارقة ليناقشهم في أمر النبي الجديد، ثم أرسله إلي مجلة الأزهر التي يرأس تحريرها الأستاذ/ محمد فريد وجدي، وكان ذلك تسرعاً منه كطالب ناشئ يبعث بمقاله المبتدئ إلي أكبر مجلة إسلامية في ذلك العهد .

ففوجئ بعد أسبوعين بمظروف كبير يأتي إليه بالبريد، ووجد فيه المقال الذي كتبه مع ردٍّ توجيهي من الأستاذ/ وجدي، خلاصته أنه سرَّ أكبر السرور باتجاه طالب ناشئ إلي الكتابة في التاريخ النبوي، وإنه يُبارك هذا الاتجاه ويحبّذه ولكنه يُلفت انتباهه إلي شئ مهم، هو أن المقال الإسلامي الجيد ليس إعادة للأحداث المدونة بأسلوب مختلف الألفاظ، ولكن الواجب أن يكون للكاتب رأيه الخاص، وتعليقه الشخصي علي الوقائع، وتحليله الدقيق للمواقف الغامضة، وحينئذ يُضيف الجديد إلي القديم المتعارف، ثم رجاء في تواضع أن يُحاول الاستفادة مما قال، وذلك لا يتأتى إلا

(١) هو الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي / محمد فريد وجدي مؤلف دائرة معارف القرن العشرين قضى ستين عاماً من عمره المديد لم يترك قلمه يوماً واحداً إلا لمرض وأبقي من الآثار العلمية ما لا يقدر علي تأليفه لجنة مختارة من الأفاضل — ولد في سنة ١٨٧٥م أو ١٨٧٨، علي رأيين دونهما مؤرخوه نشأ بالإسكندرية وتلقي تعليمه الابتدائي في المدرسة الفرنسية ثم انتقل إلي القاهرة والتحق بالمدرسة التحضيرية التي تعادل الثانوية الآن ولكنه لم يتم سنواتها لأنه لمس فيها مواداً جديدة رأي في الدراسة المستقلة بديلاً عنها — وهو من كتاب جريدتي المؤيد والأهرام — من أهم مؤلفاته الفلسفة الحقّة — من معالم الإسلام — مناقشات وردود — الأدلة العلمية علي جواز ترجمة معاني القرآن إلي اللغات الأجنبية، وغيرها كثير ، تولى تحرير مجلة الأزهر نيفاً وعشرين سنة ، ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ٥٠، محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي — د/ محمد رجب البيومي ط دار القلم — دمشق بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م ص ٢٧، ٢٨ .

بدوام المطالعة، والصبر علي القراءة المفيدة حتى تتكون لديه ملكة الكتابة علي نحو كريم .

وقد ردّ د/ البيومي علي خطاب الأستاذ/ وجدي في إجلال وإكبار بقوله: إني شاكر توجيهك السديد، وإنه سيظل مصباحاً أستضيء به، ولكني مع ذلك أصارحك بهاجس يهجس في نفسي، هو أني أقرأ لكثير من العلماء مقالات تُعيد التاريخ بدون إضافة، ويُشر بعضها بمجلة الأزهر التي يُشرف عليها الأستاذ الكبير، فما تفسير ذلك؟! وبعد قليل جاءه ردّ الأستاذ وجدي قائلاً: إنه ارتاح كثيراً لاستجابته لتوجيهه، وسيجني ثمرة يانعة بحرصه علي القراءة النافعة، أما المقالات التي أشار إليها، فهي في مستوي ضعيف لا محالة، ولكن كُتِّبها من كبار الشيوخ، ولن يخضعوا لتوجيه من مثله، والصحيفة صحيفة الأزهر، وشيوخها في مقدمة كُتَّابها، لذلك فهو يتجه بالتوصية إلي أمثاله من الطلاب، معتقدا أنهم يُبشرون بأمل مرتقب إن شاء الله! وقــد قرأ د/ البيومي الرد فافتنع به، وأحس أن الكاتب الكبير أصبح قريباً من نفسه، بل أحس أنه أستاذه الذي يتلقي عليه العلم، وقد سارع إلي جميع مؤلفاته وأخذ يقرأها بنشوة لا يجدها عند قراءته لغيره (١) * .

من خلال هذه السطور يتضح تأثر د/ البيومي بالأستاذ / محمد فريد وجدي حيث كان له عظيم الأثر في تكوينه، فقد أمده بالنصائح النافعة والتوجيهات العظيمة، وأرشده إلي الكتابة الجيدة، وبين له الطريق الموصلة إليها وهي دوام المطالعة والصبر علي القراءة المفيدة

وقد تشبع د/ البيومي بمقالاته ، واستفاد منها فكان بمثابة أستاذه الذي تلقى العلم علي يديه حتى إنه جعله من أعظم من تأثر بهم ، ففي كتابه ضلال من حياتي كتب عنوانا الأعظم تأثيراً وكتب تحته عن الأستاذ/وجدي قائلاً: "أما محمد فريد وجدي فقد جذبني إليه أسلوبه الكتابي فيما يعالجه من المقالات الدينية بالذات، حيث رأس تحرير مجلة الأزهر أثناء تلمذتي بالأزهر، ولما كنت دائم الاطلاع عليها بحيث لم يفتني عدد

(١)* ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ٥١ — ٥٢ .

واحد، فقد كنت أرى الرجل نمطا وحده بين كتّاب المقال الديني إذ كانت ثقافته الواسعة تُوحى له بكثير من الأفكار الجديدة التي لا تجدها عند سواه، فقد تقرأ في المجلة مقالين في موضوع واحد أحدهما للأستاذ فريد وجدي وثانيهما لعالم من كبار العلماء فتلمس لدي وجدي أنوارا ساطعة لا تجد مثليها عند سواه، ولست بذلك أقلل من آثار هؤلاء الأفاضل، ولكني أعبر عن شعور صادق يتلبسني حين أنعم بقراءة مقالاته " (١) •

وقد شغف د/ البيومي شغفا شديدا بالأستاذ/ محمد فريد وجدي، فعندما انتقل إلي كلية اللغة العربية بالقاهرة هرع إلي لقائه ويحدثنا عن ذلك قائلاً " انتقلت إلي القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، فكان لقاء الأستاذ/ وجدي أول أمنية أحققها، فتقدمت إليه مُذكراً بما كان أرسله إليّ من رسائل، فهش للقائي، وشجعني أن أزوره كثيراً وكثيراً، فحدثته عن مقالات قرأتها بقلمه وحاولت احتذاءها، وأهدي إليّ طائفة من كتبه القيمة" (٢) •

ولإعجاب د/ البيومي بروعة كتابات الأستاذ/ وجدي، قام بجمع كثير من مقالاته إلي كتّاب ويحدثنا عن ذلك قائلاً: " وقد راعني أن يظل عشرين عاما رئيسا لتحرير مجلة الأزهر التي تصدر شهرياً، ويكتب في العدد الواحد ثلاث مقالات أو أكثر، ثم لا تُجمع هذه المقالات الرائعة في كتب مستقلة تكون مصدر إشعاع للقارئ المعاصر الذي لم يدرك الأزهر في عهده، فأخذت علي عاتقي أن أجمع من هذه المقالات ما يندرج في مجموعات ذات اتجاه مشترك وأن أقدمها للقارئ مشفوعة ببحوث تحليلية قد يتجاوز البحث منها أكثر من عشرين صفحة لتلقي الضوء علي اتجاهاتها وقد يسر الله فأخرجت من هذه المقالات هذه الكتب:

أ — مهمة الدين الإسلامي في العالم ، نشرته جماعة الدعوة الدينية بالأزهر في ٣٢١ صفحة •

(١) ظلال من حياتي مرجع سابق ص ٩٥ ، ٩٦ •

(٢) من أعلام العصر كيف عرفت هؤلاء — مرجع سابق ص ٥٣ •

ب — السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة نشرته المؤسسة المصرية اللبنانية في ٣٢٤ صفحة .

ج — من معالم الإسلام نشرته المؤسسة المصرية اللبنانية في ٣٣٦ صفحة .

د — مناقشات وردود نشرته المؤسسة المصرية اللبنانية في ٤٠٢ صفحة .

هـ — فصول من سيرة الرسول نشرته المؤسسة المصرية اللبنانية في ٣٧٣ صفحة .

ولازال لديّ مجموعة أخرى أحاول نشرها، ولو وجدت الطابع السريع لاتّسع مجال النشر إلي أبعد نطاق " (١) .

من ذلك يتبين أن د/ البيومي تأثر بالأستاذ/محمد فريد وجدي - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فكان له عظيم الأثر في تكوينه العلمي، فقد تشبع بمقالاته واستفاد من توجيهاته، ونهل من علمه الغزير، فثمر الثمرة المرجوة بإذن الله تعالى .

ثانيا علاقته بالأستاذ/ محمد الخضر حسين (٢) - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -: وأما علاقته بالأستاذ/ محمد الخضر حسين ، فقد كان لها عظيم الأثر في تكوينه حيث تلقى العلم من مقالاته وبحوثه قبل أن ينال شرف لقائه، ولم يكن الأستاذ الخضر ممن يقف عند فرع

(١) ظلال من حياتي مرجع سابق ص٩٦ — ٩٧ .

(٢) هو الأستاذ/ محمد الخضر حسين — ولد بقرية من قري الجزائر علي حدود القطر التونسي ، في أسرة تعتز بعراقة النسب ، وتفخر بمن أنجبت من العلماء والأدباء ، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بجامع الزيتونة طالبا ، وأكب علي التحصيل والتلقي حتى نال الشهادة العالمية عن جدارة ، وتهيأ للإفادة العلمية كاتبا ومدرسا وقاضيا — ونال الشهادة العالمية الأزهرية ، وبها صار أستاذا في الأزهر فمدرسا بكلية أصول الدين ، بل كانت طريقه فيما بعد إلي مشيخة الأزهر ذات القدر الخطير !! . وقد اتجه إلي تأسيس الجماعات الدينية ، فكان أحد مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وهو الذي أنشأ جماعة الهداية الإسلامية ، تولى مشيخة الأزهر من سنة ١٩٥٢م وحتى سنة ١٩٥٤م فرأى الأزهر لعهد حلقه ذهبية من حلقات الكمال والجلال والوقار، ولكن أعباء السنين تراكمت علي كاهله الضعيف ، فترك المشيخة معتكفا محتسبا حتى يلي نداء ربه في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧هـ . ينظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين د/ محمد رجب البيومي — ط مجمع البحوث الإسلامية — السنة الحادية عشرة ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ / فبراير سنة ١٩٨٠م ج ١ / ٦٥، ٨٣، ٨٥، ٨٦ . وينظر أيضا الأزهر تاريخه وتطوره — اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر — ط الأزهر الشريف بالقاهرة — الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

واحد من فروع العلم، بل كان موسوعة متعددة الجوانب بحيث يُعد مرجعا في فروع العلم المختلفة كالشريعة، والعقيدة، وعلوم الأدب والتاريخ وقد تأثر بذلك د/ البيومي فنهج نفس المنهج الذي نهجه أستاذه، ولم يعرف الوقوف عند حد التخصص .

ويحدثنا عن علاقته بالأستاذ/ محمد الخضر - رَحِمَهُ اللهُ - قائلاً: "أما الأستاذ/ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد) فقد تشبعت بمقالاته وبحوثه العلمية قبل أن أراه، وكلها قوى محكم، وهو من ذوي الثقافة الشاملة المحيطة بحيث يُعد إماما في عدة فروع مختلفة كالشريعة والعقيدة وعلوم الأدب والتاريخ، وحين شرفت بـلقائه وجدته صامتا، حديثه همس أو كالهمس، فهو فصيح القلم وليس محدث جمهور .

ومن طرائفي معه أنني توجهت مرة إلى مقر جمعية الهداية الإسلامية، وكان رئيسا لها فوجدت معه شيخا وقورا، عرفت أنه الأستاذ العلامة الشيخ/ عبد القادر المغربي - رَحِمَهُ اللهُ - (١)، نائب رئيس المجمع العلمي بدمشق، وتلميذ جمال الدين الأفغاني - رَحِمَهُ اللهُ - فاستمعت إلي العالمين الكبيرين يتناقشان في تفسير حديث الرسول { لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر } (٢) .

فأفاض المغربي في ترجيح كلمة (مُحدث) علي أنها اسم مفعول، ورأي الشيخ الخضر أنها مُحدث علي أنها اسم فاعل، وصال دليل علي دليل، وزاحم ترجيح ترجيحا وأنا صامت أسمع ولا أستطيع أن أتكلم، فوجدت العلامة المغربي ينظر إليّ في ابتسام ويقول: أي الرأيين ترجح؟ فقلت عجلا: معاذ الله يا سيدي، أيتناقش الخضر والمغربي في الحديث واللغة، وأكون أنا مرجع الترجيح؟ أنا طالب بكلية اللغة،

(١) هو علامة الشام الشيخ/ عبد القادر المغربي، تلميذ جمال الدين الأفغاني، وصديق محمد عبده، ونائب رئيس المجمع العلمي بدمشق، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وصاحب المصنفات الرائعة في التاريخ، واللغة والأدب، والتفسير، والأخلاق . ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ١٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم ٦٢ — باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم ٧ — حديث رقم ٣٦٨٩ . ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري — مرجع سابق ج ١٠ / ٥٩٢، ٥٩٣، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم ٤٤ — باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم ٢ — حديث رقم ٢٣٩٨، ينظر صحيح مسلم بشرح النووي — مرجع سابق ج ٨ / ١٧٧ .

فربت (١) الرجل بيده علي كتفي، وقال مبتسماً: من يدري، قد تكون؟" (٢) .

من ذلك يتبين أن الأستاذ / محمد الخضر حسين - رَحِمَهُ اللهُ - كان له عظيم الأثر في تكوين د/ البيومي العلمي حيث نهل من علمه الغزير المتنوع حتى وصل إلي حد الشبع من كثرة المطالعة لمقالاته وبحوثه العلمية .

ثالثاً: علاقته بالأستاذ/ أحمد حسن الزيات - رَحِمَهُ اللهُ - (٣) :- وهى علاقة قوية لها أثرها العظيم إلي اليوم حيث إنني بعد أن اخترت الشخصيتين السابقتين توقفت متحيراً لا أدري من أختار من الشخصيات!، وخصوصاً وأن د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - له صلة بكثير من الشخصيات، وله كتاب بعنوان (من أعلام العصر كيف عرفت هؤلاء) جمع فيه اثنتين وخمسين شخصية التقى بهم وتعرف عليهم، ولكني أبحث عن أقوى الشخصيات التي أثرت في تكوينه العلمي، فطلت أقرأ في الكتاب وأنا متردد أي الشخصيات أسطر فتركت الكتابة وفكرت في الاتصال بالدكتور البيومي شخصياً لأسأله عن ذلك غير أنني ترددت كثيراً لأن ظروفه الصحية لا تسمح ولكني ذات يوم (٤) وجدتني أتصل به وردّ عليّ، ويتكلم بصعوبة فقلت يا أستاذي الجليل استفسار ضئيل قد اخترت في الحديث عن الشخصيات المؤثرة في تكوينكم العلمي الأستاذ/ محمد فريد وجدي - رَحِمَهُ اللهُ - ، والأستاذ/ محمد الخضر حسين - رَحِمَهُ اللهُ - ، وأريد منكم الإرشاد إلي علم آخر فقال لي علي الهاتف : الأستاذ/ أحمد حسن الزيات - رَحِمَهُ اللهُ - .

ولقد تأثر د/ البيومي بالزيات تأثراً عظيماً حيث كان من كتاب مجلة الرسالة التي يرأس تحريرها، وقد انتفع كثيراً بنصائحه وتوجيهاته ويحدثنا عن مقالاته بالرسالة

(١) ربّت الصبي : ضرب بيده علي جنبه قليلاً قليلاً لينام . ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق مادة ربّت ج ١/ ٢٥١ .

(٢) من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٨١، ٣٨٢ .

(٣) هو أحمد بن حسن الزيات — ولد عام ١٨٨٤م بقرية كفر ميرة القلم في طرخا ، وفصل قبل إتمام دراسته ، وعمل في التعليم الأهلي ، وهو صاحب مجلة الرسالة ، درس الأدب العربي في المدرسة الأميركية بالقاهرة سنة ١٩٢٢م ، ثم في دار المعلمين العليا ببغداد سنة ١٩٢٩م ، وأقام فيها ثلاث سنوات صنف فيها كتابه (العراق كما عرفته) ولكن الكتاب احترق قبل نشره ، توفي عام ١٩٦٨م . ينظر الأعلام لخير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين — بيروت — لبنان ج ١/ ١١٣، ١١٤ ط ١٢ سنة ١٩٩٧م .

(٤) اتصلت به وكلمته علي الهاتف اليوم الاثنين الموافق ٤ شوال سنة ١٤٣١هـ / ١٣ سبتمبر سنة ٢٠١٠م .

ونصائح الزيات له قائلاً: "ومما أذكره عن مقالاتي الأولى بالرسالة أنني كتبت بحثاً تحت عنوان (من أخلاق الباحث) في ثلاث حلقات، وبعثت به إلي الرسالة، ومعه ظرف عليه عنواني الخاص، ليتفضل الأستاذ/ الزيات بإخباري عن وصول البحث، ولم يضمن الأستاذ بالمراسلة، بل كتب يقول، إن في بعض التعليقات ما يخرج من النقد إلي الهجاء لذلك يري أن أختصر المقالات إلي اثنين، وأن أحذف العبارات القارصة التي تُسئ إلي البحث مكتفياً بذكر الحوادث المجردة، فهي تُغني عن التعقيب المسئ! .

وقد استجبت إلي ما قال الزيات، وحررت البحث من جديد، ففضل بنشره، ثم بادرت بإرسال مقال آخر تحت عنوان (عمر بن الخطاب الأديب)، وحملته بنفسه للرسالة، وكانت فرصة طيبة للقاء الأستاذ، وكان مكتبه حينئذ خالياً من الزوار، فطلب مني أن أقرأ البحث، فارتضاه ووعده بنشره، ولكني قلت له: إنني لم أسرف في التعليق علي الشواهد عملاً بما نصحني به الأستاذ من قبل، فقال لي الزيات: هنا موضع الخطأ، لأن التعليق علي آراء الفاروق الصائبة مدعاة ارتياح، وليس كالتعليق علي انتهازية الباحث ووصوليته، وإن مقصدي من توجيهي السابق، أن ترتفع عن الهجاء، وتقدم ما يدعو إليه، تاركاً للقارئ أن يكمل ما تريد! وقد سعدت بملاحظة الكاتب الكبير، وحاولت التقيد بها فيما سأكتب" (١) .

من ذلك يتضح حرص د/ البيومي علي الانتفاع بنصائح الأستاذ/ الزيات - رحمته الله - واهتمامه بالتزامها في كتاباته .

وأما عن انتفاعه بمجالس الزيات المثمرة ومنهجه في تمحيص المقالات التي ستُشر علي صفحات الرسالة فيحدثنا عن ذلك قائلاً: "ومجالس الأستاذ/ الزيات لا تُنسى فقد كانت ندوات حافلة بأئمة من أهل الفضل في العالم العربي، وبها عرفت الأستاذ/ ساطع الحصري، - رحمته الله - والأستاذ/ محمد إسعاف النشاشيبي - رحمته الله -، والأستاذ/ علي الطنطاوي - رحمته الله -، والأستاذ/ روفائيل بطي، والأستاذ/ محمد البشير الإبراهيمي - رحمته الله - وهو من كبار المفكرين في العالم العربي، والزيات وادع رفيق

يستمتع، وقلما يشارك في نقاش، ولكنَّ وجهه فصيح الملامح تعرف من التطلع إليه حكمه علي ما يسمع قبولاً أو رفضاً، وله أعصاب قوية تتلقي أعنف الآراء المصادمة باحتمال عجيب، دون أن يُظهر انقباضاً أو تأففاً، وكنت أحادثه عن بعض ما يدور مما يخالف رأيه، فأجده يقول مبتسماً، كلام يقال، وسيزيده النقاش اشتعالاً، ولن يخمد غير الإهمال والسكوت، ومن عاداته أن يتسلم المقال فلا يقرؤه أمامك بل يضعه في المكتب ليري رأيه المستقل في هدوء، وهو بعد ذلك يفحصه في اهتمام، ولا ينشر غير الجيد المستطاب (١) * .

يتبين من ذلك تأثر د/ البيومي بطريقة الزيات في تنفيذ الآراء، وتمحيص المقالات، كما كان د/ البيومي محباً لأدب الزيات ويتابع كتاباته في افتتاحيته للرسالة، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: "نشأت علي إجلال أدب الزيات وإكباره، إذ كنت في صباي أتلهم علي افتتاحيات رسالته وأترقبها بعين المُشوّق المتطلع، وأجد لها في نفسي روعة الشعر، وحلاوة الغناء، وبهجة الروض، ثم لا يزال يُعجبني هذا الشعور بعد أن تقدمت بي السن، واتسعت ميادين الاطلاع" (٢) .

من هذا يتبين أن مجالس الزيات كنز ثمين، فقد تعرف د/ البيومي من خلالها علي كبار مفكري العالم الإسلامي كما أن الزيات كاتب كبير يأبى أن ينشر غير الجيد المستطاب من المقالات ويفحص المقالات بكل جد واهتمام، ويغض الطرف عن الآراء الشاذة المصادمة للحقائق لأن في إخمادها السكوت، كما أن د/ البيومي نشأ محباً لأدب الزيات وتعلم منه في الصغر وظل متأثراً به في الكبر رغم سعة علمه وكثرة اطلاعه .

(١)* ينظر من أعلام العصر مرجع سابق — ص ٣٨٢ .

(٢) د/ محمد رجب البيومي — أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي — ط دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض —

الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ م ص ٢٣٨ .

المطلب الرابع: صلته بالجمعيات الدينية (١) :-

(١) والجمعيات الدينية من أهمها ما يلي:

١ — الجمعية الشرعية الرئيسية للعاملين بالكتاب والسنة وتأسست في غرة المحرم سنة ١٣١٢ هـ الموافق ديسمبر سنة ١٩١٢م علي يد العالم الأزهرى / محمود خطاب السبكي من أجل نصرة الدين، وإحياء العمل بسنة النبي ﷺ، ووضع لها قانونا محكما منظما مواد ترشد إلي سعادتي الدنيا والآخرة وتدعو إلي الحسنيين — وأهم مبادئها وأهدافها ما يلي: ١ — شمولية الإسلام فهو دين ودولة ، وقضاء وسياسة، ومصحف وسلاح، ومعاش ومعاد . ٢ — فهم الإسلام علي مذهب أهل السنة والجماعة ٣ — إذا فسد الاعتقاد فبماذا تنفع العبادات ، فإنها حينئذ تكون كالبناء علي الرمال أو الكتابة علي الماء . ٤ — الاهتمام بتنفيذ السنة ومحاربة البدع فإن ذلك طريق لتطبيق شرع الله، وسبب من أسباب النصر . ٥ — ليس في الدين بدعة حسنة . ٦ — الاهتمام بالنوافل والسنن والآداب . ٧ — محاربة الفساد في أجهزة التربية والتعليم والإعلام والهيئة التشريعية الحاكمة . ٨ — المنهج الصحيح في الأسماء والصفات ما عليه السلف الصالح . ينظر الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلي دين الحق — الشيخ/ محمود خطاب السبكي ط. دار الاعتصام بالقاهرة بدون تاريخ ج ١/ ٣٠ بتصرف، وهذه دعوتنا — الشيخ / عبد اللطيف المشتهري ط. دار الاعتصام بالقاهرة بدون تاريخ، ص ٥١، ٥٢ .

٢ — جماعة الإخوان المسلمين وتأسست في البداية بالإسماعيلية عام ١٣٢٧هـ — ١٩٢٨م علي يد الإمام حسن البنا، انتقل إلي القاهرة فنشطت الجماعة بها وأصبح لها مجلة أسبوعية تدعي بمجلة الإخوان المسلمين وتكونت الهيئة التأسيسية للجماعة عام ١٩٤١م، وانطلق ينشر فكره في الأرياف والقرى والمدن، في المساجد والمدارس، بل والمقاهي، وسرعان ما تقبل الشعب المصري المسلم هذه الدعوة، فانطوي تحت لوائها من مختلف المستويات والأعمار، وانتشرت الدعوة وذاع صيتها لتجاوز مصر إلي الدول العربية فالإسلامية ، فالعالم كله، حتى لم يبق في العالم من لا يعرف جماعة الإخوان المسلمين ولو بالاسم فقط . وأما أهدافها فيوضحها الإمام حسن البنا قائلاً: إن غاية الإخوان تنحصر في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل علي صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية في كل مظاهر حياتها . ينظر الموسوعة الميسرة ج ١/ ٢٠٢ بتصرف — مرجع سابق، ومجموعة رسائل الإمام حسن البنا رسالة المؤتمر الخامس ط. دار الدعوة بالقاهرة بدون تاريخ ص ١٨٠ بتصرف . ٤ — جمعية الشبان المسلمين وسبق التعريف بها .

٣ — جماعة أنصار السنة المحمدية، وتأسست في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م بمدينة القاهرة علي يد الشيخ حامد الفقي ومن أهدافها ما يلي ١ — الدعوة إلي التوحيد الخالص ، والبعد عن البدع ومحاربة الأفكار الهدامة المخالفة لصحيح الدين فإن معظم أهل البلاد كانوا قد ابتلوا بها . ٢ — أخذ الدين من نبعه الصافيين القرآن والسنة بفهم سلف الأمة . ٣ — الالتزام بصحيح المنقول مع صريح المعقول . ٤ — فتح باب الاجتهاد ونبد التقليد .

٥ — وجوب التحاكم إلي شرع الله، وإحياء السنن الميته . ينظر: الجمعيات الإسلامية ودورها في نشر الدعوة — د/ محمد بن عبد العزيز داود — ط — الزهراء للإعلام بالقاهرة ص ٦٧ بتصرف . والطريق إلي جماعة المسلمين ت حسين بن محمد بن علي جابر — ط — دار الوفاء بالمنصورة — بدون تاريخ — ص ٢٦١ بتصرف ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة — إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع بن حماد الجهني ط — دار الندوة العالمية السعودية — بدون تاريخ ص ١٩٦ بتصرف، وينظر أيضا جماعة أنصار السنة دعوتها وأهدافها الشيخ / محمد بن حامد الفقي ط — دار السنة المحمدية بالقاهرة بدون تاريخ ص ١٢ وما بعدها .

وأخص الحديث تحت هذا المطلب عن جماعة الإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين لأن د/ البيومي لم يزاوِل نشاطه إلا في هاتين الجمعيتين، فقد تأكدت صلته بهما، فكان يكتب في مجلة الإخوان الأسبوعية، ويشارك في الندوات والمناظرات التي تنظمها جمعية الشبان المسلمين وقبل الإشارة إلى ذلك أرى أن أُشير أولاً إلى الأسباب التي أدت إلى نشأة هذه الجمعيات : —

لقد مرت الأمة الإسلامية بظروف سياسية، واقتصادية، وفكرية صعبة بعد سقوط الخلافة الإسلامية، كانت نتيجتها ظهور حركات إسلامية ذات اتجاهات وأهداف مختلفة، كل منها ينشد إعادة الإسلام إلى الحياة كما كان عليه منذ أن مكن الله للمسلمين على أيدي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

يقول د/محمد عبد العزيز: "الجماعات الإسلامية نشأت نتيجة ظروف معينة، ولعوامل مختلفة من أهمها وجود أنشطة محمومة مسمومة لاقتلاع الإسلام" (١) .
وقد أجمع العديد من الكتاب على أن لنشأة الجمعيات الدينية في مصر أسباباً متعددة من أهمها ما يلي :—

١ — وجود الاحتلال: لما وطئت قدم الاحتلال مصر كان من الطبيعي أن تتحرك مشاعر أبنائها وعلى رأسهم العلماء للدفاع عن حريتهم ووطنهم خاصة وأن الإسلام جعل الموت في سبيل الدفاع عن العرض، والمال والأرض شهادة.. يؤكد هذا قول النبي ﷺ: {من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد} (٢) .

(١) د/محمد عبد العزيز — الجمعيات الإسلامية ودورها في نشر الدعوة — الزهراء للإعلام بالقاهرة — بدون تاريخ — ص ٦٩ . بتصرف .
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم ٣٥ — باب في قتال اللصوص رقم ٣٢ — حديث رقم ٤٧٧٢ سنن أبي داود ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م ج٤ / ٢٠٤٠ وقال المحققون للكتاب وهم د/السيد محمد سيد ، د/ عبد القادر عبد الخير ، أ / سيد إبراهيم (صحيح)، وأخرجه أيضا الترمذي في كتاب الديات عن سعيد بن زيد — باب ما جاء في القسامة حديث رقم ١٤٢٦، مرجع سابق، ج٣ / ١١٢، وقال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرجه كذلك النسائي في كتاب تحريم الدم — باب من قاتل دون دينه — حديث رقم ٤١٠١، مرجع سابق ج٧ / ١٢٢ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي .

"فقد كان وجود الاحتلال في تلك الفترة كافياً في حد ذاته لإثارة المشاعر، إذ أن مصر لم تخضع منذ الفتح الإسلامي لحكم غير إسلامي، ومن هنا يمكن تفسير أسباب بروز تيار الفكر الإسلامي" (١) .

أضف إلى ذلك تأييد الأقباط للاحتلال، بجانب مدارس التبشير .

يقول د/ زكريا سليمان: "ومما زاد الشعور المعادي للاحتلال، دور الأقباط ومدارس التبشير الذين أيدوا الاحتلال حيث أبدوا الرغبة في حماية الاحتلال لهم بحجة الوحدة في الدين وبكونهم أقلية، وقد كان لذلك أثره على الرأي العام الإسلامي في مصر" (٢) .

٢- انتشار الفساد: استشرى الفساد، وتخلل الانحلال كثيراً من نواحي المجتمع بسبب وجود الاحتلال، فالمحتلون لا أخلاق لهم، ولا دين يحكمهم فهم يحاربون الفضيلة، ويريدون أن يقضوا على الإسلام في شتى صورته٠٠ " فقد بثوا بعض المصريين إلى الخارج - في الغرب - فتلقوا هناك تعليمهم، وتأثروا بحضارتهم وعادوا معجبين بها .. يريدون أن يطبقوها في مصر بخيرها وشرها لتصورهم أن الأخذ عن الحضارة الغربية هو المنهج الأمثل للوصول بالبلاد إلى الرقي والنجاح" (٣) .

"فطالبوا - وسخرت لهم أدوات الدولة - بمساواة الرجل بالمرأة وإلغاء المحاكم الشرعية وتعديل قوانين الأحوال الشخصية فضلاً عن التماهي في تطبيق النظام الديمقراطي، وصدرت مؤلفات هؤلاء أمثال: الأستاذ/علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) الذي كان محارباً للخلافة الإسلامية مروجاً للعلمانية، والدكتور/ طه حسين: (الشعر الجاهلي) الذي شكك في تاريخ العرب قبل الإسلام، واعتبر صلة

(١) د/ زكريا سليمان البيومي - الإخوان المسلمون والجماعات في المجتمع المصري - ط . مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الأولى

سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق - ص ٣٣، ٤٣.

(٣) أ/ صادق أمين - الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية - دار النشر والطبع بالقاهرة - بدون تاريخ -

إبراهيم — العلي — بالعرب وبنائوه للكعبة أسطورة وليست حقيقة ،وقد أسهم طه حسين بهذا الكتاب في تجسيد مفهوم الثورة علي الدين من أجل العلم وذلك في عام ١٣٤٤هـ — ١٩٢٦م، وفي نفس العام بدأ سلامة موسى في نشر عدة مقالات عبّر فيها عن كراهيته للشرق وحبّه لأوروبا متمنيا أن تُصبح كل ظواهر المجتمع المصري كأوروبا، وأن يقترب الشعب المصري من أوروبا ، كما صدرت في هذا الوقت مجموعة من الصحف تدعوا إلي التيار العلماني المعادى للإسلام كالهلال والسياسة، وكان نتيجة هذا كله أن دخلت إلي المجتمع عادات غربية سيئة * (١) .

"وفي هذا الجو المنذر بشر مستطير كان لابد للمسلمين أن يلتفوا للدفاع عن دينهم وردّ هجمات المستشرقين وأعدائهم، وتنبيه معظم الغافلين من المسلمين إلي الأخطار والشرور التي تُهدّد دينهم وتستهدف وجودهم، وكان هذا إيذانا بظهور الحركات الإسلامية بصورتها الأخيرة " (٢) .

٣ — إسقاط الخلافة: كان لسقوط الخلافة أسي بالغ في نفوس المسلمين عموما بل وفي كل مكان، فكانت الفجيرة قاسية علي قلوب المسلمين زرفوا معها الدموع وحاولوا أن يبذلوا الدماء فلم يستطيعوا، لقد كانت الخلافة بمثابة الأب في الأسرة، فبموته تُرمل الزوجة ويُيتم الأطفال، ويطمع فيها كل طامع، وهذا ما حدث لأمة الإسلام بعد سقوط الخلافة * * * حيث كانت الفجيرة في كل موطن منها (٣) * .

من هذا يتبين أن سقوط الخلافة الإسلامية، والغزو الفكري للأمة من الاستعمار وشيوع الفساد والانحلال الأخلاقي ترتب عليه نشأة الجمعيات الدينية في مصر بهدف الإصلاح والأخذ علي أيدي الناس والرجوع بهم إلي الكتاب والسنة .

وأرجع إلي الحديث عما يخص هذا المطلب وهو صلة د/ البيومي بجماعة الإخوان المسلمين، وصلته بجمعية الشبان المسلمين:

(١) د/ زكريا بيومي — الإخوان المسلمون والجماعات في المجتمع المصري — مرجع سابق ص ٥٠ بتصرف .

(٢) أ / أحمد سلام — نظرات في مناهج الإخوان دراسة نقدية إصلاحية — بدون بيانات ص ١١ .

(٣) * ينظر تاريخ الدولة العثمانية — د/ محمد فريد — ص ٧٥٥، والبيعة في النظام الإسلامي، د/ أحمد صديق ص ١٥٠،

والاتجاهات الفكرية المعاصرة، د/ علي جريشة ص ٤٢ .

أولاً: صلته بجماعة الإخوان المسلمين:-

إن بداية صلة د/البيومي بجماعة الإخوان المسلمين أنه كتب قصيدة في رثاء الأستاذ/ محمد أحمد جاد المولي -رحمته الله- صاحب كتاب (سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل)، وأرسلها إلي مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية فنشرها الأستاذ/ صالح عشاوي ~ فور وصولها، وأرسل إليه خطاباً رقيقاً يقول فيه: إن صفحة الشعر بالمجلة تشكو الفراغ ، وإنه يرحب بشعره في الإسلاميات (١) .

ومن وقتها صار د/ البيومي من كتاب مجلة الإخوان الأسبوعية، وكان في ذلك الوقت طالباً بالقسم الثانوي، وعندما التحق بكلية اللغة العربية في أوائل الأربعينيات في العشرين من عمره كان يقف بقامته السامقة وعوده الفارع الطويل وزيه الأزهري الأنيق في ميدان الحلمية يستمع لحديث الثلاثاء للشيخ/ حسن البنا (٢) ، وقد تأثر بدعوة الإخوان وفكرهم وانطبعت مبادئهم في فكره ووجدانه، وقد أعجب الإمام حسن البنا بشعره، فأفصح له المجال لنشر قصائده علي صفحات مجلة الإخوان المسلمين، وقد تركت دعوة الإخوان بصماتها علي قصائده في تلك المرحلة (٣) .

وأعجب د/البيومي كذلك بفكر الشيخ / حسن البنا فكان يحضر له في ندواته ومحاضراته، إلي أن صدر القرار في ١٢ يناير سنة ١٩٥٤م بحل جماعة الإخوان المسلمين وهذا ما قاله لي د/ البيومي في منزله بالمنصورة (٤) .

وقد تعرض د/ البيومي بسبب صلته بالإخوان لموقف صعب أزعجه وأقلقته لولا أن الله تعالى سخر له من أعمي عنه وجوه الطلب، وهو الأستاذ الدكتور/ عبد الجليل

(١) ينظر من أعلام العصر — مرجع سابق ص٣٧٦ .

(٢) هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا — ولد يوم الأحد ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٤هـ الموافق ٤ / أكتوبر ١٩٠٦ م بمركز الحمودية — محافظة البحيرة ، وتخرج في كلية دار العلوم ، وأسس أكبر جماعة في العصر الحديث وهي جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م وله مؤلفات من أهمها مذكرات الدعوة والداعية ، ومجموعة الرسائل استشهد يوم السبت ٤ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩م. ينظر الأعلام للزركلي ج ٢/ ١٨٣ ، ١٨٤ . وينظر أيضا أوراق من تاريخ الإخوان — جمعه أمين — ط دار التوزيع و النشر بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٤٢، ٢٥٦ .

(٣) ينظر موقع الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين بتاريخ الخميس ١/ سبتمبر / ٢٠١١م .

(٤) كان ذلك أثناء زيارتي إياه بمقره في المنصورة التابعة لمحافظة الدقهلية في ديسمبر ٢٠٠٦م .

عيسي - ﷺ - عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة وقتئذ، فقد قتل محمود فهمي النقراشي - ﷺ - بيد أحد المتسرعين من الإخوان المسلمين، وقامت الدولة باعتقال كل من ينتسب إلي الإخوان بالكليات والمدارس وغيرها، وكان د/البيومي من كتّاب مجلة الإخوان الأسبوعية، فتوقع أن يُقبض عليه، ووكل أمره إلي الله، وكان توقعه الأدبي علي القصائد والمقالات باسم (محمد رجب البيومي) وهو الاسم الذي اشتهر به، أما اسم البطاقة المأخوذ من شهادة الميلاد والمدرج في كشوف كلية اللغة العربية فهو (محمد أحمد البيومي) .

وقد أرسلت الداخلية تسأل الكلية عن وجود محمد رجب البيومي بها، وقرأ الأستاذ / عبد الجليل رسالة الداخلية، فأخذته الرحمة عليه دون أن يكون له به اتصال خاص، ثم استدعاه فوراً، وقال له في لهجة أليمة: يا بني لقد سألت الداخلية عن محمد رجب البيومي، وليس عندنا هذا الاسم، وهو مخرج نتعلل به مؤقتاً، فقد يفيد في انصراف الطلب عنك، وأنا أعلم أنك لست قاتلاً ولا سارقاً ولا زانياً، ولو كنت كذلك لما تسترت عليك، ولكني أعرف أنك شاعر تحب الإسلام وتتطق بفضائله، وهذه رسالة الأزهر التي أومن بها! وسأكتب بأن هذا الاسم غير موجود لدينا، وعليك فوراً أن تذهب إلي قريتك فتتستر بها دون أن يعرف أحد بمقدمك إليها فيعلن وجودك، ولا تحضر إلي الكلية إلا يوم الامتحان بعد شهرين، وقد تكون الأحوال قد هدأت نوعاً ما هذا ما أشير عليك به، والله المستعان .

وبذلك كان موقف الأستاذ مخففاً من ارتعابه، وقد سارع بالذهاب إلي القرية ودخلها في جنح (١) الليل كيلا يراه أحد، وأخبر والديه بما يتهدده، فاتفقا علي أن يقيم بالغرفة العليا في السطح وأن تظل الغرفة موصدة، لا يدخلها أحد غير أمه التي تُعد الطعام والشراب، وأبيه الذي يزوره بعد العشاء حين تسكن الشوارع في الريف بعد الصلاة.

(١) جنح الليل بضم الجيم وكسرهما: طائفة منه . ينظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة ج ن ح — ص ٧٣ .

وقد قامت والدته من تلقاء نفسها بإحراق مجلات دينية كثيرة كانت تخصه، ومن بينها مجلات الإخوان المسلمين، إذ علمت أن فرقاً من التفتيش تقتحم المنازل، وتبحث عن الصحف والمجلات والمنشورات، وتأخذ بأقل الشبهات، وجاء موعد الامتحان فسافر ليلاً حيث لم يره أحد، وأخذ مكانه في قاعة الامتحان خائفاً يتربص . ودعاه الأستاذ/عبد الجليل فقال: ستمر العاصفة، ويكون امتحانك الشفوي بتدبري في أول يوم لترجع إلي القرية علي وجه سريع! ثم يتساءل د/ البيومي قائلاً: أليس هذا الموقف النبيل من مواقف المروءة، والتكافل الإسلامي الحبيب؟ (١) * . وأجيب عليه بلى، فقد أوجب الإسلام الوقوف بجانب المظلوم، وألا نخذله ونتخلي عنه فعن ابن عمر رضي الله عنه { أن رسول الله ﷺ قال: {المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة} (٢) . وأخبر القرآن الكريم أن من الظلم أن يؤاخذ الإنسان بجريرة غيره قال الله تعالى علي لسان يوسف عليه السلام عندما طلب منه إخوته أن يأخذ واحدا منهم بدلاً من أخيهم الذي وُجد المتاع عنده:

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ إِنَّآ إِذَا ظَلَمْنَاهُ ﴾ (٣) .

وأري أن هذا هو خلق الإسلام الذي ابتعد عنه نفرٌ غير قليل بسبب تشبثهم بكراسيهم، فكانوا عيوناً لأمن الدولة في النظام البائد يتقربون إليهم علي حساب زملائهم وأبنائهم .

(١) * ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ٧١ — ٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب المظالم رقم ٤٧ — باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم ٣ — حديث رقم ٢٤٤٢ — مرجع سابق، ج ٧/ ٤٩٣ ، ٤٩٤ . وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٥ — باب تحريم الظلم رقم ١٥ — حديث رقم ٢٥٨٠، مرجع سابق، ج ٨/ ٣٧٧ .

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٧٩ .

ثانياً: صلته بجمعية الشبان المسلمين:

إن مما يُقوي صلة د/ البيومي بجمعية الشبان المسلمين علاقته بالأستاذ/ محمد الخضر حسين — رَحِمَهُ اللهُ — حيث إنه المؤسس الأول لجمعية الشبان المسلمين وقد كان لـ د/ البيومي دور بارز في الندوات والمناظرات التي تُعدها جمعية الشبان المسلمين حيث يُدعي إليها من الجمعية ومثل هذه الندوات لا يحضرها إلا كبار المتحدثين .

ويذكر د/ البيومي أن جمعية الشبان المسلمين بالزقازيق أقامت ندوة عن التعليم العالي للمرأة دعت إليها كبار المتحدثين وكان من بينهم وقد انقسم المتحدثون إلي فريقين فريق يري أن تقتصر المرأة علي التعليم الثانوي إلا لكليات الطب والتمريض والتربية ومعاهد التدبير المنزلي مما يلاءم طبيعة المرأة، وفريق آخر يري أن تتاح الفرصة للمرأة في جميع الكليات حتى في الزراعة والصناعة، وكان د/ البيومي من أنصار هذا الرأي واستطاع أن يناظر الفريق الآخر وأن ينتصر لرأيه ومما ساعده علي ذلك أنه قرأ مقالاً للأستاذ/ محمد فريد وجدي في هذا الموضوع فاستفاد منه كثيراً وكان عوناً له علي انتصار رأيه (١) * .

كما قام بإعداد مسرحية شعرية بعنوان عذاب المستضعفين فأعجب بها المشرف العام علي جماعة التمثيل بجمعية الشبان المسلمين ، وقرأها عليهم واختارها لتكون تمثلية الموسم في عيد الميلاد النبوي وكانت هذه أول مسرحية شعرية تقوم بها الجمعية، وكان د/ البيومي يحضر إلي مقر الجمعية كل يوم ليسمع قراءتها من الممثلين ويقوم بضبط الكلمات، ورعاية مخارج الحروف (٢) * .

من هذا يتبين أن صلة د/ البيومي بجمعية الشبان المسلمين تظهر في مشاركته العلمية بدعوة من القائمين علي أمر هذه الجمعية، ولولا مكانته وتضلعه العلمي ما نال شرف ذلك لأنه لا يُدعي لهذه المشاركات العلمية إلا كبار المتحدثين من العلماء والأدباء .

(١) * ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ٥٦ ، ٥٧ بتصرف .

(٢) * ينظر نفس المرجع ص ٦٢ بتصرف .

المطلب الخامس: آثاره العلمية

"إن د/ البيومي كاتب يعطي صورة واضحة للأديب بالمفهوم الذي يقول:
(الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف)، فهو يكتب في مختلف الموضوعات
الأدبية، والتاريخية، والاجتماعية، والدينية، وتغلب عليه كتابة المقالة الجيدة الرصينة
التي تجمع شتات الموضوع في تركيز وانجاز " (١) .

فهو موسوعة متعددة الجوانب وقد أثري المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات
في شتي المجالات، ويمكن ترتيبها حسب موضوعاتها علي النحو التالي:
أولاً: مؤلفاته في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية وهي:

أ — مؤلف بعنوان (التفسير القرآني) وتعرض فيه للحديث عن تاريخ التفسير
عموماً، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة في جزء واحد، وطبعه مجمع
البحوث الإسلامية هدية لمجلة الأزهر في جزأين مضافا إليه ملحق بعنوان التفسير
القرآني إلي أين؟! .

ب — مؤلف بعنوان (البيان القرآني) وهو دراسة أدبية تعرض فيها لدراسة
النظم القرآني بالتحليل الذي يكشف عن جمال الأسلوب وروعة التصوير. وطبعته
الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة .

ج — مؤلف بعنوان (خطوات التفسير البياني) وتعرض فيه للحديث عن تاريخ
التفسير البياني علي وجه الخصوص، وطبعه مجمع البحوث الإسلامية في جزأين .

د — مؤلف بعنوان (إعادة قراءة القرآن) ويرد فيه علي المستشرق الفرنسي
جاك بيرك حول ما كتبه تحت نفس العنوان (إعادة قراءة القرآن) وطبعته دار الهلال
بالقاهرة .

هـ — مؤلف بعنوان (البيان النبوي) وبه نال درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف
الأولي عام ١٩٦٧م، وطبعته دار الوفاء بالمنصورة .

ثانياً: مؤلفاته في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وهي:

- أ — مؤلف بعنوان (في ظلال السيرة النبوية غزوات الرسول)، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة .
- ب — مؤلف بعنوان (أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين)، أصدرته اللجنة العليا للدفاع عن الإسلام بالأزهر .
- ج — مؤلف بعنوان (من شرفات التاريخ) ويجمع الأحداث التاريخية في إطار القصص حتى كأنها كائن حي يجيش بالحركة وينبض بالدم وطبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة في ثلاثة أجزاء .
- د — مؤلف بعنوان (في قصور الأمويين — مشاهدة تاريخية تصور العصر الأموي بأحداثه وروائعه) وطبعته مطبعة السعادة بالمنصورة .
- هـ — مؤلف بعنوان (من القصص الإسلامي) ويعرض فيه الأحداث التاريخية في معرض الحوار القصصي، وقد طبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة في جزأين .
- و — مؤلف بعنوان (صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي) ويعرض فيه نماذج حية للأبطال وطبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة .

ثالثاً: مؤلفاته في الثقافة الإسلامية وهي:

- أ — مؤلف بعنوان (قضايا إسلامية مناقشات وردود) ويعرض شبه المغرضين حول الإسلام ويدحضها بالحق، وطبعته دار الوفاء بالمنصورة .
- ب — مؤلف بعنوان (من منطلق إسلامي) ويدور حول تصحيح ما انحرف من الآراء، وما اعوج من السلوك مشيدا بذوي الاتجاه الصحيح من أنصار الفضيلة، ودعاة الخير والحق والسلام، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة في جزأين .
- ج — مؤلف بعنوان (في ميزان الإسلام) ويعرض آراء مختلفة ظهرت في المحيط الإسلامي، ليضعها موضعها الصحيح من الصواب والخطأ، كما يعرض مختلف الدراسات الإسلامية الجادة عن رسالة هذا الدين القيم في هداية البشرية ولماذا حاربته المذاهب الملحدة التي انتشرت في هذا القرن ، وغير ذلك، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة في جزأين .

د — مؤلف بعنوان (الصراط المستقيم) ويعرض مفتريات كاذبة فيدحضها بالحق ويكشف الخفاء عما خفي من نواحي الفكر والاجتماع والدين ويجادل بالتي هي أحسن من يحرفون الكلم عن مواضعه، وطبعه مجمع البحوث الإسلامية في جزأين •

م — مؤلف بعنوان (ردود هادئة تقنيد لبعض الأراجيف الذائعة دون تحقيق)، وطبعه مجمع البحوث الإسلامية •

ن — مؤلف بعنوان (المجتهدون في ميدان التشريع) ويعرض أعلام التشريع منذ رسول الله ﷺ إلى الآن وطبعه مجمع البحوث الإسلامية هدية مع مجلة الأزهر في جزأين •

هـ — مؤلف بعنوان (من المثل الإسلامية) (١) ويهدف إلى إيضاح الحقائق الدينية في هدوء عاقل وتبصر مكين، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة •

و — مؤلف بعنوان (مجالس العلم في حرم المسجد) (٢) ويخص المساجد الشهيرة بتاريخ علمي ثم يختار لكل مسجد علما من أساتذته ثم يشير إلى بعض مآثره، وطبعته المؤسسة العربية الحديثة •

ي — مؤلف بعنوان (نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر) ويعرض لموقف الأزهر بين السياسة وحرية الفكر ليرد علي مناوئيه الذين وصفوه بما ليس فيه، وطبعته مطبعة السعادة بالمنصورة •

رابعاً: مؤلفاته في التراجم للأعلام من الأدباء والعلماء والمفكرين وهي:

أ — موسوعة بعنوان (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) ويعالج من خلالها مسألة النهضة الإسلامية متحدثاً عن زعماء الفكر الإسلامي، وأصدرتها دار

(١) هو نفسه كتاب من القيم الإنسانية في الإسلام إلا أن كتاب من القيم طبعه مجمع البحوث هدية مع مجلة الأزهر في جزأين وحذف منه الموضوعات التالية: الصدقة بين الكرامة والامتهان، أثر الدعاء ومتى يستجاب، تغلب علي الإخفاق، لا تخش الموت، اللحظات الأخيرة، الخمرة خطر محقق •

(٢) هو نفسه كتاب مدرسة المسجد إلا أن كتاب مجالس العلم زيدت فيه هذه الموضوعات وهي: بين المسجد والمدرسة الدينية، نظام الملك والمدارس الدينية، جامع القرويين، عبد الله الهبطي الصوفي، مسجد الزيتونة، محمد الخضر حسين، جوامع النجف الأشرف، محمد رضا الشبيبي، الجامع الأزهر، يعقوب بن كلس، درس في تفسير القرآن بالأزهر •

القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت في خمسة أجزاء • وكذلك صدرت عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر •

ب — مؤلف بعنوان (صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي) ويعرض شخصية صلاح الدين، ومواقفه الرائعة لتكون صورة حية للأمة وطبعته دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت •

ج — مؤلف بعنوان (محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسح)، ويعرض لحياة الشيخ متحدثاً عن فكره الموسوعي في شتي اتجاهاته، وطبعته مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة

د — مؤلف بعنوان (محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي) يُصوّر عصره، ويعرض سيرته ويشرح آراءه ويُعرِّف بآثاره، وطبعته دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت •

م — مؤلف بعنوان (من أعلام العصر كيف عرفت هؤلاء) ويعرض أعلام عصره الذين اتصل بهم وتعرف عليهم، وطبعته الدار المصرية اللبنانية •

ن — مؤلف بعنوان (ابن حنبل) ويعرض ترجمة للإمام تمثل حياته وصراعه مع المعتزلة، وصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر •

هـ — مؤلف بعنوان (أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي) وهو دراسة تحليلية لجهود الأستاذ/ الزيات في ميدان البلاغة والنقد، وأصدرته دار الأصالة بالرياض •

خامساً: مؤلفاته الشعرية وتنقسم إلى دواوين، ومسرحيات، فالدواوين هي:

أ — ديوان صدي الأيام ونال به جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٣م وقد طبع مرة ثانية عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م عن مطبعة السعادة بالمنصورة •

ب — ديوان من نبع القرآن وطبع سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م وطبعته مؤسسة دار الأصالة بالرياض • •

ج — ديوان حصاد الدمع وطبع للمرة الثانية عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م وطبعته مؤسسة دار الأصالة بالرياض .

د — ديوان حنين الليالي طبع للمرة الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وطبعته مطبعة السعادة بالمنصورة .

هـ — البواكير وهي ديوان شعر جمعه الباحث علي محمد علي إسماعيل بعد تناثره في المجلات والدوريات العربية المختلفة وغيرها وقد صاغه د/ البيومي في بواكير حياته (١) * .

والمسرحيات هي: —

أ — مسرحية ملك غسان وهي مسرحية شعرية تاريخية نالت جائزة وزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٨م. وقد ربطها د/ البيومي بفكرة إسلامية لتؤكد قيمة من القيم التي دعا إليها الإسلام وهي المساواة وذلك في ضوء حادثة جيلة بن الأيهم الملك الغساني مع الأعرابي وموقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه منه .

ب — مسرحية انتصار، وهي مسرحية شعرية تاريخية إسلامية نالت جائزة شوقي للمسرحية الشعرية التي نظمها المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦١م .

ج — مسرحية فوق الأبوة وهي مسرحية شعرية تاريخية إسلامية فازت بالجائزة الأولى في مسابقة المجمع اللغوي للمسرحية الطويلة سنة ١٩٦٣م .

د — مسرحية بأي ذنب، وهي مسرحية شعرية تاريخية إسلامية تدور أحداثها حول التعصب الجنسي، والفرقة العنصرية، وقد نالت جائزة مجمع اللغة العربية عام ١٩٧٢م .

سادساً: مؤلفاته الأدبية وهي:

أ — الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر ونال به جائزة مجمع اللغة عن الدراسات الأدبية عام ١٩٦٤م ونال به درجة الماجستير عام ١٩٦٥م ، وقد أصدره

(١) * ينظر الإبداع الأدبي رسالة دكتوراه — مرجع سابق ص — ١٠ .

المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض فطبع ونشر وأخرجت طبعته
الأولي عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ب — النقد الأدبي للشعر الجاهلي، وأصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد
ابن سعود بالرياض .

ج — دراسات أدبية في أربعة أجزاء، وأصدرته مطبعة السعادة بمصر .

د — نظرات أدبية في أربعة أجزاء .

هـ — حديث القلم ، وأصدره النادي الأدبي الثقافي بجدة .

و — قطرات المداد، وأصدره النادي الأدبي الثقافي بجدة .

ز — فاتنة الخورنق . قصة أدبية تاريخية صدرت عن دار الأصالة
بالرياض .

ح — طه حسين وقضية الشعر الجاهلي، وأصدرته المؤسسة العربية الحديثة
بالقاهرة .

سابعاً: مؤلفاته لقصص الأطفال:

وله مجموعة قصص للأطفال في أجزاء متوالية ، وأصدرتها دار الأصالة،
ودار القاسم بالرياض ومنها ما يلي :-

أ — المغامر الشجاع .

ب — الهمة العالية .

ج — مؤامرة فاشلة .

د — الفارس الوفي .

ر — إلي الأندلس .

ط — الله معي .

ع — إلي الإسلام .

ف — دجال القرية .

ل — الفتاة المثالية .

م — لست وحدي .

ن — حكمة الله .

و — فتي العرب .

ب — الهمة العالية .

د — الفارس الوفي .

ز — رحلة الخير .

ظ — بطل شيبان .

غ — يوم المجد .

ق — الحبل الأسود .

م — لست وحدي .

هـ — الأصل الطيب .

ثامناً: مقالاته:

وكما قال عنه (١) * د/ أحمد الشرباصي تغلب عليه كتابة المقالة الجيدة الرصينة التي تجمع شتات الموضوع في تركيز وانجاز، وقد كتب في مختلف الموضوعات، وشتي المجالات ونشرت مقالاته عبر الصحف والمجلات المصرية والعربية ومنها ما يلي :-

أ — مجلة الأزهر ويكتب فيها منذ أكثر من ربع قرن ورأس تحريرها إلي أن توفاه الله .

ب — مجلة الرسالة .

ج — مجلة التضامن الإسلامي (الحج سابقاً) .

د — مجلة الوعي الإسلامي .

ذ — مجلة رابطة العالم الإسلامي .

ر — منبر الإسلام .

ز — منار الإسلام .

ص — الهلال .

ض — الأديب .

ط — المنهل .

ظ — صوت الأزهر .

ع — الكتاب .

غ — الثقافة .

ف — الفيصل .

ق — المجلة العربية .

ك — الأعلام العراقية .

(١) * ينظر مجلة الأديب مرجع سابق — أديب من الأزهر — بقلم د/ أحمد الشرباصي — عدد فبراير سنة ١٩٧٣ م ج ٢ /

- ل — الضياء.
- م — لواء الإسلام .
- ن — الأدب الإسلامي .
- هـ — علامات .
- و — البيان الجديد .
- لا — المنار .
- ي — طبيبك الخاص • وغيرها •

وبهذا يُتَبَيَّن مدى التنوع الفكري للأستاذ الدكتور البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ، فهو كاتب موسوعي في الثقافة ، والدعوة، والتفسير، والسيرة، والتاريخ، والأدب، وغيرها من الفنون •



المبحث الثالث البيئة السياسية للدكتور/ البيومي

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحكم الملكي وأثره في نشأة د/ البيومي : — لقد عاش د/ البيومي — رحمته الله — في ظل الحكم الملكي حيث كانت ولادته عام ١٩٢٣م وهو العام التالي لإعلان السلطان فؤاد للنظام الملكي وأنه أول ملك لمصر، فعندما أعلنت بريطانيا في تصريح ٢٨ /فبراير عام ١٩٢٢م إلغاء الحماية البريطانية علي مصر، وأصبحت مصر مستقلة ذات سيادة ووعدت انجلترا بإلغاء الأحكام العرفية بشرط وجود بعض التحفظات، وهي: تأمين المواصلات البريطانية، الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أجنبي، حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات، وأن تستمر أوضاع السودان على ما هي عليه (١) * .

ولم يقبل الشعب المصري هذا التصريح؛ لأنه لم يحقق الاستقلال واعتبره صورة أخرى من صور الاحتلال، ولكن من الممكن أن يقال بأن هذا التصريح " قد منح الشعب فرصة الحصول علي قدر أكبر من تولي شئونه بنفسه، وسعي إلي تحقيق جعل مصر مستقلة ذات سيادة * وكان أول مظهر من هذا الاستقلال في نظر أسرة محمد علي والأقليات التركية، هو تثبيت حقوق الأسرة في أن تحكم، وفي أن تستمر في الحكم ، ومن هنا جاء رفع السلطان فؤاد نفسه إلي مرتبة الملك فؤاد الأول" (٢) * . وبذلك بدأ عصر جديد بأوامر ملكية، وفي ١٩ /إبريل ١٩٢٣م صدر الأمر الملكي بالدستور ومن مواده ما يلي: —

١— أن مصر دولة ذات سيادة، وهي حرة مستقلة، وملكها لا يتجزأ، وحكومتها ملكية وراثية، وشكلها نيابي .

(١)* ينظر ثورة يوليو جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية — د/ محمد طه بدوي، د/ محمود حلمي مصطفى، ط المكتب

المصري الحديث للطباعة والنشر بالإسكندرية الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م ص— ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٢) د/ عبد العزيز سليمان نوار — تاريخ مصر الاجتماعي، ط دار الفكر الغربي بالقاهرة، بدون تاريخ ص— ٣٩١ .

٢ - جميع السلطات مصدرها الأمة .

٣- المساواة بين المصريين جميعاً، فهم لدي القانون سواء، وهم متساوون كذلك في التمتع بالحقوق المدنية، والسياسية، وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة .

٤- كفل حرية الصحافة، وحظر الرقابة علي الصحف، ومنع إنذارها، أو تعطيلها، أو إلغائها بواسطة الإدارة ٠٠ إلى غير ذلك من المواد (١) * .

وبالنظر في مواد هذا الدستور يتبين أنه يرسى قواعد الحق والعدل، إلا أنه قد عابه ما يلي:

١- أنه صدر في عهد الاحتلال ، والملكية المتربصة بحريات الشعب .

٢- أصر الملك فؤاد علي أن يصدر هو الدستور، ونجح في ذلك، وبدا كأن هذا الدستور منحة منه للشعب .

٣- عند تطبيق هذا الدستور تولت الوزارة قوي برجوازية (٢) ، وكان النواب والشيوخ في مجلس البرلمان من نفس هذه البرجوازية التي تضع مصالحها فوق مصالح الملكية الراغبة في الاستبداد بالأمر ، وفوق تطلعات الشعب (٣) * .

مما أدى إلي جعل هذا الدستور قاصراً عن تأدية مهمته الكاملة .

" وكان من المنتظر أن يخفف صدور الدستور من حالة القلق السائدة بين الشعب ويعمل علي استقرار الأوضاع الداخلية في البلاد لاسيما وأنه قد جاء متضمناً عدة مبادئ براءة مثل مبدأ المساواة بين المصريين وكفالة الحريات المتنوعة ومجانية التعليم الأولي وإلزامه شأنه في ذلك شأن كثير من الدساتير ولكن الفارق يبدو واضحاً بين تلك النصوص وبين الروح التي طبق بها فعلاً والأوضاع التي سادت البلاد في ظله فالحريات ظلت مكبوتة والبرلمانات استمرت تنتخب وتحل وفق مشيئة الملك

(١) ينظر معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر — د/ جاد طه — ط دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ — ص٣١٣ — ٣١٦ .

(٢) البرجوازية: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية بين الأشراف والزراع ، وأضحت دعامة النظام النيابي ، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي ، وقابلت بهذا طبقة العمال . يُنظر المعجم الوجيز — مرجع سابق — ص٤٣ .

(٣) * ينظر تاريخ مصر الاجتماعي — مرجع سابق — ص٣٩٣ .

وانقسم رجال السياسة علي أنفسهم شيعاً، وأخذت الأحزاب تستنفذ جهودها في صراع داخلي بين بعضها البعض بدلا من أن تدخر تلك الجهود لمواجهة العدو الذي ظل رابضا في البلاد، ومن خلف هؤلاء جميعاً وقف المندوب السامي البريطاني يضرب الأحزاب بعضها ببعض ويوجه تعليماته جهرا وخفية للملك ورجاله فينفذونها وهم صاغرون . ومنذ ذلك الوقت عرفت مصر لونا من المزايدات التي كان لها أبلغ الضرر بكل ناحية من نواحي الحياة في مصر فقد صرفت المصريين إلي التناحر بعد أن كانوا كلمة واحدة فأضعفت موقفهم إزاء انجلترا وقد جعلت كثيرين من ذوي الإرادة الضعيفة يلتصقون السبيل لمن يعتقدون أن القوة بيده كي ينضموا له ليقولوا بهذا الانضمام وعلي حد قول الدكتور هيكل أشاعت في علاقات الناس من ألوان الفوضى والاضطراب ما كان له أثر فيما يجب علي الابن لأبيه وعلي الأصغر للأكبر من احترام من جانب ورحمة من الجانب الآخر وبلغ من أمر ذلك أنه لم يعد في البلد من يُصغي إلي نصيحة خالصة، أو لرأي صادق " (١) . وكان من هدف الملك فؤاد الذي سعي إلي تحقيقه، إلغاء الدستور، وحل البرلمان، وبالفعل فقد نجح في ذلك حيث تعطل البرلمان أولا لمدة شهر، ثم أصدر قرار بحل مجلس النواب فور انتهاء مدة التعطيل، ثم ألغي الدستور سنة ١٩٣٠م (٢) * . ولكن سرعان ما أعيد الدستور بعد أن وجه الزعماء خطابا للملك فؤاد مطالبين بإعادته (٣) * .

ثم كانت خاتمة الأحداث في عهد الملك فؤاد توقيع اتفاقية بين مصر وبريطانيا، وهي ما عرفت بمعاهدة ١٩٣٦م، وهذه المعاهدة لم تحقق الاستقلال التام، لأنها لم تُغير كثيرا من طبيعة القهر السياسي الذي مارسته بريطانيا علي مصر، فقد استمرت السيادة الحقيقية للإنجليز الذين لم تنقطع مؤامرتهم ضد مصر، والعبث بالحياة الدستورية المصرية " (٤) .

(١) ثورة يوليو — مرجع سابق ص—٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) * ينظر معالم تاريخ مصر الحديث — مرجع سابق ص—٣٨٢ .

(٣) * ينظر ثورة يوليو — مرجع سابق ص—٢٧٠ — ٢٧١ .

(٤) د/ محمد صابر عرب — هجوم علي القصر الملكي — حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م — ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م

بذلك انتهى عهد الملك فؤاد، وكانت هذه خلاصة لأهم الأحداث في عهده، وأما عن أثر حكم الملك فؤاد في نشأة د/ البيومي: فلا شك أن د/ البيومي واحد من أفراد الشعب، وقد عاش في ظل هذا الحكم ما يقرب من ثلاث عشرة سنة وكان من أسرة متوسطة الحال حيث كان والده يعمل تاجرا للقماش، وقد أثر ذلك عليه، حيث كان يري زملاءه من أسر ثرية، وهو في بعض الأحيان لا يجد مالا لشراء بعض الكتب فيستعيرها من زملائه (١) * .

وقد التحق بالمدرسة الإلزامية في هذا العهد، ولم يغب عن ذهنه ما تمر به مصر من ظروف صعبة في هذه الحقبة شأنه في ذلك شأن غيره من الوطنيين المخلصين أضف إلي ذلك أن العالم يتأثر بعصره الذي عاش فيه وتربي علي أرضه "إن مثل العصر في توجيه العالم، أو التأثير فيه كمثّل أثر الهواء والشمس في نمو النبات والحيوان، فإذا كان الحي يتغذي من الهواء الذي يتنفسه، ويستفيد من أشعة الشمس التي يعيش فيها ، فكذلك العالم يأخذ من عصره ويتأثر به ٠٠٠" (٢) .

كما أن الأوضاع التي عاشها د/ البيومي في هذه الفترة كان لها عظيم الأثر في حياته حالا ومستقبلا . " فالأوضاع المحلية والعالمية لها تأثيرها في حياة أي إنسان فبها يتأثر ويؤثر في المحيط الذي حوله، وإذا كان هذا الأمر أمراً بديهياً بالنسبة للإنسان العادي فما بالك بخاصة الناس من الدعاة والمفكرين؟! " (٣) .

حكم الملك فاروق لمصر

ثم خلف الملك فؤاد ابنه الملك فاروق وقد ساءت أحوال البلاد في عهده وتدهورت ،مما كان له أكبر الأثر علي نشأة د/ البيومي ، فقد استاء استياءً شديداً لحال الأمة والأوضاع التي تعيشها في ظل الحكم المستبد والاستعمار المحتل، وكان يهدف

(١) * ينظر من أعلام العصر — مرجع سابق ص ٣٧٧ .

(٢) الإمام / محمد أبو زهرة — ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية — ط دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٧٨م ص ١٠٠ بتصرف .

(٣) د/ فرج محمد الوصيف — بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته — ط — دار نور الإسلام بالمنصورة سنة ١٩٩٦م ص ٨٠ .

إلى الإصلاح ويسعى لهدم الفساد والطغيان حيث كان له دور بارز في محاربة هذا الفساد والطغيان فقد نظم العديد من القصائد التي ينتقد بها الأوضاع الفاسدة .
ومن هذه القصائد قصيدة بعنوان: (الأعداء الثلاثة) وتحدث فيها عن الفقر، والمرض، والجهل وركز حديثه علي الفقر باعتباره أخطر ما يواجه الأمة في الحياة وكانت الغالبية العظمى في ذلك الوقت تعاني منه ،فقد تجرعت مرارة الحرمان وكانت في مستواها المعيشي أقل من البهائم في حين أن هناك فئة قليلة تعيش في رغد من العيش وتمتلك المساحات الواسعة من الأراضي وتسيطر علي الصناعة مما أوجد فجوة واسعة بين الغني والفقير وأدى إلي فقدان العدالة الاجتماعية ومن أبيات هذه القصيدة ما يلي:

فكانت كطعن الرمح قاصمة الظهر	"لك السوء من عصر توالى همومه
وهيهات أن تجلو الدجى صفحة البدر	رماك بليل جلل الأفق بالدجى
ألا أشد ما نلقاه من قسوة الدهر	فوا حسرتا جهل وفقر وعلة
ومن عجب تلقاه بالنظر الشزر(١)	فهذا فقير أنحل الجوع جسمه
فيا من رأي التمثال — إلا هنا يسري؟	سري وهو كالتمثال أصفر شاحباً
سوي شعرات باديات علي الصدر	تعري فما ثوب عليه يصونه
ولو أنه حوت تستر في البحر	فلو أنه نمل للاذ بجحره
تحدد رسمياً لسار إلي القبر	وجاع فلولاً أن للموت موعداً
كأنى به يرجو الخلاص من العمر	يهيم علي الغبراء كالوحش نافراً

— ثم يصور حال أصحاب الأموال الذين ينفقون أموالهم في الملاهي والفساد ويأبون أن ينفقونها في سبيل الله للفقراء والمحتاجين فيقول: —

فنتفق في الملهي علي الرقص والخمر	ومن حوله الأموال تمضي بأهلها
كما يغتدي الهيم العطاش علي النهر	سراعاً إلي الحانات يغدون جهرة
فكيف إذن لا يسأمون من السكر	لقد ضجت الأفواه مما تجرعت

(١) الشزر: نظرة الإعراض أو الغضب، أو الاستهانة يقال: نظر إليه شزراً، ينظر: المعجم الوجيز، مرجع سابق، مادة: الشزر ص ٣٤٢ .

يجودون إحساناً علي كل مومس فإن سئلوا رفدا ففي شدة العسر " (١) •
 "ومن القضايا الهامة التي تناولها البيومي ضمن قضاياها الاجتماعية قضية
 الصحافة الفاسدة التي أصبحت تزين للفاحشة بكل صورها ، فكثرت بها ألوان الإثارة
 والإغراء، وامتألت صفحاتها بكل ما هو رديء ساقط من سئ الفعل وسئ القول،
 وصحب ذلك ألوان شتي من الموبقات والجرائم حولت صفاء الحياة إلي كدرة وضباب
 والأمن المعهود إلي خوف، وهناءة العيش إلي بؤس واغتراب " (٢) •
 فيقول في قصيدة فوضى الصحافة:

كفي الصحافة داءً بعض أهلها	" دعوا الصحافة حيري في مآسيها
حتى حسبناه في شوق ينجيها	كانت تسير مكان النجم عاليه
أهل سقاها بكأس الموت ساقها	ما بالها اليوم تحت الأرض هامة
إلا وزادت عتوا في تماديها	ما إن نقول ستأتي عن غوايتها
الدين ينكرها والعقل ينفىها	ويلي علي صور شوهاء تنشرها
وتدفع النشء للآثام يأتيها	تغري الشباب بما تخشي عواقبه
فيا لها مخزيات لست أحصيها" (٣) •	خلاعة بل مجون ذاك بل سفه

المطلب الثاني

موقف د/ البيومي من قادة ثورة ١٩٥٢م

وقبل أن أعرض موقف د/ البيومي من الثورة وقادتها أود أن أشير إشارة
 سريعة إلي أسباب الثورة، ويمكن القول بأن قيام الثورة يرجع إلي أسباب سياسية،
 واقتصادية، واجتماعية، والحديث عنها كالاتي:

١- الأسباب السياسية: وتتمثل في الاحتلال البريطاني الذي جثم علي صدر
 البلاد سنوات طويلة، واستغلاله للبلاد سياسياً، واقتصادياً، ورغبته في البقاء داخل

(١) مجلة الإخوان المسلمون — السنة الرابعة — العدد ١٠٠ — جمادي الآخرة سنة ١٣٦٥هـ/ابريل ١٩٤٦م، ص ١٩ •

(٢) التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي، مرجع سابق ص ١٤٣ •

(٣) مجلة الإخوان المسلمون السنة الثالثة، العدد ٦٠ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٤هـ/ مايو سنة ١٩٤٥م، ص ١٧ •

البلاد جعلته ينقض مواعيد الجلاء عنها، ويدبر المؤامرات ويقوم الوزارات ويقلها لتحقيق أغراضه الاستعمارية (١)* .

وتتمثل كذلك في الملك الذي كان يحكم البلاد حكما استبداديا سافرا ويعبث بالأوضاع الدستورية السليمة ، وكان ينفذ سياسة الانجليز ويتفق معهم ضد مصلحة البلاد (٢)* .

وقد أدى كل ذلك إلى تحرك أبناء مصر المخلصين لتخليص البلاد من الاحتلال ومساوئه، وإقالة الملك الخائن الغاش للأمة .

٢- الأسباب الاقتصادية: وكانت مصر في هذه الفترة متخلفة اقتصادياً، ومن مظاهر هذا التخلف العجز في ميزانها التجاري بسبب سيطرة الاستعمار والنفوذ الأجنبي بصفة عامة على مقدرات البلاد، مما أدى إلى انتشار الفقر لدى الغالبية العظمى من أفراد الشعب، وسوء الحالة الاجتماعية وانحدار المستوى المعيشي (٣)* .

وقد أدى ذلك إلى التطلع نحو تغيير شامل في نظام الحكم للإصلاح من شئون البلاد المالية والاقتصادية .

٣- الأسباب الاجتماعية: وقد كانت الحالة الاجتماعية تدعو إلى الثورة، ومن أهم مظاهرها فقدان العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب (٤)* .

بذلك يتبين أن البلاد كانت في حاجة ماسة إلى الثورة من أجل القضاء علي الفساد والظلم، والحصول علي الاستقلال .

وأما عن موقف د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — من الثورة وقادتها، فإنه كغيره واحد من أفراد الشعب الذين رحبوا بالثورة، وعدوها سبيلا للخلاص من الاحتلال ومساوئه، ومن الملك الخائن الذي يعبث بالدستور، وسبيلا للنهوض بالبلاد وإقامة الحرية والعدالة الاجتماعية، وكان لذلك مؤيدا لقادتها الذين بدأوا نشطين في أول الأمر ينقضون الفساد

(١)* ينظر معالم تاريخ مصر الحديث — مرجع سابق ص ٣٩٩ — ٤٠٠ بتصرف .

(٢)* ينظر ثورة يوليو مرجع سابق ص ٢٩٦ .

(٣)* ينظر معالم تاريخ مصر — مرجع سابق ص ٤٠٠ .

(٤)* ينظر نفس السابق ونفس الصفحة .

ويبنون مكانه الصالح ويا ليتهم ظلوا علي ذلك، ولكنهم سرعان ما تحولوا وانحرفوا عن هذه المبادئ التي أعلنوها بسبب تمسكهم بالسلطة .

لذا فإن موقف د/ البيومي تغير بعد أن تحولوا من التأييد إلى الاعتراض والمهاجمة لهؤلاء الذين استطابوا الحكم واستبدوا به، واستبعدوا فكرة تسليم السلطة للشعب، وآثروا أنفسهم بقصور الملك، وجواهر القصور، وأداروا ظهورهم إلى الوعود التي أعلنوها عن الديمقراطية والدستور، وإقامة العدالة الاجتماعية، وبدأت الثورة تآكل نفسها بصور تقشع لها الأبدان من خيانات الأصدقاء، والاعتقالات الجائرة، والاعتقالات، بالإضافة إلى إثراء جماعة من قادة الثورة علي حساب الثورة، وضربهم بالمبادئ والقيم عرض الحائط، فطفا علي السطح فئات لم يكن لها شأن من قبل ورفعت الشعارات الزائفة تضلل الشعب (١) *

ولـ د/ البيومي — رحمه الله — قصائد تنقد هذه الأوضاع، وتعبّر في انفعالات ملأى بالحرسة والألم عما أصاب البلاد في هذه الفترة وتهاجم الحكم والحاكم، وسوف أعرضها في حينها إن شاء الله .

المطلب الثالث

الحكم الجمهوري وأثره في نشأة الدكتور / البيومي

وقبل الحديث عن ذلك أري أن أطل إطلالة على الحكم الجمهوري، فبعد أن قامت الثورة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م طُرد الملك في السادس والعشرين من نفس الشهر، وظلت البلاد تُحكم باسم الطفل أحمد بن فاروق حتى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣م، حيث أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإلغاء النظام الملكي، وإعلان النظام الجمهوري بمصر وتولي اللواء محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية فكان أول رئيس للجمهورية المصرية (٢) *

(١) * ينظر التيار الإسلامي — مرجع سابق ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) * ينظر موسوعة التاريخ الإسلامي — مرجع سابق ص ٣٣٠ — ٣٣١ .

ولكن سرعان ما دبر جمال عبد الناصر المكائد لخلعه حتى يخلص له أمر السلطة ونجح في ذلك وخلص له الأمر، فتخلص من أعوان محمد نجيب ثم تخلص من أعوان الديمقراطية بالجيش، وأصبح هؤلاء بين معتقل، وبين أسير مال، أو أسير وظيفة، ثم قضي علي الأحزاب وبخاصة حزب الوفد، ووضع زعماءه خلف القضبان، وألقي القبض علي الشيوعيين ونفاهم بعيداً في الواحات ونكل بهم، كما تعرض بعنف إلي الإخوان المسلمين أصدقاء الأمس، فقتل منهم، وعذب وسجن، واعتقل حتى أسكت أصواتهم تماماً .

ثم اتجه إلي الصحافة الوطنية التي لعبت أعظم دور في خدمة مصر والعروبة والإسلام فأغلقها، وسحب رخصها، وصادر ممتلكاتها وشتت محرريها ، فأصبحوا بين سجين ومحروم من الجنسية، وبين هارب هائم علي وجهه وبين عامل في المطاحن أو في مصانع باتا للأحذية، وأغري بعضهم بالمال فانضم هؤلاء إلي صحف الثورة، وأسكت صوت الجامعات بأن فصل عدداً من خيرة الأساتذة، وفصل وسجن عددا من الطلاب، وهدد الكثيرين من الأساتذة والطلاب بالفصل والتعذيب، وأخفت صوت القضاة والمحامين عندما أرسل زبانيته ف ضربوا رئيس مجلس الدولة وأعضاء المجلس، وعندما سجن وهدد سواهم من رجال العدالة، وطغى صوته واتجاهه علي أصوات أعضاء مجلس قيادة الثورة واتجاههم منذ قطع الصلة بينهم وبين وحداتهم، وشتت أصدقاءهم، وعاب عليهم فاستكان هؤلاء، ولم يعد بقاؤهم إلا ظلاله (١) .

من ذلك يتبين لي أن عهد عبد الناصر كان مليئاً بالظلم والطغيان والإرهاب فقد عاش الشعب في عهده في فزع ورعب، وفتحت السجون والمعتقلات ولاقي الناس فيها أشد ألوان العذاب، ويصور الشيخ الغزالي رحمه الله هذا العهد قائلاً: كان هذا العهد أقسى على المسلمين من قسوة اليهود علي عرب فلسطين (٢) .

(١) ينظر السابق ص ٤٤٧ — ٤٤٨ .

(٢) ينظر الدعوة تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ محمد الغزالي — ط دار النهضة المصرية — بدون تاريخ ص ١١١ .

وقد بذل مال وجهد مصر في الخارج علي حساب تدمير المرافق والحريات، وعلى حساب البطون الجائعة، والاقتصاد الذي انهار وخسائر حرب ١٩٥٦م، ١٩٦٧م كثيرة جداً تفوق التصور، إنها ضياع الأرض بثرواتها، وتوقف القناة عدة سنوات. وقتل عشرات الآلاف من المصريين، وتدمير مدن القناة وتشريد سكانها، وضياع أسلحة وأموال تقدر بآلاف الملايين من الجنيهات، وقبل ذلك ضياع هوية مصر، وكسر شوكتها، ووضعها في مكان الهوان بسبب هذه الهزائم الساحقة، والرجل يقول: إنه مسئول، ولا بد وأن يجي يوم نائله ونلزمه بالمسئولية إن لم تكن مادية فلتكن أدبية ترتبط بسيرته ما بقي التاريخ (١) *

وبالرغم من ذلك يمكن القول بأن للرجل إيجابيات لا يمكن غض الطرف عنها وتُعد من حسناته، ومن أهمها إنشاؤه لإذاعة القرآن الكريم، والسد العالي، وتأميمه لقناة السويس، وغير ذلك من الأمور الإيجابية التي ساهم بها الرجل في حياة المصريين. وبعد أن توفي الرئيس/جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠م خلفه الرئيس/محمد أنور السادات (٢)، والذي كان من أثر سياسته أن "بدأت الجماعات الدينية تمارس نشاطها من جديد، وبدأ الإخوان المسلمون في إصدار جريدتهم، والتي كانت قد صُودرت من قبل، فانتعشت الحركة الإسلامية، وبدأ الشعب يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية فثارت الشكوك والشبهات في نفس السادات نتيجة لتجديد نشاط الإخوان، وظن أن الحركة الإسلامية خطرٌ علي نفسه فحاول تحديدها، فأدلي ببيانات تدعو إلي حصر الدين في دائرة العبادات وعزله عن مجال السياسة ٠٠" (٣) *

(١) * ينظر السابق ص ٣٦، ٤٨٤.

(٢) هو محمد أنور السادات من مواليد محافظة المنوفية — تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٨م، وعمل ضابطاً بالجيش المصري، وهو أحد أعضاء الثورة المميزين، انتخب رئيساً لجمهورية مصر العربية في أكتوبر ١٩٧١م بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر، قاد معركة النصر في أكتوبر ١٩٧٣م — حصل علي جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨م — وهو أول من غير الدستور لصالح الشريعة الإسلامية — اغتيل في ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣م. ينظر موسوعة حكام مصر — ط مطابع الأهرام — بدون تاريخ ص ١٣.

(٣) أبو الحسن الندوي — الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية — ط دار القلم بالكويت — الطبعة الخامسة سنة

وقد صور د/ عبد الحليم عويس الوضع في عهد السادات بقوله: " وضع علي رأس العمل الإسلامي المتصوفة والدجالين وحدهم، كما ظل بمثابة الخط الراعي للتحلل الأخلاقي في عهده، وعُومل الإسلاميون وحدهم بقوانين استثنائية وعسكرية " (١) .

ولكني أري ما رآه فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الغفار عزيز — رَحِمَهُ اللهُ — من أن الرئيس السادات قد خدم بلاده ودينه أكثر من حكام كثيرين حكموا مصر، ويكفيه فخرا أنه أول من غير الدستور لصالح الشريعة الإسلامية، وأول من طلب من الأزهر ومجلس الشعب أن يشكلوا لجانا لتقنينها . ومع ذلك أطلق عليه الإسلاميون النار لأنه انقلب عليهم وأساء إليهم، فنسوا ونسي الناس معهم ما فعله الرجل قبل ذلك لدينهم وبلادهم، وقُتل ظلما وضاع الرجل وضاعت معه انجازات عظيمة، وخدمات جليلة نتيجة تصرف خاطئ . (٢) * .

وبعد اغتيال الرئيس السادات في حادث المنصة في ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ م (٣) * .

" تولى الرئيس مبارك حكم مصر، وبدأ عهده بالعمل على تحقيق الاستقرار الداخلي وتدعيم وترسيخ مبادئ الديمقراطية، وسيادة القانون والسلام الاجتماعي والوحدة الوطنية، وكان الاهتمام الأكبر هو تحقيق التنمية الشاملة والمتواصلة " (٤) .

ولكن ساءت أحوال مصر في عهده ، فمن الناحية الاقتصادية لم يستطيع أن يحقق ما كان يعدُّ به دائما من تحقيق الاستقرار الاقتصادي وحماية محدودي الدخل ، بل ظل الاقتصاد يعاني حتى الآن من مشاكل كبيرة ، وخاصة بعد تبنيه عمليات

(١) د/ عبد الحليم عويس — أوراق ذبلة من حضارتنا — ط دار الوفاء — الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م ص— ٢٠٣ .

(٢) * ينظر من شيخ معمم إلي حاكم مسلم — د/ عبد الغفار عزيز — ط دار الحقيقة للإعلام الدولي — الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م ص— ٥٥ .

(٣) * ينظر عبود الزمر . كيف اغتلتنا السادات؟! — أ / محمود فوزي — ط — دار النشر هاتيه الطبعة الثانية بدون سنة طبع ص— ٣ .

(٤) موسوعة حكام مصر — الهيئة العامة للاستعلامات — الموقع <http://www.sis.gov.eg/Ar/Story.aspx?sid=٢٢٨٩> — تاريخ الدخول ٢٩ / ١٢ / ٢٠١١ م في الساعة التاسعة والثلاث مساءً .

الخصخصة التي أثّرت حولها الكثير من الشكوك والمشاكل من حيث عدم جدواها وإهدارها للمال العام.. وأنها كانت في صالح المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال فقط.. كما أنه لم يستطع تحقيق معدلات معقولة من نسبة البطالة للبلد، وترك عدداً قليلاً من أصحاب رؤوس الأموال يتحكمون في مقدرات البلد، وفي عصره تزايد عدد الفقراء حيث أشار تقرير نُشر في فبراير ٢٠٠٨م أن: (١١ مليون مواطن يعيشون في ٩٦١ منطقة عشوائية)، وتفاقت الأزمة الاقتصادية على إثر بعض السياسات الاقتصادية، ويتحكم ٢% من المصريين في ٤٠% من جملة الدخل القومي، وقد اتخذت الأزمة الاقتصادية في عهده منعطفاً خطيراً بعد عام ١٩٩٨م، إذ زاد معدلات التضخم بصورة ضخمة في هذا العام، وتضاعفت الأسعار بسبب قرار اتخذه رئيس الوزراء وقتها عاطف عبيد بتحرير سعر الدولار. ومن أهم ما يميز الأداء الاقتصادي في عهد الرئيس مبارك ارتفاع الدين الداخلي إلى ٣٠٠ مليار جنيه بخلاف مديونية الهيئات الاقتصادية التي تبلغ ٣٩ مليار جنيه. كما بلغ الدين الخارجي ٢٧ مليار دولار وارتفاع قيمة الفوائد المحلية في الموازنة إلى ٢٢,٩، والفوائد الخارجية إلى ٢,٣ مليار جنيه، كما بلغت الأقساط المحلية ٦,٣ مليار جنيه، والأقساط الخارجية ٢,٥ مليار جنيه، وبلغ عبء الدين العام بنوعيه ٣٤ مليار جنيه، بنسبة ٢٦,٧ في المائة من إجمالي الموازنة العامة للدولة بالتوازي مع وضع مصر في ديسمبر ٢٠٠٦م (١).

بذلك أكون قد عرضت صورة مجملّة عن الحكم الجمهوري من بدايته، وحتى نهاية عهد الرئيس مبارك، ولم يبق إلا أن أشير إلي أثر الحكم الجمهوري في نشأة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في ظل هذه الفترة من الحكم الجمهوري والحقيقة أن د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — تأثر تأثراً بالغاً في ظل هذه الفترة من الحكم، وبالأخص عهد الرئيس جمال عبد الناصر، فقد بلغ من تأثره بما يحدث في عهده من فساد وظلم وطغيان أن انطلق

(١) ينظر من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الموقع / http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%.٨٥% تاريخ الدخول

مهاجما بالنقد، والهجاء اللاذع لعبد الناصر وعهده البغيض من خلال قصائده التي نظمها، ومنها قصيدة بعنوان (فرعون) ومن أبياتها ما يلي :

عاد فرعون ثانيا وأتي هامان	يطغي مصاحباً قارونه
قال إني إلهكم أطعم الناس	فحبابه معشر يخدعونه
ومضي ينهب البلاد ليعطي	غيرها عل من بها يحمدونه
نثر المال جاهلا في ربوع	قاصيات أبنائها يزدرونه
خرب النيل فالطوابير تبغي الخبز	والناس يرتجون المعونة
في حروب تستنزف القوات من قوم	عدهم في الجوع ما يأكلونه
هجروا مصر شردا حين أضحت	لقمة العيش درة مكنونة
نعق البوم في مرابعها السحـم	ودوي الصدي يعيد لحونه" (١) .

ولكني لا أوافق د/ البيومي — رحمه الله — علي تسمية عبد الناصر فرعون، لأنه مهما طغي فلن يكون مثل فرعون المدعي للإلهية، وعبد الناصر لم يقل بأنه إله، وعبد الناصر مسلم ظلوم غشوم، وفرعون طاغية كافر فاجر، فكيف يُوصف هذا بذاك، لكن د/ البيومي معذور فإن صفحات عبد الناصر سوداء " فقد كان الإنسان مهينا تماما في دولته، وقد ابتكر للنيل منه كل صنوف الهوان، كمصادرة الأموال، والجوع، والإذلال، والسجن، وهتك العرض، وكصور تقشعر لها الأبدان من التعذيب انتهت بالكثيرين إلي العاهات المستديمة وإلي الموت" (٢) .

لذا يقول د/ البيومي في قصيدته (مزيفون) :

" أتعرف أن طاغوتا أذل الناس إرهابا

(١) د/ محمد رجب البيومي — ديوان حنين الليالي — ط مطبعة السعادة بالمنصورة — الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م

ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) التيار الإسلامي — مرجع سابق ص ١٥٠ .

نما في حمأة دنست
جهول لم يذق علما
تباعد عن حمي الأخلاق
ولكن جاده حظ
فأصبح سارقا للحكم
وأصبح ذابحا للشعب
وأصبح ناهبا للمال
ويقول د/ البيومي مصورا هزيمة يونيو التي منيت بها مصر في عهده:
" جاء يونيو لها بأكبر زلزال
طحنت نفسه الفجيعة طحنا
وبدت منه سوءة فضحت مصر
أخلتتنا بين البرايا فذو الحس
غير أن الأوغاد من تابعيه
ثم شجوا بالرقص في مجلس الأمة
أطبول رنت وفي كل قلب
قد حبا إسرائيل أكبر مجد
وقد صور د/ البيومي — ﷺ — ما حدث للإخوان المسلمين علي يد عبد
الناصر قائلاً:

لم تخم مصر عن منازل البغي
كان فيها الإخوان أجراً من
ضاق فرعون بالنصيحة كبرا
ومضي ينهب المكيدة غشا
بل استتفرت تدك حصونه
ذاذوا عن الحق معشرا يردونه
أو في مصر معشر ينصحونه؟
وخداعا لأمة مستكينة

(١) ديوان حنين الليالي — مرجع سابق ص ٨٩ —

(٢) السابق ص ٢٢٤ — ٢٢٥ —

زاعما أنهم أرادوه بالكيـد
وأتي بالقضاة ما درسوا القانون
حكموا بالضلال إذ قبضوا الأجر
قتلوا الأبرياء منهم فثار
ملئوا السجون منهم رجالا قد
تركوا في البيوت أيتام جور
وأختم بقصيدة تألم فيها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — لمقتل أحد زعماء الإخوان،
وأسماءها (شبيهه سقراط) (٢) ،ومن أبياتها ما يلي:

"شرب الكأس باسم يتصبر أي نفع يجديه لو يتضجر
دبروا حنقه فراح شهيدا يا لمأساته التي تتكرر

(١) نفس السابق ص ٢٢٦ .

(٢) ويقصد به الأستاذ / سيد قطب المولود — رَحِمَهُ اللهُ — في قرية موشا من محافظة أسيوط سنة ١٩٠٦م ، وقد نشأ في أسرة كريمة ، ولما أتم السادسة من عمره دخل المدرسة وفي نهاية السنة الرابعة كان يجيد حفظ القرآن الكريم ، وأتم الدراسة في مدرسة القرية ، وتخرج في دار العلوم عام ١٩٣٣م حاملا شهادة الليسانس في الآداب ودبلوم التربية ، شغل عددا من المناصب ، وألف كتبه الأدبية ونشر بعض دواوينه وفي عام ١٩٤٧م اختير في بعثة دراسية إلى أمريكا فحصل علي الماجستير وانضم إلي جماعة الإخوان المسلمين بعد عودته من الدراسة في أمريكا ، وفي عام ١٩٥٠م بدأ في تأليف كتابه (في ظلال القرآن) ، وفي عام ١٩٥٢م تولى رئاسة تحرير مجلة الإخوان المسلمين ، ومن أهم مؤلفاته : في ظلال القرآن ، والسلام العالمي والإسلام ، والتصوير الفني في القرآن . . . وغيرها . ينظر سيد قطب حياته وأدبه — أ عبد الباقي محمد حسين — ط دار الوفاء بالمنصورة — الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م ص ٦ وما بعدها . ، وينظر شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث — أ أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسني أدهم جرار — ط مؤسسة الرسالـة الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م ج ٤/٢٦ — ٢٨ وينظر كذلك سيد قطب من القرية إلي المشنقة — أ عادل حمودة — ط مكتبة سينا للنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ص ٢٧ وما بعدها . وينظر سيد قطب ناقدا — د/ أحمد محمد البدوي — ط الدار الثقافية للنشر — الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م ص ٦ وما بعدها .

أي ذنب جناه غير ضمير يرفض الضيم للقطيع المسخر
 جمل النور للعيون وكانت في دجاها علي السنا تتحسر
 حمل النور لا زعامة يرجوها ولا سحر منصب ينتظر
 والثعابين حوله في احتياج تحذر الضوء أن يعم فتدحر
 شاء أن يوقظ القطيع فيصحو لذئاب من حوله تنتمر
 صيحة جلجت فأدمت من الطاغوت قلبا بغيظه يتفجر
 فاستحث الإعصار من كل صوب عاصفا قاصفا يهيج ويزأر
 ودعا بالمزورين شهودا يقرءون البهتان لوحا يسطر
 كل وغد يقول ما ليس يدرى فهو للراكبين غير مسير " (١) •

من ذلك يتبين أن عهد عبد الناصر كان مليئا بالظلم والطغيان الأمر الذي ألهب قرائح الكتاب والمفكرين والشعراء، فراحوا يستنكرون للظلم والفساد، ومن بينهم د/ البيومي — رحمه الله — " فقد عبر في هذه القصائد عن مشاعره وإحساساته إبان تلك الفترة من تاريخ مصر إلا أنها لم تنشر في حينها، ولم توقع بإمضائه، وهذا دليل علي مدي الإرهاب الفكري والرقابة المتشددة " (٢) •

المطلب الرابع

موقف د/البيومي من الأحداث الجارية

إن حب د/البيومي لأمته وتأثره البالغ لما وصلت إليه من ذلة وهوان، جعله يصرخ صرخات مدوية معبراً فيها عن موقفه بكل جرأة، وصدق من الأحداث التي وقعت في الوطن الإسلامي والعربي، ومن هذه الأحداث التي وقعت وما زالت موضوع الساعة احتلال الصهيونية العالمية لفلسطين •

(١) التيار الإسلامي — مرجع سابق ص ١٥٨

(٢) السابق ص ١٥٩ •

"وفلسطين جزء من الأرض التي بارك الله فيها للعالمين (الشام) وقد فرض الله علي الأمة دخولها، وسكنهاها، وإقامة حكم الله عليها بعد تطهيرها من الفسقة والمجرمين الذين غلبوا عليها •

وعلي أرض فلسطين أقام آدم ﷺ المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله في بيت المقدس بعد بناء البيت الحرام بمكة بأربعين عاماً •

وعلي أرض فلسطين عاش رسل وأنبياء وخلفاء وأئمة مسلمون منهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسي، وداود، وسليمان يحملون رسالة الإسلام إلي أهل الأرض •

وعلي أرض فلسطين قامت خلافة إسلامية علي منهج الله في عهد سيدنا داود ﷺ وسيدنا سليمان ﷺ عاصمتها بيت المقدس •

وهذه الأرض المباركة قد تعرضت للغصب في بداية القرن الرابع عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي، وعليها أقيمت قاعدة يهودية عدوانية تحكم في أرض الإسلام وأبناء الإسلام بغير شرع الإسلام، وتُنزل بأهله وجيرانه أبشع أنواع الإبادة، والانتقام تحت سمع وبصر المجتمع الدولي بمنظوماته التي اتخذت مطية لتحقيق ذلك العدوان على مقدسات العالم الإسلامي " (١) •

" ولقد كانت لأحداث فلسطين أصداء بعيدة المدي في الأدب العربي المعاصر نثره وشعره، فقد أدمت قلوب الشعراء، وفجرت قرائحهم ، فنظمت القصائد الباكية، وقصائد المقاومة، وشعر العودة، وقد تجندت لها معظم الأقلام العربية في المرحلة الأخيرة في أنحاء العالم الإسلامي، وقد استطاع الشعراء أن يحتلوا مكانة جديرة في الشعر العربي الحديث وينبهوا الضمائر إلي ضرورة الدفاع عن الحق السليب ، واسترجاع الجزء المسلوب من بلاد الإسلام والمسلمين " (٢) •

(١) د/ جمال عبد الهادي — أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ — الطريق إلي بيت المقدس — القضية الفلسطينية — ط دار الوفاء

بالمقصورة — الطبعة الثالثة سنة ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م ج ٢/٤ •

(٢) التيار الإسلامي — مرجع سابق صـ ١٦٠ •

وقد شارك د/ البيومي — ﷺ — البلد المحتل في آلامه وأحزانه، فأنشد العديد من القصائد، وبيّن فيها أن الجرح الذي أصاب فلسطين أصاب قلب كل مسلم وعربي، وهو بذلك يستحضر حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: { مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى } (١) •

ومن بين هذه القصائد قصيدة (فلسطين الباكية) ومن أبياتها ما يلي:

يا جارة الحي ما يبكيك يبكيها	" ما زلت والهة ثكلي تتوحينا
مثل التي أصبحت تغلو نواحينها	علت نواحيك آهات مروعة
لقد تعلمت من أطيّار واديها	وناح طيرك مرتاعا فقلت له
فقلت هذي دموع من مآقينا	ولاح لي غيتك الهطال منسكبا
كساعة الملتقي عند المحبين	وطاف بي في الكري حلم سعدت به
أستغفر الله بل كانت ملاينا	حشد يموج بآلاف مؤلفة
تصيح قائلة نفدي فلسطينا " (٢) •	رعد يدوي وأصوات مجلجلة

ثم أرسل د/ البيومي صيحة لاستنهاض الهمم، وإثارة النخوة الإسلامية مطالبا بالصمود والتصدي من أجل تحرير الأرض فيقول في نفس هذه القصيدة :

لا بد من وثبة للحق ظافرة	نروي بها كل صاد من مواضينا
هيهات نغفل عن ضيم يحيق بنا	بل سوف نحصد حصدا من يعاديننا
إن تحسب أني ذو مبالغفة	سل الرماح العوالي عن معالينا

وفي قصيدة (فلسطين الشهيدة) تذكر صلاح الدين قائلاً:

" ذكرت صلاح الدين فاشتقت أن يُري	له في فلسطين الغداة مثيل
فتي شنها حربا عوانا مبيدة	فردت فريق البغي وهو ذليل

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٥ — باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم رقم ١٧ — حديث رقم ٢٥٨٦

— مرجع سابق ج٨/٣٨٤ •

(٢) مجلة الإخوان المسلمون — العدد ٦٧ — السنة الثالثة ذو القعدة سنة ١٣٦٤هـ — نوفمبر ١٩٤٥م — ص ١٥ •

هزبر (١) إذا يسطو عليهم قائمًا
 يصل جسر القلب في حومة الوغي
 تميل المنايا الزرق حيث يميل
 فيقضي علي الآجال حين يصل
 له من شباب الشرق جنـد مبرز
 يزكيه في الهيجا قنا وخيول
 جحافل أما عدها فمحير
 عسير وأما شكلها فيهل " (٢) •
 ثم كشف عن حقيقة اليهود وطبائعهم وأخلاقهم قائلاً:

" عهدي بهم في طباق الأرض قاطبة
 يغضون في ذلة حتى لتحسبهم
 شرادما تستلذ الضيم والهوانا
 بين البرية أيتاما مساكين
 ضفادع كم لبثنا نستهن بهـا
 وبعد حين رأيناها ثعابينـا
 تدنو فتلسع من تأتي بجانبه
 أوامنها فما تفك تؤذينا
 لا تغتر حين تلقاها مسالمة
 فإنها هادنت أعداءها حينـا
 ما للذئاب وقد كانت مشـردة
 تصل دون اكتراث في رواينا " (٣) •
 وأخيراً يناشد د/ البيومي — ﷺ — أبناء الوطن الإسلامي والعربي بأن يهبوا لنجدة
 هذا البلد الشقيق ، وحمل راية الجهاد للدفاع عنه فيقول:

" بني قومنا هذا هو الليل لم تزل
 له في ربا القطر الشقيق سدول
 لعمرى لقد عاقت قريضي (٤) لوعة
 تؤجج أحزاني فكيف أقول؟
 فهبوا سراعا وانفضوا النوم عنكمو
 فربي بالنصر المبين كفيل " (٥) •
 من ذلك يتبين موقف د/ البيومي — ﷺ — من القضية الفلسطينية، وأنه يتألم
 أشد الألم لما وصلت إليه حال هذا البلد الإسلامي الشقيق ويهيب بالمسلمين في كل
 مكان من دول العالم الإسلامي والعربي أن يهبوا للدفاع عن فلسطين، وعن المسجد
 الأقصى ثالث الحرمين ومسرى النبي ﷺ وقبله المسلمين الأولي •

(١) الهزبر: الأسد • ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق صـ ١٦٦ •

(٢) التيار الإسلامي — مرجع سابق صـ ١٦٦ •

(٣) السابق صـ ١٦٢ •

(٤) القريض : الشعر • ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق صـ ٤٩٨ •

(٥) نفس السابق صـ ١٦٦ •

كذلك من الأحداث الجارية تداعي الأمم الكافرة علي أمة الإسلام، واجتماعهم علي استئصال شأفة المسلمين، وهذا ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ إذ يقول: {يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعِيَ الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْكُمْ غَتَاءٌ كَغَتَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عِدْوِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ} (١) .

فالأمة الآن تشهد تأمرات عليها من الأعداء علي اختلاف مللهم، فقد اجتمعوا رغم ما بينهم من خلاف لضرب الإسلام وأهله ضربة رجل واحد، ولن تنتصر الأمة إلا بالرجوع إلي كتاب الله تعالي وسنة نبيه ﷺ والاتحاد الذي يجعلهم علي قلب رجل واحد، فالمسلمون اليوم غير قادرين علي أن يجمعوا صفوفهم، ويوحدوا كلمتهم، "فهم وحدهم الجبهة المفككة روحياً ومادياً، الحافلة بالمتناقضات، المتعثرة الخطي" (٢) .

وأما موقف د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — من ذلك فقد وقف موقفاً يُحمد عليه حيث "شد عواطف الأمة الإسلامية بالحديث عن ماضيها وأمجادها، فبالأمس كان للمسلمين هدف واحد هو إعلاء كلمة الله، ونشر دعوة التوحيد، لذا فقد أخلص المسلمون الأوائل دينهم لله ووهبوا حياتهم لنصرته، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكانوا في تاريخ الإسلام سطوراً مضيئة، وفي ليل محنته نجوماً أضاءت طريق الأمة وأنقذتها من التيه والضياع" (٣) .

يقول د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — :

"طف بالمدينة سائلاً عن مجدها
نسيت أبا بكر وقد ذكرت لـه
وأسأل دمشق عن ابن مروان وكم
فهي التي تأتيك بالأنباء
عهدا سمت فيه إلى الجوزاء
شهدت له من عزمه ومضاء

(١) أخرجه أبو داود وتفرد به عن الكتب الستة — كتاب الملاحم رقم ٣٢ — باب في تداعي الأمم علي الإسلام رقم ٥ —

حديث رقم ٤٢٩٧ وصححه المحققون لسنن أبي داود — مرجع سابق ج ٤/ ١٨٣٨ .

(٢) الشيخ/ محمد الغزالي — الإسلام في وجه الزحف الأحمر — ط المختار الإسلامي — الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م ص ٢٠٣ .

(٣) التيار الإسلامي — مرجع سابق ص ١٧٢ — ١٧٣ .

أيام كان الكون يرجف هيبـة
وأصح إلي بغداد وانظر ما حوي
أين الرشيد وأين ولي عهدـه
يا مصر قد طال انغماسك في الكري
ولي صلاح الدين عنك وكم لـه
يا هل ذكرت لـه مواقف فذـة
إما أشار إليه بالإيماء
تاريخها من عزة قعساء (١)
هل ضاع بين صبيحة ومساء ؟
حتى كأنك لست في الأحياء
همم أقضت مضجع الأعداء
صعدت به قدما إلي العلياء " (٢) •

من ذلك يتبين أن د/ البيومي يري أنه لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها لذا فإنه يسترجع بالأمة إلي الوراء؛ ليذكرها بأمجاد سلفها الصالح وكيف استطاعوا أن يقهروا عدوهم، وأن تكون لهم السيادة عليهم، إنهم ما حققوا ذلك إلا بإخلاصهم وعبوديتهم لله تعالى ووحدتهم وأخوتهم الإيمانية •

أسأل الله أن يجمع شمل المسلمين، وأن يردهم إلي دينه رداً جميلاً •

• اللهم آمين

(١) القعساء — يقال عزة قعساء : ممتعة ثابتة • ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق مادة القعساء صـ ٥١٠ •

(٢) مجلة الإخوان المسلمون — العدد ٦٠ السنة الثالثة ١٣٦٤هـ — ١٩٤٥م — صـ ١٣ •

المطلب الخامس : وفاة الراحل د/ البيومي رحمته الله .

لقد رحل د/ البيومي رحمته الله عن هذه الحياة في يوم السبت الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٢هـ الموافق الخامس من شهر فبراير سنة ٢٠١١م رحل العالم الجليل والمفكر الإسلامي الموسوعي الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عن دنيانا، وشيعت جنازته عصرًا في مسقط رأسه بقرية الكفر الجديد مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية عن عمر ناهز تسعين عاما هجرية الموافق ثمان وثمانين سنة ميلادية ، بعد أن قضى سبعين عاما من العطاء الأدبي والفكري (١)* ، وكان مجاهدا مدافعا عن الإسلام ضد أباطيل الخصوم من العلمانيين ، ودهاة المستشرقين .

فأسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحمه رحمة واسعة وأن يسكنه فسيح جناته وأن يجعل ما قدمه للإسلام والمسلمين في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما أسأله تعالى أن يكرمه في الآخرة فطالما تأخر عنه التكريم في الدنيا .

اللهم آمين .

(١)* ينظر مجلة الأزهر — عدد ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ — مارس ٢٠١١م — الجزء ٤ — السنة ٨٤ — مقال بعنوان : (الدكتور محمد رجب

البيومي سبعون عاما من العطاء الفكري والأدبي) للأستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج بيومي — ص ٥٨٤ .

الفصل الثاني

جهود د/ البيومي في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن أمرين وهما :

الأول: جهوده في خدمة الدراسات القرآنية ، ويدور الحديث من خلاله عن مدخل يبين أهمية الدراسات القرآنية للداعية ، ثم جهود د/ البيومي رحمته الله في الحديث عن تاريخ التفسير عموماً، والتفسير البياني علي وجه الخصوص ، ثم جهوده في قضايا تتعلق بالتفسير البياني وعلوم القرآن ، ثم جهوده في إبراز التفسير المقارن لبعض الآيات ، ثم جهوده في الرد علي المستشرقين في قضايا قرآنية، ثم جهوده في إبراز مناهج بعض المفسرين المعاصرين .

والثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية ، ويدور الحديث من خلاله عن جهود د/ البيومي رحمته الله في الرد علي المستشرقين حول الطعن في ثبوت السنة النبوية ، ثم جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي ، وجهوده في إبراز سمات الأسلوب النبوي، ثم جهوده في إبراز نماذج من التفسير النبوي للقرآن الكريم ، وجهوده في عقد موازنة بين الأسلوب القرآني، والأسلوب النبوي ، ثم جهوده في عرض ما كتبه بعض القدماء، والمعاصرين عن البيان النبوي .

وقد اشتمل هذا الفصل علي مبحثين وهما :

المبحث الأول :جهوده في خدمة الدراسات القرآنية .

المبحث الثاني :جهوده في خدمة السنة النبوية .



المبحث الأول: جهوده في خدمة الدراسات القرآنية:

ولأهمية الدراسات القرآنية للدعاة يمكن القول: بأن إن الداعية بحاجة ماسة إلى دراسة هذا الفن من العلوم بفروعه المختلفة من تاريخ التفسير، ومناهج المفسرين، والتفسير المقارن، وعلوم القرآن حتى يتسنى له فهم القرآن الكريم، والإمام بأحكامه ومعانيه، فإذا ما تم له ذلك استطاع أن يتحدث في أي موضوع من الموضوعات، وأن يزيل الإشكال حول ما ظاهره التعارض من الآيات، وأن يناقش ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من أساء فحمل النصوص ما لا تحتمل ولوي عنقها لتأييد فكرته ومذهبه، وبذلك تثمر دعوته الثمرة المرجوة، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

وبدون معرفة هذا العلم العظيم (علم التفسير) لا يستطيع الداعية هداية الناس للعمل بما في القرآن الكريم، ولا يمكنه استخراج كنوزه، فالعمل بتعاليم القرآن لا يكون إلا بعد فهمه وتدبره والوقوف على ما حوي من نصح ورشد، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق علم التفسير، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس، وإعزاز العالم (١) * .

وقد خاطب الله سيد الدعاة والمرسلين بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٤٤) ﴿٢﴾، ولا يتأتى البيان إلا بالتفسير، ومن فوائد التفسير التذكر والاعتبار، ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق؛ ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة (٣) * .

وسوف يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

(١) * ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن — للشيخ الزرقاني — ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م ج ٢/ ١٠ بتصرف .

(٢) سورة النحل من الآية رقم ٤٤ .

(٣) * ينظر رسالة ماجستير بعنوان جهود الإمام السهيلي في التفسير وعلوم القرآن للباحث أحمد السنكري — كلية أصول الدين

والدعوة بطنطا سنة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م ص ٧ .

المطلب الأول: جهوده في الحديث عن تاريخ التفسير عموماً، والتفسير البياني علي وجه الخصوص . أولاً: الحديث عن تاريخ التفسير عموماً:

ويظهر ذلك من خلال مؤلفه (التفسير القرآني) (١)، ويبدأ الكتاب بمقدمة للمؤلف تحدث فيها عن هدفه من وضعه للكتاب قائلاً: "وكان أكبر ما هدفت إليه أن أجلو الحقائق الناصعة، ليكون في وضوحها الساطع ردّ علي من وقعوا في الأخطاء عن قصد أو غير قصد دون تعرض للأسماء، لأن اختلاق المعارك العلمية، أو العمل علي اتساعها علي النحو الصائب لا يؤتي الثمرة المرجوة، بل ربما أتي برد عكسي إذ نلقت بعض الأنظار إلي كتب تحمل من الردئ أكثر مما تحمل من الجيد، وفي القراء من يميز الطيب من الخبيث فلا خوف عليه، ولكن فيهم أيضاً من لا يميز بين نهج سوي، ونهج منحرف، وللباطل إغراء يظهر فيما يدعيه من الجدة والطرافة وقد تحوطه زركشة خادعة تُقربه ممن لا يتعمقون النظر، لذلك كان البعد عن الأسماء أهدي طريقاً، كما أن اصطناع الهدوء في عرض الحقائق بعيداً عن جو الحجاج الممتلئ بالشد والجذب، يجعل القارئ مستريحاً يجني الثمرة في تودة لا تعرف التوتر، ولا تحدث من القلق ما يجعله بين مصدق ومكذب " (٢) .

يتبين لي من ذلك: أن مقصد د/ البيومي في هذا الكتاب هو تبسيط الاتجاهات المختلفة لأساطين من المفسرين بسطاً يوضح ما نهجوه من الطرق العلمية وما اعتقدوه من الآراء المذهبية مبيناً ما استقام منها علي الطريق وما انحرف عن الجادة موضحاً ذلك بالأدلة والبراهين كما أن هدفه تجلية الحقائق في أسلوب هادئ بعيد عن التشهير بالأسماء أو الدخول في معارك علمية لا تؤتي ثمارها المرجوة. وأما عن محتويات الكتاب، فقد احتوي علي طائفة من الموضوعات الجادة التي تناولت تاريخ التفسير منذ العهد النبوي وحتى العصر الحديث .

(١) والكتاب طبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ويقع في ٢٠٧ صفحة من القطع المتوسط .

(٢) د/ البيومي التفسير القرآني، ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة، بدون تاريخ ص ٣، ٤ .

وهذه الموضوعات كالاتي :-

- أي مفسر نريد
- التفسير النبوي
- تفسير الصحابي
- التفسير المأثور
- بين اتجاهي النقل والعقل
- تفسير الطبري في اتجاهين
- التفسير الفقهي
- التفسير النحوي
- التفسير البياني
- التفسير الموضوعي
- التفسير التوجيهي
- التفسير العلمي
- التفسير السياسي والكلامي
- التفسير الصوفي
- التفسير الأدبي
- القصص في التفسير
- التفسير المتعسف
- التفسير الميسر
- التفسير الإذاعي
- من التفسير الحديث

جولة في ربوع الكتاب:

والكتاب كما يظهر من استعراض موضوعاته كبير الحجم، يصعب استقصاء كل ما كتبه مؤلفه من أفكار ومعلومات بيد أني سأنتقي من هذه الموضوعات خمسة موضوعات فقط خشية الإطالة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي هذا المؤلف العظيم (التفسير القرآني) للعلامة الأستاذ الدكتور البيومي رحمته الله ، وسوف أخص بمشيئة الله تعالى هذه الموضوعات موضحاً ما قام به د/ البيومي رحمته الله من جهود رائعة في هذا الكتاب العظيم

وهذه الموضوعات هي :

- أ- أي مفسر نريد
- ب - التفسير النبوي
- ج - تفسير الصحابي
- د- التفسير الإذاعي
- هـ- من التفسير الحديث

أولاً : أي مفسر نريد : —

ففي أول فصول الكتاب تحدث د/ البيومي رحمته الله عن المفسر لكتاب الله، وشروطه، وأهم آفات البحث المعاصر في تفسير كتاب الله، وذلك تحت عنوان (أي مفسر نريد)، وقد قام بتقسيم المفسر لكتاب الله إلى قسمين وهما:

أ — المفسر الناقل • ب — المفسر الباحث •

ثم شرع في تعريفهما، فبدأ بتعريف المفسر الناقل مبيناً ما يجب عليه فقال: بأنه الذي يطالع ما كتبه المفسرون، ثم يقوم بعرضه للامة في خطبة أو درس أو مقال، وعليه أن يتجنب مواضع الخلاف، وأن يكون واضح العبارة، خالصاً إلى الهدف المراد، وأن يتجه إلى الآيات الأخلاقية، ودروس الهداية النفسية، والتوجيه السلوكي فإن ذلك أهدي وأقوم (١)* •

ثم عرف المفسر الباحث، مبيناً ما يجب عليه كذلك فقال: بأنه "الذي يكتب للقارئ المتقف، ويغوص في كتب التراث محققاً دارساً، فلا بد أن يكون ذا مكانة علمية، وإدارك نير، وصبر محتمل، ليؤدي رسالته علي الوجه الصحيح" (٢) •

يتبين من ذلك أن الداعية إذا ما طالع كتب التفسير؛ ليأخذ منها ما يعرضه على العامة في خطبة أو درس أو مقال، فعليه أن يأخذ من المعاني ما يصل به إلى الهدف المراد من أقرب طريق، وأن يبتعد عن الغامض ومواضع الخلاف، وأن يتخير من التفسير ما فيه توجيه السلوك، وهداية النفس وتقويم الأخلاق، حتى يُثمر الثمرة المرجوة بإذن الله •

وإذا ما أراد أن يبحث في كتب التراث محققاً دارساً، فلا بد أن يتأهل علمياً، وأخلاقياً قبل أن يشرع في ذلك؛ لأن الخطأ في ذلك قول علي الله بغير علم، وكذب وافتراء عليه ؛ لذا فقد تورّع كثير من العلماء القدامى عن التفسير، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه كان إذا سئل عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع في حين أنه يُسئل عن

(١)* ينظر السابق ص ٧ •

(٢) نفس السابق ونفس الصفحة •

الحلال والحرام فيجيب، وقد قال صراحة: إنا لا نقول في القرآن شيئاً (١)* وقد وافقه كثير من كبار العلماء، ولكن يُحمل هذا التخرج في التفسير علي القول بغير علم، فمن قال في كتاب الله بغير علم حتى وإن أصاب فقد أخطأ؛ لقوله في كتاب الله بغير علم فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ} (٢). وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: {أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم} (٣) .

ثم تحدث عن شروط المفسر، ومن أهمها ما يلي:

أ — الإخلاص الذي يعصم صاحبه من الوقوع في الزلل، لأنه يجعله يقدر مزلة الخطأ في تفسير كتاب الله، إذ أن من أخطأ في التفسير فقد نسب إلي الله غير ما قال (٤)* .
ب — " أن يكون علي بصيرة باللغة العربية نحواً وتركيباً وبلاغة واشتقاقاً، لأن الوقوف علي أسرار البيان العربي ذريعة إلي فهم كتاب الله " (٥)* .

بذلك يتبين: ما قام به د/ البيومي رحمته الله من جهد عظيم، فقد وضع الشروط التي باتباعها يسلم المفسر من الوقوع في الخطأ ولعل الذي دفعه إلي تسطير هذه الشروط هو تجرؤ من اشتغلوا بالتفسير في هذا العصر، وهم ليسوا من أهله وقد تحدث عنهم قائلاً: " ولكننا الآن في عصر المطبعة نفاجاً بمن يكتب في تفسير كتاب الله، وليس من رجال العلم، بل إننا نفاجاً بمن يفسر كتاب الله، وله تخصصه البعيد عن هذا

(١)* ينظر تفسير ابن كثير — مرجع سابق ج ١ / ٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن — باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه — حديث رقم ٢٩٦١ — مرجع سابق ج ٤ / ٤٤٠ وقال أبو عيسى الترمذي هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي وضعفه صدقي محمد جميل العطار محقق سنن الترمذي، وأخرجه كذلك أبو داود في السنن كتاب العلم رقم ١٩ — باب الكلام في كتاب الله بغير علم رقم ٥، حديث رقم ٣٦٥٢، مرجع سابق ج ٣ / ١٥٨٠ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود وضعفه د/ السيد محمد سيد محقق سنن أبي داود و معه د/ عبد القادر عبد الخير و أ / سيد إبراهيم .

(٣) الإمام ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — ط مكتبة مصر — الفجالة بالقاهرة بدون تاريخ ج ١ / ٥ .

(٤) ينظر التفسير القرآني — ص ٨—٩ .

(٥) السابق ص ١١ .

المجال، ولكنه يكتب عن غير دراية، ويُعد نفسه من أرباب الاختصاص، لأنه مسلم فلا بد أن يشرح كتاب الإسلام " (١) .

ثم تحدث عن أهم آفات البحث المعاصر في تفسير كتاب الله، وهي:

- أ — الولوع بالمخالفة، فمن الباحثين من يجعل هدفه من التفسير أن يُخطئ السابقين وأن يوحى للقارئ أن ما اهتدي إليه من الجديد هو الرأي الصحيح .
- ب — اتخاذ آيات القرآن الكريم وسيلة لتأييد مذهب مستحدث في الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع فيجعل هذه الآيات محكومة لا حاكمة .
- ج — تصيد المرجوح من كتب التفسير القديمة؛ لتأييده وترجيحه في حين أن معه آراء صحيحة سُطرت بجانبه (٢) * .

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله الآتي:

- أ — أن الداعية إلى الله إذا ما هداه الله إلى الجديد المبتكر، فعليه أن يتحلى بالتواضع، فإن التواضع في السلوك العملي خلق يدعو إليه الإسلام وهو في البحث العلمي ألزم منه في غيره، لأن الداعية في بحثه يتصعد في جبل وعر، وقد سبقه أناس كابدوا أهوال الصعود، فعليه أن يعرف مقام سواه، وأن يري أن كلامه صواب يحتمل الخطأ، وأن ما يراه من خطأ غيره يحتمل الصواب .

- ومحاولة التطاول على العلماء السابقين بمثابة من يتطاول علي من مهد له الطريق، وأزال له الأشواك، وفتت له الصخور ليسير بسلام وأمان .
- ب — أن على الداعية أن يتجنب الشطط في تأويل الآيات فلا يُحمّلها ما لا تحتمل لتأييد فكرته .

- ج — أن على الداعية أن يتجنب الأقوال المستترة في التفسير القديمة، ويأخذ الصحيح من الأقوال ففيه الغنية عن هذه التي قيلت وتركزت لبعدها عن الصواب .

(١) المرجع السابق ص ٧، ٨ .

(٢) * ينظر نفس السابق ص ٩ — ١١ بتصرف .

ثانيا: التفسير النبوي:— و تحدث عنه ، وعن خصائصه، فبيّن أن تفسير النبي ﷺ لم يكن في كثير من حالاته تفسيراً لغوياً؛ لأن القرآن قد خاطب العرب بما يفهمون، وهم أهل اللغة وخبراًؤها الثقافات .

ثم أثار مسألة هل تناول النبي صلي الله عليه وسلم القرآن كله بالبيان؟ (١) * .
وهذه مسألة تباينت فيها أقوال أهل العلم فانقسموا إلي فريقين:
فريق يقول: بأن النبي ﷺ بيّن كل معاني القرآن لأصحابه ومعهم أدلتهم التي تؤيد ما قالوه .

وفريق يقول: بأن النبي ﷺ لم يبيّن لأصحابه إلا القليل من معاني القرآن ومعهم كذلك أدلتهم .

وقد اختار د/ البيومي رحمته الله رأي الدكتور/ محمد حسين الذهبي (٢) رحمته الله في التوسط بين الرأيين، وقال بأن النبي ﷺ بيّن كثيراً من المعاني تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل المعاني؛ لأن من معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، ومنها ما يعلمه العلماء وحدهم، ومنها ما تعلمه العرب في لغتها، ومنها ما لا يُعذر أحد بجهالته (٣) * .

وأري ما رآه العالمين الجليلين د/ الذهبي رحمته الله، ود/ البيومي رحمته الله لسببين:
" الأول: أن القرآن نزل بلغتهم التي لم تتغير، فكانوا أفهم الناس له، ثم تغيرت الألسن بعدهم .

الثاني: قلة الأهواء فيهم وسلامة قصدهم، فما تجد الرجل ينتصر لهواه ورأيه، ولكن كان الواحد منهم لا يقصد إلا الحق أينما وجده أخذه، حتى أن الخليفة (٤) يرجع

(١) * ينظر التفسير القرآني — مرجع سابق ص ١٦ .

(٢) * ينظر التفسير والمفسرون — د/ محمد حسين الذهبي ، ط دار الكتب الحديثة — ج ١/ ٥٣ .

(٣) * ينظر التفسير القرآني بتصرف يسير ص ١٧ .

(٤) الخليفة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أن يحدد مقدارا معيناً لمهور النساء فراجعه امرأة وهو علي المنبر وقالت يا عمر يعطينا الله وتمنعنا أنت يقول الله : [وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وعاتيتهم إحداهن فنطارا فلا تأخذوا منه شيئا] سورة النساء من الآية رقم ٢٠ . فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر . ينظر لجامع لأحكام القرآن للقرطبي — تفسير سورة النساء (الآيتان ٢٠ ، ٢١) ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م ج ٥/ ٩٢ .

إلي الحق الذي ذكرته به امرأة من النساء، ولم يقل: أنا الخليفة لا يُرد عليّ فأنا أعلم منها ولم يقل: أنا لي السلطة " (١) .

ثم بيّن أن للتفسير النبوي اتجاهات ثلاثة وهي:

أ — نوع يكشف عن المعاني المجهولة لألفاظ لا يوحى بها المنطوق .

ب — ونوع ثان: جاء تفسيره في سياق إرشادي يمهد لمراميه ويكشف عن مدلوله .

ج — ونوع ثالث: أوحى به المقام من توجيه سؤال، أو واقع حال، وكلها تصور وقوفه ﷺ علي دقائق الأحكام وأسرار البيان " (٢) .

بذلك يتضح: جهد د/ البيومي حيث قام بعرض ما توصل إليه من دراسة التفسير النبوي، وأخبر بأنه اتجه إلي ثلاثة أنواع، وذكر في كتابه أمثلة كثيرة لكل نوع، ولكني سأقتصر علي نقل مثال واحد فقط لكل نوع مما سطره في الكتاب .

أولاً: المثال الذي يكشف عن المعاني المجهولة لألفاظ لا يوحى بها المنطوق: وجاء عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال: { لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) (٣) قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) (٤) { (٥) .

وفي التعليق علي ذلك قال د/ البيومي ﷺ: " ففي هذا المثال حار عبد الله بن مسعود ﷺ حين سمع قول الله تعالى عن الذين آمنوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فسأل: وأينا لا يظلم نفسه، ففتبه رسول الله ﷺ إلي ما حاك في صدر الصحابي، وحدد معني

(١) جمع من العلماء شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ط — دار ابن حزم بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م ص ٤٨، ٤٩ .

(٢) التفسير القرآني ص ١٧ . (٣) سورة الأنعام، من الآية رقم: ٨٢ .

(٤) سورة لقمان من الآية ١٣ .

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب التفسير رقم ٦٦ — باب (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) رقم ١٢٣ — حديث رقم ٤٦٢٩ مرجع سابق . ج ١٣ / ٨٧ . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١ — باب صدق الإيمان وإخلاصه رقم ٥٦ حديث رقم ١٢٤ — مرجع سابق ج ١ / ٤٢٠ ، .

الظلم المراد في الآية، بأنه الشرك استناداً إلى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً " (١) .

ولكن الحيرة لم تكن حيرة ابن مسعود رضي الله عنه، ولكنها حيرة الصحابة كلهم، لأن ظاهر اللفظ لا يطيقه أحد، فأزال النبي ﷺ حيرتهم بأن المراد بالظلم: الشرك كما هو مصرح به في آية أخرى .

ثانياً: المثال الذي جاء في سياق إرشادي يمهّد لمراميه، ويكشف عن مدلوله :—
وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { قال الله تبارك وتعالى وقوله الحق: إذا همَّ عبي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا همَّ بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها، وربما قال: فإن لم يعمل بها، فاكتبوها له حسنة، ثم قرأ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢) { (٣) .

وفي التعليق علي هذا الحديث قال د/ البيومي: " فقد جاءت الآية توضيحاً لفحواه حيث دلت علي جزاء الحسنة المضاعف إلي قدر العشر، ووقوف السيئة عند جزائها المعقول " (٤) .

والاستشهاد بالآية عقب الحديث يدلنا دلالة واضحة علي أنها مفسرة لألفاظ الحديث وموضحة لمعانيه .

(١) التفسير القرآني — ص ١٩ .

(٢) سورة الأنعام، آية رقم: ١٦٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه — كتاب التفسير — باب ومن سورة الأنعام — حديث رقم ٣٠٨٤ — وقال أبو عيسى

حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي — مرجع سابق — ج ٥ / ٥١ .

(٤) التفسير القرآني ص ٢٠ ، ٢١ .

ثالثاً: المثال الذي في مجال السؤال والجواب:— وجاء عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: {لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (١) قال الزبير: وأي نعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون { (٢) .

وفي التعليق علي ذلك قال د/ البيومي: "والسؤال أفاد بأن النعيم إذا لم يكن مع المسلمين في مكة وهم مستضعفون فسيكون فيما بعد حين يزدهر الإسلام وقد كان " (٣) .

ثالثاً: التفسير في عهد الصحابة:—

وتحدث د/ البيومي رضي الله عنه عن تفسير الصحابة، وقال بأن الصحابة في فهم الكتاب علي تفاوت مشهود، ومن هنا عرف بالتفسير أئمة منهم مثل سيدنا عمر رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه، وما اشتهر هؤلاء إلا لاتساعهم في فهم المعني، ورجوع الصحابة إليهم فيما يغمض عليهم من معاني الكتاب، إذ منهم من كان واسع الاطلاع علي الغريب، ومنهم من وقف عند ما تداول في قومه من الكلمات، ومنهم من عرف من أسباب النزول ما جهل سواه ومن عرف حجة علي من لم يعرف إذا اتصل الأمر بأسرار الكتاب المبين (٤) * .

ثم عرض مسألة إضافة ابن عباس رضي الله عنه من اجتهاده في تفسير القرآن الكريم عنصراً لغوياً يستشهد عليه بالشعر العربي، وعنصراً تاريخياً يعتمد علي بعض الأخبار .

(١) سورة التكاثر آية رقم ٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه — كتاب التفسير — باب ومن سورة (ألهاكم التكاثر) حديث رقم ٣٣٦٧ وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح وحسنه محقق سنن الترمذي — مرجع سابق ج ٥ / ٢٣٥ . وأخرجه ابن ماجة في سننه كذلك

كتاب الزهد رقم ٣٧ — باب معيشة أصحاب النبي ﷺ رقم ١٢ — حديث رقم ٤١٥٨ مرجع سابق ج ٣ / ٤٨٧ .

(٣) التفسير القرآني ص ٢١ .

(٤) ينظر التفسير القرآني ص ٢٤ .

وبين أن ذلك ما قاله الأستاذ ابن عاشور رحمته الله (١) في كتابه (التفسير ورجاله) (٢).
ثم ناقش هذا القول قائلاً: "ترجع إلي هذا القول لنؤكد المعني في إجماله العام لا في تفصيله الدقيق، فمما لا خلاف عليه من قوله أن ابن عباس رضي الله عنه وكذلك بعض الصحابة من رفاقه الأخيار، قد فهموا من الكتاب ما أدركوه بسليقتهم العربية، وفسروا الكلمات بمدلولها وفق ما ترجح لديهم من الفهم، هذا من ناحية الإجمال العام .
أما من ناحية التفصيل، فالقول بأن ابن عباس رضي الله عنه قد أضاف العنصر اللغوي إلي كتاب الله، يجب أن يضاف إليه أن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن وحده صاحب هذه الإضافة، فقد كان عمر رضي الله عنه سابقاً في ذلك . جاء في كتاب الموافقات أن سائلاً سأل عن معني قول الله عز وجل ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)، فقام شيخ من هذيل ليقول إن هذه لغته، وأن معني التخوف التقصص، فسأله عمر رضي الله عنه عن شاهد من قول العرب عن ذلك فأنشد الهذلي قول القائل:

تخوف الرحل منهما تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

فاستراح لما سمع وقال عمر رضي الله عنه لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم هذه واحدة، أما الثانية فهي الإضافة التاريخية التي أضافها ابن عباس رضي الله عنه ؟ فقد ذهب كثير من الدارسين إلي

(١) ابن عاشور هو محمد الفاضل بن عاشور ولد بتونس في أكتوبر سنة ١٩٠٩ م ابتدأ القراءة وهو ابن ست سنين فتعلم الهجاء بكتب مصرية، وابتدأ حفظ القرآن الكريم، ثم منذ التاسعة بدأ يحفظ متون الأخرومية، والألفية، والعاصمية، والرسالة . وتعلم اللغة الفرنسية علي يد معلمين خصوصيين بالمتزل مع دراسات في مبادئ القراءات والتوحيد والنحو أهلته إلي اجتياز امتحان القبول بالزيتونة، فالتحق بالسنة الثانية مباشرة واختزل سنوات التعليم حين أكب علي دراسة العلوم المقررة من تلقاء نفسه فتقدم لامتحان التطويع ونجح نجاحاً أهله للدارسات العليا بالجامعة ثم للانتساب إلي كلية الآداب بجامعة الجزائر فأحرز شهادتها سنة ١٩٣٢ م وقد عرفت مصر الفاضل حين تكررت زيارته العلمية لها في مناسبات عدة إذ كان عضواً بارزاً في مجمعي اللغة العربية والبحوث الإسلامية من أهم مؤلفاته التفسير ورجاله . ينظر مجلة الأزهر مقال بعنوان (مع أعلام مجمع البحوث بالأزهر محمد الفاضل بن عاشور بجائة ذو رسالة ٠٠ وكاتب ذو بيان) د/ محمد رجب البيومي — السنة الثانية والسبعون، الجزء السابع عدد رجب سنة ١٤٢٠ هـ — أكتوبر سنة ١٩٩٩ م ص ١٠٢٠، ١٠٢١ .

(٢) التفسير ورجاله — محمد الفاضل بن عاشور — ط سلسلة البحوث الإسلامية السنة الثامنة والعشرون الكتاب الثاني

سنة ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧ م ص ٢٢٠

(٣) سورة النحل الآية رقم ٤٧ .

أنه نقل عن مسلمة أهل الكتاب ما عرفوه من التوراة، وبخاصة عن كعب الأحبار، إذ جعلوه مصدراً من مصادره .

وقد قلت في تنفيذ ذلك: إن بعض الوضاعين في القديم والحديث أضافوا نقولاً عن هؤلاء منسوبة إلي ابن عباس رضي الله عنه ، وبعض هؤلاء يهود يريدون أن يُثبتوا عراقتهم الدينية، فجعلوا ابن عباس رضي الله عنه رواية عن كعب وأمثاله، ليتم لهم ما يريدون، ومنطق التاريخ الصحيح يدل على أن كعباً لم يكن ممن يُستمع إلي رأيه في التفسير علي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد رحل عن المدينة إلي الشام عقب استشاده في ذي الحجة سنة ٢٣هـ وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قد تنفس به العمر إلي سنة ٧٠هـ، وهو يفتي ويفسر، ويملاً الحجاز علماً، فأين كان تفسير كعب منه، وهو في حياة عمر ينقل عنه، ويناقش صحابة رسول الله معه باعتباره ناشئاً يتأهب إلي دوره العلمي، ثم بعد وفاته وكان في حوالي الثانية والعشرين من عمره لم يكن لمسلمة أهل الكتاب من اليهود وجود في الجزيرة العربية، فليت شعري كيف استقي ابن عباس رضي الله عنه من كعب وأمثاله وهو القائل: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم" (١) .

بذلك يتبين : جهد د/ البيومي رحمته الله في عرض التفسير عند الصحابي، حيث بين أن الصحابة — رضوان الله عليهم — لم يكونوا علي درجة واحدة في فهم كتاب الله تعالى، فمن الصحابة من غمض عليهم كثير من ألفاظ الكتاب المبين فسألوا عن معانيها، ومن ذلك سؤال عمر رضي الله عنه عن معني (الأب) في قوله تعالى:

﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ (٢) " فقد قرأ مرة هذه الآية، ثم تساءل هذه الفاكهة قد عرفناها، فما هو الأب؟ ثم رجع إلي نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، وذلك لأن عمر يدرك من السياق أن الأب مما امتن الله به علي عباده فأخرجه لهم من الأرض حينما جاء مقترنا بالفاكهة" (٣) .

(١) التفسير القرآني ص ٢٥، ٢٦ .

(٢) سورة عبس آية رقم ٣١ .

(٣) أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشي — دراسات قرآنية — ط دار الكتب والوثائق القومية، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ص ١٤٤

وكذلك سبق ذكر تساؤله عن معني تخوف في قوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ (١)، وكان من أشهر الصحابة في تفسير غرائب ألفاظ القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وذلك بسبب معرفته بلغة العرب، مما جعل الأستاذ/ محمد الفاضل بن عاشور رحمته الله يقول: بأنه أضاف في تفسيره للقران عنصرا لغوياً، وقد وافقه د/ البيومي رحمته الله، ولكن تعقبه في اختصاص ابن عباس رضي الله عنه وحده بذلك، فلم يكن وحده الذي يفسر ألفاظ القرآن مستندا إلى الشعر الجاهلي، ولكن عمر رضي الله عنه قد سبقه في ذلك كما سبق .

ويظهر جهد د/ البيومي رحمته الله أيضاً في تفنيد ما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه من أنه يأخذ عن مسلمة أهل الكتاب حيث بين أن بعض الوضاعين قديماً وحديثاً هم الذين نقلوا عن هؤلاء ونسبوا هذه المرويات إلى ابن عباس رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه منها براء، فكيف يأخذ عن كعب الأحبار، وكعب لم يكن يستمع إليه في عهد عمر رضي الله عنه كما أن ابن عباس رضي الله عنه مع حادثة سنه في عهد عمر رضي الله عنه إلا أنه كان يجلسه مع كبار الصحابة ويناقشه فيما يعن له ويأخذ برأيه، ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: { كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر رضي الله عنه: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رُئيت أنه دعاني يؤمئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢) فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لي: أذكاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له .

(١) سورة النحل آية رقم ٤٧ .

(٢) سورة النصر آية رقم ١ .

قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ٠ وذلك علامة أجلك؛ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنََّّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١) فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول ﴿(٢)﴾ .

أبعد ذلك يقال: إن ابن عباس رضي الله عنه أخذ عن كعب الأحبار، وغيره من مسلمة أهل الكتاب!! إن الحقيقة تنطق بغير ذلك، فإن عمر رضي الله عنه أمر في خلافته بإجلاء أهل الكتاب حتى لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فكيف تمكن ابن عباس من مجالستهم إذن؟ ٠ وبعد دحض هذه الفرية ذكر د/ البيومي أمثلة للتفسير بالمأثور عند ابن عباس تدل على مناهه الدقيق أكتفي بذكر مثال منها، ذكره د/ البيومي بقوله :

" روي ابن جرير في تفسير قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)، أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عن هذه الآية، فما وجد أحداً يشفيه، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه، وهو خلفه: يا أمير المؤمنين، إني أجد في نفسي منها شيئاً، فالتفت إليه فقال: تحول ها هنا لم تحقر نفسك؟ قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله تعالى فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلي أن يختمه بخير ساعة يفني عمره، ويقرب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فأفسده كله أحوج ما كان إليه (٤) ٠

(١) سورة النصر آية رقم ٣ ٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير رقم ٦٦ — باب قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ

تَوَّابًا﴾ رقم ٣٧١ حديث رقم ٤٩٧٠ مرجع سابق ج ١٤/ ١٦١ — ١٦٣ ٠

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٦٦ ٠

(٤) التفسير القرآني مرجع سابق ص ٢٧

رابعاً: التفسير الإذاعي:— وتحدث د/ البيومي رحمه الله عنه مبيناً أنه يُعد من أنواع التفسير الميسر ، وأنه بحاجة إلي أن يصاغ واضحاً سلساً لكي يصل إلي عقل السامع ، وقلبه دون إرهاق .

ثم ذكر ما قامت به الإذاعة العربية من دور في ذلك قائلاً: " وإذا كانت الإذاعة العربية لم تتجاوز نصف القرن بقدر كبير من السنوات، فإن المفسرين بها قد أدوا دوراً هاماً في التوجيه القرآني، وبرز منهم أساتذة ممتازون يحتلون مكانة الصدر في دوائرهم المتخصصة نذكر منهم أمثال الأساتذة محمود شلتوت رحمه الله، وعبد الوهاب خلاف رحمه الله، ومحمد محمد المدني رحمه الله، ومحمد عبد الله دراز (١) رحمه الله، ومحمد البهي (٢)، رحمه الله ممن يأتون بالمفيد المثمر حقاً، كما نخص ثلاثة من أعلام هذا المجال كان لهم دور أشمل وأعم فيما قاموا به في مجال التفسير الإذاعي (٣) * .

(١) الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالله دراز هو باحث منهجي متفرد — أجمع المثقفون جميعاً على سمو منزله الفكرية ، ويعدونه رأساً بارزاً من رعوس الفكر الإسلامي المعاصر . ولد سنة ١٨٩٤م في بيت علم وخلق وورع ، فوالده من كبار علماء الأزهر المشار إلى تضلعهم العلمي وصلاحهم الخلقي ، والتحق بالأزهر بعد أن حفظ القرآن الكريم ، واستظهر بعض المتون العلمية الذائعة لوقته . نال الشهادة العالمية سنة ١٩١٦م وكان في الترتيب الأول ، وعين مدرسا بالأزهر وتعلم اللغة الفرنسية في ثلاث سنوات وشارك في ثورة ١٩١٩م — اختير أستاذاً للتفسير بكلية أصول الدين . ورشح لعضوية البعثة الأزهرية إلى فرنسا سنة ١٩٣٦م بجامعة السوربون واختاره شيخ الأزهر الإمام الأكبر / محمد مصطفى المراغي ممثلاً للأزهر في مؤتمر الأديان العالمي الذي عقد بباريس سنة ١٩٣٩م ليلقي كلمة الأزهر ممثلة للإسلام في هذا المؤتمر . من كتاباته بحث بعنوان (موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها) وكان قد أعده ليحاضر به في المؤتمر الدولي الإسلامي المنعقد بـ (الباكستان) في يناير سنة ١٩٥٧م ولكن شاء الله أن — يلي ندائه أثناء انعقاد المؤتمر فتوفي عام ١٩٥٨م وقبل أن يلقي كلمته على الناس فجراه الله خير الجزاء . من أهم مؤلفاته : " النبأ العظيم " ، " الدين " ينظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين — مرجع سابق — السنة الثامنة عشرة الكتاب الثالث — ج ٢ / ١٦٠ — ١٨٨ بتصرف .

(٢) الأستاذ الدكتور / محمد البهي هو : محمد محمد البهي قرقر — ولد سنة ١٩٠٥م في قرية (أسمانية) بمحافظة البحيرة — حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة وعلم النفس من جامعة هامبورج في عام ١٩٣٦م ، وعمل بالتدريس في كلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف . تولى وزارة الأوقاف عام ١٩٨٢م ، وعمل عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٦٢م ، وجاهد في حركة تطوير الأزهر ، وجاهد المحتلين والمستعمرين ، وحارب العلمانيين والمبشرين . وله جهود بارزة في الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج . وله مؤلفات كثيرة من أهمها : " ثقافت الفكر المادي التاريخي " توفي رحمه الله سنة ١٩٨٢ . ينظر موسوعة مصر — ط مطابع الأهرام — بدون تاريخ ص ٤٠١ .

(٣) * ينظر التفسير القرآني ص ١٨٠ .

وقد تحدث عنهم د/ البيومي مبيناً ما قاموا به في هذا المجال وهؤلاء هم أصحاب الفضيلة فضيلة الإمام الأكبر/محمد مصطفى المراغي رحمته الله، وفضيلة الأستاذ الكبير/ محمد متولي الشعراوي (١) رحمته الله، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السعدي فرهود، رحمته الله ثم ختم د/ البيومي حديثه عن التفسير الإذاعي باقتراحين علي الإذاعة قائلاً:

"وبهذه المناسبة نقترح علي الإذاعة القرآنية حين تنتقل إلي مساجد الأرياف بالقطر المصري لتنتقل في سهراتها المسائية دروس أئمة المساجد، وأكثرها في تفسير القرآن الكريم، أن تختار من الأئمة من يصلح لأداء درس التفسير على وجهه الصحيح، وأكثر هؤلاء علماء ذوو فضل، ولكن بعضهم لا يرتفع إلى مستوى الموقف، فيأتي بغرائب من الإسرائيليات والتأويلات الساذجة التي ترضى العامة ويغص بها الفاقهون، والإذاعة بعد ذات صوت مسموع في مشارق الأرض ومغاربها، فكيف تنتقل إلى مستمعيها ما يعوزه التمهيد ويفوته التدقيق هذه واحدة .

أما الثانية: فإننا نلاحظ أن بعض من يتعاطون التفسير الإذاعي في مدة محدودة لا تتجاوز ربع ساعة لا يدخل في صميم المراد رأساً، بل يبتدئ بتحميد وتسليم يأخذ ثلث

(١) الأستاذ الكبير داعية الإسلام محمد متولي الشعراوي رحمه الله ولد في ١٦ ابريل سنة ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر محافظة الدقهلية . حفظ القرآن الكريم في قريته ، وتلقى التعليم في معهد الزقازيق الديني الابتدائي ، والثانوي ، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وحصل على الشهادة العالية سنة ١٩٤١م ثم على العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٤٣م . قام بالتدريس بمعهد طنطا الأزهرى وعمل به ، ثم معهد الإسكندرية ، ثم معهد الزقازيق . أعير فضيلته للعمل بالسعودية سنة ١٩٥٠م مدرسا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . عين وكيلا لمعهد طنطا سنة ١٩٦٠م ، وعين مديرا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م . وعين مفتشا للعلوم العربية بالأزهر سنة ١٩٦٢م ، وعين مديرا لمكتب الإمام الأكبر / حسن مأمون سنة ١٩٦٤م . وعين رئيسا لبعثة الأزهر في الجزائر سنة ١٩٦٦م ، وعين أستاذا زائرا بجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠م ، وعين رئيسا لقسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧٢م . وعين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٧٦م . اختير عضوا بمجلس الشورى سنة ١٩٨٠م . وعين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٨٠م ، ثم عضوا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٨٨م . وتوفي إلى رحمة الله سنة ١٤١٩ هـ — ١٧ يونيو ١٩٩٨م . ودفن بقريته دقادوس رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة . ينظر محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح د/ محمد رجب البيومي — ط مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م ص ٥ — ٦ .

الوقت فيما هو معروف مكرر، كما يختم بأدعية مشتهرة تملأ ثلث الوقت الأخير، وما أدري ما سبب هذا الشطط الذي يجور علي النص القرآني دون مبرر، وإذا كان هذا المفسر لا يجد ما يملأ الفراغ من فكره فأولي أن يترك الموقف لسواه، لأن المقام مقام قرآن ولن يشغله غير من تأهل بالدرس المفيد وتسليح بالعقل السديد" (١) .

وفي الحقيقة إن هذين الاقتراحين من فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي رحمته الله يدلان علي راحة عقله وسعة علمه، وقوة ملاحظته وسرعة بديهته وأشارك د/ البيومي رحمته الله في ذلك فلو طبقت الإذاعة هذين الاقتراحين لكانا عوناً لها علي أداء رسالتها ولجنت ثمارها كل حين بإذن ربها .

ويستفاد من اقتراحي د/ البيومي رحمته الله في مجال الدعوة إلي الله الآتي :

أ — أن الداعية عليه أن يُعد نفسه، فيبحث المادة العلمية للموضوع الذي سيتحدث فيه ويُحصص ما يقرأ فليس كل ما يقرأ صحيحاً فإن كُتب التفسير مليئة بالإسرائيليات والأكاذيب، وكما قيل: إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعيّاً فالدليل، وليعلم أنه يُبلغ عن الله ورسوله، فإن تساهل ونقل ما يقرأ دون تمحيص فقد تعمّد الكذب علي الله ورسوله، ومن كذب عليهما متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ب — أن الداعية إذا ما دُعي للحديث في الإذاعة، فعليه أن يقدر هذه المسؤولية التي ستقع علي عاتقه من جراء ذلك؛ لأنه يتحدث وتستمع إليه الكثرة الكاثرة لا في مصر وحدها، بل في جميع الدول العربية، فإذا ما حدد له المسئولون في الإذاعة وقتاً قصيراً فلا يُضيّعه في مقدمة طويلة، بل يختصر في المقدمة ويناقش الموضوع الذي يتناوله في حديثه حتى يستطيع معالجته في الوقت المحدد، وعليه أن يُقدر خطورة الخطأ لأنه يفسر القرآن، فإذا ما أخطأ فقد نسب إلي الله ما لم يقله، وانتقل الخطأ عبر الإذاعة إلي الدول العربية فتسبب في إضلال الكثير .

خامساً: التفسير الحديث :-، وتحدث عنه مبيناً أنه هو: أن يجتهد المفسر في تفسير كتاب الله؛ ليقف علي ما لم يقف عليه سواه، ولكن يشترط أن لا يتعسف التأويل تعسفاً، وألا يشتط في تحميل النص القرآني ما لا يحتمل متجافياً عن القواعد المقررة في علوم العربية ليقال: إنه جاء بالجديد .

ثم شرع د/ البيومي في عرض أمثلة من التفسير الحديث عند أولي العلم من المعاصرين، أكتفي بذكر مثال منها وهو ما نقله عن الدكتور/ عبد الوهاب عزام رحمته الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الْمَ ۙ غَلَبَتِ الرُّومُ ۚ﴾ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) (١) .

قائلاً: " أما خلاصة ما قاله الدكتور/ عزام رحمته الله فهي كما يلي:

كانت هزيمة الروم التي اهتم بها مشركو مكة في سنة ٦١٥م، وقد وقعت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة الموافقة سنة ٦٢٤م، أي بعد بضع سنين! ففرح المسلمون يومئذ لا يكون لنصر الروم، وإنما لنصر المسلمين الموعود به، وقد تحقق يوم بدر، وهو ما قيل عنه: نصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

أما الدليل المرجح لذلك، فهو أن الروم كانوا حينئذ أرباب طغيان وجبروت، وعسف بالأمم والشعوب، واستغلال لجهود الضعفاء، وتسخير للرعايا في الأحوال والمشاق عن غطرسة متكبرة، ونصر هؤلاء العتاة لا يمكن أن يكون نصر الله الذي وعد به المسلمين وعداً لا يخلفه! إنما الوعد الرباني فهو للفئة المجاهدة في سبيل الله الداعية للحق والعدالة والمساواة، ويؤكد ذلك أن الرسول قد اضطر في حياته إلي محاربة الروم حين أرسل الجيوش إلي مؤتة في وقت كان فيه هرقل حاكم الدنيا المنتصر علي فارس! وقد دحر كسري فثار عليه أتباعه وقتلوه، فقول الله: (وَعَدَ اللَّهُ لَا

يُخْلَفُ اللَّهُ وَعَدَهُ،) إنما يعني الوعد المبشر بنصر المسلمين من بعد، وهو وعد مطابق
 لوعده الله العام إذ يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (١)، ويقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ
 كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (٢)، ويقول: ﴿الَّذِينَ
 إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ
 عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ (٣)

هذا رأي جديد وله دليله المستقيم " (٤) .

يتبين من ذلك: أن التفسير الحديث إذا أتى بما لم يأت به الأولون بدون تعسف،
 أو اشتطاط عن قواعد اللغة فلا مانع من قبوله، ولكن لا يكون وحده هو
 الصحيح . وأن الداعية يرحب بالجديد من الآراء بشرط استقامة الدليل وعدم التعسف
 في التأويل .

وبعد هذا العرض الموجز لبعض موضوعات الكتاب يتبين لي :

أن د/ البيومي رحمته الله تميز فيه عن سابقه من مؤرخي التفسير ،حيث سلك فيه
 مسلكاً وسطاً بين الطول والقصر ، وهذا ما قرره في مقدمة كتابه قائلاً:
 " وإذا كان أستاذنا الدكتور الذهبي قد اتسع في كتابه (التفسير والمفسرون) إذ
 صدر في ثلاثة أجزاء حافلة، وإذا كان زميلنا الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي قد
 أوجز تاريخ التفسير إيجازاً غير مغل في كتابه (قصة التفسير) فقد عنّ لي أن
 أتوسط بين المسلكين فلا أطيل إطالة الدكتور الذهبي ، ولا أوجز إيجاز الدكتور/

(١) سورة النور آية رقم ٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥ .

(٣) سورة الحج آية رقم ٤١ .

(٤) التفسير القرآني ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

الشراباصي مع انتفاعي بما كتبنا من بحوث وسجلا من آراء، رحمهما الله ورفع مقامهما في أعلي الدرجات، وليسوا وحدهما فلهما أمثال " (١) •

وبذلك أتى د/ البيومي بالجديد النافع للقراء •

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله الأتي:

أ — إمام الداعية بهذه الألوان المختلفة من التفسير فإن لكل تفسير منحاه •

ب — من التفسير المفيدة في الدعوة إلى الله التفسير ذات المنحى التوجيهي •

ج — تحذير الداعية من القصص الواهية في كتب التفسير •

د — قبول الجديد من الآراء في التفسير بشرط عدم التعسف والاشتطاط في التأويل واستقامة الدليل •

ثانياً: الحديث عن تاريخ التفسير البياني على وجه الخصوص:

وقبل الحديث عن ذلك تجدر الإشارة إلى ما يلي:

أ — ماذا يُقصد بالتفسير البياني؟ • ب — أهمية التفسير البياني في مجال الدعوة إلى الله •

أولاً: ماذا يُقصد بالتفسير البياني؟

إن التفسير البياني: هو التفسير الذي يهتم بدراسة البلاغة القرآنية ، ونواحي الإعجاز فيها (٢)* •

ثانياً: أهمية التفسير البياني في مجال الدعوة إلى الله:

إن للتفسير البياني أهمية عظيمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى فهو يُعرف الداعية على روعة النظم القرآني، وبلاغة القرآن العالية الرفيعة، ومواقع الإعجاز، فإذا ما تصدى لشرح آية من كتاب الله استطاع أن يُبين ما فيها من نكات بلاغية وأوجه الإعجاز، فيطالع السامعين بفوائد جليلة فيستميلهم، ويؤثر في نفوسهم بروعة البيان وفصاحة القرآن وبلاغته •

(١) السابق ص ٤ ، ٥ •

(٢)* ينظر البيان القرآني د/ محمد رجب البيومي — ط الدار المصرية اللبنانية بدون تاريخ ص ٢٧ •

ويمكن إجمال أهمية التفسير البياني في الآتي:

- أ — " بيان معاني القرآن وهداياته •
- ب — إظهار فصاحة القرآن وبلاغته •
- ج — الدلالة علي وجوه إعجاز القرآن ، من ناحية الأسلوب والبيان •
- د — زيادة الثقة بالقرآن وعروبه ومعارفه وإعجازه •
- هـ — الإيمان بأنه كتاب غنيٌ بكل ما يحتاج إليه البشر من ألوان السعادة •
- و — الإيمان بأنه كتاب الساعة، ودستور الناس إلي يوم القيامة، يصلح لكل زمان ومكان، ولا يستغني عن كنوزه وذخائره إنسان " (١) • وأرجع إلي حديث د/ البيومي رحمته الله عن تاريخ التفسير البياني علي وجه الخصوص قائلاً: لقد قطع د/ البيومي رحمته الله شوطاً كبيراً في البحث في تاريخ التفسير البياني للقرآن الكريم، إذ بحث فيه ما يقرب من عشرين عاماً أو أكثر وكان البحث فيه سابقاً علي البحث في تاريخ التفسير بوجه عام (٢) * وقد وُفق لتأليف كتاب رائع في هذا الميدان، وجعله بعنوان (خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم) (٣)، وبدأ د/ البيومي كتابه بمقدمة ذكر فيها ضرورة تأليفه لهذا الكتاب قائلاً: " لقد بدت الضرورة إلي وضع هذا الكتاب تتأكد لي بوضوح حين كنت أولف كتابي (البيان القرآني) إذ كنت أدرس آراء المفسرين للبيان القرآني فأري ما يتفق، وما يختلف، وما يبدوا صغيراً لدي مفسر، وكبيراً لدي مفسر آخر، وكانت المقارنة بين هذه الآراء المختلفة مما يلذ ويروق، ثم امتدت الفكرة إلي ضرورة التأريخ المنهجي لهذا اللون، فأخذت أرصد مسيرته في الطريق خطوة خطوة مبتدئاً بابن عباس، ومنتهياً إلي ما بين أيدينا اليوم من جهود" (٤) •

(١) مناهل العرفان للزر قاني — مرجع سابق ج ٢ / ٨٥ •

(٢) * ينظر التفسير القرآني ص ٤ •

(٣) والكتاب من مطبوعات سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ويقع في جزأين من القطع المتوسط الجزء الأول يقع في نحو ١٨٢ صفحة ، والجز الثاني في نحو ٢٠٣ صفحة •

(٤) د/ محمد رجب البيومي — خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم — ط سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

السنة التاسعة والعشرون سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م ج ١ / ٨ •

وأما محتويات هذا الكتاب فقد احتوي علي الموضوعات الآتية:

موضوعات الجزء الأول وهي:

فموضوعاته هي:

- الجذور البعيدة
- الخطوة الأولى لأبي عبدة
- وثبات الجاحظ
- من جهود ابن قتيبة
- دارسو الإعجاز يفسرون
- تياران متجاوران
- الرافعي والاستشفاف الذوقي
- النظم القرآني عند عبد القادر
- الجمان في تشبيهات القرآن
- تفسير الكشاف
- المنحي البلاغي عند ابن عطية
- توقف وترديد
- فجر يضيء مع المعاصرين
- شطط في التأويل المجازي
- منحي الشريف الرضي
- مثل من الحجاج القرآني

والكتاب كما يظهر من استعراض موضوعاته كبير الحجم، يصعب استقصاء كل ما كتبه مؤلفه من أفكار ومعلومات بيد أي سائنقي من هذه الموضوعات أربعة موضوعات فقط خشية الإطالة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي هذا المؤلف العظيم (خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم) للعلامة الأستاذ الدكتور البيومي رحمته الله ، وسوف أخص بمشيئة الله تعالى هذه الموضوعات موضحاً ما قام به د/ البيومي رحمته الله من جهود رائعة في هذا الكتاب العظيم .

وهذه الموضوعات هي :

- أ- الجذور البعيدة
 - ب - وثبات الجاحظ
 - ج - تفسير الكشاف
 - د- الرافعي والاستشفاف الذوقي
- ويمكن تناول ذلك كالتالي:

أولاً: الجذور البعيدة:— ويقصد أن للتفسير البياني جذورا تمتد من الفترة الأولى في صدر الإسلام، مع أن غيره من الدارسين حين يتحدثون عن التفسير البياني للقرآن الكريم يُغفلون هذه الفترة، ويبدأون حديثهم من صدر العصر العباسي لأن مسائل البلاغة ثُوت في صدر هذا العصر، لكن د/ البيومي بيّن أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وقفوا علي كثير من هذه المسائل إذ عرفوا بفطرتهم مكان الإيجاز والإطناب، وموضع الحقيقة والمجاز، ونقل عنهم في ذلك ما يصلح أن يكون بذرة التفسير البياني للقرآن الكريم .

فعن تفسيرات الرسول ﷺ البلاغية للقرآن الكريم كتب يقول:
"فقد تعرض الرسول الكريم في تفسيره إياه لتوضيح كثير من تشبيهاته وكناياته وذلك من البلاغة العلمية في صميم الصميم" (١) .

ثم ذكر د/ البيومي أمثلة تدل على ذلك، أكتفي بذكر مثال منها: { فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۚ ﴾ (٢) قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله! إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقلاً أبيض وعقلاً أسود . أعرف الليل من النهار . فقال رسول الله ﷺ: إن وسادتك لعريض . إنما هو سواد الليل وبياض النهار { (٣)

ثم ذكر د/ البيومي أمثلة من تفسيرات الصحابة والتابعين كذلك، وأكتفي بنقل مثال للصحابة ومثال للتابعين :

أ — مثال الصحابة وأذكره من تفسيرات ابن عباس رضي الله عنه
قال د/ البيومي: " من سورة الشعراء آية ٢٢٥ :

(١) خطوات التفسير البياني مرجع سابق ص—١٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية رقم ١٨٧ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصوم رقم ١٣ — باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر رقم ٨ — حديث رقم ١٠٩٠ — ج ٤ / ٢١٤ . ووافقه البخاري في صحيحه كتاب الصوم رقم ٣١ باب قول الله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم) رقم ١٦ — حديث رقم ١٩١٦ — ج ٦ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

﴿الْمَرْتَأَنَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (١) قال ابن عباس في كل لغو يخوضون " (٢) .

ب - مثال التابعين وأذكره من تفسيرات مجاهد ؓ .

قال د/ البيومي: " من سورة الزخرف آية ٥ : ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ (٣) . قال مجاهد: أتكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه " (٤) .

يتبين من ذلك: أن هذا التفسير برز فيه الحس البلاغي بروزاً لا مزية فيه مما يجعله بحق توطئة وتمهيداً للتفسير البياني، ومرحلة لا ينبغي أن تغفل عند الحديث عن تاريخ التفسير البياني لأنها بمثابة الأصول البعيدة للحس البياني في تفسير القرآن الكريم .

ثانياً: وثبات الجاحظ (٥) :- وعن اتجاه الجاحظ البياني في التفسير، ذكر

د/ البيومي أن الجاحظ ممن دافعوا عن بلاغة القرآن، وقوة نظمه، فخص كتاب الله بمؤلفات هامة، أهمها كتاباه (نظم القرآن)، (وآي القرآن)، ولئن فقدنا ما فيما فقد من التراث، فقد بقي ما يدل عليهما من نصوص الجاحظ في كتبه الباقية . وضياح هذا الأثر اليوم، لا يعني أن فائدته قد ذهبت عن الناس، فقد ظل يتداول بين الدارسين زمناً غير قصير فوردوا وردّه، ونهلوا من رحيقه، وتعرض للمدح والقدح معاً شأن كل أثر أدبي يعم ويشيع (٦) * .

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢٢٥ .

(٢) خطوات التفسير البياني، ص ٣٠ .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٥ . (٤) خطوات التفسير البياني ص ٣٢ .

(٥) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكندي بالولاء، الليثي المولود سنة ١٦٣ هـ الموافق ٧٨٠ م، والمتوفي سنة ٢٥٥ هـ

الموافق ٧٦٩ م . من أهم مؤلفاته: (البيان والتبيين)، و (الحيوان)، و (الحاسن والأضداد) . ينظر موسوعة أعلام الفكر —

بقلم أ — د عبد الفتاح غنيمة — مرجع سابق — ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٦) * ينظر السابق ص ٥٧، ٥٨ .

وقد اعتمد د/ البيومي في توضيح المذهب البياني لدي الجاحظ في تفسير القرآن الكريم علي كتابيه المتداولين وهما (الحيوان) و(البيان والتبيين)، وبين أن الجاحظ لجأ إلي تكرير إشارات القوة إلي المجاز القرآني في مواضع عديدة من كتبه؛ لأنه وجد في زمانه من زعم أن كل لفظ في القرآن الكريم حقيقة تتقيد بمدلولها اللغوي وحده • فهم يقفون عند قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْآنْهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١) فيزعمون أن الحجارة كائن يعقل وينطق ويهبط من خشية الله • ويقفون عند قول الله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٢) فيقولون إن في النحل أنبياء أوحى إليهم الله، ويأتون بأساطير عن نبوة النحل، وأمثال هذين الشاهدين كثير " (٣) •

يفهم من ذلك أن: الجاحظ اضطر إلي تكرير هذه البدهيات في كتبه لأنه ابتلي بهذه العقول التي وقفت عند حدود الألفاظ، ففهمت المعاني من منطوقها دون أن تعمل عقولها فتغوص في أعماقها، لتستشف وتتذوق ما في بواطنها من دلالات وأسرار توصل إلي المعني المراد •

ثم عقد د/ البيومي موازنة بين المجاز لأبي عبيدة وبين حديث الجاحظ المتكرر عن المجاز قائلاً: "وإذا كان المجاز لدي أبي عبيدة يتسع للحقيقة والمجاز معا فإننا ندرك أن الجاحظ قد وضعه الآن موضعه البياني الذي احتذاه تابعوه إذ جعلوه قسيما للحقيقة، مقابلاً لها، وهو بهذا أول بياني يحاول أن يزن الكلام بمفاهيم تقترب من التحديد شيئاً فشيئاً، وصنيعه في ذلك كان الحجر الأول في بناء البلاغة الاصطلاحية التي قدر لها فيما بعد أن تكون علماً واضحاً ذا رسوم وحدود" (٤) •

ثم ساق د/ البيومي أمثلة من تفسير الجاحظ للقرآن الكريم أكتفي بذكر هذا المثال حيث قال: "ومن أمثله ما ذكره تفسيراً لقول الله ﷻ عن شجرة الزقوم:

(١) سورة البقرة من الآية ٧٤ •

(٢) سورة النحل الآية ٦٨ •

(٣) خطوات التفسير البياني من ٦١ — ٦٣ •

(٤) السابق ص ٦٥ •

﴿ طَلْعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) إذ قال في سداد وتوفيق: زعم ناس أن رعوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا ما عني إلا رعوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم، فقال أهل الطعن والخلاف ليس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق، ومخرج الكلام يدل علي التخويف بتلك الصورة والتفريع منها وعلي أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره، فكيف يكون الشأن كذلك والناس لا يفرعون إلا من شيء هائل شنيع قد عاينوه، أو صورته لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق، وعلي أن أكثر الناس من هذه الأمم التي تعايش أهل الكتابين وحملة القرآن من المسلمين ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك ولا يقفون عليه، ولا يفرعون منه فكيف يكون ذلك بعيداً عاماً؟ قلنا وإن كنا نحن لم نر شياطيناً قط ولا صور رعوسها لنا صادق بيده ففي إجماعهم علي ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا لهو أقبح من الشيطان، والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطاناً علي جهة التطير له كما تسمى الفرس الكريمة شوهاء، والمرأة الجميلة صماء قرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك علي جهة التطير له، ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لاقينا علي ضرب المثل بقبح الشيطان دليل علي أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح " (٢) .

يتبين من ذلك: أن الجاحظ لم يتناول فنا جديداً من فنون البلاغة، وإنما تناول المجاز فأعاد ما قاله أبو عبيدة لكنه يفرق بينهما بأن أبا عبيدة تناول الحقيقة والمجاز في كتابه، والجاحظ لم يتحدث إلا عن المجاز فقط، وبفعله ذلك كان أول من وضع الحجر الأول في بناء البلاغة الاصطلاحية .

(١) سورة الصافات الآية رقم ٦٥ .

(٢) خطوات التفسير البياني ص ٦٩-٧٠ .

كما أن الجاحظ اضطر للحديث عن المكرر المعاد تمشياً مع حاجة أهل زمانه، ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله بأن على الداعية مراعاة حال المدعويين فإذا اقتضي المقام التذكير بموضوع يحتاج إليه المدعويون فعليه المسارعة في الحديث عنه، ولا يمنعه حديث غيره عنه فإنه بمثابة الطبيب يكرر العلاج للمرضي حتى يزول المرض نهائياً .

ثالثاً: تفسير الكشف : — وفي البداية ذكر د/ البيومي بأن صاحب الكشف وهو الزمخشري قد انتفع بآراء من سبقوه في الحقل البياني كالرّماني وعبد القاهر، ولكنه أغفل الإشارة إليهم في حين أنه أشار إلى بعض من انتفع بآرائهم النحوية والدينية ثم أكد على انتفاع الزمخشري بعبد القاهر خاصة بقوله: "أما عبد القاهر فقد تناول التفسير في ضوء اتجاه خاص حصره في النظم القرآني، وقد تفتحت على يديه أكمال المعاني فبهر وأدهش، وظهر تأثيره أتم الظهور في كتاب الكشف حيث احتذاه الزمخشري احتذاء تشم رائحته في كل سطر من سطور الكشف! ولا أدري لما لم يشد الزمخشري بصاحبه إشادة من حرص على تأمل كتابيه فهما واستنباطاً، فأخذوا واقتباساً، فتفريعاً وتحليلاً؟ وما توجه الزمخشري إلى التفسير البياني إلا بوحى عبد القاهر وعلى هدى سنائه! فالذي يقارن صنيع عبد القاهر بصنيع الزمخشري يجد الأول قد رسم الخطة وأعد المثال وبيّن الطريق، ويجد الثاني قد تولى التنفيذ الدقيق لما رسم صاحبه، حيث تتبع آيات الكتاب الكريم آية آية ليوضح ما عناه الجرجاني بالنظم القرآني" (١) .

ثم ذكر د/ البيومي: أن الزمخشري هو أول من سمى مباحث النظم بعلم المعاني في حين أن المؤرخين قد درجوا على أن صاحب التسمية هو السكاكي فقال: "وهنا نتعرض إلى مسألة هامة في تاريخ علوم البلاغة، فنذكر أن أول من سمى مباحث النظم بعلم المعاني هو الزمخشري وقد درج المؤرخون على أن السكاكي صاحب

التسمية، ولكن قراءة مقدمة الكشف تدل على أن السكاكي قد تابع صاحب الكشف حين كتب المفتاح فخص البيان بالصور البلاغية وخص المعاني بالنظم، لأن الزمخشري قد نص صراحة في مقدمته على أن علمي البيان والمعاني هما من ألزم اللوازم لمن يتعرض لل تفسير " (١) .

ثم تعرض د/ البيومي للحديث عن كتاب الكشف للزمخشري فقال: " وقد صادف تفسير الكشف حظوة بالغة — لا عند رجال الاعتزال وحدهم — بل عند القارئ جميعاً من أبناء الإسلام . فجعله أهل السنة مصدراً هاماً من مصادر التفسير . واكتفوا بالتعليق الكاشف على ما لا يرتاحون إليه من آراء الاعتزال . وانتشر الكتاب انتشار الضوء بيدد الحنادس (٢) في كل مكان " (٣) .

ثم عقد د/ البيومي موازنة بين كتاب الجرجاني أسرار البلاغة، وكتاب الكشف للزمخشري فقال عن صاحب الكشف: "وقد رزق مواهب عبد القاهر في صدق النظرة ولطافة الحس ودقيق الاستشفاف . ولكن صاحب أسرار البلاغة قد رزق انطباعاً في التعبير واسترسالاً في التوجيه واطراداً في النسق لم يستطع الزمخشري أن يبلغ كثيراً منه . وقد وضح ذلك من مسلك الرجلين في التأويل فعبد القاهر يتعرض للآية البليغة ليبسطها بسطاً كاشفاً متماسكاً يجرى به النفس الأدبي إلى أبعد شوط وأقصاه، أما الزمخشري فقد جعل الحوار سبيله في التوضيح فهو يقول إن قلت كذا فالجواب كذا .

وهذه الطريقة تقنع العقل وترضيه، ولكنها تبعث على الإيجاز في مواضع تتطلب البسط والامتداد .

وقد مهد لعبد القاهر أن يطيل فيبدع أنه لم يتعرض لتفسير الكتاب آية آية فيغرق في بحر لجى لا ساحل له إذ كان صاحب قضية يبسطها مستعينا على إيضاها بما يتوجه إليه من آيات الكتاب .

(١) نفس السابق ص ٣١ .

(٢) الحنيس : الظلمة . و — : الليل الشديد الظلمة . (ج) حنادس . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ١٧٤ .

(٣) خطوات التفسير البياني ص ٣٢ — ٣٣ .

أما الزمخشري فيتعرض لتفسير القرآن آية آية • فهو مضطر إلى الإيجاز • ولكنه مع ذلك قد اتجه إلى البسط في بعض الآيات الكريمة فلم يبلغ شأواً (١) صاحبه الكبير والصفحات الأولى من تفسير الفاتحة والبقرة ذات بسط ممتد لا يُنكر • ومجال الموازنة بين عبد القاهر والزمخشري في تأويل الآيات الأولى من سورة البقرة ممهد ميسر لمن يريد حيث اتكأ صاحب الكشف على الجرجاني اتكاء لا تخفى دلائله فهو رائده وهاديه " (٢) •

ويبدو لي : أن د/ البيومي رحمته الله لم يقصد بذلك أن يُنقص من قدر صاحب الكشف وإنما أراد أن يعطى لكل واحد قدره لأنه بصدد الموازنة بينه وبين الجرجاني ولابد من تمييز بينهما •

وقد قال عن صاحب الكشف " وقد وفقه الله فأكمل الشوط إلى نهايته وأتى من النكت البلاغية بما قصر عنه كل متناول طموح " (٣) •

وقد ساق أمثلة من تفسير الكشف تبين كيف تناول الآيات القرآنية تناولاً ينسجم مع معتقده الكلامية انسجاماً يراه متفقاً مع أسرار القول البياني دون اعتساف •

رابعاً: الرافي والاستشفاف الذوقي : — تميز الأديب الكبير الأستاذ/

مصطفى صادق الرافعي رحمته الله بالاستشفاف الذوقي ، ويحدثنا د/ البيومي رحمته الله عن ذلك قائلاً: " ولكني أشير إلى نمط من التفسير البياني، اهتدى إليه الرجل إهداء عجباً هذا النمط مختلف الأفانين فمرة يلتزم بالتعبير القرآني فيمعن في تحليله البياني دون أن يتطرق إلى سواه، ومرة يتخذ من الآية الكريمة مدداً لخاطر عجيبة لا يأتي مثلها إلا من مثله إذ يجعل النص نقطة ابتداء لخاطر تدور حوله وتعيش في جوه ، ويمتد به الخيال فيجعل منه قصة كالقصة وليس ذلك تفسيراً بمعناه الدقيق،

(١) الشأو : الشوط • و — : الأمد والغاية • ويقال : إنه لبعيد الشأو : أي المهمة • ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٣٣٣ •

(٢) خطوات التفسير البياني ص ٣٣ — ٣٤ •

(٣) نفس السابق ص ٣٤ •

ولكنه سبّح في أجواء التفسير وما يلهمه السياق من خواطر، والرجل بهذا السبّح المطرد لا يقول إنه يفسر القرآن ولكنه يقول إنه يعيش في جو القرآن " (١) .

ثم أشار د/ البيومي إلى أمثلة لهذين النوعين من التفسير البياني لدى الرافعي ثم اثبت أن الرافعي لم يؤلف كتابا منفردا في تحليل البيان القرآني وإن كان قد عزم على انشاء كتاب في ذلك بعنوان (أسرار الإعجاز) إلا أنه لم يكتمل ولم يطبع .

وقد اعتمد فيما ساق من أمثلة على شذور من كتابه العظيم (وحي القلم) وكتاب (رسائل الرافعي)، وكتاب (إعجاز القرآن) .

ثم ذكر د/ البيومي: استنتاجه الدقيق بأن اتجاه الرافعي البياني من ورائه الإمام عبد القاهر، وهذا يدل على علو مكانته الأدبية الرفيعة ويدل على ما رآه قائلاً: " ويخيل إليّ أن الامام عبد القاهر من وراء اتجاه الرافعي البياني نحو القرآن فقد أخذ عنوان كتابه الذي لم يقدر له أن يظهر من كتابي عبد القاهر (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز) فجعل عنوان كتابه (أسرار الإعجاز) وليست هذه ملاحظة شكلية، ولكنها ملاحظة جوهرية، لأن قارئ الرافعي في كتاباته القرآنية يلوح له طيف عبد القاهر في بعض ما يقرأ وليس معنى هذا أنه يحتذيه ولكن معناه أنه هضم آراءه فولدت له آراء جديدة، وسار في الطريق خطوات تلت خطوات عبد القاهر في كتابيه " (٢) .

ثم عقد د/ البيومي موازنة بين اللّمحات الفنية عند عبد القاهر والرافعي قائلاً: " ونسأل ما الفرق بين اللّمحات الفنية التي ساقها إمام كبير كعبد القاهر الجرجاني في كتابيه ، وما جاء به الرافعي من اللّمحات؟ والجواب أن عبد القاهر يعيش في النص ليرى ما فيه من ذكر وحذف وتقديم وتأخير مما ينحو هذا المنحى ويدل على ذلك، بعبارة ناصعة هي الإبداع بعينه كما نرى في وقوفه عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

(١) خطوات التفسير البياني ص ١٦٤ .

(٢) السابق ص ١٧٢ .

وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (١) .
 وقوله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذِينٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ (٢) فإنه ﷺ قد حلل الأسلوب تحليلًا بيانيًا، ولكنه لم ينته إلى الغرض العام الذي سيق من أجله النص الكريم ، والرافعي يبدع في تحليل النص بيانيًا كما أبدع عبد القاهر، ولكنه يعقبه بالغرض التشريعي والمعنى التوجيهي في بسط شاف، ليكشف أسرار الإرشاد القرآني، وما يقصد إليه من مرمى تشريعي " (٣) .
 يتبين من ذلك أن: الأستاذ/ الرافعي استفاد من الإمام عبد القاهر دون أن يحتذيه حذو القذة بالقذة (٤)، بل هضم آرائه وأتى بالجديد، ولذا كانت خطواته البيانية خطوات أخرى تلت خطوات الإمام عبد القاهر .

وبهذا الجهد العظيم من د/البيومي ﷺ في التأريخ للتفسير البياني اتضحت للدعاة إلى الله كتب التفسير البياني بأنواعها ومنهج رجالها، وبذلك يستفيد منها الدعاة في مجال دعوتهم إلى الله تعالى فإن لكل تفسير مشرب ولا يُعني تفسير عن غيره، فللداعية أن يفتح على هذه الكتب، ويأخذ ما في بطونها من جواهر ولآلئ ، ويغض الطرف عما يشوبها من نقائص ومآخذ .

(١) سورة هود من الآية رقم ٤٤ .

(٢) سورة القصص من الآية رقم ٢٣ .

(٣) خطوات التفسير البياني ص ١٧٨ .

(٤) القُذَّة : ريشة الطائر كالنسر والصقر ، بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم . يقال : هو مثله حذو القذة بالقذة .

ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٤٩٤ .

المطلب الثاني

جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي وعلوم القرآن

أولاً: جهوده في قضايا تتعلق بالتفسير البياني:

ويظهر ذلك من خلال ما تناوله في كتابه الرائع (البيان القرآني) (١) وقد تناول فيه العديد من القضايا (٢) التي تتعلق بالتفسير البياني، ومن أمثلتها ما يلي :

١- قضية التكرار في كتاب الله .

٢- قضية الزيادة في ألفاظ القرآن الكريم .

٣- قضية المعرب في القرآن الكريم .

وأري أن أتخير من هذه القضايا: قضية التكرار في كتاب الله فقط، خشية الإطالة ومن أراد الاستزادة فليراجعها في مواضعها (٣) من هذا الكتاب القيم (البيان القرآني)

وقد تحدث د/ البيومي رحمته الله عنها مبيناً ما قاله البيانون في شأن القصة المكررة: بأن لكل قصة مكررة سياقها الخاص الذي يختلف عن غيره؛ لأن القصة مجموعة وقائع، ولكل واقعة مغزى خاص . فتذكر القصة مراعاة لمغزى معين في موضوع، ومراعاة لمغزى غيره في موقع آخر؛ حتى تتضح العبرة البالغة منها كما يمهّد لها السياق، فليست قصة - سيدنا - نوح - عليه السلام - مثلاً وقد خُصت بها سورة مستقلة - مكتملة الوقائع في هذه السورة، بل في كتاب الله ما يكمل أحداثها في سور شتى؛ ولذلك كان تكرارها مما يضيف الجديد لا محالة (٤) .

(١) ينظر البيان القرآني طبعته الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة الطبعة الأولى في شوال سنة ١٤٢١هـ / يناير ٢٠٠١ م .

(٢) من هذه القضايا: أسلوب منفرد، بين الجزالة والرقعة، بلاغة الإقناع، بلاغة التصوير . . . وغيرها . ينظر السابق ص ١٥٤ - ٦٤ .

(٣) تراجع - قضية الزيادة في ألفاظ القرآن في ص ٢٤٥ - ٢٥٢ في كتاب البيان القرآني، وقضية المعرب في القرآن الكريم

في ص ٢٧٢ - ٢٧٨ في نفس الكتاب أيضا .

(٤) البيان القرآني ص ٢١٣ .

ثم أكد على أن القرآن غير خاضع لما تخضع له البحوث العلمية التي هي من صنع البشر قائلًا: " وليس القرآن مجرد معلومات وأحداث تسرد حتى نكتفى بالمرّة الواحدة في السرد، ولكنه إعجاز أدبي يتناول المعنى بأكثر من أسلوب، وفي تنوع الأساليب عطاء لا ينفد، والذين يحاولون أن يجعلوا كتاب الله خاضعا لما يخضع له مؤلفو البحوث العلمية يضلون السبيل؛ إذ أن مقاييس البشر المحدودة لا تطبق على كتاب إلهي فوق المقاييس، بدليل أن هذه المقاييس البشرية تروج في عصر وتهبط في عصر سواه" (١) .

ثم ساق د/ البيومي مثالا من تكرار القصص القرآني قائلًا: "كنت أقرأ الجزء الخامس والعشرين من كتاب الله تعالى مبتدئاً بسورة الشورى ومنتهياً بسورة الجاثية، فاسترعى انتباهي أن قصة — سيدنا — موسى — عليه السلام — تكررت في سورتين متعاقبتين، هما: سورة الزخرف، والدخان، على نحو موجز سريع، ورأيت من المفيد أن أرجع إلى النصين الكريمين (٢) لأقف أمامهما وقفة الدارس، فأعرف مناسبة كل نص، وأقف على فائدة التكرار كما يتصورها النظر المتأمل، فإذا نظرنا إلى النص الأول في سورة الزخرف وجدنا أن السورة الكريمة تتعنى على المشركين استخفافهم برسول الله إذ قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣) وهم يعنون بذلك أن يكون من اختاره الله لدعوته سيد القوم جاهاً وثراء، فرد الله عليهم بأن رحمة الله من شأنه، وليس لأحد أن يصرفها كما يشاء، فقد قسم للناس معيشتهم في الحياة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لبلغ المشركون من المتاع مبلغاً كبيراً، فكان لبيوتهم سقف من فضة، وأبواب وسرر ومعارج عليها

(١) نفس السابق ونفس الصفحة .

(٢) النصان هما: ١ — قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) إلى قوله:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (٥٦) سورة الزخرف الآيات من ٤٦ — ٥٦ ، ٢ — قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ

فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧) إلى قوله: ﴿وَأَنبَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ﴾ (٣٣) سورة الدخان الآيات من ١٧ — ٣٣ .

(٣) سورة الزخرف من الآية رقم ٣١ .

يظهرون، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، وكل ذلك مواساة لرسول الله كيلا يعنف به الضيق، وهنا جاءت مناسبة قصة — سيدنا — موسى — عليه السلام — وفرعون؛ لأن الذين قالوا لرسول الله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لهم أسلاف من الكفرة الذين قال فرعون بلسانهم: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (١) هذا هو السياق المتتابع، وقد جاءت القصة في مكانها الطبيعي لتضرب المثل بالسابق ليتعزى اللاحق، فإذا تركنا السياق إلى نص القصة فإننا نجد إيجازها المعجز قد شمل معاني كثيرة، إذ تحدث القرآن عن بعضها في مواضع أخرى فإن حديثها في سورة الزخرف يحمل طابعه المتمثل في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (٤٧) وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢)، وإذا قال فرعون — فيما حكاه الله عنه في مناسبات أخرى —: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٣)، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ (٤) فإنه في هذه السورة يقول: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي! ويتعجب لفقر موسى وادعائه النبوة — في تقديره — فيتهكم به قائلاً — فيما حكى الله عنه —: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٥) وقارئ هذا النص الكريم في سورة الزخرف لا يستغنى عنه بنص آخر فيما سبقه أو لحقه من حديث — سيدنا — موسى — عليه السلام — في القرآن؛ لأن ما سبق عن — سيدنا — موسى — عليه السلام — مسهباً في مثل سورة الأعراف، والشعراء، والقصص، وغيرها لا يلم بما جاء في هذا الحديث الموجز، وإن فلتتكرار فائدته لفظاً، ومعنى، وهو ليس بتكرار حقيقي إذا علمنا ما أضاف من الجديد إلى سيرة — سيدنا — موسى عليه السلام ومن التعزية

(١) سورة الزخرف من الآية ٥١ — ٥٢ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) سورة النازعات من الآية رقم ٢٤ .

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٥٢ .

(٥) سورة القصص من الآية ٣٨ .

والتسلية إلى — سيدنا — محمد ﷺ حيث أيدته النص وثبتت فؤاده فليس عليه أن يأسى

لقول المشركين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (١) بعد أن سمع

قول فرعون — لسيدنا — موسى — عليه السلام: —

﴿أَمَأَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٢) .

فإذا اتجهنا إلى النص الثاني في سورة الدخان فإننا نجد مناسبته واضحة صريحة، فقد حذرت السورة من بأس الله وعذابه حين تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس بالعذاب الأليم فيصيح صائحهم: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٣) إذ يستغيثون بربهم وقد كفروا بنبيه ﷺ، وأرهقوه، وتولوا عنه، وقالوا معلم مجنون! هذا القول المنكر آذى الرسول وضايقه، فاحتاج إلى تسلية حميدة من قصص السابقين، فضرب الله المثل — بسيدنا — موسى — عليه السلام — كما ضرب به المثل في سورة الزخرف .

ومع اتحاد المناسبة فقد جاء حديث سورة الدخان جديدا بما يحمل من المعاني في مثل قول الله ﷻ — على لسان — سيدنا — موسى — عليه السلام — : ﴿أَنْ أَدُؤَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ﴾ (١٩) (٤) .

وقد هدده قومه بالعذاب والرجم، فرد يقول فيما حكى القرآن عنه: ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٢٠) (٥) ثم دعاهم إلى الحياد فلا يعترضون سبيله قائلاً: ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُونِ﴾ (٢١) (٦)، وهذا لم يأت في نص الزخرف .

وقد هيا الله له سبيل النجدة والإنقاذ حين أمره أن يسرى بعباده المؤمنين ليلاً، وأن يترك البحر رهوا فسينجو من الغرق، ويهلك أعداؤه الألداء، وإذا قال الله في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْنَ آلِيَّكُمْ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْآنْهَرُ تَجْرِي مِنْ

(١) سورة الزخرف من الآية — ٣١ .

(٢) سورة الزخرف الآية رقم ٥٢ .

(٣) سورة الدخان الآية رقم ١٢ .

(٤) سورة الدخان الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٥) سورة الدخان آية رقم ٢٠ .

(٦) سورة الدخان الآية رقم ٢١ .

تَحْتَى أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ (١) فقد عبر في سورة الدخان عن هذا المعنى في تصوير رائع ممتاز حين قال ﷻ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (٢) ثم تلا ذلك كله هذا النص المعجز: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٣) ويا له من تصوير! " (٤) .

بذلك أبان د/ البيومي عن هذه القضية ، وأزال ما قد يعلق بالأذهان بشأنها، وردّ على المشككين الطاعنين في القرآن الكريم من هذا الباب بما يدحض شبهاتهم، ويفيل آراءهم، فالتكرار في القرآن في الحقيقة ليس بتكرار، لأنه يضيف الجديد " ويؤدي وظيفتين:

أولاهما : من الناحية الدينية • ثانيهما : من الناحية الأدبية •

فالناحية الدينية — باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع — لا يخلو منها فن من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين •

أما الناحية الأدبية: فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان " (٥) •

وقد اقتصر د/ البيومي في حديثه عن التكرار في القرآن على التكرار في القصص، وأما التكرار في غيره فقد دعا غيره من الدارسين أن ينهض بتجليته.

ويمكن لي أن: أعرض مثلاً لذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (٦)

(١) سورة الزخرف آية رقم ٥١ •

(٢) سورة الدخان الآيات من ٢٥ — ٢٨ •

(٣) سورة الدخان الآية رقم ٢٩ •

(٤) البيان القرآني ص ٢١٤ — ٢١٨ •

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين — مجموعة من العلماء — ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — بالقاهرة

سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ص ٧٧ — ٧٨ •

(٦) سورة الرعد من الآية رقم ٥ •

فقد تكررت كلمة أولئك ثلاث مرات " ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسنا وروعة •

فالأولى، والثانية: تسجلان حكماً عاماً على منكري البعث: كفرهم بربهم وكون الأغلال في أعناقهم •

والثالثة: بيان لمصيرهم المهين • ودخولهم النار • ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يعقبه خروج منها •

ولو أسقطت (أولئك) من الموضعين الثاني والثالث لرك المعنى واضطرب • فتصبح الواو الداخلة على: (الأغلال في أعناقهم) • واو حال • وتصبح الواو الداخلة على: (أصحاب النار هم فيها خالدون) عاطفة عطفًا يرك معه المعنى •

لذلك حسن موضع التكرار في الآية لما فيه من صحة المعنى وتقويته • وتأكيد النسبة في المواضع الثلاثة للتسجيل عليهم بسوء المصير " (١) •

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله: تبصير الدعاة إلى الله بأن التكرار في القرآن الكريم يُضيف الجديد، ويُفيد من الناحية الدينية والناحية الأدبية؛ حتي يتسنى لهم الردُّ على من يطعن على القرآن أو يقدح فيه من الطاعنين في ذلك •

ثانياً: جهوده في قضايا تتعلق بعلم القرآن:

ويظهر ذلك من خلال تناوله لبعض القضايا ومن هذه القضايا ما يلي:

- أ — قضية المناسبة بين الآيات القرآنية .
 - ب — قضية المناسبة بين السور القرآنية .
 - ج — قضية التدرج في التشريع القرآني .
- وأخير قضية: المناسبة بين الآيات القرآنية، خشية الإطالة، ومن أراد الاستزادة فليُنظر في هاتين القضيتين الأخرتين في موضعهما^(٢) من هذا الكتاب العظيم (البيان القرآني)

(١) حقائق الإسلام مرجع سابق ص ٧٩ — ٨٠ •

(٢) ينظر البيان القرآني للعلامة د/ البيومي رحمه الله ص ٢٢٦ — ٢٣٢ ، ٢٦٠ — ٢٦٤ •

ونقل د/ البيومي رحمته الله في المناسبة بين الآيات القرآنية ، عن الإمام السيوطي (١) رحمته الله في الإتيان رأى سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٢) — رحمته الله — قائلاً: " روى الجلال السيوطي — رحمته الله — فى الإتيان عن عز الدين بن عبد السلام — رحمته الله — قوله: واعلم أن المناسبة علم، ولكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد يرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يسان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة، فى أحكام مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربطه ببعض " (٣) .

ثم علق د/ البيومي رحمته الله على كلام سلطان العلماء رحمته الله قائلاً: " وهذا كلام صريح من سلطان العلماء العز بن عبد السلام ينطق بأن الربط يصح إذا كان طبيعياً، أما إذا كان وليد تكلف وتعمل فهو مرفوض مرفوض فى كلام البشر، فما ظنك بكلام الله، وهو البيان المعجز الذي لا تتناول إليه الرقاب إلا وهى مشوقه مستلهمة " (٤) .

ثم ذكر د/ البيومي مثلاً للربط المتكلف بين الآيات: والمثال نقله عن الشيخ عبد القادر المغربي رحمته الله قائلاً: " قال الشيخ عبد القادر المغربي فى تفسير جزء تبارك: ذهب القفال — رحمته الله — إلى أن الكلام فى الآية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿٥﴾ متصل بالحديث المسوق فى الآيات قبلها، وأن الخطاب فيها لذلك الجاحد الذي يفجر

(١) هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي، الشافعي، المسند، المحقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة . ولد فى رجب سنة ٨٤٩هـ الموافق ١٤٤٥م . وتوفى فى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ الموافق ١٥٠٥م . ومن أشهر مؤلفاته: (الدر المنثور فى التفسير المأثور) ، وقد جمع الإمام السيوطي رحمته الله فى هذا التفسير: ما بين الصحيح والعليل من الأحاديث، ولذلك فهو يحتاج إلى تصفية حتى يتبين غثه من سمينه . ينظر موسوعة أعلام الفكر — بقلم أ — د / عبد الحى الفرماوى — مرجع سابق ص٤٧٤ — ٤٧٥ .

(٢) هو أبو محمد، عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام ، الشهير ب (سلطان العلماء) ، و (شيخ الإسلام) ، ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ الموافق ١١٨١م ، وتوفى سنة ٦٦٠هـ الموافق ١٢٦٢م . من أهم مؤلفاته المطبوعة: (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) ، (بداية السؤل فى تفضيل الرسول) وغيرهما . ينظر السابق — بقلم أ — د/ محمد عمارة — ص٧٠٥ — ٧٠٦ .

(٣) البيان القرآني مرجع سابق ص٢٢١ .

(٤) السابق نفس الصفحة .

(٥) سورة القيامة آية رقم ١٦ .

أمامه، وإذا خوفه مخوف بيوم القيامة أجاب مستهزئاً: أيا ن يوم القيامة؟ حتى إذا جاء ذلك اليوم لم يجد مفراً إلا إلى الله، ونُبئ بما قدم وأخر، وقد علم من آيات أخرى أن الإنسان يعطى يوم القيامة صحيفة عمله، ويقال له:

﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ (١) ۞

فإذا أخذ في قراءتها تلجلج وتكلف الإسراع في القراءة لينجو من هذا الموقف المخزي، فيقال له: لا تحرك به لسانك مريداً التقضى والتخلص منه بهذه العجلة، فإنه يجب علينا بحكم الوعد والحكمة أن نجمع عملك ونقرأه عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار، ثم إن علينا بيانه، أي بيان أمره، وشرح مراتب عقوبته " (٢) ۞

وفي مجال التعليق كتب د/ البيومي قائلاً: " هذا ما ربط به الإمام القفال الآية الكريمة بما قبلها، وفيه تكلف لامبرر له؛ لأن قول الله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ ۚ ﴿ (١٨) لا يمكن أن يتجه إلى صحيفة عمل المرء دون أن تسبق الإشارة إليها، والإحالة على آية كريمة من سورة أخرى افتعال يرفضه الذوق البياني في أفصح كتاب عربي . ونحن نقول لمن يعشقون هذا الضرب من التكلف: إن كل كلام في أى لغة من اللغات يجد له من يستطيع تحويله عن وجهته متى تكلف الافتعال، واعتصم بنوع من الذكاء، والحق الذي لا مرية فيه أننا لانعدل عن القريب إلا إذا تعذر رجوع الضمير إليه، وقامت قرينة تدل على الإشارة إلى البعد، وهنا لا يتعذر فهم الكلام على نهجه الطبيعي، كما لم تقم قرينة دالة على الإحالة إلى آية كريمة في سورة أخرى، ففيم العناء؟ " (٤) ۞

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٤ ۞

(٢) البيان القرآني ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ۞

(٣) سورة القيامة آية رقم ١٨ ۞

(٤) السابق ص ٢٢٤ ۞

وأخيراً ختم د/ البيومي حديثه بقوله: "إننا نرحب بكل محاولة جادة تشير إلى الربط البياني في الكتاب المعجز بحيث يكون الارتباط سافر الوجه؛ أما أن نشط في غلو يشين ولا يزين، فهذا ما يجب أن يتنزه عنه الدارسون" (١) .

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى: تزويد الدعاة بما يفتح لهم مغاليق القرآن العظيم، وتبصيرهم بأن الربط البياني في الكتاب المعجز يقع في أمر متحد يرتبط فيه أول الكلام بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف، وتكلف الربط بين الآيات القرآنية أمر مرفوض في كتاب الله تعالى .

المطلب الثالث

التفسير المقارن لبعض آيات القرآن الكريم

ويظهر ذلك من خلال عرضه لتفسير بعض الآيات الكريمة التي فسرت بأراء مختلفة، ومقارنته بينها مرجحاً لما يراه منها، تاركاً للقارئ أن يهتدى إلى الصواب بنفسه دون قسر، وهذه طبيعته في بحث المسائل والقضايا الخلافية عرفتها من طول صحبتي العلمية له، لا يحمل القارئ على رأى رآه راجحاً لديه، ولا يُنقص من شأن المخالف له في الرأى .

وقد ذكر في ذلك بعض الآيات القرآنية ، وهي :

١- الآيات التي تتحدث عن أصحاب الأعراف .

٢- الآيات الواردة في أخذ الميثاق على بنى آدم .

ثالثاً: الآية التي تجيب على سيدنا إبراهيم عليه السلام بكيفية إحياء الموتى .

وأري أن أخير: الآيات الواردة في أخذ الميثاق علي بني آدم ، خشية الإطالة وأترك بقية الآيات لمن أراد الاستزادة أن يراجعها في مواضعها من كتاب قضايا إسلامية مناقشات وردود (١) للعلامة د/ البيومي رحمته الله .

فقد وردت هذه الآيات في أخذ الميثاق على بني آدم: قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (٢) .

وعرض د/ البيومي رحمته الله أقوال المفسرين قائلاً: " هذا نص قرآني تناوله المفسرون، فذكر بعضهم ما يؤخذ مباشرة من منطوقه الحقيقي كواقع ثابت، واتجه بعضهم الآخر وجهة المجاز في تفسيره! فالذين يجعلونه حقيقة واقعة يروون آثارا تدل على أن الله عز وجل أول ما أهبط آدم إلى الأرض مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة، ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم) فقالوا (بلى)، ويزيدون على النص فيروون أن الله قد مسح مسحتين بيمينه فقال في الأولى: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وقال في الثانية: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فإذا انتهوا من رواية هذه الآثار جعلوها تفسيراً للآية، وذهبوا يتصيدون من كتب الأحاديث ما قد يلتبس فيه — على وجوه من الشطط البعيد — تأييد هذا التفسير! " (١) .

وفي مناقشة هذا القول كتب قائلاً: " وإذا كانت الأحاديث التي يعتمدون عليها لم تبلغ مبلغ التواتر فإن أصول الإسلام المقررة تمنع أن نفسر الآيتين علي الوجه الذي

(١) الآيات التي تتحدث عن أصحاب الأعراف ، تراجع في كتاب قضايا إسلامية مناقشات وردود — د/ البيومي — ط دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م — ج ٢ / ٤٢ — ٤٦ . والآيات التي تحيب علي سيدنا إبراهيم عليه السلام بكيفية إحياء الموتى ، تراجع في الكتاب السابق أيضا نفس الجزء ص ٢٣٨ — ٢٤٣ .

(٢) سورة الأعراف الآيات من ١٧٢ — ١٧٤ .

(٣) البيان القرآني ص ١٠٥ .

يحبون؛ إذ أننا نعلم جميعاً أن مناط التكليف عند البلوغ، فكيف يؤخذ الإنسان بعهد قيل عنه إنه أخذ في عالم الذر؟! وقد جاء إلى الدنيا وهو لا يعلم شيئاً عما كان؟! ولماذا يكون الطفل قبل البلوغ غير مسئول عن إيمانه وكفره إن جاء إلى الحياة — حقيقة — وقد أخذت عليه المواثيق بالإيمان، واستمع إلى سؤال الله! (أأست بربكم)؟

فقال مع القائلين: (بلى)! وماذا نصنع مع من ندعوهم بأهل الفترة وقد حكم بنجاتهم من العذاب؟ لأن الرسول لم يبلغهم عن ربه ما يقيم به عليهم وجه الحجة، إنهم لو كانوا حقيقة بين من أخذ عليهم العهد في عالم الذر — كما يريد هؤلاء أن يقولوا في تفسير الآية — لخضعوا للمسئولية، ولحوسبوا على كفرهم بالله، ولكن نجاتهم من النار تدل على أنهم لم يأخذوا عهداً سابقاً يحاسبون على مخالفته، ولهذا قال تعالى في كتابه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١)، وإذا كنا نعتزف بعدالة الله ونزاهته فإن العدالة النزيهة تمنع أن يحاسب الله عبده على شيء لم يتذكره، إذ أنه يدخل باب الحياة طفلاً غير مدرك، وينمو إدراكه شيئاً فشيئاً وفق ما يتيسر له من التجربة والتعليم حين يسمع إلى أمه وأبيه، أو يزيد فيقرأ النصوص الدينية ويختلف إلى أساتذته الموجهين فيعلم عن ربه ما يجهل، ويكون قد شارب سن البلوغ فاقتدر على تمييز الخطأ والصواب، ولمس من دلائل القدرة الربانية ما يدفعه إلى الإيمان، وإذا كان الله قد جعل الحكمة في أخذ هذا العهد على الناس أن تنقطع حجتهم فلا يقولوا: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢) فإن نشأة الطفل المشاهدة على ظهر الحياة من لدن أن يستهل صارخاً تنطق بغفلته عن كل شيء، فإذا حوسب على شيء قيل إنه تعهد به في عالم الذر فله الحق كل الحق أن يقول لا أتذكر شيئاً دون أن يجد من يدفع حجته " (١) .

(١) سورة النساء من الآية رقم ١٦٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية رقم ١٧٢ .

(٣) البيان القرآني ص ١٠٦ .

وبعد هذه المناقشة التي بناها د/ البيومي على أن القول بحقيقة الميثاق يلزم منه مسئولية بني آدم عن هذا الميثاق ومحاسبتهم عليه وقد خرجوا إلى الحياة ولم يعوا عنه شيئاً، عرض بطلان هذا القول وتأنيده للقول الآخر قائلاً: " ونحن نقول تبعاً لذلك: لو كانت قصة العهد في عالم الذر حقيقة واقعة لتذكرها نفر ممن أخذ عليهم ذلك العهد، ولكن ذلك لم يكن، فبطل القول به، ووجب أن نعدل بالنص الكريم من الحقيقة إلى المجاز، فنرى أن الآيتين من قبيل التمثيل البلاغي على حد الاستعارة؛ إذ أن الله ﷻ قد منح العقول من النظر الصائب والتدبر السديد ما يهديها بفطرتها الخالصة إلى وجوده الصريح حين تتأمل في ملكوت السماء والأرض، وترى في اختلاف الليل والنهار وإنبات الزرع وجريان الأنهار واتزان الطبيعة على نحو ثابت لا يتغير، ترى في ذلك كله ما ينبئ عن وجود خالق مدبر يستنتق العقول بالاعتراف به، فيكون ذلك شهادة صريحة على وجوده تهتف بها النفوس تلقائياً حين تتأمل في مشاهد الكون الدقيق هتافاً نفسياً ينزل منزلة الاعتراف الأكيد، وهو ما يشير إليه قول الله:

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۚ﴾ (١) فكأن مشاهد الكون هي السؤال، والتدبر في هذه المشاهد الناطقة بالقدرة هو الإجابة المنطقية المحتومة لذوى النظر السديد، وفي مجال التطبيق البلاغي ننقل من الكشف قول الزمخشري في تفسير الآية: هذا من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ] وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك" (٢) .

بذلك اتضح : ترجيح د/ البيومي ﷺ للقول الثاني وهو حمل الميثاق في هذه الآيات على المجاز حتى لا يصادم أصول الإسلام التي تقرر بأن مناط التكليف عند البلوغ .

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ١٧٢ .

(٢) البيان القرآني ص ١٠٧ .

ولكني أري : رأياً آخر مع تقديري لرأى أستاذي الجليل، وهو أن القول بالحقيقة أولى من القول بالمجاز؛ لأن القول بالمجاز فيه تعطيل للنصوص الصحيحة التي جاءت مؤكدة ومفسرة لهذه الآيات، ومن هذه النصوص ما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: { إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان (١) يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۖ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۖ﴾ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ (٢) { (٣) .

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه {إن الله يقول لأهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدى به؟ قال: نعم قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك} (٤) .

٣- عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يارسول الله، أتبدأ الأعمال أم قضى القضاء، قال فقال رسول الله ﷺ: { إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهره، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ليسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ليسرون لعمل أهل النار } (٥) .

(١) نعمان : هو واد إلى جنب عرفة . ينظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد — الشيخ حافظ

ابن أحمد الحكمي ج١/٦٠

(٢) سورة الأعراف الآيات من ١٧٢ — ١٧٣ .

(٣) صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١/٢٧٢ . والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير باب قوله تعالى (وإذا أخذ ربك ٠٠٠) الآية ج٦/٣٤٧ — حديث رقم ١١١٩١ . والحاكم في المستدرک ج٢/٥٤٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . والألباني في الصحيحة برقم ١٦٢٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٦٠ باب خلق آدم وذريته رقم ١ — حديث رقم ٣٣٣٤ مرجع سابق ج٩/ ٥٩٦ . وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم ٥٠ — باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض رقم ١٠ — حديث رقم ٢٨٠٥ — مرجع سابق ج٩/ ١٦١ .

(٥) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٧٠٢ والحديث أخرجه الطبراني والبرار .

فهذه الأحاديث الصحيحة تثبت الميثاق حقيقة، وهو أن الله تعالى قرره بإثبات ربوبيته وهم في عالم الذر بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم وملكيهم فأقروا بذلك • أما كون هذا الميثاق حجة عليهم في كفرهم وعنادهم بعد ذلك فليس " في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك • فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم الذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتاج الله عليهم بأمر، ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟! " (١) •

والمواثيق ثلاثة وهي:

" الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما •

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذ عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٢) وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض ابن حمار والأسود بن سريع رضي الله عنه وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما •

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديدا للميثاق الأول وتذكيراً به ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٣)، فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف، لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله الله عليه، فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلثم ولا يتردد، ومن أدركه وقد تغيرت

(١) الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي — تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — ط مؤسسة الرسالة الطبعة السابعة

سنة ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م — ص ٢٧١ •

(٣) سورة النساء الآية رقم ١٦٥ •

(٢) سورة الروم من الآية رقم ٣٠ •

فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهودّه أبواه أو نصرّاه أو مجّساه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذبا بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال [بلى] جوابا لقوله تعالى [ألست بربكم] وقامت عليه الحجة وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب ﴿ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١) ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيراً قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة " (٢) .

بذلك اتضح أن: الميثاق لا يترتب على مجرد مخالفته العقاب، وإنما هو تهيئة لبني آدم وهم في عالم الذر لتقبل دعوة الرسل، ودفع نوازغ الشياطين مثل ما وقع للنبي ﷺ من شق صدره " في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان وليطهر ويُقدس من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب عليه الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شئ إلا التوحيد " (٣) .

وهذا من تمام عدل الله تعالى فقد قابل الموروث العقدي للآباء بهذا الميثاق حتى لا تقوم لأحد حجة بأن عدم اتباعه للرسول هو ما ورثه عن الآباء من الكفر والتكذيب، ولعل ذلك — والله أعلم — ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ (٤) .

(١) سورة الحج من الآية ١٨ .

(٢) الشيخ / حافظ بن أحمد الحكمي — معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد — ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م ج ١ / ٦٢ .

(٣) الإمام السهيلي — الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام — ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م ج ١ / ٣٢٢ .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٧٣ .

المطلب الرابع

الرد على المستشرقين في قضايا قرآنية

ويظهر ذلك من خلال مؤلفه الرائع في الرد على المستشرق الفرنسي جاك بيرك في ترجمته للقرآن باللغة الفرنسية في كتابه (إعادة قراءة القرآن)، وكان ذلك بتكليف من شيخ الأزهر السابق رحمته الله، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " تفضل صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد السيد الطنطاوي شيخ الأزهر فقدم إليّ ترجمة ما كتبه المستشرق الفرنسي جاك بيرك تحت عنوان (إعادة قراءة القرآن)، لأقوم بالرد على ما بدرسته من أخطاء، وإني أشكر فضيلته إن كنت أهلاً لتقته الكريمة، وأدعو الله أن يوفقني إلى تصويب ما بالدارسة من خطأ متعدد الجوانب " (١) .

ولم يك د/ البيومي رحمته الله بمنأى عن ترجمة جاك بيرك فقد جال في نفسه أن يقوم بالرد عليه، ولكن تواضعه العلمي حال بينه وبين ذلك حتى جاءه تكليف رسمي من شيخ الأزهر، وما كلفه شيخ الأزهر بهذه المهمة الجليله إلا لما علمه عنه من المقدرة العلمية على ذلك .

ويحدثنا عن ذلك قائلاً : " وقد حدثت نفسي أن أقوم برد على هذه الهلاميات المتهرئة التي حاول جاك بيرك أن يعمل منها كائناً متماسكاً، ولكني — شهد الله — قلت إن المخلصين من الكفاة كثيرون، وفيهم من هو أجدر مني وأعلم، وكلهم غيور على الحقيقة من حيث إنها حقيقة قبل أن يكون غيوراً على شيء آخر، ولكن الله أراد لي أن أقوم بما حاولت النكوص عنه، فقد جاءني اقتراح أخي الإمام الأكبر الدكتور محمد السيد الطنطاوي، رحمته الله — بل قراره الملزم بأن أقوم بالرد جاءني ومعه الترجمة، وخلاصة لها فعلت أن الأمر حتم " (٢) .

ثم عرض د/ البيومي رحمته الله تعريفاً لجاك بيرك قائلاً: "ولد بيرك في الجزائر عام ١٩١٠م، ودرس في السوربون، ثم عمل بعد ذلك في المغرب، وقد لاحظ الصلة

(١) د/ محمد رجب البيومي — إعادة قراءة القرآن — يرد على جاك بيرك — ط دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩٩٩م ص ٥ .

(٢) السابق ص ١٦ .

الوثيقة التي تربط بين الفرنسيين، والعرب في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وكان لأدائه الخدمة العسكرية الفضل في الاطلاع على الجانب الآخر من الحياة في المغرب مما أفاده كثيرا في دراسة علم الاجتماع • وقد غادر بيرك المغرب متوجهاً إلى القاهرة في أغسطس عام ١٩٥٢م، ثم إلى لبنان، وفي عام ١٩٥٦م سافر إلى فرنسا حيث قام بتدريس التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر زهاء ربع قرن من الزمان • وقد نجح بيرك في خلق جيل جديد يعنى بالدراسات الشرقية، وقد واصل عمله في الكتابة والسفر والمراسلة دون كلل أو ملل، في نفس الوقت الذي كان يقوم فيه بترجمة معاني القرآن الكريم، وتناول بيرك في كتابه العشرات من الموضوعات، ومن أشهر أعماله (العرب بين الأمس واليوم)، و (الإسلام يواجه التحدي)، وتم نشر أعماله في دور النشر " (١) •

ثم بيّن د/ البيومي: أن بيرك لم يرجع في ترجمته إلى ترجمات من سبقوه من المنصفين أمثال الأستاذ/ إدوار مونتير، والأستاذ/ بلاشير قائلاً: " ولنفرض أن الرجل رأى في نفسه كفاءة للترجمة الأمنية وهو على حال من التواضع العلمي الخاص باللغة العربية، فقد كان عليه أن يرجع إلى ترجمتي إدوار مونتير، وبلاشير يستشيرهما إذا وجد السياق لا يسعف بالمعنى الذي اختاره لألفاظ مثل: ترجمة (أم الكتاب) بوالدة الكتاب، وترجمة (تاب الله) بمعنى ندم إلى أخطاء كثيرة، وأشرت إلى بعضها في نقد الدراسة •

ألم يكن من الأولى له أن يرجع إلى ما تقدمه من الترجمات، فإذا وجد خلافا واضحا بين ما مال إليه وما قرره سابقوه، التزم الحيطة وراجع السياق، ويكون عمدته في الترجيح ما كتبه المفسرون، وقد رجع إلى كثير منهم، وحرّف أقوالهم عن عمد! كان الأوجب الألزم أن يرجع إلى هؤلاء، ولكنه لم يفعل، كما كان الأولى أن يثق بأقوال المفسرين لأنهم أهل اللغة العارفون، وكما أعقل هذه الترجمات، أعقل بحوثا بالفرنسية عن كتاب الله كانت أكثر إنصافاً واعتدلاً، حين رجع إلى من اشتهروا

بالحفيظة (١) على الإسلام، وهو مأخذ آخر، كان عليه أن يقرأ لجميع ما يقع تحت يديه مما خص نفسه بدراسته، بل كان عليه أن يشير إلى آرائهم إذا وجدها معارضة لما يعتقد، ويكر عليها بالنقد، شأن الأمانة الأثبات " (٢) .

يتبين من ذلك: أن بيرك لم يلتزم الأمانة العلمية في ترجمته للقرآن الكريم ، وتعمد الإساءة إلى الإسلام بتحريف معاني ألفاظ القرآن الكريم عن مواضعها، كما تعمد تصحيف الألفاظ العربية لتأييد ما أراده من التشهير بالقرآن الكريم مستعينا بكتابات أقرانه المشهرين بالإسلام غاضاً الطرف عن المنصفين منهم .

لذا فقد سطر العديد من الأخطاء في ترجمته التي تناولها د/ البيومي رحمته الله بالتصويب، وكرّ عليها بالنقد ليحقق الحق ويُبطل الباطل .
ويُعد عمله هذا من أجل الأعمال لخدمة كتاب الله تعالى أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته .

ويمكن عدّ جملة من الأخطاء التي وقع فيها بيرك كالاتي:

- ١- أنه لم تنشأ نسخة مكتوبة لكتاب الله إلا في عهد- سيدنا - عثمان - رضي الله عنه -
أما الجمع فقد كان من الأفواه اعتماداً على ذاكرة الصحابة .
- ٢- أن القرآن تابع الإنجيل في تكرار جمع الأجزاء المتفرقة من حكايات تمت كتابتها بالتنقيح والتعديل ، فكان الإنجيل مصدراً من مصادر القرآن .
- ٣- أن القرآن استخلص بعض المشاهد من سفر التكوين، وكان مصدره فيما تحدث به عن قصص بعض الأنبياء .
- ٤- أن اللغة العربية عند نزول الوحي كانت غيرها عند جمع القرآن في عهد عثمان، ولذلك قام الجامعون بتنقيح جديد يخضع للتطور اللغوي .

(١) الحفيظة : الغضب . والحمية . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق مادة حفظ ص ١٦١ .

(٢) السابق ص ٢٤ - ٢٦ .

٥- أن ترتيل القرآن، وتحسين الصوت به أدى إلى اختلاف المعاني المرادة، فكان مثل القراءات في ذلك على نحو ما توهم المخطئون؟ والترتيل والقراءات كلاهما برىء .

٦- أن بالقرآن أخطاءً نحوية حاول المفسرون أن يدافعوا عنها فما انتهوا إلى شيء .

٧- أن بعض الآيات القرآنية تحمل طابع الانشاد في الشعر الجاهلي .

٨- أن التشريع في القرآن الكريم ليس قانوناً خالصاً لأن اختلاطه بعناصر التقوى والدعوة إلى الفضائل يبعده عن مسائل التشريع المقنن الدقيق .

٩- أن معنى الدين الحق في القرآن يمتد إلى المسيحية واليهودية، لأن غير الحق ما عليه الملاحدة والمشركون والمنافقون فحسب .

١٠- أن رجوع الرسول ﷺ إلى النص القرآني في حادث تال يعوق التشريع عن النمو والاكتمال، إذ كان عليه أن يفتي من عنده ولا يرتد إلى كتاب الله .

١١- أن العلمانية لا تخالف الإسلام في المضمون الجوهرية، فالدعوة إليها تسير في نهج الإسلام (١) .

هذه أراجيف بثها بيريك في ترجمته، وتعقبها د/ البيومي بالنقد، وأري أن أعرض لثلاثة منها مشفوعة برّد د/ البيومي ﷺ، ومن أراد الاستزادة فليراجع هذا الكتاب القيم (إعادة قراءة القرآن) للعلامة د/ البيومي ﷺ، وهذه الثلاثة هي:

أ- قوله: إنه لم تنشأ نسخة مكتوبة لكتاب الله، إلا في عهد سيدنا - عثمان - رضي الله عنه، أما الجمع فقد كان من الأفواه اعتماداً على ذاكرة الصحابة .

وفي الرد عليه كتب د/ البيومي ﷺ قائلاً: " عقد المؤلف فصلاً تحت عنوان (تجميع) حاول فيه أن يشكك في ما روى عن جمع القرآن بترتيبه المتعارف في عهد رسول الله ﷺ فقال كانت ذاكرة الحفاظ تعتبر أكثر ضماناً، بمقتضى الأهمية التي كانت

(١) ينظر إعادة قراءة القرآن ص ٢٨-٣٠ ببعض التصرف .

هذه المجتمعات وما زالت تسيغها على الصوت، حاملة النفثة الحية، ولم تنشأ عن هذه المصادر المتنوعة وثيقة مكتوبة بصورة قاطعة إلا في عهد الخليفة عثمان — رضي الله عنه . وهذا الكلام يتضمن شيئين، أن ذاكرة الحفاظ كانت أكثر ضماناً في حفظ القرآن قبل أن يجمع في عهد الخليفة عثمان — رضي الله عنه ، وأن ما جمع في عهد الخليفة كان أول جمع من الذاكرة الصحابية .

أما القول الأول: وهو أن ذاكرة الحفاظ كانت أكثر ضماناً، فمعناه أن كتاب الوحي على عهد الرسول لم يكتبوا شيئاً من القرآن، وإنما وكل الأمر للذاكرة وحدها، وهذا غير الواقع، الذي أجمعت عليه الأمة، لأن ترتيب الآيات القرآنية في المصحف الشريف كان بتوقيف من النبي ﷺ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بآيات القرآن منجمة فيوحىها إلى النبي ﷺ، ويدله على موضع كل آية من سورتها، فكان عليه السلام يبلغها للصحابة، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها، فيقول ضعوا هذه الآية في المكان الذي يذكر فيه كذا وكذا، وكان جبريل عليه السلام يعارضه بالقرآن في رمضان من كل عام مرة، فكان الرسول يقرؤه في مدارسته له مرتب الآيات على النحو الذي نراه في المصاحف، حتى إذا تم نزول القرآن كانت كل آية مرتبة في سورها، وقد حفظها الصحابة عنه بترتيبها .

وهكذا قال كل المؤرخين، وإذن فحفظ الصحابة لم يكن وحده المصدر للنص الشريف، ولكن ما سطره كتاب الوحي بتعليم جبريل عليه السلام، وتبليغ النبي ﷺ لكتابه كان الحافظ لكتاب الله في عهد النبوة .

ومن الأدلة على ذلك ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه وقال: {أتاني جبريل — عليه السلام — فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ (٢)، وكما روى الإمام مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري، { وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء } (٣) .

فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة معلومة على عهد النبي الكريم، كما يدل على أن ترتيب الآيات توقيفي، ويدل عليه أيضاً ما ثبت في السنة الصحيحة من قراءته عليه السلام لسور عديدة كسور البقرة وآل عمران والنساء (٤)، وما ورد في البخاري من قراءته سورة الأعراف في صلاة المغرب (٥) وما ورد في النسائي من أنه ﷺ قرأ سورة (قد أفلح المؤمنون) في صلاة الصبح (٦) .

(١) سورة النحل من الآية رقم ٩٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤/٢٩٧ حديث رقم ٥٩٣٧ ط دار ابن كثير — بيروت .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد رقم ٥ — باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً رقم ١٧ — حديث رقم ٥٦٧ — مرجع سابق ج٣/٥٥ — ٥٦ .

(٤) عن حذيفة رضى الله عنه قال : {صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة فمضى فقلت يركع عند المائتين فمضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فافتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ . . إلخ الحديث . أخرجه النسائي في سننه في كتاب قيام الليل وتطوع النهار — باب كيف صلاة الليل حديث رقم ١٦٦٠ ط دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م ج٣/٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٥) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال لمروان بن الحكم {مالي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها بأطول الطويلين ؟ قلت : يا أبا عبد الله ما أطول الطويلين قال : الأعراف } أخرجه البخاري في كتاب الأذان حديث رقم ٧٦٤ .

(٦) عن عبد الله بن السائب قال : {قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح بالمؤمنون ، فلما أتى على ذكر عيسى أصابته شرقة فركع } هذا لفظ ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها رقم ٥ — باب القراءة في صلاة الفجر رقم ٥ حديث رقم ٨٢٠ ط دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م ج١/٣٢٨ . وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة رقم ١ باب الصلاة في النعل رقم ٨٩ . حديث رقم ٦٤٩ — ج١/٣٠٤ . وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح — باب قراءة بعض السور — حديث رقم ١٠٠٣ وصححه الألباني في صحيح السنن .

وإذن فالمصحف مكتوب في عهده ﷺ، ومعروف بسوره وترتيب آياتها، فكيف يقال أولاً، إن ذاكرة الحفاظ كانت أكثر ضماناً، ومع الذاكرة ما كتب وروجع بمحضر جبريل — عليه السلام —؟! " (١) •

وأما القول الثاني: فقد فنده بقوله: " فكيف يقال إن ما جُمع في عهد الخليفة عثمان — عليه السلام — كان أول جمع من الذاكرة الصحابية! لقد قرأ السيد جاك بيرك هذه الأحاديث الصريحة، وعلم تداولها التام بين الدارسين، ولكنه رأى في تصديقها مانعاً لما يرمى إليه من الشك في النص القرآني، إذ يعرف أن الذاكرة مهما قويت فلا تعدم الخطأ، أما المسطر المكتوب فطروق الشك إليه متعذر، وهو مما ينفي أى شك في صحة النص الشريف، لذلك تخطاه إلى الذاكرة، والذاكرة فقط، ليصل إلى ما يريد " (٢) •

بهذا الرد الشافي أبطل د/ البيومي رحمه الله هذه الفرية التي افتراها بيرك في ترجمته حول جمع القرآن الكريم، فلم يُصب بقوله إن القرآن لم يجمع إلا في عهد عثمان عليه السلام وكان محفوظاً في الذاكرة •

والصحيح " أن القرآن حظى بأوفى نصيب من عناية النبي ﷺ وأصحابه، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره، عن عنايتهم بكتابته ونقشه؛ ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم • فهذا هو ذا رسول الله ﷺ، قد اتخذ كتاباً للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته؛ مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ " (٣) •

ب — قوله: إن التشريع في القرآن الكريم ليس قانوناً خالصاً لأن اختلاطه بعناصر التقوى والدعوة إلى الفضائل يبعده عن مسائل التشريع المقنن الدقيق •

(١) إعادة قراءة القرآن — مرجع سابق ص ١٥٥ — ١٥٨ •

(٢) السابق ص ١٥٨ •

(٣) مناهل العرفان — مرجع سابق ج ١/ ٢٠٨ — ٢٠٩ •

وفى الرد عليه كتب د/ البيومي **رَحِمَهُ اللهُ** قائلاً : " وما يعده جاك بترك نقداً نعه
نحن ميزة ، فالقانون الذي يتضمن عناصر التقوى والأخلاق، يحمل معه أدوات قوية
من أدوات الاستجابة والترغيب، أما المادة الجافة المجردة من ذلك، فلا تبلغ بالقانون
مبلغه المؤثر في النفس •

وأضرب المثل لذلك بنص تشريعي في القرآن، تخللته مواعظ التقوى، وظهرت
فيه المثل الأخلاقية الكريمة ثم أنقل الأحكام مجردة من ذلك كشأنها في القوانين
الوضعية ، ليعلم القارئ أى السبيلين أنهج وأقوم؟
قال الله تعالى في أول سورة النساء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ وَأَتُوا أَلْيَنَ أَمْوَالِكُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْدَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى
وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتِهِنَّ نِحْلَةً
فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۝٤﴾ (١).

فإذا فهمنا هذا النص التشريعي المحكم، وحاولنا أن نجعله مواد بعيدة عن
المنحى الخلقي، والفضائل الإنسانية فإنه يصبح قريباً مما يأتي :

- ١- اتقوا الله، فإنه خلقكم من نفس واحدة، فكلكم من أصل متحد غير مختلف •
- ٢- راعوا حقوق الأرحام فإنكم ستسألون عنها •
- ٣- تجب رعاية اليتيم، وصيانة أمواله، وتسليمها له حينما يبلغ الرشد •
- ٤- يحرم خلط المال الخاص بمال اليتيم، لأن في ذلك حيفاً عليه وإثماً عليكم •
- ٥- لا يجوز الزواج بأكثر من أربع زوجات بشرط العدل بينهن في القسمة •
- ٦- يجب الاقتصار على واحدة إذا خشي الزوج عدم العدالة •

وأتساءل: أهذه العناصر القانونية محددة في النص القرآني، أم أنها تتدرج في سياق غير محدد؟، فإذا تم لها ما يبغى المشرع من التحديد، فلماذا نخاف الدعوة إلى الفضائل، والاعتصام بالتقوى؟

وبعد أن قرر الكاتب أن التشريع ركام غامض من قانون وأخلاق، وتحذير من الله عند المخالفة، قال: (ولا نعنى بذلك إنكار الغايات التشريعية للنص، ولا إنكار أن هذه القواعد تتحدد في صيغ قانونية بمعنى الكلمة) ولو سكت عند ذلك لقلنا إنه رجع إلى الحق، ولكنه قال بعد ذلك (ولكن القاعدة القانونية بها تنبثق من هالة واسعة حيث تستمد منها فاعليتها الأصلية)! سلمنا ذلك فماذا فيه؟ أ تكون مراعاة الفضائل هالة واسعة يضيع في جوفها الحكم التشريعي؟ وبدون تمهيد انتقل إلى معنى جديد هو أن التشريع الإسلامي يرى أن كل ما ليس محرماً فهو مشروع .

واعترضه على هذه السعة الفسيحة في التشريع الإسلامي، والتي يجب أن تُعد إحدى ميزاته الباهرة — اعترضه على هذه السعة الرحبة التي تحدث عنها أعلام القانون مباهين — هواننا سنخضع معها لتوجيهات القدوة من الأعلام ومتحرزي الفقهاء، فنسعى إلى أن نتخلق مثلاً بأداب الرسول؛ وقد كان يتحاشى بعض الحلال، فتكون النتيجة أن يضيق استعمال الحلال! ولا أدري كيف يقال هذا؟

إن التشريع قد أباح شيئاً، وقد امتنع عنه إنسان باختياره دون إجبار، أبهذا الامتناع من أناس مثاليين لا يمثلون غير الندرة النادرة من الصفوة تكون القاعدة العظيمة موضع شك لدى التطبيق؟ ويتابع الكاتب آراءه الشخصية فيجزم بأن النظام القرآني في القرآن مجرد قواعد لها أهمية نسبية في مجال الأحوال الشخصية، والباقي وصايا أو مواعظ للعبارة وقلماً تتخذ شكل الأوامر .

وقد أقحم كلمة الحدود إقحاماً! إذ الحدود ليست من أبواب الأحوال الشخصية، فالأحوال الشخصية اصطلاح معروف يتعلق بمسائل الأسرة من زواج وطلاق

وميراث، فما دخل الحدود في مجال هذه الأحوال، ثم إن أحكام الحدود في القرآن صارمة، وليست من قبيل المواعظ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (١) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ (٢) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ (٣) إلى مالا أستطيع حصره، فهل جاء ذلك من قبيل المواعظ، ولم يتخذ شكل الأوامر، أيجهل الرجل أن (اجلدوا) و(اقطعوا) فعلا أمر، وأن عبارة كتب عليكم تتضمن الإلزام التام دون نكوص! هل جاءت هذه العبارات الصارمة مراداً بها الوعظ أو التثقيف ولا شيء بعد ذلك! أنزل الله هذه الأحكام لتعطل؟ ولماذا أنزلها إذن؟

إذا كانت المسألة مسألة وعظ! وقفز الباحثقفزة هائلة دون أن يستشهد عليها بمثال واحد فقال إن هذه الأحكام في مجال التطبيق جاءت غامضة فأتاحت للمسؤولين سعة في الاختيارات، ومن هنا تراكمت الأحكام القضائية في القانون الإسلامي .

وقد اعترف الباحث بأن أصحاب هذه الأحكام كانوا جهابذة وقضاة وعلماء، وهذا حق، ولكنه قال إنهم أعادوا تفسير النصوص حين تثار حالات خاصة .

وأنا أقول: إن ذلك مما يشهد بكفاءتهم القانونية، وهم في هذا التفسير يلتزمون بالنص وما يمكن أن يعطيه، لا أنهم يعدلون عنه، وكان هذا الاجتهاد الدائب في التطبيق التشريعي مصدر ثراء لا ينفد!

وبعد شطحات متنافرة، تحدث عن العرف في الشريعة حديث من يجهل مؤداه، حيث يقول إن القرآن يرجع إلى العرف الذي يشمل كل ما هو ملائم، جوار كل ما هو منكر! وهو خبط حائر بين مدلولي كلمتي (العرف) والمعروف، فالعرف عند

(١) سورة النور من الآية ٢ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٣٨ .

(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٨ .

الأصوليين هو المتعارف عليه مما يكون موضع السماح أو المؤاخذه، والقرآن لا يرجع إلى العرف كما ذكر الباحث.

ولكن الفقهاء يعدونه من أصول الأحكام، أما المعروف المقابل للمنكر فغير، (العرف) الأصولي، وما كنت أعرف أن مثل ذلك يخفى على أحد! وفي ختام البحث رجع إلى تكرير ما سماه بالركام الخليط الغامض من الأحكام، مع أنه مدح السعة التي يتجه إليها التشريع في أحكامه، أف تكون هذه السعة مصدرا لركام غامض من الأحكام؟

وقد انتهى للأسف إلى: أن هذا الركام جاء من سياق الأخلاقيات الفاضلة في نصوص الأحكام! فهل يقول بهذا أحد؟ " (١) •

بهذا العرض الأمين لما قاله بيري في ترجمته عن التشريع الإسلامي ومتابعته بالرد الشافي السديد جلّي د/ البيومي رحمته الله الحقيقة وأتى على بنیان هذه الفرية من القواعد فتصدعت وتهدمت •

وتبين أن بيركا لم يك مؤهلاً علمياً، فهو على جهل كبير باللغة العربية، ووضح ذلك من خلطه بين مدلولي كلمتي العرف، والمعروف مع أن بينهما فرق واضح لا يخفى على المبتدئ فضلاً عن أستاذ كبير تصدى لصناعة ترجمة لأعظم وأشرف كتاب تحدى البشرية جمعاء فعجزوا عن محاكاته •

ج — قوله: أن العلمانية لا تخالف الإسلام في المضمون الجوهرى، فالدعوة إليها تسير فى نهج الإسلام •

وفى الرد عليه كتب د/ البيومي قائلاً: " يريد الكاتب أن يقول إن العلمانية متفقة مع الإسلام ٠٠ — فقد قال — بصريح اللفظ إن الإسلام يعلن طواعية أنه علماني، ليقول للمسلمين لا تخافوا من العلمانية لأنها من صميم الإسلام، وأنتم علمانيون ولكنكم لا تشعرون! ٠٠ يقدم جاك بيري رجلاً ويؤخر أخرى حين يقول إن المجتمعات

الإسلامية راسخة البنية متميزة بالطابع الديني بحيث لا تقاس بها المجتمعات المسيحية في هذا المضمار، ثم يعقب ذلك بأنها لازالت سهلة الانقياد للقدرية على مستوى الجماهير! والقدرية التي يفهمها المسلمون اليوم غير التي يعنيها جاك بيرك •

فالقضاء والقدر عند المسلمين لا يعني أن العبد ريشة في مهب الريح كما كان يقال عند من أسموا أنفسهم بالجبرية، ولكنه يعني أن للمسلم قدرته وإرادته وحريته، والله من ورائه يهديه النجدين ويعلمه طريقى الخير والشر، فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، ولا يوجد الآن مسلم يعتقد أنه غير مخير في الذهاب والمجئ والكسب والعمل، وأنه مجبور على فعل أمر لا يتعداه! • • وسيراً في طريقه المنادى بالعلمانية، ينتقل إلى خطوة أخرى فيقول: إن القانون الإسلامى (يريد التشريع) يقف كراية حرب أمام كل اتجاه يخالفه وله مميزاته؛ فقد كان دافع المسلمين إلى مقاومة الاستعمار •

وهذا حق، وكانت له قيمه المتعلقة بالمعرفة الإنسانية • وهذا حق أيضاً، وأنه يترجم شمولية الحياة كوحدة متكاملة تصلح أن تكون علاجاً للتقسيم العقيم للعالم الصناعي!

كل ذلك كان للتشريع الإسلامى، كما قرر الباحث، فماذا يراد منه بعد ذلك؟

هنا يصل الباحث: إلى مراده الذى أتعب نفسه فى طريق البلوغ إليه، فيقول إن المنادين بالتشريع الإسلامى يفهمون جملة (صالح للدين والدنيا) فهماً مشوشاً، لأن الدين يدعو إلى التنسيق بين هذين المفهومين وليس الخلط بينهما، كما يفيد حرف العطف (الواو) •

عالم النحو جاك بيرك يرى أن معنى الواو هو انفصال المتعاطفين، فالدين شيء، والدنيا شيء آخر، مع أن أول مبتدئ فى علم العربية يعرف أن الواو لمطلق الجمع، فالجمع بين المتعاطفين أول ما يفهم من الواو، فإذا أراد أحد التفريق أو عدم الخلط، كما يعبر جاك بيرك، فعنده أو فيقال: الدين أو الدنيا، فهل الواو هى أو، فى نحو الباحث النحوي!؟

وبفهم الواو على طريقته يقول إن المرء ليعجب أن هذا الشعار ثنائي الكلمة قد اختاره خصوم العلمانية شعاراً لهم، ولكي يرد على هؤلاء الخصوم فقد اختار نصين من نصوص القرآن يرى فيهما الرد السديد .

أما النص الأول فقول الله ﷻ ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (١) وبعدها مباشرة هذه الآية التي لم يشر إليها الباحث مع أنها متعلقة بها، ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

فهذه الآية الكريمة ليس بها أي دليل على فصل الدنيا عن الدين، إنما تنهى عن عبادة الفرد لا عن الحكم بما أنزل الله، وقد نزلت رداً على من يقولون إن عيسى إله . يقول الزمخشري: فيها تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالوا لرسول الله: أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً؟ فقال: {معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني} (٣) والآية نفسها تدل على التمسك بشريعة الكتاب، لأن هذا البشر قد أتاه الله الكتاب والحكمة ليعمل بهما، ولم يأت الكتاب ليبعد عن دنيا الحياة! ولو تدبر الباحث قول الله: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ (٤) لعلم تمام العلم أن الآية لا تفيد أدنى فائدة فيما يريد، فكيف قال بعد الإشارة إلى الآية الكريمة إنها تحرم على مبلغى القانون، بسبب مهمتهم المتعلقة بالتعليم والدراسة، اغتصاب السلطة، وينبغي أن يقتصر على دورهم كربانيين ولى أن أسأل: هل الذي يحكم بشريعة الله، ويأتي عن طريق الاختيار العادل، ويعزل إذا أخطأ، ويقول إني وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن اعتدلت فأطيعوني وإن ملت فقوموني، يكون مغتصباً للسلطة؟!

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٨٠ .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق ج ٥ / ٣٨٤ .

(٤) سورة آل عمران من الآية ٨٠ .

أذلك هو المغتصب؟ أم الفاشي والنازي والماركسي ممن يحكمون بالحديد والنار؟!

أما النص الثاني فقول الله ﷻ مخاطباً رسوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ (١) وهو بعيد عن مسألة فصل الدين عن الدنيا، إنما الآية من قبيل قول الله، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (٢) وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (٣) — فمن كفر فعليه وزره، ومن آمن فلا بد أن يلتزم بشريعة الإسلام! بعد هذا كله نؤكد: أن الجدل ليس مفتعلاً عن العلمانية، وإن الذين يفصلون الدين عن شئون الحياة، وهم يعرفون أن للدين أحكامه العادلة، وتعاليمه الواقية، لا يتكبرون له إلا لما يحذرونه من مؤاخذتهم في الدنيا حين يقتربون الموبقات، وهذا ما عناه الله ﷻ حين قال: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ ﴾ (٤) .

قال الزمخشري في معنى الآية الكريمة: "ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات، وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه" (٥) ، وهذا ما يتحاشاه الإسلام " (٦) . بذلك أبطل د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ : أباطيل جاك بيرك حول القرآن الكريم . ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى: تزويد الدعاة إلى الله بمعرفة ما يُثيره المستشرقون من شبهات وأباطيل حول القرآن الكريم؛ للطعن في نصوصه الكريمة؛ بهدف تشكيك المسلمين في قدسيته، وزعزعة الإيمان به في نفوسهم،

(١) سورة الغاشية الآية ٢١ — ٢٢ .

(٢) سورة القصص من الآية ٥٦ .

(٣) سورة الرعد من الآية ٤٠ .

(٤) سورة القيامة آية رقم ٥

(٥) العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل —

ط — دار الكتاب العربي — بيروت — سنة ١٤٠٧هـ — ج ٤/ ٦٦٠ .

(٦) إعادة قراءة القرآن ص ٣١٢ — ٣١٣ ، ٣١٥ — ٣٢٠ . ببعض التصرف .

وتزويدهم كذلك بمعرفة كيفية الرد علي هؤلاء، وتجلية الحقائق؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

المطلب الخامس

إبراز مناهج بعض المفسرين المعاصرين

ويظهر ذلك من خلال تناوله لبعض من المفسرين المعاصرين وهم:

- أ — الأستاذ الشهيد/ سيد قطب رحمته الله .
 - ب — الأستاذ الإمام/ محمد متولي الشعراوي رحمته الله .
 - ج — الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق رحمته الله .
- وأري أن أتخير من هؤلاء، فضيلة الإمام الداعية الكبير /محمد متولي الشعراوي رحمته الله، ومن أراد المزيد فليراجع البقية في كتاب التفسير القرآني^(١) للعلامة د/ البيومي رحمته الله .

وقد قام د/ البيومي رحمته الله بجهد عظيم في الإبانة عن منهج الأستاذ الكبير الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمته الله ، ويظهر ذلك من خلال ترجمته للشيخ رحمته الله في كتاب أسماه (محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح)، وكتب قائلاً: "أهم ما أكدته الإمام محمد متولي الشعراوي في تفسيره هو أن القرآن كتاب الحياة، فقد جمع صلاحها وإصلاحها، وبه وحده تسير عجلة الحياة على أحسن وجه يتاح . ذلك أن الرجل في كل دروسه لم يخرج عن كتاب الله، فهو دائماً يقف أمام آية يشرحها، ويفصل ما أجمل من معانيها، وهذا الشرح وحده قد جمع شئون الحياة، وخاض به الشيخ فيما يشغل الناس من أمور الاجتماع والسياسة والأخلاق والاقتصاد:

(١) يراجع ما كتبه العلامة البيومي عن منهج الأستاذ الشهيد / سيد قطب رحمته الله في كتاب التفسير القرآني طبعة المؤسسة العربية الحديثة ، ص١٤٢ — ١٥٠ . وأما ما كتبه عن منهج الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق رحمته الله ، فيراجع في كتاب التفسير القرآني هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر شوال ١٤٢٥هـ الجزء الثاني ص١٦٧ — ١٩٠ . وهذا البحث ليس موجوداً في طبعة المؤسسة العربية الحديثة .

ومعنى ذلك كله أن القرآن قد أصبح بتفسيره الناطق من فم الشيخ دستور الناس، ولهم فيه غنية من ناحية الإصلاح والصلاح عما سواه، وذلك ما ينبغي أن يكون فعلاً .

وهذا مطلب كان عزيز المنال قبل تفسير الشيخ، لأن سابقه في الزمن الماضي — مع فضلهم الجزيل وجهدهم الحميد — قد تركوا شئون الهداية مما جاء القرآن أصلاً لتوضيحها، إلى شئون أخرى من معارف العلوم، فقد نجد في كتبهم مباحث النحو والصرف والبلاغة وعلم الكلام، وشجوناً من القصص والتاريخ، ومسائل من الفقه والأصول، ولكنك لا تجد إلا نادراً نور الهداية الذي يضئ القلوب، ويأخذ بالنفس من ظلمات الشك إلى ضمائر الضياء " (١) .

" جاء الأستاذ الشعراوي فكان هدفه الأول والأخير معاً أن يكون كتاب الله كما أنزله الله نبراس الحياة، يضئ ظلماتها، ويعالج أدواءها، وعين طريقها المستقيم، وقد أمده الله بعونه فكانت آيات الكتاب المبين تشرق في روحه، قبل أن يصل شعاعها إلى الناس، فإذا اعتملت في خاطره وهو صامت يفكر، فإنه يسلسل معانيها، وييسر أدواءها، فتقع من النفوس لا موقع الإرتياح فحسب، بل موقع الطرب والابتهاج! حتى تعلو أصوات التكبير من السامعين تلقائياً، إذ لا يملكون السكوت " (٢) .

بذلك اتضح : أن منهج الأستاذ الكبير الشيخ/ محمد متولي الشعراوي رحمته الله في تفسيره توجيهي، حيث يوجه الناس إلى ما يصلحهم في دنياهم وأخراهم، ويقدم العلاج الناجع لأمرضهم المتفشية، والعلاج الوقائي من الأمراض، وهو بذلك متمشياً مع رسالة القرآن الكريم حيث إنه مصدر هداية للناس، وقانون سماوي لتنظيم الحياة، وإخراج العالمين من الظلمات إلى النور، وهو بذلك أيضاً يوافق الإمام/ محمد عبده رحمته الله، مع أفراد كل منهما بطريقته وأسلوبه في تفسيره .

وقد عقد د/ البيومي رحمته الله في كتابه (الصراط المستقيم) موازنة رائعة بين الإمام الشعراوي والإمام محمد عبده رحمهما الله فقال: " أظهر وجوه الموازنة بين

(١) د/ محمد رجب البيومي — محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح — ط — مكتبة التراث الإسلامي

بالقاهرة بدون سنة طبع ص ٦٥ .

(٢) السابق ص ٦٦ .

الإمامين هو منحاهما في تفسير القرآن الكريم، فقد اعتمد كلاهما على كتاب الله في الدعوة إلى الله وعقدا مجالس التفسير لإيضاح الهدى الرباني كما أنزله الله على نبيه ﷺ بعيداً عن الشطط الجامح في اعتساف الآراء واختلاق الوجوه الجمالية لتناقض الآراء، وقد اتفقا في كثير من الوجوه، اتفقا على أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وأن الغرض الأول من التفسير هو إيصال نوره إلى القلوب وفكره إلى العقول .

وليس الغرض هو المباهاة بمسائل العلم في النحو واللغة والبلاغة والأصول وعلم الكلام تساق سوقاً ليحمل عليها كتاب الله ببعض التعسف في كثير من الأحيان إظهاراً لقدرة المفسر وبراعته في وجوه العلم ٠٠٠ وقارئ التفسير عند الإمامين يرى من وجوه الاختلاف في المذهب التفكيرى ناحيتين هامتين هما أن تفسير الإمام (محمد عبده) — رَحِمَهُ اللهُ — في المنار وأقول في المنار وحده لأستثنى من ذلك تفسيره لجزء عم . هذا التفسير لا يصلح إلا للخاصة وحدهم لأن الإمام كان يلقيه على الأساتذة وكبار الطلاب في الرواق العباسي بالأزهر فهو يغوص بهم في آفاق من الفكر لا يصعد في علوها غير الدارس المتأمل، وتفسير المنار شاهد على ذلك فأنا في بعض الأحيان اضطر إلى مراجعة السطور عدة مرات لأستشف ما وراءها، وذلك فيما نقله السيد (محمد رشيد رضا) عن الإمام نقلاً حرفياً لا يختلط بتعليقات صاحب المنار .

أما تفسير الإمام/ الشعراوي، رَحِمَهُ اللهُ — فللخاصة والعامة معاً وقد قلت بهذا الصدد من قبل في بحث نشرته بمجلة الأزهر (ذي القعدة سنة ١٣٤٨هـ): لقد حرص — الشعراوي — كل الحرص على ما يفيد الخاصة والعامة في وقت واحد، فهو يبدع أفكاره وخواطره متساوقة متسلسلة ويجعلها شبيهة بالقضايا المنطقية التي تأتي نتائجها صريحة جلية بعد مقدمات لاشك في صحتها وهي بعد ذلك مؤيدة بالدليل النقلى الذى يمعن الأستاذ في تحليله ألفاظاً وفي خلاصتها ما يؤدي إليه برهاناً وتعليلاً وهذا ما يرضى الخاصة، أما العامة فسيبيل الوضوح السافر الذي يتجافى عن المصطلحات العلمية ويبتعد عن النقول المتوارثة والنقاش المدون في الكتب والحواشي والتقارير هذا

السبيل السافر هو طريقة الشعراوي - رَحِمَهُ اللهُ - في تقديم أرائه؛ لذلك يستمع إليه ذو الثقافة العالية ممن ينشد الحق لوجه الحق فيرتاح إلى منطقته كما يستمع إليه المتطلع إلى المعرفة من أبناء الشعب فيجد ما يشبع وجدانه الديني وما يقنع تفكيره الطبيعي فيصير مغتبطاً بما يسمع، ولذلك تجد تفسير المنار للخاصة وتفسير الشعراوي للخاصة والعامة معاً، وهذا تيسير من الله ساقه على يد هذا العلامة الضليع .

والجهة الثانية من نواحي الخلاف بين الإمامين (محمد عبده) و(محمد متولي الشعراوي) - رحمهما الله - في تفسيرهما الجليلين أن الإمام (محمد عبده) كان يعطى للعقل المنطقي حرية ينطلق بها إلى ما يُعرف (بالتأويل) فهو في تفسيره العلمي للآيات المتشابهة يبين رأى السلف ورأى الخلف معاً، ومع ركونه إلى رأى السلف فإنه يُفسح المجال في توضيح رأى الخلف بما يكشفه كشفاً واضحاً وكأنه معه، أما الأستاذ (الشعراوي) فلا يلجأ إلى التأويل العقلي فيما يعالج إلا إذا تعذر المعنى الحقيقي، بل إنه يصادم كل تأويل عقلي يراه بعيداً عن المنطق مصادمة مؤيدة بالدليل" (١) .

ثم عرض د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - لكلٍ منهما ما يدل على منحاه .

ثم قرر د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - أن تفسير الإمام الشعراوي - رَحِمَهُ اللهُ - من قبيل التفسير الموضوعي فقال: " فإذا نظرنا إلى تفسير الإمام الشعراوي نجده مع سيره على الترتيب المصحفي للسور الكريمة، أقرب التفسيرات جميعاً إلى التفسير الموضوعي، بل في أكثر اتجاهه هو التفسير الموضوعي بعينه، لأن حاسة الشيخ اللغوية تدفعه إلى مراجعة الكلمة القرآنية في مختلف السور متى وردت لأول مرة في النص المشروح، وبذلك يكون الموضوع متماسكا أمام القارئ لا يكاد يفلت منه شيء! وهل التفسير الموضوعي غير هذا؟

وأكلف نفسي شططاً لو استشهدت بشتى الأمثلة في مجلدات التفسير، لأن الأمر من الوضوح بحيث يعلمه المتعلم وغير المتعلم من سامعي دروس الشيخ يوم

(١) د/ محمد رجب البيومي - الصراط المستقيم - ط - سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف السنة السابعة والثلاثون

- الكتاب الثالث - سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ج ١/ ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢ -

الجمعة، فهو لا يكاد يأتي بلفظ قرآني في آية كريمة إلا ذكر مثيله في الآيات الأخرى رابطاً بين الآيات بسلسلة وثيقة من المعاني فيقدم لسامعه سمطاً (١) رائعاً ثمين الدرر، وقد يكون الموضوع فقهيّاً فيتبعه في شتى نصوصه، أو كلامياً فينقل إلى السامع كل ما جاء بشأنه مع تفصيل شاف! ويخيل إليّ! أن المفسر الكبير يستعين بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ليقف على شتى النصوص، وهو أمر طبيعي لا بد منه! بل إن من القصور ألا يتجه إليه، فما جعلت القواميس في شتى اتجاهاتها إلا للتفسير والتيسير! " (٢) •

بهذا العرض الشافي أبان د/ البيومي رحمه الله تعالى: عن منهج الأستاذ الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسيره لكتاب الله تعالى •



(١) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك • ينظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة س م ط ص ١٧٩ •

(٢) محمد متولي الشعراوي — مرجع سابق ص ٧٥ •

المبحث الثاني

د/ البيومي وجهوده في خدمة السنة النبوية

وسوف يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول

جهوده في الرد على المستشرقين حول الطعن في ثبوت السنة النبوية

ويظهر ذلك من خلال ما كتبه في كتابه الرائع (البيان النبوي)، والذي كان أصله رسالة الدكتوراة تحت عنوان (سيدنا محمد ﷺ في إبداعه الأدبي)، فقد تناول فيه ما حيك حول السنة النبوية من شبهات وأراجيف بثها المستشرق المجري اليهودي الكبير جولد زيهر للطعن في ثبوتها، ووقف منها موقف الناقد البصير المبدد للشبهات، والمبطل للأراجيف من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل .

وقد عرض د/ البيومي ما قاله المستشرق جولد زيهر قائلاً: "ونحن نعلم أن المستشرق المجري اليهودي الكبير جولد زيهر من أكبر علماء الاستشراق سعة إطلاع، وطول صبر على التنقيب في علوم الدين، وغزارة مادة، إذ أن كتبه الثلاثة عن الشريعة والعقيدة في الإسلام وعن مذاهب التفسير الإسلامي وعما سماه بدراسات إسلامية تنبئ عن إلمام واسع وبحث ملحف دعوب، وتنقيب جاهد في مطاوى المخطوطات والمطبوعات .

ولكن آفة الرأي الهوى لديه في جل ما كتب فهو مثلاً في باب السنة النبوية — لا يتتبع النصوص ليستخرج منها القول الصائب، ولكنه يفترض — أولاً — الحكم المغرض افتراضاً، ثم يذهب متلمساً ما يسنده من مبتور الروايات ومختلق الظنون فيأتي بكلام يظنه البعيد عن الدراسات الإسلامية سالكاً منهجاً قوياً من البحث — وما أكثر هؤلاء من مدعى الكتابة والتأليف .

أما البصير بتاريخ ثقافته وأصول دينه فيضرب كفا بكف حين يجد هذا الداهية الخطير في كتابه دراسات إسلامية — مثلاً — يقف أمام بعض النصوص التي تحرم كتابة الحديث مع ما يقابلها من النصوص التي تبيح الكتابة فلا يوازن بينهما بما يعرفه أهل العلم، بما سنشير إلى بعضه عن قريب، بل يلجأ إلى الافتراض المتخيل، ويجزم في جراءة عجيبة بأن هناك حزبين متناضلين اتخذوا من تعارض الأحاديث سلاحاً يذود كل منهما به عن رأيه .

فأهل الرأي وقد زعم أنهم اعتمدوا في وضع فروع الشريعة على عقولهم وأهملوا حديث رسول الله، كان من حججهم أن الحديث لم يكتب دهرًا طويلاً فغابت معالمه، وتشتت أمره، وأيدوا رأيهم بأخبار اختلقوها تثبت أنه لم يكتب، أما أهل الحديث ممن يعتمدون على النص النبوي فلم يقفوا واجمين (١) في زعمه بل فعلوا فعلتهم، واختلقوا الأخبار تأييداً لقولهم، فنسبوا إلى الرسول أحاديث في إباحة الكتابة " (٢) .

وفي التعقيب عليه قال د/ البيومي - رحمته الله - : "أرأيت إلى المعركة كما يتصورها جولد زيهر ٠٠ فقد أراح نفسه من مشقة الموازنة بين النصوص بتخيل مغرض، يثبت أن الفريقين من أعلام الرأي وأئمة المحدثين كذابون واضعون، كل فريق يختلق من الأحاديث ما يسير مع وجهته وكأن الاختلاق عمل مشروع يستبيحه كل فقيه دون تخرج " (٣) .

وفي الرد عليه قام د/ البيومي - رحمته الله - بالآتي:

١- نقل ردّ الأستاذ يوسف العش قائلاً: "وقد كان الباحث الأستاذ يوسف العش قوى الحجة حين نقل كلام زيهر السابق في بحثه الخاص بنشأة تدوين العلم في الإسلام، ثم أجهز عليه بما ينسفه نسفاً من واقع التاريخ التشريعي حيث قال بعد أن أشار إلى الاختلاف في تدوين الحديث:

(١) الواجم : الذى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام . ينظر مختار الصحاح مرجع سابق مادة وج م ص ٣٨٠ .

(٢) د/ محمد رجب البيومي — البيان النبوي — ط — دار الوفاء بالمصنوعة الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م ص ١٨ — ١٩ .

(٣) السابق ص ١٩ .

ولعل هذا الاختلاف مما دعا جولدزيهر إلى القول بأن العلماء انقسموا إلى طائفتين متخاصمتين في شأن جواز الكتابة أو عدمها، على أنه لم يصب حين قال إن من ادعى عدم جواز الكتابة هم أهل الرأي، وأن مخالفهم هم من أهل الحديث، فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين، لأن من أهل الرأي من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس وحماد بن زيد وعبدالله بن إدريس، وسفيان الثوري — رضي الله عنهم — وبينهم من أقرها كحماد بن مسلمة وزائدة بن قدامة ويحيى بن اليمان — رضي الله عنهم — ، ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليّة وهشيم بن بشر وعاصم بن ضمرة — رضي الله عنهم — وغيرهم ، ومنهم من أجازها كبقى الكلاعي وعكرمة بن عمار ومالك بن أنس — رضي الله عنهم — وغيرهم " (١) .

٢- أثبت من ترجمة كتاب جولد زيهر (دراسات إسلامية) ما يدل على أنه :
افتراض الحكم المغرض افتراضاً ليصل إلى الغاية التي انتهى إليها فقال: " لقد كان على جولد زيهر أن يدرس رجال الرأي ورجال الحديث قبل أن يأتي بمزعمه الخاطئ، ولكنه يفترضه افتراضاً ليصل إلى الغاية التي انتهى إليها حين ذكر في كتابه المشار إليه ما ترجمته نصاً: إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة الإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ولكنه أثر من جهود الإسلام في عصر النضوج .

ثم أفاض في تعداد الموجبات لوضع الحديث؛ ليتخذ منها الدليل على أن القسم الأكبر من الحديث النبوي كان نتيجة للتطور فقط — وقد عقب د/ البيومي بقوله —: وما جاء به من أسباب الوضع لم يكن خافياً على المبتدئين في دراسة علم الحديث، ولكنه ألح عليه ليستأصل به أصلاً ثابتاً من أصول التشريع ، فهل جاءه أن محاولة

ذلك الإستئصال قد منيت بالخذلان أمام ما ثبت عن الرواة الثقات والحفظة العدول" (١) .

٣- نقل عن د/ على حسن عبد القادر ردّه على جولد زيهـر برأى صريح لزميله المستشرق فينك يرد به على هذه الأراجيف قائلا: "لقد أحسن الدكتور على حسن عبد القادر حين أعقب كلام زيهـر برأى صريح لزميله المستشرق فينك يرد به على أمثال هذه الأراجيف إذ يقول في صراحة واضحة: وإذا لم يستطع النقاد المسلمون لأسباب داخلية وخارجية أن يميزوا كل الأجزاء غير الصحيحة من الحديث فإنه ليس من الحق أن نسلبهم كل الثقة، ذلك أن الحديث الإسلامي يحتوي على أساس صحيح، والرأي القائل بأن الحديث ليس إلا من وضع أهل القرنين الأول والثاني وأنه لا يدل إلا على ما صورته الأجيال الإسلامية لعصر الرسول وأصحابه هذا الرأي يجهل كل الجهل ما لشخصية الرسول من تأثير كبير في المسلمين ،

والجهود التي تحاول إبطال آثار الرسول التاريخية في السنة والحديث إنما جاءت من فهم تاريخي مادي، وهذا الفهم لا يريد أيضا أن يتبين ما في القرآن من أمور إلهية اعتقادية ويرى أن ذلك إنما يستقصى من آلاف الصور والمثل والتأثيرات المختلفة والاختلاط بالشعوب الأخرى وغير ذلك مما يؤدي في آخر الأمر إلى أن يكون تراث الإسلام مختلف الأشكال والألوان لا يصور رابطة متماسكة .

— وفي التعليق على كلام الأستاذ فينك قال د/ البيومي: — لقد وضع الأستاذ فينك يده على موضع الداء لدى جولد زيهـر وشيعته حين أعلن أنهم يقتصرون على الفهم المادي وحده تاركين كل أثر إلهي أو نبوي يغذي العنصر الروحي في الإسلام بل يحاولون أن يجعلوا تراث الإسلام وليد أجيال متعاقبة تختلط فيها الشعوب والثقافات اختلاطاً ينشئ النصوص والعقائد إنشاءً تأثيريا لا صلة له في أكثره بمحمد ﷺ" (٢) .

(١) السابق ص ٢١ .

(٢) البيان النبوي ص ٢٠ — ٢١ .

٤- أفصح عن السبب الأصل الذي نشأت عنه هذه البلبلة الدائرة حول الحديث النبوي في أذهان بعض الكاتبيين قائلًا: " ولنا أن نبحت عن السبب الأصل الذي نشأت عنه هذه البلبلة الدائرة حول الحديث النبوي في أذهان بعض الكاتبيين، فنعلن أن خطأ بعض من كتبوا تاريخ التشريع الإسلامي قد قوى هذه البلبلة .

فقد تعاونت بعض الأقلام على تسجيل فكرة هامة في تاريخ التشريع تقول: أن تدوين الحديث النبوي قد نشأ أول ما نشأ في القرن الثاني من الهجرة إذ أن عصر الرسول وصحابته ومن وليهم في القرن الأول قد مر دون أن تقيد الأحاديث في الصحف .

فلما جاء عصر التدوين كان كثيرا مما رددته الألسن مدعاة الشك والنظر، وقد ساعد على تأكيد هذه الفكرة ما يرويه بعض الرواة من أحاديث نبوية تأمر بمنع التدوين ولنا الآن أن نميط اللثام عن حقيقة هذه الفكرة لنرى أنها لم تكن لتستقر على أساس صحيح .

إن الذين كتبوا تاريخ التشريع الإسلامي يعلنون أن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - كان أول من أشار بجمع الحديث وقد صدع بأمره الإمام محمد بن شهاب الزهري - رحمته الله - (١٢٤هـ) فكان أول من دون الحديث في كتب خاصة غير مبوبة ثم شاع التدوين بعد ذلك في الجيل التالي فنشط ابن جريح - رحمته الله - (١٥٠هـ) وابن إسحاق - رحمته الله - (١٥١هـ) والربيع بن صبيح - رحمته الله - (١٦٠هـ) ومالك - رحمته الله - (١٧٩هـ) وغيرهم إلى أن جاء القرن الثالث، فظهرت الكتب الصحاح الذائعة مستندة إلى ما تطلبه التقدم الفكري من اتخاذ مناهج خاصة بكل محدث كأن يقتصر البخاري ومسلم على الحديث الصحيح، فينحو منحاهما من أراد، أو يجانبهما من يرى له منهاجا آخر من المحدثين، إلى آخر ما نعلمه من تاريخ الحديث، هذا ما يعلنه مؤرخو الحديث، وقد فهم منه الفاهمون أن السنة لم تدون من قبل عهد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ، وساد هذا الفهم حتى أصبح لدى كثير من المثقفين حقيقة بدهية لا تقبل الاختلاف، فأتاح للمرجفين أن يتساءلوا في عجب كيف حفظت الألسنة وحدها أحاديث الرسول في مدى

مائة وثلاثين عاما أو تزيد ٠٠ ثم استفاضت أحاديث تدل على منع الكتابة فأكدت مدعاة الشك فيما تُردّده الألسنة وحدها "(١)٠

٥- عرض الأحاديث الدائرة حول كتابة الحديث إثباتاً ومنعاً مع النظر فيها للوصول إلى رأى متين ٠

وقد عرض د/ البيومي أحاديث لكل اتجاه، وناقشها مناقشة هادئة مُعلنا ما يراه في ذلك، وبدأ بعرض أحاديث منع كتابة الحديث قائلًا: " فلنبدأ بما يستدلون به على المنع ، ومنه:

أ - ما روى من قول رسول الله ﷺ { لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني سوى القرآن فليمحه } (٢)، وكان من هذا أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - دخل على معاوية - رضي الله عنه - فسأله عن حديث وأراد أن يكتبه، فقال زيد - رضي الله عنه -: إن رسول الله ﷺ أمرنا ألا نكتب شيئاً من حديثه فمناه ٠

ب - روى الإمام الحافظ عبد الرازق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٣١١هـ في مصنفه أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد أن يكتب السنن وأشار عليه الصحابة بذلك حين استفاتهم ولكنه طفق يستخير الله شهراً ٠ ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني أريد أن أكتب السنن وإني تذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً ٠

ج - كان أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - يستأذن في أن يكتب عنه ما يُحدّث به عن رسول الله ﷺ فيأبى ويقول: { أتريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم ﷺ كان

(١) البيان النبوي ص ٢١ - ٢٢ ٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري في كتاب الزهد رقم ٥٣ - باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة الحديث رقم ١٦ - حديث رقم ٣٠٠٤ مرجع سابق ج ٩/٣٥٦ ٠ وأخرجه الدارمي في سننه في المقدمة - باب من لم ير كتابة الحديث - حديث رقم ٤٥٠ ط دار الريان بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ج ١/١٣٠ - ١٣١ ٠

يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ • وفي رواية أخرى أنه قال: أردتم أن تجعلوه قرآنًا، لا، لا، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله { (١) } •

د — روت عائشة — رضي الله عنها — عن أبيها {أنه جمع الحديث عن رسول الله ﷺ فكان ما عنده خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيراً، قالت فغمني، فقلت أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمى الأحاديث التي عندك فجئته بها، فدعا بنار فحرقها، فقلت لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك} " (٢) •

وفي مجال المناقشة لهذه الأحاديث كتب د/ البيومي قائلاً: "هذه نصوص دالة على منع التدوين، وقد أجاب عنها بعض المحدثين بأن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بالحديث، أو بأن النهي خاص بكتاب الوحي المتلو مثل زيد بن ثابت — ﷺ — كيلا يخلطوا القرآن بغيره، أو أن النهي لمن أمن عليه النسيان ووثق بحفظه، وهي إجابات تصلح رداً على مثل زيد بن ثابت — ﷺ — إذ كان من كتاب الوحي، وكذلك من على شاكلته من الكتاب .

أما أنا فلم أرى فيما سبق الاستشهاد به عن أبي بكر وعمر وأبي سعيد الخدري ﷺ ما يدل على نهى الرسول عن كتابة الحديث، بل ما يدل على غير ذلك إذ أن أبا بكر — ﷺ — وعمر — ﷺ — قد جمعا الأحاديث فعلا ثم بدا لهما أن يرجعا عن التدوين لأسباب ذاتية، ولو كانا يعلمان وجود نص نبوي في منع الجمع ما قاما بكتابة حديث واحد، وما كان هناك مجال لاستشارة الصحابة، وإذ ذاك لا يؤخذ امتناعهما عن التدوين مأخذ النهي المحرم من رسول الله — ﷺ — بل مأخذ الاحتراز الشخصي من رجلين

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ج ١/ ٧٦ ، ٧٧ •

(٢) البيان النبوي ص ٢٢ — ٢٣ •

يتحفظان فلا يجزمان بصحة ما لديهما من الأحاديث، فأين دليل المنع في موقفيهما هذين حتى نعتبرهما حجة نبوية . .

أما أبو سعيد الخدرى — رضي الله عنه — فليس فيما روينا عنه ما يدل على نهى الرسول، وإنما استأذن الرجل في الكتابة عنه فأبى وقال أتريدون أن تجعلوها مصاحف، إن نبيكم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . . هذا رأيه ومنحاه فحسب، فكيف يؤخذ منه ما يدل على تحريم نبوى لكتابة الحديث؟

أظن أننا بهذه المناقشة الهادئة قد أوضحنا حقيقة ما نسب إلى الرسول من أقوال تشير إلى منع التدوين في عصره — رضي الله عنه — " (١) .

وأجيب بلى، فقد أوضح د/ البيومي رحمه الله تعالى عن طريق مناقشته الهادئة لأحاديث أبي بكر وعمر وأبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنها لا حجة فيها على منع كتابة الحديث في عهد النبوة، وإنما تدل على اتجاه شخصى رآه كل واحد منهم تحفظاً من أن ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله .

وأما حديث أبى سعيد الخدرى — رضي الله عنه — فى نهى النبي ﷺ عن الكتابة بقوله: { لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه } (٢) .
فقد نقل د/ البيومي - رحمته الله - إجابة المحدثين التي تصلح رداً على من استدلوا به على منع كتابة الحديث .

ثم انتقل د/ البيومي - رحمته الله - إلى أدلة المثبتين لكتابة الحديث قائلاً: "إن الذين يقولون بوقوع التدوين في الصحف في عصر السنة الأولى: يستدلون بأدلة متعددة لعل أهمها ما يأتي:

١- أمر رسول الله ﷺ بكتابة خطبته يوم فتح مكة، لرجل من اليمن، كما جاء فى باب العلم من صحيح البخارى (٣) .

(١) السابق ص ٢٤ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٩ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة كتاب العلم رقم ٢ — باب كتابة العلم رقم ٤٠ ج ١/٣٤٨ — ٣٥٠ .

٢- روى البخاري - رحمته الله - في هذا الباب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قوله: {ما من أصحاب رسول ﷺ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - فإنه كان يكتب ولا أكتب} (١) .

٣ - أن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - كان يسمى أحاديثه بالصادقة، ويقول عنها ما كتبت فيها إلا ما سمعت أذنأى من رسول الله ﷺ، ويتحدث عنها مجاهد فيقول: رأيت عند عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - كتاباً فسألته ما هذا؟ فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد .

٤- في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أمر بعد هجرته إلى المدينة - بإحصاء المسلمين وبكتابة أحكام الزكاة وما يجب من المال وما مقداره، فكتب ذلك في صحيفتين وبقيتا محفوظتين عند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأبى بكر عمرو بن حزم - رضي الله عنه .

- ويعلق د/ البيومي بقوله - : فإذا أضيف إلى ذلك كله وجود بعض الصحائف لدى الصحابة مدوناً بها حديث رسول الله ﷺ كان ذلك دليلاً عملياً على إباحة الكتابة، فمن ذلك كتاب أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - (توفيت سنة ٣٨هـ) وكانت هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى الحبشة وتزوجت أبا بكر - رضي الله عنه - بعد موته وقد جمعت في هذا الكتاب بعض أقوال الرسول ﷺ .

ومنه كتاب سعد بن عبادة - رضي الله عنه - (١٥هـ)، ومنه صحيفة عبد بن عمرو - رضي الله عنه - المعروفة بالصادقة (٦٥هـ)، ثم صحيفة سمرة بن جندب - رضي الله عنه - ، وصحيفة جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - (٦٨هـ) ، وقد روى قتادة - رضي الله عنه - ما في هذه الصحيفة، هذا غير صحف الشيعة التي تسجل بعض ما كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ومهما كان موقف أهل السنة منها فهي في منزلة الاعتماد من المنصفين من علماء الشيعة " (٢) .

(١) أخرجه البخاري أيضاً في كتاب العلم - باب كتابة العلم - حديث رقم ١١٣ ج ١/ ٣٥٠ .

(٢) البيان النبوي ص ٢٤ - ٢٥ .

وبعد عرض أحاديث المانعين ومناقشتها، وعرض أدلة المثبتين أبدى د/ البيومي - **رحمته الله** - رأيه قائلاً: " ولنا بعد هذه الحقائق أن نجزم بأن ما فهم من كتب تاريخ التشريع بأن التدوين للحديث كان أول ما كان بعد تفكير عمر بن عبد العزيز - **رحمته الله** - ، إنما يدل على بدء التدوين الشامل الذي يهدف إلى الاستقصاء .

ولا يدل على أن كتابة الحديث في صحف شخصية لأفراد من أعلام الصحابة والتابعين كانت محرمة، حتى فكر في الأمر عمر بن عبد العزيز - **رحمته الله** - . ومضى يؤكد ذلك فقد لزم أن تخفت أصوات القائلين بأن المدة الطويلة بين رحيل رسول الله **ﷺ** وابتداء ابن شهاب الزهري - **رحمته الله** - بالتدوين كانت مدعاة نسيان أو تزويد كما يحلو لمهاجمي السنة أن يتشددوا بين الحين والحين" (١) .

وفى الحقيقة فقد أبدع د/ البيومي - **رحمته الله** - في الرد على المانعين لكتابة الحديث في عهد النبوة، وناقش أدلتهم بهدوء واضح حتى سطع الحق ، وعرض أدلة المثبتين ناصعة قوية .

هذا وأري أنه يمكن الجمع بين أدلة المانعين والمثبتين من عدة وجوه وهي:

- ١- " أن الإذن لمن خيف نسيانه، والنهي لمن أمن نسيانه وخيف اتكاله على الكتابة .
- ٢ - أن النهي كان حين خيف اختلاط الحديث بالقرآن، والإذن حين أمن ذلك . قالهما النووي في التريب وابن الصلاح في مقدمته .
- ٣- النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الاشتباه، والإذن إذا كتب كل على انفراده . قاله السيوطي في التدريب . والعراقي في فتح المغيث .
- ٤ - أن النهي كان خاصاً بوقت نزول القرآن، أما بعده فلا . قاله السيوطي في التدريب .
- ٥- أن الإذن كان خاصاً بمن يتقن القراءة ، والنهي لمن لم يتقنها خشية الغلط - قاله ابن قتيبة .

٦- أن النهي منسوخ بالإذن • قاله العراقي • (١) •

٧- " ومنهم من أعلّ حديث أبي سعيد، وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره " (٢) •

ويترجح لدى من هذه الوجوه مارجحه الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي بن عبد القادر، حيث قال: " أظهر الوجوه عندي هو الوجه السادس فليس في حديث النهي تخصيص بحالة دون أخرى، وليس في حديث الإذن الإباحة في حال دون حال، ولشخص دون شخص، وإنما حديث النهي عام (لا تكتبوا عني) وحديث الإذن عام (اكتبوا لأبي شاة) (اكتب) (استعن بيمينك) وعليه فأظهر الأقوال هو القول بالنسخ • والوجه الثاني مصير إلى الوجه السادس • فإن النهي كان في فترة الوحي الأولى، فكان أسلوب القرآن لم يتمرسه المسلمون، فلم يصرح لهم بالكتابة، فما أن أدركوا أسلوبه، وفهموا الفرق بينه وبين أسلوب البشر، إلا أباح لهم الرسول ﷺ الكتابة " (٣) •

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله: تبصير الدعاة بما يثيره المستشرقون من شبهات للطعن في ثبوت السنة النبوية، وتلقينهم الرد الذي يُخرسهم ، ويزهق أباطيلهم •

المطلب الثاني

جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي

وذلك من خلال ما تناوله في كتابه الرائع البيان النبوي من قضايا تتعلق بالبيان النبوي ، ومن أهمها الآتي:

أ — سمات خطابته ﷺ •

(١) د/ عبد المهدي بن عبد القادر — السنة النبوية — مكانتها — عوامل بقائها — تدوينها — ط — دار الاعتصام بالقاهرة بدون سنة طبع ص ١٠٨ — ١٠٩ •

(٢) د/عبد السلام بشر — دراسات في السنة وعلوم الحديث — كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م ص ١٤٠ •

(٣) السنة النبوية مرجع سابق ص ١٠٩ •

- ب — سمات رسائله ﷺ ونصوص معاهدته •
 - ج — الخصائص الأدبية للأقصوصة النبوية •
 - د — صور القيامة في أدب — سيدنا — محمد ﷺ •
 - هـ — تأثير حديث المعراج في الأدب العالمي شرقيه وغربيه •
 - و — أسلوب النبي ﷺ الإرشادي من خلال دعوته •
 - ي — فن الابتهاال عند النبي ﷺ وخصائصه الأدبية •
- وأري أن أتناول من هذه القضايا اثنتين وهما:
- ١— سمات خطابه ﷺ •
 - ٢— أسلوب النبي ﷺ الإرشادي من خلال دعوته •

أولاً: سمات خطابه ﷺ:

وتناول ذلك د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - تحت عنوان (محمد ﷺ خطيباً)، وبين أن النبي ﷺ أحدث تغييراً عظيماً للخطابة فدفَع بها للأمام، بعد أن كانت في الجاهلية لا تركز على أساس من وحدة الموضوع، وصحة المنطق • ثم بين أن النبي ﷺ مثل أعلى في خطابه شكلاً ومضموناً فقال: " لقد هيأت الأقدار لرسول الله أن يكون المثل الأعلى للخطيب الممتاز شكلاً وموضوعاً، أما من ناحية الشكل فنحن نعلم أن مؤرخي الخطابة يعدون المظهر المرئي لشخص الخطيب من بواعث توفيقه، ودلائل نجاحه فالخطيب البارز الوضئ النظيف ذو الصوت الملى واللفظ الطلق يحوز بواذر النجاح لمجرد رؤيته، إذ القلوب إليه أجذب وعلى سماعه أحرص " (١) •

ثم عرض د/ البيومي وصفاً للنبي ﷺ يبين جمال خلقته وروعة منظره، وبهاء طلعتة، وحرصه على الجمال والنظافة مدلاً به على أن الجانب الشكلي عامل مهم في نجاح الخطيب وجاذب لقلوب سامعيه إليه •

وأما من ناحية الموضوع فقد تحدث د/ البيومي عن سمات خطابة النبي ﷺ وذكر منها:

١- الإيجاز، وتحدث عنه قائلاً: "وقد بز (١) الخطب الطوال بالكلام القصير، إذ أن الإيجاز العربي في بلاغته المعجزة ولید ذهن ثاقب يستعرض حشوداً من المعاني ليبرزها في عبارة محدودة، تكون جوامع الكلم وشوارد المثل، فهي عصارة مركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفاز . . .

وقد فطن الأستاذ/ أحمد حسن الزيات إلى روعة الإيجاز في البلاغة العربية فقال متحدثاً عن بيان — سيدنا — محمد — ﷺ: والإيجاز هو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، غالب على أسلوب الرسول لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه" (٢) .

ثم ساق د/ البيومي نموذجاً من خطبه ﷺ يُجلي هذه السمة، وعرضه بقوله: " وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقال الإيجاز يستدعي من الخبرة النفسية والثقافية الملهمة ذخيرة وافية واقية، فقد تحين المناسبة المرتقبة وتتفتح نوافذ القول من كل ناحية .

ويظن المستمعون أن مجال الخطابة ذو سعة، ثم يقف — سيدنا — محمد — ﷺ فيوجز إيجازاً لا مجال بعده لإطناب وتهويل، ويترك النفوس ذاهلة لا تدري كيف استطاعت الجمل المحدودة أن تفعل ما لا يفعله حديث اليوم الطويل، فتخلق جواً من التأمل والعبرة والحيرة يمتد أياماً طويلة دون أن ينقطع فيضه وأن يغيب صداه هذا رسول الله — ﷺ — يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم فيقتحم عريناً (٣) طالما جمع أعداءه وذوى الضغائن من مناوئيه، وتخفق راية النصر على جيش الإسلام سابقاً ظافراً، وإذ ذاك تتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ترتقب أن يفاجئها الجزاء الرادع من

(١) بزّ قرينه — بزاً: غلبه . ينظر المعجم الوجيز مرجع الوجيز ص ٤٩ .

(٢) البيان النبوي ص ٧٥ .

(٣) العرين: مأوى الأسد والذئب والحية العظيمة . — جماعة الشجر . ج عُرُن . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٤١٦ .

المنتصر الظافر دون إبطاء، ثم يقف الخطيب القائد فلا يشك مستمع في أنه سيتعرض إلى تاريخه الطويل مع أعدائه متشفياً شامتاً، وسيعدد ما من الله عليه به من فوز سباق، ثم يميل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجوه من وطنه، وآذوه في دعوته وناصبوه الحرب في مغتربه، بالله: كم ينتظر السامع من محمد — ﷺ — في مثل هذا اليوم الأغر .

إنه ليقف والأبصار خاشعة والرقاب منحنية فيقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، وقتل الخطأ مثل العمدة بالسوط والعصا، فيهما الدية مغلظة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها .

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١) .

يا معشر قريش: ما ترون أنى فاعل بكم، قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء (٢) * .

ويعلق د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - بقوله: "إن هذا الإفحام البليغ تنبعث به حروف معدودة فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة، كما يستشعر الطليق من ذات نفسه ندم الخجل فيرى في وجهه عرق الخزي، ويحس في حلقه مرارة الأسف . وكم من الساعات سيظل مردداً لقول محمد — ﷺ — اذهبوا فأنتم الطلقاء . مستحياً أن تعود به الذكرى إلى باطل سلف، وإثم أدبر، أرايت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس حتى يصبح في كلماته مثلاً شروداً مجلجل الأصداء، تاركا في النفس أعنف ضروب التأثير . إنه لا شك وليد خبرة بالمنازع الهاجسة يحدها بما يضمن لها الهدوء والتثبيت" (٣)

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٢) * ينظر الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية — صفى الدين المباركفوري — ط دار التقوى بالقاهرة بدون سنة طبع

ص ٤٥٥—٤٥٦ .

(٣) البيان النبوي ص ٧٧—٧٨ .

٢- قوة الإقناع وحرارة الصدق، ويحدثنا عن ذلك بقوله: "إذ كانت خطب الرسول من روعة إقناعها الملجم بحيث لاتدع منفذا لمهاجم متربص • فإذا سألت عن مصدر هذا الإقناع وجدته الصدق الحار الذي تنفعل به نفسه نحو رسالته العالية، فكثير من الخطباء من يغترون بمواهبهم الكلامية فيخطبون في الدعوة إلى أمور لا يعتقدون صوابها، بل سيقوا إلى ذلك سوقاً وراء نفع مادي أو منصب حكومي أو تأييد حزبي • ومهما أتقنوا التمثيل والمدارة فلن تجد لدى حديثهم هذا برد الإطمئنان في نفسك، لأنهم لا يزدون عن محترفين يمثلون أدوارهم دون أن تشتعل في صدورهم جذوات الصدق، وهي التي تهيج هائج الإنفعال فيوحى بالنفاذ والتأثير، أما محمد ﷺ فقد كان صدقه الحار، وإخلاصه القوى، وإيمانه الأكيد برسالته مما يدفعه إلى قوة الإقناع • إنه ليس خطيب قبيلة يتحدث عن مفاخرها بالباطل والحق، ولكنه نبي يؤمن بضرورة الإصلاح الذي اقتنع به، وعليه تبعاً لذلك أن يقنع الناس •

هذا الصدق الحار يدفعه إلى أن يخلو إلى نفسه فيتلمس وسائل الإقناع من مشهد حاضر أو دليل ملموس أو سؤال واضح الإجابة ليمهد بذلك الطريق إلى العقول والقلوب .

— ثم ساق د/ البيومي نموذجاً من خطبه يوضح ذلك وعرضه بقوله —: لنا أن ننظر في أول خطبة رويت عنه، وهي التي قالها حين صدع بالدعوة تنفيذاً لأمر ربه • كان من المظنون والمقام مقام دعوة جديدة لنبي جديد أن يعد نفسه — لولم يكن محمد بن عبدالله — لموقف طويل يشغل الساعة والساعتين وأن يتحدث عن تاريخ حياته بإفاضة يمهد بها لهذا الطارئ الجديد، وأن يستغيث بروائع الأخيلة، ذات التهويل، والعبارات ذات الجرس يقرع بها الأسماع، ولكنه ليس محترفاً للقول يصلح به مباهايا بالإطناب والخلابة والمغالطة، بل هو نبي يعتمد على الصدق الملجم والإقناع المفحم، فيصعد إلى الصفا بمكة ثم يلتفت يميناً وشمالاً، لينادي بصوته المطبوع النافذ يا معشر قريش • يا معشر قريش • فيتواثب الجالسون ويتداني النازحون يستمعون إلى هذا الذي وصفوه بالصادق الأمين، لم يشكوا لحظة في صدقة

أو يماروا ساعة في أمانته، يستمعون إليه وهو يسألهم في هدوء، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ فيصيح المأ في صوت واحد: نعم ما جربنا عليك كذباً؟ فيتفرس في وجوههم وقد أزمهم بتصديقه حين وجه إليهم سؤاله، فأجابوا عنه بما أرضاه ثم يقول متابعاً: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبدأ، أو لنار أبدأ (١) .

— ويعلق د/ البيومي بقوله —: أرأيتم إلى الإقناع الملزم يأخذ به محمد — ﷺ — العقول! لقد سألهم عن صدقه فاعترفوا ثم أقسم لهم بما يثبت هذا الصدق ويؤكد أنه حتى إذا أعلن رسالته إليهم خاصة وإلى الناس كافة لم يترك الأمر دون تدليل، فهناك حساب وبعث وجزاء، لأن كانوا ينامون فالموت كالنوم حقيقة واقعة، ولئن كانوا يستيقظون فالبعث كاليقظة حقيقة أخرى ووراء البعث جزاء وحساب وإنها لجنة وإنها لنار . لا أظن أن كلمات هذه الخطبة الموجزة تغيب عن سامعها . ولا بد أنها كانت مجال نقاش وعراك بين المجتمعين .

لقد اعترفوا مجتمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذباً . وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله، ثم لا يستطيعون في سطوة هذا البيان المقنع أن يدفعوه فيكون قصارى قائلهم الألد الخصيم أن يسأل: ألهذا جمعنا؟ (٢) .

بهذا الأسلوب الرائع في عرض سمات الخطب النبوية أبان د/ البيومي - ﷺ — عن قوة البيان النبوي، وجزالة ألفاظه وجودتها، وعن كلمه ﷺ الجامع الذي لم يُعرف له في ذلك نظير . فقد تكلم في بضع دقائق في مواقف طويلة تشغل من غيره الساعة والساعتين في إفحام بليغ، وإقناع ملجم لا يدع منفذاً لمهاجم متربص . وأبان أيضاً عن

(١) الرحيق المختوم مرجع سابق ص ٨٢ .

(٢) البيان النبوي ص ٧٨ — ٨٠ .

قوة إقناعه التي لم يقوى الخصوم على دفعها، وأنى لهم ذلك وقد بدأ خطبته لهم بسؤال واضح الإجابة، ليمهد به الطريق إلى عقولهم وقلوبهم •

بذلك يتبين: أن النبي ﷺ مثل أعلى للخطيب الناجح، وقدوة حسنة للداعية المخلص • وعلى الدعاة إلى الله تعالى إن يتعلموا ذلك، ويلتزموا به في دعوتهم إلى الله تعالى؛ لتثمر دعوتهم الثمرة المرجوة، وتلقي رواجاً وقبولاً من المدعويين •

ثانياً: أسلوب النبي ﷺ الإرشادي من خلال دعوته:

وتحدث د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - عن ذلك في كتابه (البيان النبوي) تحت عنوان (محمد ﷺ رائد الدعوة والدعاة)، وبدأ الحديث بموازنة بين الخطيب والمحاضر والداعية قائلاً: " قد يكون الخطيب داعية • ولكن ليس كل خطيب داعية • لأن الخطيب قد يكون محترفاً يؤدي دوره كما يراد لا كما يريد • وقد يكون المحاضر داعية، ولكن ليس كل محاضر داعية فقد يهزك المحاضر بترتيب أفكاره وسعة إطلاعه وكثرة مصادره، ثم هو بعد ذلك يدرس منهاجاً فرض عليه دون أن يلمس شغاف نفسه، أما الداعية الناجح فلا بد أن يكون مؤمناً عظيم الإيمان بما يقول غيورا أعنف الغيرة على ما يعتقد فإذا وجد من الدعاة من يحترف الدعوة على غير حمية وإيمان • فهو دخيل زنيم، لن يصيب تأثيراً حاسماً في قومه ، أو نجاحاً إيجابياً في هدفه • وستمضى الأيام عليه فإذا هو أمام الناس منكشف غير مستور •

ثم تحدث د/ البيومي عن النبي الداعية قائلاً: " ومحمد ﷺ أكبر داعية ديني في العالم لم يتقن أساليب الدعوة في معهده • ولكنه حقق بدعوته المثلى أحسن طريق للداعية الشريف المجاهد، فكانت أقواله وتعاليمه بريئة من الخداع والتمويه وهما بعض ما تفره الأساليب الأوربية إلى يومنا هذا • إذ أن الغاية تبرر الوسيلة في اعتقاد القوم، لا يتخافتون بذلك خجلين بل يعلنونها في دساتيرهم المنشورة " (١) •

ثم تحدث د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - عن الأساليب التي اعتمدها النبي ﷺ في دعوته، وذكر بأن دساتير دعوة الأوربيين تنص على أن أعظم وسائل النجاح في الإعلام

يرجع أول ما يرجع إلي عدة أشياء وهي : التكرار ، وانتهاز الفرص السانحة ، ولباقة العرض ، والإلمام بأهواء النفوس ومطارح الرغبات من الناس ، ثم قال بأن هذه الأشياء الأربعة التي أجمع عليها أستاذة الإعلام في العصر الحديث، نهض بها أستاذ المصلحين من الدعاة محمد بن عبد الله - ﷺ - ثم تحدث د/ البيومي - **رحمهم الله** - عن هذه الأساليب ، وعرضها كالتالي:

١- التكرار، وتحدث عنه بقوله: " إذا اتجه قادة أمة من الأمم إلى اعتناق فكرة ما، هينوا لها وسائل الإذاعة من نشر في الصحف وبسط في الكتب ودعوة في المذياع، حتى يتكون الرأي العام بما يصب إلى سمعه ويعرض على عينه صباح مساء . وما قامت النازية (١) في ألمانيا والفاشية (٢) في إيطاليا وغيرهما من الدعوات في شتى البلاد، إلا بسيل جارف من التعبئة يعتمد على التكرار والترديد، والتكرار سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحاً مثمراً إذا طرق النفوس من أبواب ملونة، وقد يكون مبعث السأم والضيق إذا فقد التلوين في العرض، والإبداع في التصوير حتى ليؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه، ومحمد الداعية الأكبر لابد أن يلجأ إلى التكرار في تعاليمه، ولكن أي تكرار يرتضيه؟

أهو التكرار الآلي الذي يردد الأقوال متشابهة في اللفظ دون تلوين؟ لو فعل ذلك ما كان أفصح البلغاء بحال، ولكنه تكرار المغزى الواحد في صور مختلفة من القول تتغاير ألفاظها ومعانيها ولكنها تهدف إلى شئ واحد، وإذ ذاك يتأملها جميعها السامعون، وقد وجدوا في كل نص عنصر تشويق في العرض والتلوين "(٣)".

ثم عرض د/ البيومي أمثلة من تكرار النبي ﷺ للمغزى الواحد في صور مختلفة من القول ،أكتفي بمثال عرضه بقوله: "علم رسول الله أن العباد خطاءون، وأن

(١) النازية: الاشتراكية القومية وهي نظام مشابه للفاشية قام في ألمانيا وبلغ به هتلر الحكم سنة ١٩٣٣م . ينظر المعجم

الوجيز، مرجع سابق، ص ٦١١ .

(٢) الفاشية: مذهب سياسي واقتصادي، نشأ بإيطاليا في هذا القرن ، يقوم على نظام النقابات ، وعلى تدخل الدولة في كل

مظاهر النشاط الاقتصادي . ينظر المعجم الوجيز ص ٤٧٢ .

(٣) البيان النبوي ص ١٨٢ .

المعصية ممهدة السبيل أمام الغرائز الهابطة والنوازع المسفة، وأن التوبة نافذة الخلاص مما يرتكب من الآثام وقد جاءت آيات القرآن مبشرة بالتوبة النصوح داعية إلى استئناف صفحات جديدة من الحياة تنسى لديها سوائف المعاصي، ويرقى سلم الطاعات إلى مرتفع طاهر لا انتكاس به ولا ارتكاس. ومن الضروري أن تسهب أحاديث الداعية الأعظم في تحبيب التوبة وتمجيدها والنفور من المعصية ومجافاتها. وتكرار الدعوة إلى التوبة في أدب الرسول مما يرضي عشاق الأدب الرفيع حين تتنوع معارض اللفظ رافلة في أبهى الحلل، وسائرة في غاية واحدة هي الغاية الخلقية الداعية إلى الظهور من الآثام، تأملوا قول رسول الله في رواية البخاري عن عائشة— رضي الله عنها — {لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله. قال أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده} (١).

أي عرض لمنزلة التوبة عند الله أبهج من هذا العرض. لقد تحدث رسول الله عنها في أقصوصة موجزة ترسم فجيرة إنسان وحيد يعتسف الصحراء في أعز شيء لديه. في حياته التي توشك أن تقف بعد فقد الشراب والطعام والناقة، وفي أي مكان؟ في مهلكة ترمى بالرعب والحمام، وإن العطش ليلهب أحشائه في الداخل وقد جلده الحر بأقصى سياط في الخارج حتى إذا استئس، ترقب نهايته المظلمة وأطبق عينيه ليحلم بالخاتمة الحزينة ولكنه يستيقظ ليرى الراحلة بما حملت أمامه!! يا لها من فرحة في الحياة إنها فرحة الغريق بطوق النجاة. وهي في الحديث تقل عن فرحة الله بتوبة عبده من الآثام. لنذكر أقصوصة القاتل (٢) من بني إسرائيل. حين قتل

(١) الحديث بهذه الرواية موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه. ينظر التحرير الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر صحيح

البخاري) للإمام أبي العباس أحمد الزبيدي — ط — دار الحديث بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م ج ٢/ ٥٩٥.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٦٠ — حديث رقم ٣٤٧٠ مرجع سابق ج ١٠/ ٢٩١ — ٢٩٣

وأخرجه مسلم في كتاب التوبة رقم ٤٩ — باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم ٨ — حديث رقم ٢٧٦٦ مرجع سابق

تسعة وتسعين ثم أكملها مائة وتنازعت ملائكة الرحمة والعذاب بعد موته، فاحتوته ملائكة الرحمة ، فهي الأخرى نموذج ثان لتكرار الحديث عن هدف واحد دون ملل، ثم لننتقل إلى النموذج الثالث من قول رسول الله — ﷺ — من رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: { إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم . ثم تطوى صحيفة حسناته . وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد . هؤلاء الذين كذبوا على ربهم { (١) .

وإلى نموذج رابع عن التوبة من قوله عليه السلام من رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: { إن عبداً أصاب ذنباً — وربما قال أذنب ذنباً — فقال رب أذنبت ذنباً، وربما قال أصبت فاغفره فقال ربه : أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله . ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال رب أذنبت أو أصبت فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال أصاب ذنباً فقال رب أصبت أو قال أذنبت فاغفره لي، فقال : أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثاً، فليعمل ما شاء { (٢) .

هذا هو التكرار البليغ الذي يشرق على لسان الداعية الملهم أدبا طريفا لا سأم فيه، هات أشد المتحاملين إنكارا لمزية التكرار، واقرأ عليه نماذج التوبة في أدب الرسول ودعه يسأل نفسه أوجد سأمًا أم لذة! أأنس ملا أم متعة !ثم ليسأل نفسه بعد ذلك عن مصدر اللذة والإمتاع يجبك أنه تنوع القول في معارض طريفة من التصوير "(٣) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير رقم ٦٦ باب قوله تعالى : { ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا } حديث رقم ٤٦٨٥ مرجع سابق ج ١٣/١٩٣ — ١٩٤ . وأخرجه مسلم في كتاب التوبة رقم ٤٩ — باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم ٨ حديث رقم ٢٧٨٦ مرجع سابق ج ٩/٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٧٥٠٧ . وأخرجه مسلم في كتاب التوبة رقم ٤٩ — باب قبول التوبة من الذنب، وإن تكررت الذنوب والتوبة رقم ٥ — حديث رقم ٢٧٥٨ — مرجع سابق ج ٩/٨٧ .

(٣) البيان النبوي ص ١٨٢ ، ١٨٥ — ١٨٧ .

بذلك يتبين: أن التكرار من الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في دعوته، وتميز بتنوع الألفاظ والمعاني في صور مختلفة من القول، مع توحيد الهدف في الجميع مما أدى إلى مجافاة السأم والملال، وجلب اللذة والإمتاع . وعلى الدعاة إلى الله إذا ما استخدموا أسلوب التكرار في دعوتهم أن يلتزموا بذلك، فلا يستعملوا نفس الألفاظ ونفس القصص كلما تحدثوا في موضوع معين، وإنما عليهم أن يُنوعوا الألفاظ والقصص في كل مرة مع توحيد الهدف حتى لا يُنفروا المدعويين منهم بهذا التكرار الممل .

٢- انتهاز الداعية للفرص الملائمة:

وتحدث د/ البيومي عن ذلك قائلاً: "الداعية الصادق إنسان أخذت عليه الدعوة مشاعره، وملكت أحاسيسه فهو ينفرد بنفسه ويجتمع بصحبه، ويسافر إلى مقصده وقلبه مشغول بما يدعو إليه، وكأن تياراً جاذباً يدفعه إلى التفكير بإرادة وبدون إرادة فيما ينبغي أن يقول وأن يفعل، وهو لا بد منتهز كل فرصة لتحقيق رسالته، ومهتبل (١) كل ساحة لقنص (٢) مآربه ، وكذلك كان الرسول مع رسالته العظيمة؟ إن أهدافها العالية من السعة بحيث تشمل محيط الحياة جميعه . . فما أكثر ما يسنح في الحياة من الفرص لتأكيد هذه الأهداف، وما أذكى الداعية الملهم في اقتناص هذه السانحات قبل أن تبيد " (٣) .

ثم عرض د/ البيومي -رحمته الله- أمثلة من انتهاز النبي ﷺ للفرص الملائمة لدعوته أكتفي بذكر مثال منها عرضه بقوله: "لقد أعلن الإسلام أن رحمة الله واسعة، وأن الله غافر الذنب قابل التوب ونزل في ذلك الآيات وجاء من الأحاديث ما لا يحصى، ولكن الداعية الحريص يقع في مجلس من أصحابه على بعض المشاهد العاطفية فيهتبل الفرصة للحديث عن رحمة الله، إذ نظر المسلمون عقب بعض

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٦٤٣ .

(٢) القنص : الصيد . وقنصه : صاده وبابه ضرب واقتنصه : اصطاده وتقتنصه : تصيده . ينظر مختار الصحاح مرجع سابق

مادة ق ن ص ص ٣٠٠ . (٣) البيان النبوي ص ١٨٩ .

الغزوات إلى امرأة من السبي أخذت تدور بعينيهما ذاهلة وجلة كأنها تبحث عن شيء حتى إذا وقعت عينها على طفل نائم أسرعت إليه في لهفة وألصقته بأحشائها طويلاً ثم ضمته إلى صدرها في حنان • فتأثر القوم، وانتهر الداعية العظيم هذه السانحة فسأل أصحابه؟ { أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ فقالوا في استنكار: لا! فقال ﷺ، الله أرحم بعباده من هذه بولدها } (١) (٢) •

يتبين من ذلك أن: الدعوة كانت همّ النبي ﷺ، فما ترك فرصة تسنح إلا اهتبلها للدعوة إلى اعتناق الفضائل، ومجافاة الرذائل، أو لبيان عظمة الخالق ورحمته بعباده، لذا فقد كان لدعوته صدى في قلوب أصحابه وسامعيه وءاتت أكلها كل حين بإذن ربها • وعلي الدعاء إلي تعالي أن يقتدوا به في ذلك، فيكون همّهم الأكبر دعوة الناس إلي الله تعالي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمنطق السديد، وأن يتحینوا الفرص الملائمة لتحقيق رسالتهم، وأن يأخذوا من المواقف والأحداث فرصاً سانحات؛ لتأكيد أهدافهم واقتناص مآربهم •

٣- لباقة العرض:

وتحدث د/ البيومي عن ذلك قائلاً: "لا يكفي أن يكون لدى الداعية ما يقول بل يجب أن يعرف كيف يؤدي ما يريد أن يقول، لأن الثوب الذي يظهر المعاني مما يساعد على إبرازها في وضوح واتساق إن حاكته يد صانع حكيم، ومن هنا استعان موسى عليه السلام بأخيه هارون لينوب عنه في الإفصاح لدى قومه، حين قال لربه: ﴿وَإِخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣) فأجاب الله طلبته إذ قال مطمئناً خاطره: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٥٩٩٩ • وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب التوبة رقم ٤٩ •

باب في سعة رحمة الله تعالى رقم ٤ • حديث رقم ٢٧٥٤ • مرجع سابق ج ٩/ ٨١ •

(٢) البيان النبوي صـ ١٩٠ •

(٣) سورة القصص الآية رقم ٣٤ •

بَيَّاتِنَا أَنْتَمَا وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿١﴾، ونحن نرى كثيراً من الناس تجيش صدورهم بالمعاني ولكنهم يكابدون صعوبات شاقه في إظهارها ،وقد يضطرون إلى وأدائها دون أن يكشفها للناس لسان مبین، وما مثلهم إلا كمن قيل (٢) فيه:—

تجيش المعاني الدافقات بصدرة ويسكت عنها لا يميل إلى الجهر
كشاعر قوم صاغ أجمل حكمة ولكنه قد ضاق بالوزن والبحر

أما محمد الداعية فما كان أقدره على الإفصاح المشرق والعرض البديع، إذ أوتى في ذلك لباقة خارقة كانت مصدر نجاحه في أكثر ما تم على يديه من إصلاح، وإنك لتقرأ الأثر الباقي من آثاره ساقه وحى الساعة فتجد به من حسن التأتي ولطف التصوير ما يجذبك جذباً إلى استعادته دون ملل حيث ضرب على أوتار قلبك بأجمل الألحان قوة وروعة وتأثيراً" (٣) .

ثم ساق د/ البيومي — ﷺ — أمثلة للباقة النبي ﷺ في دعوته أكتفي بذكر مثال منها عرضه بقوله: " إنه يريد — في موقف ما — أن يدعو إلى عيادة المريض وإطعام الجائع وري الطائي فهل يقول عودوا المريض وأطعموا الجائع واسقوا الطائي ثم يسكت . لابد أن يبرز هذه المطالب الإنسانية في صورة لاتنسى .

ولابد أن يستعين بالهامه النبوي فيوحى إليه بما يرويه عن ربه إذ يقول فيما رواه مسلم . {عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله أنه قال: إن الله ﷻ يقول يوم القيامة يابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب رب العالمين قال أما علمت أن عبدی فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده . يابن آدم استطعمتك فلم تطعنني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه

(١) سورة القصص الآية رقم ٣٥ .

(٢) قائل هذه البيتين العلامة د/ البيومي رحمه الله في قصيدة له ضاعت ولم يجدها ، وقد صرح بذلك في كتابه البيان النبوي في

هامش صفحة ١٩٢ .

(٣) البيان النبوي ص ١٩٢ — ١٩٣ .

استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ،أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي،يا بن آدم استسقيتك . فلم تسقني،قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي } (١) .

ثم علق د/ البيومي بقوله: فهل يجد القارئ دعوة خلقية إلى الآداب النبيلة سيقى أجمل من هذا المساق ومن الذي يقول ربه استطعمتك واستسقيتك واستزرتك ثم لا يخفض رأسه خجلاً أن لم يصدع بأمر الله . إن نص الحديث الباهر ليغنى عن كل تعليق " (٢) .

حقاً لقد أوتي ﷺ لباقة باهرة عرض بها دعوته فلاقت قبولا وتأثيراً في نفوس مستمعيه، وبهر بها العقول والقلوب والأسماع فما ملكت إلا أن استجابت للحق وهشت له الصدور هشا .

٤- الخبرة الصحيحة بالنفوس:

وتحدث د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " إن علم النفس الآن يدرس في معاهد الإعلام المختلفة بإفاضة قديرة ليكون المحاضر أو الكاتب أو الخطيب أو الإذاعي أو الصحافي أو كل من يمت إلى الإفصاح بسبب ما، خبيراً بطوايا النفوس؟ فهل غابت هذه خبره الدقيقة عن رسول الله — ﷺ — .

لو لم يكن نبي الإسلام صاحب خبره صادقة بالنفوس ما استطاع أن ينهض بدعوته بين قوم متنافرين، فيرأب الصدع ويلم الشمل مع اختلاف المنازع واصطدام الأهواء ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣)، وتاريخ جهاده ناطق بصدق فراسته وحسن استشفافه، وبعد مرماه وهذا ما ينطق به أدبه البليغ " (٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتال البر والصلة والآداب رقم ٤٥ — باب فضل عيادة المريض رقم ١٣ — حديث رقم ٢٥٦٩

مرجع سابق ج ٨/ ٣٦٨ — ٣٦٩

(٢) السابق ص ١٩٣ .

(٣) سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣ .

(٤) البيان النبوي ص ١٩٦ — ١٩٧ .

ثم ذكر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — أمثلة من خبرته ﷺ بأصحابه أخير منها مثلاً قال فيه: "ألم يقل رسول الله — ﷺ — في بعض ما قال في رواية البخاري: { والله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي ولكني أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواماً إلى ما في قلوبهم من الغنى والخير } (١) .

ثم علق د/ البيومي بقوله: فما معنى هذا؟ معناه أن لكل إنسان سعد بقلبي الرسول وضعاً خاصاً في نفسه بناه ﷺ على ما تفرس فيه من الأحوال والمصادفات" (٢) .
بهذا الجهد الطيب الرائع عرض د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — الطابع الأدبي للبيان النبوي . وبيّن أن النبي ﷺ رزق حظوة رفيعة في البيان، أعجزت الفصحاء والبلغاء واستطاع من خلالها أن يمهّد الطريق إلى العقول والقلوب، فلاقت دعوته قبولاً وأثمرت الإمتاع واللذة وجافت السامة والملل، فكان أفصح البلغاء، وأنجح الخطباء، وأكبر داعية في العالم أجمع فليترسم خطاه من أحب أن يكون خطيباً ناجحاً وداعية لبقاً وأديباً نجيباً .

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله: تزويد الدعاة بمعرفة روعة البيان النبوي، وطريقة النبي ﷺ في دعوته؛ ليستتوا به في ذلك؛ فيفتح الله علي أيديهم مغاليق القلوب، ويهدي بهم إلى صراط مستقيم بإذن الله الهادي إلي سواء السبيل .

المطلب الثالث

جهوده في إبراز سمات الأسلوب النبوي

فيما سبق تناول د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — سمات الأسلوب النبوي في إطار القضايا التي تناولها، وفي هذا الموضوع تناول سمات الأسلوب النبوي بوجه عام، حيث قام بتشريح سمات الأدب المحمدي على نحو كاشف، وقد حدّد للأسلوب عناصر ثلاثة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس رقم ٥٨ — باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة

قلوبهم رقم ١٩ — حديث رقم ٣١٤٥ — مرجع سابق ج ٩/٣٤٤ — ٣٤٥ .

(٢) البيان النبوي ص ١٩٧ .

ليدور الحديث من خلالها، ويحدثنا عنها قائلاً: "ونحن نعلم أن عناصر الأسلوب كما حددها النقد المعاصر ثلاثة هي الفكرة والصورة والعبارة ٠٠ وسبيلنا الآن أن نعرض إلى كل عنصر من هذه الثلاثة بالشرح والتمثيل" (١)٠

يتبين من ذلك أن: د/ البيومي سيقوم بعرض هذه العناصر الثلاثة في الأحاديث النبوية مبرزاً جوانب العظمة في الأسلوب النبوي الشريف وهذه العناصر كالتالي:

أ — الأفكار في الحديث ٠

ب — الصور البيانية في حديث الرسول ٠

ج — ناحية التعبير من الحديث ٠

أولاً الأفكار في الحديث الشريف:

وتحدث عن ذلك قائلاً: "كان محمد ﷺ صاحب فكر قوى متسع شامل في وقت كان فيه مقال المنابر بالجزيرة العربية لا يكادون يخرجون عن واقعهم القبلى المحدود ٠ فكل خطيب يجمع الناس ليترجم عن مشاعرهم فيما يقع من مجريات الحوادث والأحوال، وإذا ارتفع عن مستواهم قليلاً فإنه ارتفاع الطائر في قفص مربع لا يتجاوز طوله ثلاثة أمتار فمهما اشرأب إلى السماء فهو مقيد بسقف لا يلبث أن يهوى إلى الأرض حين يصطدم به، أما محمد ﷺ فمنذ تنسم منبر الدعوة، وهو يحلق بأمتة في أفق لا انتهاء له، وإن سامعيه لينظرون إليه مرتفعاً في أجوائه العالية، وكلهم راغب أن يرتفع معه حيث يحلق، وما كان هذا الارتفاع الشاهق إلا هتافاً بالمثل الإسلامية التي دعا إليها، ليعيد إلى الإنسانية كرامتها، وينأى بها عن حضيض الخرافة، والفسق والوَاد، وعبادة الأوثان " (٢)٠

ثم عزّر د/ البيومي كلامه بأمثلة من أحاديث النبي ﷺ عرض فيها الفكرة لهذه الأحاديث، وتأخير مثلاً منها عرضه بقوله: "أما الفكرة الدقيقة لدى محمد — ﷺ — فتأتى في مساق واضح سهل، وهى على دقتها النافذة لا تتعدى في كثير من أحوالها

(١) البيان النبوي ص ٢١٦ ٠

(٢) السابق ص ٢١٧ ٠

حديثاً سيق في مجلس على ملأ من الناس ففهمه الجميع، ولنا أن ننظر في مجال التطبيق الأدبي إلى مقال مثل قوله ﷺ عن النعمان بن بشيرؓ . { إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب } (١) .

وعلق د/ البيومي — رحمه الله — بقوله: أسطر قليلة تعرض عدة قضايا متنوعة يجمعها رابط دقيق، فوضوح الحواجز بين الحلال والحرام لا يمنع وجود مشتبهات توجب اليقظة والحذر، وتدفع إلى الاحتراز إذ أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . وهذا تصوير محسوس لأمر عقلي يزيد به وضوحاً وجلاءً . أما الحمى المحظور فمحارم الله، وأما القلب فهو مصدر الصلاح إذا بعد عن المحارم ، أو الفساد إذا وقع فيها . فما رأى القارئ في قوة الأفكار وصوابها؟ أليست تحمل الطابع العام لبيان الرسول، وهو الصدق الموجز دون تزيد أو فضول " (٢) .

بذلك يتبين : روعة هذه الفكرة وقوتها، حيث سيقّت بأسلوب رائع سهل واضح ليس فيه غموضاً ولا استعلاء .

وقد صور النبي ﷺ المعقول في صورة المحسوس؛ ليزيد الأمر وضوحاً وجلاءً . وهكذا أحاديث الرسول الكريم تتميز بصواب أفكارها وقوتها وجدتها، ووضوح أسلوبها وجلائه وسهولته؛ ليفهمها السامعون بشغف دون ملل أو سامة .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم ١ — باب فضل من استبرأ لدينه رقم ٤٠ — حديث رقم ٥٢ — مرجع سابق

ج ٢٢٧/٢٣١ — وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة رقم ٢٢ — باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم ٢٠ — حديث رقم

١٥٩٩ مرجع سابق ج ٣١/٦ .

(٢) البيان النبوي ص ٢١٨ .

ثانياً: الصور البيانية في حديث الرسول:

وبدأ الحديث عنها بقوله: "حين نتحدث عن الصور البيانية في أدب محمد ﷺ، إنما نتحدث عن لون من ألوان الإبداع النبوي • جاء على أكمل تمامه وأبهى أصباغه وأورف ظلاله وبه ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية •

ولن نرسل القول دون تدليل، فإن المتتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تتجذب إليه النفوس من القول، لما فطر عليه ﷺ من معرفة عناصر التأثير في البيان وأوجه الجمال في اللسان، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحوه الأبصار، وتتقاصر دونه الأعناق" (١) •

ثم عرض د/ البيومي —رحمته الله— أمثلة للصور البيانية في الأحاديث النبوية، وتأخير منها مثلاً عرضه بقوله: " لقد أراد محمد ﷺ أن يقرر أن الناس يختلفون في تلقى الهدى والعلم عن الرسول، فمنهم من تشبع نفسه بالهداية النبوية فتزكي روحه وتصل نفسه، ثم ينفع غيره بما لديه فيفئ إليه الناس يعملون ويهتدون، ومنهم من يحفظ العلم فينقله إلى غيره فينتفع به الناس دون أن يمس شغاف نفسه أو يلج أطواء روحه، ومنهم وهو موضع الذم القادح من هؤلاء الثلاثة من أعرض ونأى فلم ينفع ولم ينتفع •• هذا الأسلوب التقريري في حاجة إلى صورة بيانية جامعته تزيده إيضاحاً وتأثيراً كي يتأصل في النفوس تأصلاً تمليه الروعة البيانية • فلا بد من هيئة جامعة تدرج فيها هذه الأنماط المختلفة •

هنا يلجأ الأديب إلى الصور المختزنة في عقله؟ ولكن أية صورة؟ إنها التي تتطابق وتتفق اتفاقاً يوضح الحقيقة ويزيد ضياءها سطوعاً وإيماضاً • فلا بد من تنسيق وصل واختيار ليأتي الثوب دقيقاً أنيقاً، والماء في رأي أديب مما يناسب أن يشبه العلم، إذ هو مصدر الحياة للناس كما أن العلم حياة العقول والأرواح، والماء ينهمر على الأرض، فمنها ما يخصب وينبت، ومنها ما يحفظ، ومنها ما يبدد • كما أن من النفوس ما ينتفع وما ينفع ولا ينتفع، وما لا ينتفع ولا ينفع •• لقد اقتربت

الصورة العامة ولم يبق على الأديب المبدع إلا أن يصوغها صياغة نفاذة ملهمة إذ يقول: {عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . . . فذلك مثل من فقه دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به } (١) .

وفي التعليق على ذلك قال د/ البيومي: هذا المثل الأدبي الرائع قد جلا المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى والعلم جلاء مؤثراً، فأضاف إلى الحقيقة الفكرية بمدلولاتها الثلاثة صورة جعلتها تختال أمام العيون في ثوب بهيج، ولا شك أن سامعه سيقارن بين الشبه والشبيه فيزداد تأثراً وانفعالاً بما سمع، ثم يندفع إلى التفكير فيما يسمع مدققاً محللاً إذ مس أوتار قلبه مسا حيا . وإذا بلغ الأديب بتصويره مبلغ التأثير القوي فقد أدى رسالته البيانية على أكمل ما يراد " (٢) .

يتبين من ذلك: أن النبي ﷺ استعان على تجلية المعاني بالصور البيانية ؛ ليزيدها وضوحاً وتأثيراً لتتأصل في النفوس تأصلاً تمليه الروعة البيانية، فكثير من أحاديث الرسول الكريم تضمنت الصور البيانية التي بلغت مبلغ التأثير القوي في النفوس، وساعدت على جلاء المعاني ووضوحها .

ثالثاً: ناحية التعبير من الحديث:

وتحدث عن ذلك بقوله: " نفى الله ﷻ عن رسوله ﷺ التكلف حين قال

على لسانه ﷺ { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) (٣) لأن التكلف في كل أمر يحبط تأثيره، ويلقى على صاحبه ظلاً من الكراهية

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم رقم ٢ — باب فضل من علم وعلم رقم ٢١ — حديث رقم ٧٩ — مرجع سابق

ج ٣٠٣/١ — ٣٠٥ .

(٢) البيان النبوي — ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٣) سورة ص — الآيات من ٨٦ — ٨٨ .

والاستتقال، وأظهر ما يكون التكلف في قول يقال، لأن السامع لا يفتح صدره لمن يلمس فيه هذا الخلق الثقيل، ومهما كان قوله صائبا صحيحا فإن مسحة التكلف تلقى عليه ظلالة بغیضة تجعله أشبه بالقول المخطئ، وما هو به، لأن الروح التي يصدر عنها لا تظهر صافية مطبوعة، بل تعاني من آصار التكلف، والتصنع ما يكاد يعصف بما لديها من السداد والإصابة •

لذلك كان بيان محمد ﷺ سهل المأخذ قريب المتناول موجز العبارة لو عده العاد في مجلس من مجالسه لأحصاه •

ومن هنا كره الرسول ﷺ الثثرة ونهى عن التشدق لما يعرفه من مجانية الثرثارين والمتشدقين للنهج الأصوب، ولما يعلم عن نفوس السامعين إذ تزور عن الافتعال والتفاحص •

وتلك فطرة فطر الله عليها الكثرة الكاثرة من الناس • • وإذا عرف أن محمداً ﷺ في صميم رسالته مبلغ يأمر الشاهد أن ينقل عنه إلى الغائب، فإن هذا مما يدعوه إلى الإيضاح الكاشف في القول واليسر الموجز في الحديث كيلا يُنقل عنه القول على غير ما أراد، ومن هنا كان الرسول الأعظم حسن الترتيل سهل العبارة، لا يتكلم في غير حاجة • بل ربما أعاد الحديث في المجلس الواحد ليرتسم في الأسماع كما جاء (١) •

ثم عدّد د/ البيومي — رحمه الله — سمات التعبير النبوي، وساق الأمثلة لذلك • وأري أن أعرض السمات مع الاكتفاء بمثال لكل سمة • وسمات التعبير النبوي كما ذكرها د/ البيومي — رحمه الله — هي:

١- وضوح التركيب ويسر مأخذه وسهولة تناوله • ومن الأمثلة التي عرضها د/ البيومي لذلك ما ذكره بقوله: " يقول ﷺ: { من رأى منك منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان } (٢) • وعلق د/ البيومي — رحمه الله — قائلاً: كم سمعنا هذا الحديث وكم تلوناه •

(١) البيان النبوي ص ٢٤٧ •

(٢) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه — كتاب الإيمان رقم ١ — باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٢٠

— حديث رقم ٤٩ — مرجع سابق ج ١/ ٢٩٦—٢٩٧ •

أيجوز أن نقول إنه يفقد رونقه بال تكرار؟ لقد جاء سهلاً سلساً قريب المأخذ يفهمه كل إنسان مهما كانت درجة عقله من التفكير . ومع هذه السهولة اليسيرة فإن صياغته الأدبية ترمز إلى عقل دقيق خبير أحوال الناس، وعرف اختلافهم في القدرات والأعمال، فمنهم من يستطيع مواجهة الباطل بقوته، ومنهم من تعوزه القوة دون الكلمة، ومنهم من لا يستطيع قوة أو كلاماً، ولكل وظيفته الخاصة أمام المنكر . فهل كانت سهولة التعبير مانعة سداد الرأي وبعد النظر، وصحة التقسيم" (١) .

وأجيب : لا لم تكن سهولة التعبير النبوي حائلة دون ما ذكر بل جمعت معها سداد الرأي وبعد النظر، وصحة التقسيم . وبذلك يتبين أن وضوح التركيب ويسر مأخذه وسهولة تناوله أقرب الخصائص العامة إلى تعبير النبي محمد ﷺ .

٢- روعة الإيحاء مع التناسق الموسيقي المطبوع .

ومن الأمثلة التي عرضها د/ البيومي لذلك ما ذكره بقوله: " ولك أن تلمس تطبيق ذلك في نحو قول رسول الله ﷺ: { عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً } (٢) .

وعلق د/ البيومي -رحمته الله- قائلاً: فأنت إذا نظرت إلى هندسة هذا الحديث تجده صيغ صياغة فنية بحيث لو تقدمت جملة على جملة لاختل استواؤه الأدبي . وهو مع ذلك يترقي بك من معنى إلى معنى في سلم تنتظره وتحس كمال إتقانه، لأنه يصعد بالمعاني وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس، ومن هنا كانت الموسيقى الخفية وليدة هذا التنسيق المحكم للمعاني في معرض دقيق من الألفاظ" (٣) .

(١) البيان النبوي ص ٢٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٥ — باب قبح الكذب ، وحسن الصدق ، وفضله رقم ٢٩ — حديث

رقم ٢٦٠٧ — مرجع سابق ج ٨/ ٤٠٥ .

(٣) البيان النبوي ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

بذلك جلا د/ البيومي رحمه الله تعالى: السمات العامة للبيان النبوي جلاءً واضحاً من خلال ما تناوله من العناصر الثلاثة التي اعتمدها النبي ﷺ في أسلوبه .

المطلب الرابع

جهوده في إبراز نماذج من التفسير النبوي للقرآن الكريم

وذلك من خلال ما كتبه في كتابه العظيم (البيان النبوي) تحت عنوان نماذج من التفسير النبوي للقرآن — الكريم — .

وقبل أن يعرض النماذج كتب عن أقوال النبي ﷺ في القرآن قائلاً: " إن الذي يتأمل أقوال محمد ﷺ عن القرآن يدرك أنه كثيراً ما كان يقدر الوحدة الموضوعية للنص فهو ينظر ﷺ إلى السياق نظرة كلية متصلة بحيث لا يقتصر على الكلمة الجزئية أو الآية الواحدة صارفاً النظر عما يحيط بها، كما تعودنا ذلك من بعض المفسرين . . إن ما يكثر الحديث عنه من وحدة الموضوع كان مفهوماً واضحاً لدى رسول الله — ﷺ — " (١) .

ثم شرع د/ البيومي بتقسيم ما استشهد به من النماذج النبوية للتفسير القرآني إلى ثلاثة أنواع وهي:

١- نوع يكشف عن المعاني المجهولة لألفاظ لا يوحى بها المنطوق .

ومن أمثلته ما ذكره بقوله: " { روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ } (٢) { (٣) .

(١) البيان النبوي — ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٢) سورة غافر آية رقم ٦٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة رقم ٢ — باب الدعاء رقم ٣٥٨ — حديث رقم ١٤٧٩ — مرجع سابق ج ٢/ ٦٤١ . وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة المؤمن حديث رقم ٣٢٥٨ . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي — مرجع سابق ج ٥/ ١٦٦ . وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الدعاء رقم ٣٤ باب فضل الدعاء رقم ١ حديث رقم ٣٨٢٨ . مرجع سابق ج ٣/ ٣٤٩ .

وعلق د/ البيومي — بِرَحْمَةِ اللَّهِ — قائلاً: وهذا تفسير معقول إذ أن قول الله عقب الأمر بالدعاء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ يكشف عن المراد من معناه وهو ما اهتدى إليه الرسول — ﷺ — حين قرأ الآية جميعها، وبذلك يخطئ من يظن أن كل دعاء مستجاب كما هو الظاهر من المعنى اللفظي "(١) •

يتبين من هذا الحديث أن: النبي ﷺ كشف عن المعنى المجهول للفظ (عبادتي) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ ففسره: بدعائي ، وهذا ما عناه بقوله الدعاء هو العبادة وهذا المعنى لا يوحى به المنطوق •

٢- ونوع ثان جاء تفسيره في سياق إرشادي يمهد لمراميه ويكشف عن مدلوله •

ومن أمثلته ما ذكره د/ البيومي بقوله: " { عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلاناً قال: فينادى في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قوله •• ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٢) وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني قد أبغضت فلاناً، فينادى في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض ﴾ (٣) (٤) •

بهذا الحديث الشريف استبان معنى الآية الكريمة، فكان بمثابة تمهيد لبيان تأويلها والكشف عن مدلولها •

(١) البيان النبوي ص ٢٨١ •

(٢) سورة مريم آية رقم ٩٦ •

(٣) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق رقم ٥٩ — باب ذكر الملائكة رقم ٦ حديث رقم ٣٢٠٩ • مرجع سابق

ج ٩/٤٦٢—٤٦٣ • وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٥ — باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده رقم

٤٨ • حديث رقم ٢٦٣٧ • مرجع سابق ج ٨/٤٣٣ •

(٤) البيان النبوي ص ٢٨٧ •

٣- نوع ثالث أوحى به المقام من توجيه سؤال أو واقع حال •

فمن أمثلة توجيه السؤال ما ذكره د/ البيومي بقوله: " قالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ليس أحد يحاسب إلا هلك ،قلت يا رسول الله جعلني الله فداك، أليس يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (١) • قال ذلك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك { (٢) •

وعلق د/ البيومي — ﷺ — بقوله: فسؤال عائشة — رضي الله عنها — في موضعه لدى من يقفون بآية ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (٣) وعند مدلول الحساب اللفظي • ولكن الرسول بإدراكه الكلي للقرآن علم أن الحساب هنا العرض ،وفي موضع آخر يكون بمعنى المؤاخظة والمناقشة • وهنا مظنة الخطر وتوقعه " (٤) •

فجاء جواب النبي ﷺ مزيلاً للإلباس، وموضحاً للمعنى المراد في الآية •

ومن أمثلة واقع الحال ما ذكره د/ البيومي — ﷺ — بقوله: " كما أنه ﷺ كثيراً ما ينتهز مناسبة ما من مناسبة الحديث، ليذكر ما يشير إلى موضوعها من القرآن الكريم فتتضح الآية اتضاحاً ساطعاً لانتهاز المناسبة، ومن ذلك ما حكاه عبداً لله بن مسعود رضي الله عنه حين روى أن حبراً من الأخبار وفد على رسول الله ﷺ، فقال يا محمد: إنا نجد

(أى فى التوراة) أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول أنا الملك

(١) سورة الانشقاق آية رقم ٧ ، ٨ •

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير رقم ٦٦ — باب قوله (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) رقم ٣٥١ — حديث رقم

٤٩٣٩ — مرجع سابق ج ١٤/ ١١٠ — ١١١ • وأخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم ٥١ — باب إثبات

الحساب رقم ١٨ — حديث رقم ٢٨٧٦ — مرجع سابق ج ٩/ ٢٢٥ — ٢٢٦ •

(٣) سورة الانشقاق الآيتان ٧، ٨ •

(٤) البيان النبوي ص ٢٨٩ •

فضحك . . النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ { (١) } (٢) .

ففي هذا الحديث اهتبل النبي ﷺ الفرصة، فأشار إلى ما يوافق قول الحبر من القرآن الكريم . وبذلك اتضح تفسير الآية الكريمة اتضاحاً ساطعاً في صورة مشرقة لاتغيب عن الأذهان .

وبذلك جلا د/ البيومي — ﷺ — ما قام به النبي ﷺ من تفسير القرآن الكريم بوجهاته الثلاثة جلاءً واضحاً .

المطلب الخامس

جهوده في عقد موازنة بين الأسلوب القرآني، والأسلوب النبوي

ويظهر ذلك من خلال ما سطره في كتابه (البيان النبوي) تحت عنوان (بين إعجاز القرآن وإبداع الحديث)، وفي البداية كتب قائلاً: "أسلوب القرآن معجز، وأسلوب الحديث مبدع . والفرق بين الأسلوبين أوضح من أن يدل عليه" (١) . وما قرره د/ البيومي — ﷺ — لا شك فيه، ولكن الأمر يحتاج إلى توضيح أكثر من أولى العلم في الموازنة بين الأسلوبين بطريقة علمية واضحة . وهذا ما قام به بالفعل أستاذ الفاضل العلامة د/ البيومي — ﷺ —، حيث قام بجهد عظيم في الموازنة بين الأسلوبين من خلال ما عرضه من أقوال الأساتذة في ذلك وهم :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير رقم ٦٦ — باب قوله تعالى [وما قدرُوا الله حق قدره] رقم ٢٦٥ — حديث

رقم ٤٨١١ — مرجع سابق ج ١٣/٥٠٩ — ٥١٠ . وأخرجه مسلم في كتاب المنافقين وأحكامهم رقم ٥٠ كتاب صفة القيامة

والجنة والنار — حديث رقم ٢٧٨٦ . مرجع سابق ج ٩/١٤٢ — ١٤٣ .

(٢) البيان النبوي ص ٢٩١ .

(٣) السابق ص ٢٩٣ .

أ — فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز — رَحِمَهُ اللهُ .

ب — الأستاذ الأديب الكبير /مصطفى صادق الرافعي — رَحِمَهُ اللهُ .

ج — الأستاذ العلامة /أبو بكر الباقلاني — رَحِمَهُ اللهُ .

د — العالم الجليل الأستاذ / مصطفى أحمد الزرقا ، وزير العدل السوري الأسبق ، وأحد أساتذة الجامعة بدمشق . وأري أن أقتصر على عرض ما نقله العلامة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الأستاذ الدكتور / دراز ، والأستاذ الرافعي ، وأحيل من أراد المزيد على ما نقله العلامة د/ البيومي في كتابه البيان النبوي^(١) عن العلامة الباقلاني ، والعالم الجليل / مصطفى الزرقا في الموازنة بين الأسلوبين .

أولاً: ما نقله العلامة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الأستاذ الدكتور / دراز — رَحِمَهُ اللهُ —: — ونقل كلاماً طيباً في ذلك، عرضه بقوله: " وقد أحسن أستاذنا العالم المفكر الدكتور/محمد عبد الله دراز برّد الله بالرحمة مثواه حين أجمل الحديث عن الأسلوبين بقوله في كتابه^(٢) : ونحن نرى الأسلوب القرآني فنراه ضرباً وحده، ونرى الأسلوب المحمدي فنراه ضرباً وحده، ولا يجرى مع القرآن في ميدان إلا كما تجرى محركات الطير في جو السماء لا تستطيع إليها صعوداً، ثم نرى أساليب الناس فنراها على اختلافها ضرباً واحداً لا تعلو عن سطح الأرض، فمنها ما يحبو حبواً ومنها ما يشتد عدواً، ونسبة أقواها إلى القرآن كنسبة هذه السيارات الأرضية إلى تلك السيارات السماوية . نعم لقد تقرأ القطعة من الكلام النبوي فتطمع في اقتناصها ومجاراتها، كما تطمع في اقتناص الطائر أو مجاراته، ولقد تقرأ الكلمة من الحكمة فيشتبه عليك أمرها، أمن كلمات النبوة: أم من كلمات الصحابة أم من كلمات التابعين . . أما الأسلوب القرآني فإنه يحمل طابعاً لا يلتبس معه بغيره، ولا يجعل طامعاً يطمع في أن يحوم حول حماه .

(١) يراجع ما كتبه العلامة د/ البيومي عن العلامة الباقلاني في كتابه البيان النبوي في ص ٣٠١ — ٣٠٣ ، وما كتبه عن

الأستاذ/ مصطفى الزرقا في نفس الكتاب ص ٣٠٣ — ٣٠٨ .

(٢) ينظر النبأ العظيم — نظرات جديدة في القرآن الكريم — د/ محمد بن عبد الله دراز — تقديم أ د/ عبد العظيم المطعني — ط

— دار القلم للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م ص ١٢٧ — ١٢٩ بتصرف يسير .

وفى التعليق على ذلك قال د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — : هذا التحديد الحاسم الذى وضحه أستاذنا الدكتور/ محمد عبد الله دراز قد أوضح الفوارق الطبيعية بين أسلوب القرآن المعجز، وأسلوب الحديث المبدع، ونقول الفوارق الطبيعية لأنها فوارق منطقية عاقلة لا نشاز بها، وليس ما يدرك منه رائحة الانتقاص للبيان النبوى فى شيء، إذ أن بيان محمد ﷺ شعاع من شمس القرآن، يترسمه ويستهديه ثم لا يحاول اللحاق به إذ كان تنزيلاً من حكيم حميد لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أما محمد فهو وإن كان خاتم الأنبياء يعترف بأنه بشر يوحى إليه . ويقول فى بعض ما روى عنه { إنما أنا بشر وأنه يأتيني الخصم فلعن بعضكم يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فيأخذها أو ليتركها } (١) .

وهذا القول لا يصدر عن إنسان يدعى مالىس فى طوقه بل يقوله ﷺ مؤكداً طابع البشرية فى نفسه . وحسبه أن يكون بيانه أرقى بيان بشرى وأن المبدعين من بنى الإنسان إذا قيس ببيانهم ببيانه . جاء أدبه النبوي مجلياً (٢) وجاءوا لاحقين " (٣) .

٢— ما نقله العلامة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الأستاذ الرافعي — رَحِمَهُ اللهُ — ونقل عنه كلاماً يؤكد ما قاله د/ دراز عرضه بقوله: "هذا التحديد الذى وضحه الدكتور دراز قد أشار إلى مضمونه مدره (٤) الإسلام / مصطفى صادق الرافعي بأسلوبه القوي المفحم حين قال فى هذا المجال: على أن أعجب شيء أنك إذا قرنت كلمة من تلك البلاغة (النبوية) إلى مثلها مما فى القرآن، رأيت الفرق بينهما فى ظاهرة كالفرق بين المعجزة وغير المعجزة سواء، ورأيت كلامه ﷺ فى تلك الحال خاصة مما يطمع

(١) أخرجه البخاري فى كتاب الشهادات رقم ٥٣ — باب من أقام البينة بعد الشهادة رقم ٢٧ . حديث رقم ٢٦٨٠ — مرجع سابق ج٨/٢٥١ . وأخرجه مسلم فى كتاب الأفضية رقم ٣٠ باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة رقم ٣ — حديث رقم ١٧١٣ — مرجع سابق ج٦/٢٤٥ .

(٢) المُجَلَّى : السابق فى الحلقة . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص— ١١٤ .

(٣) البيان النبوي ص— ٢٩٣— ٢٩٤ .

(٤) المُدْرَهُ : زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم . و — : الحمamy . ج مداره . ينظر المعجم الوجيز ص— ٢٢٧ .

في مثله، وأحسست أن بين نفسك وبينه صلة تطوع لك القدرة عليه، وتمد لك أسباب المظمعة فيه، بخلاف القرآن فإنك تستئيس من جملته، ولا ترى لنفسك إليه طريقاً ألبته، إذ لا تحس منه نفساً إنسانية، ولا أثراً من آثار هذه النفس، ولا حالة من حالاتها حتى نأنس إلى ذلك على التوهم، ثم تتوهم الطمع والمعارضة من هذه المؤانسة فتمضى عزمك، وتقطع رأيك وتبت القول فيه، كما يكون لك في قراءة الكلام الإنساني .

فإن لجميع هذا الكلام الآدمي منهاجاً ولجملته طريقاً، وحدود البلاغة التي تفصل بعضه عن بعض كلها مما يوقف عليها بالحس والعيان ويقدر فوق ما بين بعضها إلى بعض مهما يوقف عليه بالحس ومهما بلغ من تفاوتها واختلافها في الصنعة والغرابة بيد أن ذلك مما لا يستطاع في القرآن ولا وجه إليه بحال من الأحوال، فما هو إلا أن نقرأ الآية منه حتى تراها قد خرجت من حد المألوف وانسلت منه، وفانت سمت ما قدرت لها من مطلع ومقطع، فمهما وجدت لا تجد سبيلاً إلى حدها ومهما استطعت لا تستطيع أن تقرن بها كلاماً تعرف حده في البلاغة إن لم يكن بالصنعة فبالحس "(١) .

وفي التعليق على قول الرافي قال د/ البيومي: "وإذن فكلام محمد ﷺ على إبداعه لا يمكن أن يشتهه بكلام القرآن — الكريم — على إعجازه، ومن قرأ القرآن قراءة منصفة لا تميل إلى الهوى، ثم قرأ الحديث النبوي قراءة منصفة لا تميل إلى الهوى كذلك، وكان لديه أقل بصر بأساليب الفصحى ونظمها البلاغي لن يقول إن القرآن صادر عن محمد . فبينه وبين كلام محمد بون أي بون "(٢) .

وأوافق د/ البيومي — ﷺ — ، فالفرق بين كلام الله وكلام النبي ﷺ واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فيستحيل أن يشبه كلام الخالق سبحانه كلام المخلوق .

(١) البيان النبوي ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

(٢) السابق ص ٢٩٥ .

وأخيراً ختم د/ البيومي — ﷺ — ما ذكره من الموازنة بين الأسلوب القرآني، والأسلوب النبوي قائلاً: "هذا ولن يظن أحد أننا بهذه المقارنة الأدبية نحاول أن نغض قليلاً من البيان المحمدي، فالأدب النبوي أرفع أدب بشري تحدر عن لسان ناطق، وله طابعه الإنساني الناطق بكل ما يمس الإحساس البشري الراقى من مؤثرات ، كما أن للبيان القرآني طابعه الإلهي الذي ينطق بعظمة الله وسيطرته وقدرته وجبروته •

وإن اختلاف الطابعين لدليل على أصالة الأسلوبين كل في بابهِ " (١) •

بهذا العرض الرائع، وبهذا الجهد العظيم في الموازنة بين الأسلوبين أبطل د/ البيومي — ﷺ — إدعاء من زعم أن القرآن من عند محمد ﷺ، وأخرس ألسنتهم • فهم يهرفون بما لا يعرفون، فإن للقرآن طابعه الإلهي فأنى لمحمد ﷺ أن يصل إلى هذا المستوى الأدبي الرفيع الذي لاطاقة لبشر على محاكاته، فقد أعجز الفصحاء والبلغاء، فتحداهم الله على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، ثم تقاصر معهم فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا، ثم تقاصر معهم في التحدي، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فما استطاعوا، وكل ذلك قد سجله الله تعالى في كتابه الكريم • بل لو تحداهم علي أن يأتوا بآية واحدة مثله فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً • فإنه كلام رب العالمين وأنى لكلام المخلوق أن يشبه كلام رب العالمين •

وهذه الموازنة لم تغض من قيمة الأدب المحمدي وعظمته، فإنه في بابهِ لا سبيل لأحد من البشر مهما أوتي من فصاحة وبيان إلى محاكاته، فقد أوتي جوامع الكلم ورزق فصاحة البيان، وحسبه أن يكون بيانه أرقى بيان بشري، وأن المبدعين من بني آدم إذا قيس ببيانهم ببيانه حاز أدبه قصب السبق وكانوا له لاحقين •

المطلب السادس

جهوده في عرض ما كتبه بعض القدماء، والمعاصرين عن البيان النبوي

ويظهر ذلك من خلال ما كتبه في كتابه (البيان النبوي) تحت عنوان (يتحدثون عن محمد — ﷺ — الأديب)، وتتجلى جهوده في عرض ما تحدث به ثلاثة من كبار الأدباء في العربية قديماً، وثلاثة منهم حديثاً في كتبهم الذائعة عن روعة الأسلوب المحمدي بما يكشف كثيراً من خصائصه . وقد اختار من القدماء الأساتذة الكبار وهم: الجاحظ، والشريف الرضي، وابن الأثير — رحمهم الله — ومن المعاصرين الأساتذة الكبار كذلك وهم :الرافعي، والعقاد، والزيات — رحمهم الله — .

وأري أن أعرض ما نقله العلامة د/ البيومي — رحمه الله — عن واحد من العلماء القدامى ، وواحد من المعاصرين ، وأتخير من القدامى الجاحظ — رحمه الله — ومن المعاصرين العقاد — رحمه الله — وأما البقية فأحيل من أراد المزيد على كتاب البيان النبوي للعلامة د/ البيومي — رحمه الله — لمراجعتها (١) .

١- الجاحظ:- ونقل العلامة د/ البيومي — رحمه الله — ما كتبه الجاحظ عن بيان النبي ﷺ قائلاً: " يقول الجاحظ في الجزء الثاني من البيان والتبيين: وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه ﷺ، وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تعالى قل يا محمد ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَلِّفِينَ ﴾ (٢) . فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعجير واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق .

(١) يراجع ما نقله عن الشريف الرضي ، وابن الأثير رحمهما الله في كتابه البيان النبوي ص٣١٦ — ٣٣٠ . وأما ما نقله عن الرافعي رحمه الله فيراجع في نفس الكتاب ص٣٣١ — ٣٣٨ . وما كتبه عن الزيات رحمه الله يراجع في ص٣٤٤ —

وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا بارت له حجه، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب، بل يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج (١) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطن ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ" (٢) .

وفى التعليق على ما قاله الجاحظ كتب د/ البيومي قائلاً: " أرأيت هذا التحدي العاطفي المؤمن في بيان الجاحظ هل أغفل أمراً ذا بال من أدب محمد ﷺ — .

إذا كنا نعرف من سماته الإيجاز، فقد قال الجاحظ عنه هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير، وإذا كنا نعرف أن اللفظ النبوي سهل قريب المأخذ، فقد قال الجاحظ عنه، جلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف وعاب التشديد، وجانب أصحاب التقعير، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، وإذا كنا نعرف عنه الصدق في القول، فقد عبر عنه شيخ الأدباء حيث قال، لا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، وإذا كنا نعرف قوة تأثيره وعظيم نفاذه، فذلك ما ألمح إليه الجاحظ حين قال، هذا الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وإذا كنا نعرف قوة منطقة وسداد حجته، فقد عبر عن ذلك الكاتب حين قال: لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم،

(١) فلج — فلجا : ظفر . و — بحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه . و — الشئ : شقه نصفين . ينظر المعجم الوجيز ص ٤٧٩ .

(٢) البيان النبوي ص ٣١٠ — ٣١١ .

ولا بارت له حجه، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، وليس يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم" (١) .

يتبين من ذلك: أن الجاحظ رحمه الله أبدع إبداعاً عظيماً في حديثه عن البيان النبوي، ووفق في عرض سماته وخصائصه فجلا الحقيقة جلاءً واضحاً .

ولم يقتصر عند هذا الحد في الحديث عن البيان النبوي، بل جند نفسه للدفاع عنه، ونقد ما يثار حوله من مطاعن وقد عرض د/ البيومي -رحمته الله- أمثلة لذلك أكتفى بذكر مثال منها عرضه بقوله: " وكانت حساسية الجاحظ تدفعه إلى تنفيذ كل شبهة تحوم حول البيان النبوي، وإن كانت من التخاذل والضعف بحيث لا تحتاج إلى تنفيذ، فقد أتاه أن الأصمعي وابن الأعرابي ، رويَا عن رجالهما أن رسول الله ﷺ قال: { إنا معشر الأنبياء بكاء } وربما أوهم هذا القول أن البكاء، يكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر، وسوء الاهتداء إلى جياذ المعاني، ومن لديه أقل إلمام بسيرة الرسول -ﷺ- لا يمكن أن يسبق إليه هذا الوهم وهو يعلم ميراثه الحفيل في دنيا البلاغة والبيان، ولكن الجاحظ يخشى أن يمد الوهم حباله إلى بعض العقول من هذه الناحية فيتتبعها شرحاً وإيضاحاً " (٢) .

وأخيراً علّق د/ البيومي على حديث الجاحظ عن البيان النبوي بقوله: " هذا بعض ما تحدث به أديب العربية العظيم (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ) عن محمد -ﷺ- الأديب، وهو حديث المعجب الطروب الذي أسكرته حلاوة البيان النبوي وهزته بلاغة الحديث المحمدي فجرى قلمه بما يعبر عن إكباره الزائد وإجلاله الكبير " (٣) .

٢- العقاد:- ويحدثنا د/ البيومي عنه قائلاً: " وقد أتى العقاد بعد الرافعي في حديثه عن بلاغة الرسول، وللاستاذ العقاد أسلوبه المنطقي الرصين الذي ينتظم فحولة

(١) البيان النبوي ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) السابق ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٣) نفس السابق ص ٣١٦ .

الفكرة، ورصانة التعبير انتظاماً يبرأ من الحشو والفضول فأنت حين تقرأ العقاد تقرأ مفكراً واعياً مرهف الحس قوى الملاحظة يأخذ بمجامع موضوعه أخذاً محكماً، فهو يعالجه معالجة الفاحص الملم والخبير المستشف، ثم لا يترك على إيجاز قوله وصلابة تركيبه وراءه زيادة لمستزيد .

لقد كتب العقاد العظيم كتابه الخالد (عبقريّة محمد ﷺ) — لا يسجل سيرة الرسول الأعظم معدّداً وقائعها ومواقفها في شتى فترات حياته، بل ليدل على مناحي العبقريّة في سلوكه الإنساني بالمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى .

ومعنى ذلك أن قارئ عبقريّة محمد ﷺ — في كل ملة ولغة ودين إذا رزق محبة الإنصاف فإنه يرى شواهد العبقريّة النبوية كما وضّحها العقاد ساطعة بلألائها الزاهر، فيدين لمحمد بالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل إنسان، وليس في قلب كل مسلم وكفى "(١) .

ثم ذكر د/ البيومي ما ذكره العقاد عن البلاغة النبوية بقوله: " وفي فصل خاص عقده العقاد عن محمد ﷺ — البليغ طالعنا الكاتب الكبير برأيه في البلاغة النبوية حين بدأ الحديث بقوله في إصابة وتحديد: اللهم هل بلغت، هذه هي اللازمة التي ردّها النبي في أطول خطبه الأخيرة وهي خطبة الوداع، وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات، فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله ﷺ، وهو وجود بنفسه { جلال ربي الرفيع فقد بلغت } ولصدق هذه الدلالة نرى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي ﷺ — في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبداع قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها لأنها أصل شامل لما تعرف من سمات هي منها بمثابة الفروع "(٢) .

(١) البيان النبوي ص ٣١٦ .

(٢) السابق ص ٣٤٠ .

ثم شرع د/ البيومي في عرض ما ذكره العقاد عن موقف النبي الأعظم ﷺ — من السجع بقوله: "ثم تعرض العقاد إلى موقف الرسول ﷺ — من السجع فروى أنه كان يكره سجع الكهان إذ يخدعون السامع حين يوهمونه أنه يستمع إلى طلاس السحرة والشياطين، ولكنه لم يكن يأبى السجع بته ولا يخلو كلامه مما جاء منه على السجية ويغلب أن يكون ذلك فيما يرثل علانية كالآذان أو فيما يحفظ من الوصايا الجامعة ثم استشهد الأستاذ على ذلك بقول رسول الله: { ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، قضاء الله حق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق } (١) .

وكذلك قوله ﷺ: { إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال } (٢) .

ثم استشهد بنصوص أخرى من رسائل الرسول ومعاهداته، وختمها بقوله: هذه أمثلة السجع الذي فاه به الرسول أو أقره من كلام غيره وما عداه من تجميل الكلام فهو تجميل الإبلاغ الذي لا كلفة فيه، بعد أن قال قبيل ذلك عن سجع محمد ﷺ: إن مذهبه في هذه الحلية اللطيفة مذهبه في كل حلية تليق بالرجل، فحولة في القول وفحولة في الزينة، فسجعه ﷺ كحلية الذهب التي تليق بالرجل أن يتحلّى بها ولا مزيد " (٣) .

ثم ختم د/ البيومي حديثه عن العقاد بذكر ما قاله عن جوامع كلمه ﷺ فقال: "ثم ختم العقاد هذا الفصل الممتع عن بلاغة الرسول بكلمة عن جوامع كلمه ﷺ وقال بصدد هذه الظاهرة النبوية إن الإبلاغ أقوى الإبلاغ في كلام النبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات وقد بسطها الشارحون في مجلدات " (٤) .

(١) أخرجه ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها بلفظ { ما بال رجال ٠٠ } كتاب العتق رقم ١٩ — باب المكاتب رقم ٣ — حديث

رقم ٢٥٢١ — مرجع سابق ج ٢ / ٤٠١ — ٤٠٢ . وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٢) الحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ١٧٤٩ وقال متفق عليه عن المغيرة بن شعبة — مرجع سابق ج ١ / ٣٦٠ .

(٣) البيان النبوي ص ٣٤١ — ٣٤٢ . (٤) السابق ص ٣٤٣ .

ثم ذكر د/ البيومي رحمته الله أمثلة (١) مما ذكره العقاد رحمته الله في التدليل على ذلك .
وبذلك اتضح ما قام به د/ البيومي رحمته الله من جهد عظيم في إبراز حديث العقاد رحمته الله عن البيان النبوي،
وبذلك فقد قام رحمته الله بجهد عظيم في خدمة السنة النبوية، حيث عرض البيان
المحمدي في صورة جلية واضحة تستنطق العقول والقلوب بروعة الجمال في
العرض، ووضوح العبارة ووجازتها، و التزام الصدق، وقوة الإقناع والاستمالة .
أسأل الله تعالى أن يجزيه الجزاء الأوفى، وأن يتغمده بواسع الرحمة والمغفرة،
وأن يسكنه في الفردوس الأعلى . . اللهم آمين .



الفصل الثالث

جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً وحديثاً

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن أمرين : أولهما :
جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً ، وذلك من خلال قيامه بعرض ثبت تاريخي
لمجالس العلم في حرم المساجد من عصر النبوة إلي العهد الفاطمي ، ثم إبرازه مآثر
أعلام مساجد هذه الحقبة الزمنية .

ثانيهما: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة حديثاً ، وذلك من خلال إبرازه لدور
الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان من العصر المملوكي وحتى قيام ثورة ١٩١٩م ،
ثم الرد علي الطاعنين في قضايا تمس الأزهر الشريف ، وإبراز مواقف الأزهر
الشريف من المؤلفات التي تطعن في ثوابت الإسلام .

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً .

المبحث الثاني: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة حديثاً .



المبحث الأول

جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: جهوده في عرض ثبت تاريخي لمجالس العلم في حرم المساجد من عصر النبوة إلى العهد الفاطمي :— ويظهر ذلك من خلال ما سطره في كتابه العظيم (مجالس العلم في حرم المسجد)، والذي يُعد تاريخاً للدعوة إلى الله تعالى في رحاب المسجد قديماً .

وتحدث د/ البيومي رحمته الله عن المساجد الشهيرة، فعرض لها تاريخاً علمياً يسيراً أوضح من خلاله دور المساجد في تأدية رسالتها، حيث تقوم بدور باهر الشعاع في التربية الإسلامية والثقافة العلمية . وصرح بأن المساجد شرقاً وغرباً ما هي إلا معاهد علم ومجالس شرح وتفسير، وأن المسجد في لبابه مدرسة الإسلام .

وقد تحدث د/ البيومي في هذه الفترة الزمنية من عصر النبوة إلى العهد الفاطمي عن مجالس العلم في المساجد الآتية:

- ١— المسجد النبوي .
- ٢— المسجد الحرام .
- ٣— مسجد الفسطاط .
- ٤— مسجد الكوفة .
- ٥— مسجد البصرة .
- ٦— المسجد الأموي بدمشق .
- ٧— جامع قرطبة .
- ٨— مسجد السيدة نفيسة .

٩- جامع القرويين •

١٠ - مسجد الزيتونة •

١١ - جوامع النجف الأشرف •

١٢ - الجامع الأزهر •

وأري: أن أقتصر على ثلاثة مساجد فقط كنموذج لهذه المساجد التي تناولها د/ البيومي رحمته الله متحدثاً عن دورها في التربية الإسلامية، والثقافة العلمية، ومن أراد المزيد فليطالع كتاب (مجالس العلم في حرم المسجد) (١) للعلامة د/ البيومي رحمته الله •

وهذه المساجد هي:

أ - المسجد الحرام •

ب - جامع قرطبة •

ج - الجامع الأزهر •

أولاً: المسجد الحرام:

وعن مجالس العلم في المسجد الحرام يحدثنا د/ البيومي رحمته الله قائلاً: "ومنذ فتح مكة، والمسجد الحرام مدرسة العلم، فقد رحل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تاركاً معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فقيها يعلم الناس قواعد دينهم في المسجد الحرام، ومعاذ - رضي الله عنه - وعاء من أوعية العلم، وقد أوفده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلماً، إذ كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام (٢)، ومن أشدهم حفظاً للقرآن، وقد زوده بنصائح علمية وخلقية صادفت من نفسه تربة طيبة فزكت ونمت وآتت أكلها الشهي، وحسبك أن يروى عنه ابن عباس - رضي الله عنه - بالمسجد الحرام، وابن عباس - رضي الله عنه - أحد الذين تصدروا للإفتاء والدرس بهذا المسجد، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مدرسة

(١) الكتاب طبعته المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة - بدون تاريخ - وهو من القطع الصغير وعدد صفحاته ١٨٩ صفحة •

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل} أخرجه الترمذي في السنن كتاب المناقب - باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت - وأبي بن كعب - حديث رقم ٣٨١٥ - مرجع سابق ج ٥/ ٤٣٥٠ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة حديث رقم ١٥٤ - مرجع سابق ج ١ / ٩٣ • والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٢٤٠

فقهية بمكة — كما يقول الأستاذ/ أحمد أمين رحمه الله: حيث تخرج على يده نفر من التابعين مثل: مجاهد بن جبير — رحمه الله — ، وعطاء بن أبي رباح — رحمه الله — ، وطاووس بن كيسان — رحمه الله — ، واستمرت حلقات العلم في زمن هؤلاء ومن بعدهم قائمة بالمسجد الحرام "(١) •

ثم بين د/ البيومي رحمه الله: أن المسجد الحرام تلقى العلم فيه كثير من العلماء وعلى رأسهم الشافعي — رحمه الله — ، فقال: " وكلنا نعلم أن الإمام الشافعي (٢) تلقى العلم أول ما تلقاه في حلقات المسجد الحرام، وإذا كان الحج فريضة محتومة على المسلمين، فإن طلاب العلم كانوا ينتهزون موسم الحج ليقابلوا العلماء بالمسجد الحرام حيث يجتمع رجال الإسلام من كل فج عميق ؛ ليشهدوا منافع لهم، ومنافع علماء الدين هي الفقه فيه، ورواية ما لا يعلمون من الحديث والأحكام !وما زال العلماء يتصدرون للإفتاء والتدريس، في موسم الحج في بيت الله، وما زالت الحلقات تمتد أهلة بالسامعين وقراءة كتب التراجم والطبقات توقفنا على الأهمية العلمية للحج، إذ كان بعثة عامة للمسلمين، ومؤتمراً علمياً للدارسين، وموسماً دينياً للهدى والتوجيه "(٣) •

(١) مجالس العلم في حرم المسجد مرجع سابق ص ٢١ — ٢٢ •

(٢) الشافعي هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس وينتهي نسبه الشريف إلى عبد مناف الجد الثالث للنبي ﷺ ولد بغزة عام ١٥٠هـ حيث كان والده بها في بعض أعماله ثم نقلته أمه إلى مكة المكرمة موطن آبائه وأجداده فنشأ بها وحفظ القرآن — تفقه على يد مفتي مكة مسلم بن خالد الزنجي ، وسفيان بن عيينة ، ثم رحل إلى المدينة فلقى الإمام مالك ودرس عليه حتى صار أحد رجال مدرسته البارزين • سافر إلى العراق عام ١٨٤هـ فدرس فقه أبي حنيفة على يد تلميذه محمد بن الحسن الشيباني وناظره باعتباره أحد رجال مدرسة الإمام مالك ، وبذلك جمع بين علم المذهب المالكي والمذهب الحنفي ، ثم ظهرت عبقريته فأخرج مذهبه المستقل ودعا إليه أهل العراق • سافر إلى مصر عام ١٨٨هـ وظل بها وأخذ عن علمائها ، ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد عام ١٩٥هـ حيث صارت له طريقة جديدة تنفصل وتختلف عن طريقة أستاذه مالك • ثم عاد أخيراً إلى مصر وظل بها حتى توفي رحمه الله عام ٢٠٤هـ وكتب فيها مذهبه الجديد • من مؤلفاته العظيمة (الرسالة) وهو أول مؤلف في علم أصول الفقه ، وكتابه (الأم) من أشهر كتب الفقه • ينظر مدخل الفقه الإسلامي دراسة مقارنة د/ عبدالله بن عبد العزيز العجلان ، والمحاضر نبيل بن كمال الدين طاحون عضوا هيئة التدريس في كلية الملك فهد الأمنية بالرياض — ط المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩١ م ص ١٥٣ — ١٥٤ •

ثم ذكر د/ البيومي ما يصور بعض مشاهد العلم في المسجد الحرام قائلاً:
 "يتحدث ابن جبير في رحلته الشهيرة عن بعض مجالس العلم والقرآن بمكة، فيروى أن كل وتر من الليالي العشر في رمضان يختم فيه القرآن، إذ يكون أحد أبناء مكة من الناشئين قد حفظ القرآن في هذا العام، واستعد أهله للاحتفال به في ليلة مباركة من ليالي الوتر بمشهد من العلماء والقضاة ومن يرغبون المشاهدة من الزائرين، فتتصب الثريات المضيئة على هيئة غصون من الشمع، وقد انتظمت صفوفاً مترابطة، وامتدت في أثناء ذلك حبال متينة علقت بها مصابيح زيتية تزيد المكان للألأة وإشراقاً، ووضع بمقربة من المحراب منبر مجل بجلّة حريرية غالية، فيأتي الإمام (الطفل) حافظ القرآن في أجمل زينته وحوله أقرباؤه من الإخوة والأعمام والأخوال فلا يستطيع الوصول إلى المنبر من كثرة الزحام إلا بجهد جهيد فيصعد إليه وقد أعد خطبة دينية يتلوها في شجاعة وإبداع، فإذا قال من عظاتها نبذة معقولة، سكت وبدأ القراء يتلون من كتاب الله ما أعدوه ورأوه مناسباً لما جاء في كلام الخطيب الصغير .

ثم ينهض الخطيب فيتلو نبذة ثانية من وعظه يتصرف بها في شئون التذكير والمواعظ وكأنه واعظ كبير متمرس، فإذا بلغ شوطاً يحسن لديه السكوت قام القراء بالتلاوة كعهدهم السابق فأسمعوا الحاضرين من كلام الله ما يحسن وقعه ويستجاء، ثم ينتهي الحفل بين العبادة والتلاوة، ومدارسة الفقه والحديث (١) .

وقد علق د/ البيومي قائلاً: "وإذا كان هذا الحفل بالمسجد الحرام احتفاء بحفظ القرآن، فإنه في الوقت نفسه تمرين على الخطابة الدينية، وتشجيع للأبناء من الحفاظ أن يكونوا دعاة هداة، تزهو بهم المنابر والمجالس، وفي ذلك من الدعوة إلى نشر العلم والهداية ما يجب أن يفخر به، أضف إليه ما يتردد من ذكر وتسبيح ومناقشة بين الحاضرين تثمر الثواب من الله، والهداية للناس، وقد قال رسول الله ﷺ : { ما اجتمع

قوم في بيت من بيوت الله ،يتلون كتاب الله،ويتدارسونه بينهم ،إلا نزلت عليهم السكينة،وغشيتهم الرحمة ،وحفتهم الملائكة،وذكرهم الله فيمن عنده { (١) } .
وقوله ﷺ: { أفلا يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع،ومن أعدادهن من الإبل؟ } (٢) (٣) .

يتبين من ذلك: أن المسجد الحرام كعبة العلم، فكم من عالم تلقى العلم في رحابه، وتخرج من مدرسته على أيدي الجهابذة من العلماء الأجلاء، وسيأتي الحديث بمشيئة الله تعالى عن علم من هؤلاء الذين نشروا العلم في ربوع هذا المسجد العتيق بعد قليل في الصفحات التالية .

ثانياً: جامع قرطبة: ويحدثنا د/ البيومي رحمته الله عن إنشائه قائلاً : " وضع الحجر الأساسي لهذا البناء العظيم في عهد التابعين الذين رحلوا مع جيش موسى بن نصير رحمته الله — لفتح الأندلس، ومنهم حنش الصنعاني رحمته الله — ، وأبو عبد الرحمن الجبلي رحمته الله — ، إذ وضعوا الأساس بأيديهما وصنعا المحراب وفق رأيهما، فظل المحراب بالمسجد يعتز به التالون حتى جاء أمير المؤمنين عبد الرحمن الأوسط رحمته الله — فنقله من موضعه القديم وركزه في القبلة الجديدة، وقد قيل له: إن القبلة منحرفة عن موضعها الطبيعي، فجمع أصحابه مشاوراً، وفيهم من قال: يا أمير المؤمنين إن مكان القبلة قد عين منذ عهد موسى بن نصير رحمته الله — ، وصلى فيه التابعون وتابعو التابعين، فلا تغير موضعاً قد رضوه، وإنما هلك الناس بالابتداع ونجوا بالإتباع .
فمال الخليفة إلى هذا الرأي، وقال: نعم ما قلت (٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٤٨ — باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن

وعلى الذكر رقم ١١ — حديث رقم ٢٦٩٩ — مرجع سابق ج ٢٦/٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه — كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم ٦ — باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه رقم

٤١ — حديث رقم ٨٠٣ — مرجع سابق ج ٣/٤٨ — ٣٤٩ .

(٣) مجالس العلم في حرم المسجد ص ٢٤ . (٤) السابق — ص ٧٧ — ٧٨ .

وعن وضع المسجد الآن، ودوره في نشر العلوم، كتب قائلاً: "لا يزال جامع قرطبة يزار إلى الآن حتى بعد أن تحول إلى كنيسة، لأن الملامح الإسلامية ما برحت واضحة للعيان، تدل على أصلها المموه، وأساسها المفقود، وكثير من فضلاء الرحالة المسلمين يذهبون إلى المسجد العزيز ويؤذن لهم بإقامة الصلاة فيه بعد تصريح خاص من القائمين على أمره، وقد حدثني العلامة المجرى الشهير الأستاذ/ عبد الكريم جرمانوس (١) أنه صلى بالمسجد عدة مرات، لأنه قرأ أن الأمير شكيب أرسلان (٢) سافر خاصة إلى أسبانيا ليسعد بالصلاة في المسجد الجامع، وقد تنشق في أرجائه عبير الإسلام.

وكما يزور المسلمون الآن المسجد الجامع كان النصارى في عهده الزاهر أيام الخلافة الأموية وما تلاها بالأندلس يحجون إلى زيارة هذا المسجد العظيم، وفيهم من كان يمكث عدة سنوات ليقراً دروس العلم مع الدارسين .

إذ يشهد التاريخ أن جامع قرطبة كان أول جامعة علمية في أوربا حين كانت مدن الغرب غارقة في الظلام، ولم يجد أهلها مناصاً من زيارة الأندلس ليستفيدوا من حلقات العلم في الطب والفلك والطبيعة والكيمياء والفلسفة، فيرجعوا بزاد حفيل .

(١) هو العلامة الأديب المجرى الأستاذ الدكتور/ عبد الكريم جرمانوس — شرف باعتناق الإسلام في الهند، وتعلم العربية من القواميس، ثم قدم القاهرة، وحضر بالأزهر الشريف ليتلقى الشريعة واللغة معا — عمل عضو مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة — دافع عن اللغة العربية ووقف في وجه العامية، وكان يشنع على من يحاولون من أبناء اللغة الفصحى أن ينحدروا إلى الكتابة بالعامية . يحكى أنه لما قدم مصر نزل بالإسكندرية وقدم جواز السفر بعد نزوله من الباخرة تكلم بالعربية الفصحى التي درسها من قبل فأخذ السامعون يتضحكون ويعجبون ، ثم يردون عليه بالعامية التي لا يفهم منها شيئاً ، فجعل يضرب كفا على كف ، ويقول : لقد خفت أن أتحدث بغير العربية فأكون أضحوكة في مصر ، فلما تحدثت بما صرت أضحوكة !! ينظر من أعلام العصر مرجع سابق ص ٣٠ — ٣٥ بتصرف .

(٢) هو لسان العرب ومدرسة الإسلام الأمير شكيب أرسلان — راسل أمهات الجرائد في مصر وسوريا وتونس والعراق ومراكش والمهجر ، وكاتب أفذاذ الأعلام من ذوى الرأي السياسي والأدبي في شتى ديار الإسلام ، وأصدر مجلة باللغة الفرنسية تكون لسان العرب في دوائر الاستعمار . جاهد على مدى ستين عاماً في البحث العلمي الذي لم ينقطع يوماً واحداً حتى وصلت مؤلفاته إلى ما يزيد عن خمسمائة مجلد ضاع أكثرها في أثار الصحف ، وسجلات السياسة ، ومكاتب الأصدقاء ، ومتفرق المجلات ! ينظر النهضة الإسلامية — مرجع سابق ج ١/ ٢٥٠ — ٢٥١ بتصرف .

وإذا كانت أوربا جميعها قد استيقظت على صوت ابن رشد حين ترجمت مؤلفاته إلى اللغات المختلفة حاملة ثمار اليونان والعرب معاً، فإن ابن رشد تلميذ جامع قرطبة رضع لبنانه وأصبح المنار الأعلى في علوم الفلسفة والدين معاً" (١) .

وعن حلقات العلم بالمسجد كتب قائلاً: " أما حلقات العلم بالمسجد فكانت متنوعة المعارف متعددة الثمار، وأكثر علماء الأندلس الذين ذكرهم صاحب نفح الطيب من فقهاء ونحاة ومفسرين ومحدثين وأطباء وفلاسفة وأدباء كانوا من أساتذة المسجد الجامع بعد أن مروا بمرحلة التلمذة فيه .

ومن الغرائب أن منهم من جلس إلى تلميذه يستمع إليه في حلقة الدرس معجباً منشراحاً بعد أن كان أستاذه من قبل، وكأنه بذلك يضرب المثل الرفيع في التواضع العلمي النزيه " (٢) .

كما أن المسجد الجامع بقرطبة كان مجلساً للقضاء، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " ولا نترك الكلام دون أن نعرِّج على مجلس القضاء بالمسجد الجامع، إذ كان يمثل أزهى عصور الأمانة والنزاهة في الحكم الإسلامي، واحتفظ التاريخ بأمثلة رائعة لعظماء من القضاة صدعوا بالحق دون أن يرهبوا لومة لائم، ومن أشهر هؤلاء: محمد بن بشير القاضي — رحمه الله — الذي اصطدم بأمر المؤمنين الحكم — رحمه الله — في أكثر من حكم، وتوقع الناس أن يصدر الخليفة أمراً بعزله، وأكثروا من الوقعة فيه تنفيساً عن أحقاد تداخلهم، ولكن الخليفة كان واسع الصدر، مطمئن النفس، فتقبل الإدانة بصدر رحب، ونزل على رأى القاضي في كل ما حكم به، وقال لمن جلسوا يتحرشون به: لا يا قوم، لقد أحسن ابن بشير بنا فيما فعل على كره منا . كان في يدنا شيء لا نملكه فأعطاه لصاحبه، وصار ما بقى لنا حلالاً طيباً لأعقابنا " (٣) .

يتبين من ذلك: أن المسجد ما كان محلاً للعبادة فحسب، وإنما كان أيضاً محلاً لتعليم الجاهل وهداية الضال، وإجابة المستفتي، وإنصاف المظلوم، وقد حفل مسجد

(١) مجالس العلم ص ٧٧ .

(٢) السابق ص ٧٨ .

(٣) نفس السابق ص ٧٨ — ٧٩ .

قرطبة بكل ذلك، بل إن دوره في نشر العلم لم يتوقف، وسأشير إن شاء الله إلى علم بارز ممن نشروا العلم في رحابه بعد قليل فيما يأتي .

ثالثاً: الجامع الأزهر:

وعن نشأته يحدثنا د/ البيومي رحمته الله قائلاً : " أنشئ الجامع الأزهر في العهد الفاطمي ليكون رمز التوجيه الديني والسياسي للدولة الجديدة، لأن الفاطميين ذوو مذهب ديني لا تعرفه البلاد، ولابد أن يقوم بنشره فئة ممتازة من الدعاة، ولابد أن يكون المسجد منارة هذا المذهب ،وقد أنشأه جوهر الصقلي بأمر من المعز لدين الله، ثم أضاف إليه الحاكم بأمر الله عدة أبنية زادت من اتساعه وجلاله " (١) .

وعن بداية الجامع الأزهر الشريف في نشر العلم، يحدثنا د/ البيومي قائلاً: " كان الأزهر كعبة الفاطميين الدينية، إذ هو مكان الصلاة والدرس والاحتفاء بالمواسم والأعياد، وكان منبره الأصل مذياع الخليفة يتسنمه هادياً، ومبشراً ومنذراً" (٢) .

ثم لم يلبث الجامع الأزهر طويلاً حتى تحول إلى جامع كبيرٍ للتعليم، وعُين مدرسون لتعليم العلوم فيه، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " وحين عازمت الدولة على أن يكون الأزهر جامعة كبرى للتعليم، بدأ الدرس به أبو حنيفة النعمان القيرواني قاضي المعز لدين الله، فأخذ يقرأ بعض مصنفاته على العلبة من الناس، ثم شاركه في الأستاذية يعقوب ابن كلس الوزير الفاطمي، ولكنه لم يشأ أن يجعل الدروس مقصورة على القاضي والوزير، بل بدأ بالخطوة العلمية التي حددت رسالة الأزهر الجامعية، فبعد أن كان يتخذ من رمضان موسماً لإلقاء دروسه التي يحضرها كبار الفقهاء والقضاة استأذن العزيز في تعيين جماعة من المدرسين للتعليم بالأزهر، فأوجد حلقات متنوعة لدراسة الدين واللغة والنحو والمنطق والقراءات والفلك، وأصبح الأزهر، على يد ابن كلس ،كلية ذات مواد وأساتذة وطلاب " (٣) .

(١) مجالس العلم في حرم المسجد ص ١٧١ .

(٢) السابق ص ١٧٢ .

(٣) نفس السابق ونفس الصفحة .

وعن نظام الدارسة بالجامع الأزهر كتب د/ البيومي قائلاً: " كانت الدراسة بالأزهر للعهد الفاطمي خاصة وعامة، خاصة لمن التحق من الطلاب، وعامة لمن يريد الثقافة من الجمهور، فلأولين أمكنتهم وأزمنتهم وأسأتدتهم في تحديد لا يقبل اللبس، وللآخرين حلقات عامه يؤمها من يرغب الاستماع دون حرص على الاستمرار، ومن أطرف ما يسجل أن النساء كانت ذات حلقات تعليمية في الأزهر الفاطمي، ومعنى ذلك أن تعليم البنات كان هدفاً من أهداف الأزهر منذ إنشائه، فليست كليات البنات الإسلامية بالأزهر اليوم شيئاً جديداً ، ولكنها ذات سلف بعيد " (١) .

وعن دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي كتب قائلاً: "وجاءت الحملة الفرنسية، فكان الأزهر بعلمائه وطلابه موضع المقاومة للاحتلال، وعُلقت المشانق لتغتيال من كبار علمائه من حفظ التاريخ أسمائهم غير ناس " (٢) .

وعن أول إصلاح للأزهر يحدثنا قائلاً: "وفي عهد محمد علي وما تلاه بدأ الأزهر يأخذ دوره العلمي، ويشترئ لإصلاح تلاحت ومضاته خفوتاً وإشراقاً، حتى استطاع الأستاذ الإمام محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — أن يجهر بدعوة الإصلاح ، فتألف مجلس أعلى للأزهر، ووضع قانون لمواد الدراسة، ودرجات العلماء، ورواتبهم، ولأعمال الامتحان، ثم ألحق بالأزهر معاهد التعليم في مساجد دمياط ودسوق وطنطا والإسكندرية . وهكذا تفرعت السبل بالأزهر ، فأصبح نهراً ذا روافد دافقة، وأخذ يتطلع إلى نظام مستتب رشيد (٣) .

ثم توالى خطوات الإصلاح للأزهر الشريف ويحدثنا عنها د/ البيومي قائلاً: " وسار الزمن، فجاء الإمام/ محمد مصطفى المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — لينشئ الكليات ويكثر المعاهد، ويرتفع بالمستوى المادي والثقافي بالأزهر والأزهريين، وما زالت خطوات الإصلاح تتابع حتى أصبح الجامع جامعة تضم خمساً وثلاثين كلية وأصبحت القرى ذات معاهد ابتدائية وثانوية، وجامع الأزهر في ساحته الممتدة يحفل بالوافدين كل

(١) نفس السابق ونفس الصفحة .

(٢) نفس السابق ص—١٧٣ .

(٣) مجالس العلم ص—١٧٣ .

لحظة، إذ تقام فيه الصلوات، وتشرح للطلاب الدروس المنتظمة في كلية الدراسات العربية والإسلامية، وغير المنتظمة لمن يحبون سماع العلم من رجال الوعظ وأئمة المساجد، وهو بهذه المثابة جامعة رسمية من ناحية، وجامعة أهلية من ناحية ثانية، وما تقول في مكان لا يسكت فيه لسان عن ترتيل قرآن، ولا تنقطع فيه أذن عن سماع وعظ وتوجيه..

إن الذي جعل العتيق مثابة جعل الكنانى المبارك كوثرًا
العلم فيه مناهلاً ومجانيًا يأتي له النزاع ييغون القرى" (١)

يتبين من ذلك: أن الأزهر فى بادئ أمره انبثق نور العلم فيه من الجامع الأزهر، فكان منارة للعلم يتلقى العلم فيه الخاصة والعامة، فبابه مفتوح لكل مريد، ولم يقتصر دور الأزهر على العلم وحده، بل كان له دور عظيم فى مقاومة المحتل للبلاد ومحاربة أهل الفساد.

وقد حفل الجامع الأزهر الشريف بأساتذة وعلماء أجلاء نشروا العلم فى ربوعه، وكان لهم عظيم الدور فى إصلاحه والنهضة به، وسأشير إلى علم من هؤلاء كان له دور بارز فى تطوير الأزهر وإصلاحه بعد قليل فيما يلي إن شاء الله.

المطلب الثانى

جهوده فى إبراز بعض مآثر أعلام مساجد هذه الحقبة الزمنية:—

ويظهر ذلك من خلال حديثه عن أعلام مساجد هذه الحقبة الزمنية معدداً من فضائلهم ومآثرهم العظيمة، وجهودهم المضنية فى خدمة الدين ونشر علومه.

وقد اختار لكل مسجد من المساجد علماً من أعلامه البارزين الذين كان لهم فضل عظيم فى تعليم العلم ونشره فى رحاب هذه المساجد منائر العلم، لأن المكان بأصحابه والدرس بأستاذه.

و أرى أن أخص الحديث عن أعلام المساجد الثلاثة التي تناولتها بالحديث فيما سبق، ولكل مسجد منها علم من الجهابذة في العلم، فقد اختار د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — للمسجد الحرام عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ولمسجد قرطبة أبو على القالي أستاذ الأدب واللغة — رَحِمَهُ اللهُ — . وللجامع الأزهر يعقوب بن كلس الوزير الفاطمي — رَحِمَهُ اللهُ — .

وفيما يلي الحديث عن هؤلاء الثلاثة:

أولاً: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :-

ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عنه معدداً من مآثره قائلاً: " كان ابن عباس — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — مفتياً بالمسجد الحرام في مكة حيناً، وفي مسجد الطائف حيناً آخر، فهو أستاذ التشريع في عصره، وهو مرجع الوافدين إلى مساجد الله يستفتون " (١) . وعن تكوينه العلمي كتب قائلاً: "ومنذ أن صحب رسول الله ﷺ وهو غلام، نجده حريصاً على النقاط كل حرف من بيانه يعيه ويتفهمه ويعتده زخر الدنيا والآخرة، وقد أنس رسول الله ﷺ فيه النجابة، فدعا الله أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل . . وقد عرف الفتى الناهض أن المدة التي قضاها مع رسول الله ﷺ قصيرة لا تتيح له أن يتملأ من العلم، فصمم على أن يلقي الصحابة ليأخذ ما يستطيع أخذه مما وعوه من حديث رسول الله ﷺ وأعماله .

وقد تحدث عن نفسه لمولاه عكرمة فقال: {لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: وا عجباً لك، أترى الناس يفتقرون إليك، وترك ذلك، وأقبلت أسأل، فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فأذهب إلى بيته وهو في وقت القيلولة، ولو شئت أن يؤذن لي لأذن، لكن أبتغى بذلك طيب نفسه، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي على الريح من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ — رَحِمَهُ اللهُ —، ماذا جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فأتيك،

(١) مجالس العلم في حرم المسجد ص ٢٥ .

فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني { (١) } (٢) .

وعن أدبه الجم مع النبي ﷺ كتب د/ البيومي قائلاً: "وكان على حادثة سنه ذا أدب بالغ مع رسول الله ﷺ، تحدث عن نفسه فقال: { صليت خلف رسول الله فأخذ بيدي حتى جعلني بإزائه، فلما أقبل على صلاته تأخرت، فلما انصرف قال لي: ما شأنك؟ فقلت يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي بإزائك، وأنت رسول الله، فدعا لي أن يرزقني الله علماً وفهماً { (٣) } .

وعن منزلته عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كتب د/ البيومي قائلاً: "وعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في فراسته لم يرغب عنه ذكاء ابن عباس — رضي الله عنه — ، وقوة استعداده فكان يحبه، ويسأله عن الدقائق بين الكبار من الأنصار والمهاجرين، فقالوا له: ألا تدعونا كما تدعوا ابن عباس؟ فقال: ذالكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول" (٤) .

وأما ما حفل به المسجد الحرام من مجلسه العلمي فيحدثنا عنه قائلاً: " ومجلسه بالمسجد المكي ذو اشتها فائق، وفيه تخرج كبار التابعين من أمثال: مجاهد بن جبير — رضي الله عنه — مولى بني مخزوم، وعكرمة — رضي الله عنه — مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح — رضي الله عنه — مولى قریش، وأبو الزبير محمد بن مسلم — رضي الله عنه — مولى حكيم بن حزام، ومن تلاميذه سعيد بن جبير — رضي الله عنه — ، وقد قيل عنه إنه مات وما على ظهر الأرض رجل إلا يحتاج إلى علمه .

(١) أخرجه الدارمي في السنن عن ابن عباس — باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه رقم ٤٧ — حديث رقم ٥٧٠

— مرجع سابق ج ١/ ١٥٠ — ١٥١ .

(٢) مجالس العلم ص ٢٥ — ٢٦ .

(٣) مجالس العلم ص ٢٦ .

(٤) نفس السابق ونفس الصفحة .

قال عطاء بن رباح — رحمه الله —: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس —
 رحمه الله — ، وأكثر فقهاً، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده،
 وأصحاب الشعر عنده، يصدرون عنه من واد واسع فسيح • وقال مسروق — رحمه الله —: كنت
 إذا رأيت ابن عباس — رحمه الله — ، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح
 الناس، فإذا أفتي قلت: أعلم الناس، وقد سمعته مرة يفسر سورة النور بعد أن قرأها،
 فقلت: لو تسمع هذا الديلم لأسلمت •

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد تحققت فراسة ابن عباس —
 رحمه الله — في بعض الأمور: لله بلاء ابن عباس — رحمه الله — ، إنه لينظر إلى الغيب من
 ستر رقيق • ذلكم هو ابن عباس — رحمه الله — أحد أساتذة المسجد الحرام!! (١) •
 من هذا يتبين: ما قام به الصحابي الجليل عبد الله بن عباس — رحمه الله — من تعليم
 العلم ونشره بالمسجد الحرام، حيث يُعد من أعلامه البارزين الذين ساهموا بقسط وافر
 في تبصير الناس بأمور دينهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم أسأل الله أن
 يجزيه عن الإسلام ، وأمه خير الجزاء •

ثانياً: أبو على القالي أستاذ الأدب واللغة بجامع قرطبة — رحمه الله —:

ويحدثنا د/ البيومي — رحمه الله — عنه قائلاً: "وأبو على في مجمل حياته يعتبر وليد
 عصر الثقافة العربية الزاهرة بالقرن الرابع، إذ دخل بغداد سنة ٣٠٣هـ، وحضر
 دروس العلم في كل فن من فنون العربية والشريعة على كبار العلماء ٠٠، وكلهم
 جهير المكانة عالي المنزلة، وقد مال أبو على بصفة خاصة إلى علوم اللغة والأدب،
 حتى عدّ فيهما إماماً حجة مأمونا" (٢) •

وأما دروسه العلمية بجامع قرطبة، فيحدثنا عنها بقوله: "وقد كان للقالي — رحمه الله —
 مجلسان علميان في قرطبة: أحدهما: بالمسجد الجامع، وثانيهما: بمسجد الزهراء الذي
 بناه الناصر تخليداً لعهد • وفي المسجد الجامع أملى كتابه المعروف بالأمالى" (٣) •

(١) نفس السابق ص— ٢٨

(٢) مجالس العلم ص— ٨٢

(٣) السابق ص— ٨٢ — ٨٣

وعن كتابه هذا يحدثنا د/ البيومي بقوله: "وكتاب الأمالي هو الذائع المشتهر بين كتب القالي، وقد تعددت طبعاته، وهو من الشهرة بحيث ذكره ابن خلدون بين الكتب الأربعة التي يعتمد عليها في تحصل الأدب، وهي: الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمالي لأبي علي، وأدب الكاتب لابن قتيبة • وحصر كتب الأدب المفيدة في هذه الأربعة ظلم لما عداها، وإلا فكيف يغفل صاحب هذا الاختيار كتابا ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، وهو من النباهة بحيث يجب أن يتقدم على سواه" (١) •

من هذا يتبين أن: أبا علي القالي — رَحِمَهُ اللهُ — كوكب تألق في أفق جامع قرطبة حيث اشتهر به وذاعت مؤلفاته •

ثالثاً: يعقوب بن كلس الوزير الفاطمي الكبير — رَحِمَهُ اللهُ —:

ويُعد أول من نظم دروس الأزهر وجعله معهداً علمياً، ويحدثنا عن ذلك د/ البيومي قائلاً: " من يطالع تاريخ الأزهر في نشأته الأولى يجد اسم الوزير الفاطمي الكبير (يعقوب بن كلس)، يتألق بوضوح إذ كان من متقدمي علمائه الذين قرءوا العلم في حلقاته، كما كان صاحب اليد الأولى في جعله معهداً علمياً لا يقتصر على العبادة وحدها، بل رتب له طلاب العلم من التلاميذ، وأساتذة التوجيه من المدرسين، حتى أخذ بذلك صبغته العلمية وأصبح حرم الشريعة وحمى اللغة على كر العصور" (٢) •

من هذا يتبين أن: يعقوب بن كلس يُعد أول من حوّل الجامع الأزهر إلى معهد علمي يضم طلاب العلم، وأساتذة التوجيه من المدرسين الذين يقومون بتعليم العلوم فيه، وبذلك أصبح الجامع الأزهر كلية ذات مواد وأساتذة وطلاب •

والفضل يرجع ليعقوب بن كلس لأنه صاحب الفكر الثقافي، وبادئ الخطوات الفكرية الأولى في تاريخ الأزهر المجيد • كما أنه علم كبير من أعلام الجامع الأزهر، حيث قام بإلقاء دروسه فيه، وكان يحضرها كبار الفقهاء والقضاة •

(١) نفس السابق ص— ٨٣ •

(٢) مجالس العلم ص— ١٧٥ •

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى: تبصير الدعاة إلى الله بأهمية المسجد ودوره في نشر العلم، فقد كان في القديم والحديث كعبة للعلم يؤمها كل مريد، وقد تخرج من ساحته العلماء الأجلاء الذين ما زلنا ننتفع بعلمهم إلى الآن •

وذلك ليُفَعِّلُوا دور المسجد فلا يقتصروا عليه في الدعوة فقط، بل عليهم أن يُعيدوا إليه المجد التليد الذي ضاع؛ بأن ينشروا العلم في ساحته المباركة، ويعقدوا فيه الحلقات لتحفيظ القرآن العظيم، وتعليم العلوم المختلفة •

فإذا ما تم ذلك فسيخرج منه بإذن الله جيل يكشف الله به الغمة عن هذه الأمة، ويحمل همَّ الإسلام والدعوة إليه، ويكون مصدر هداية ونور •



المبحث الثاني

جهوده في إبراز تاريخ الدعوة حديثاً

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول

جهوده في إبراز دور الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان من العصر المملوكي وحتى قيام ثورة ١٩١٩م:— ويظهر ذلك من خلال كتابه الرائع (نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر)، وقد تناول فيه موقف الأزهر بين السياسة وحرية الفكر من خلال عرض مآثره التي سجلها التاريخ في الفترة من العصر المملوكي ، وحتى ثورة ١٩١٩م .

وقد تحدث عن ذلك في النقاط التالية:

- أ — في العصر المملوكي .
- ب — في العصر العثماني .
- ج — الأزهر والغزوة الفرنسية .
- د — في عصر محمد علي .
- ل — ما قبل الثورة العراقية .
- م — دور الأزهر في الثورة العراقية .
- هـ — بعد الاحتلال الإنجليزي .
- و — الأزهر يقود ثورة ١٩١٩م .

أولاً في العصر المملوكي (١): — ويحدثنا د/ البيومي — رحمته الله — عن واقع العصر المملوكي قائلاً: "نعرف جيداً أن للعصر المملوكي في مصر حسناته، فهو الذي دفع التتار عن بلاد الإسلام بعامة إذ أنزل بهم أقوي الهزائم الماحقة بعد أن زحفوا كالسيول الساحقة، تدمر ما تأتي عليه، وبعد أن حولوا ممالك المشرق أطلالاً تتعق في آفاقها الغربان والبوم .

كما نعرف أن أبطال هذا العصر قد أنهوا الهجوم الصليبي، وقطعوا دابره قطعاً لا رجعة بعده، فأعادوا إلى البلاد استقلالها الزاهر، كما نعرف أن من السلاطين من رصد الأوقاف الكثيرة على وجوه البر والإحسان وتشجيع الدروس الدينية وبناء المساجد وإحياء العلوم والآداب! ولكن ذلك كله يضيع سدى أمام احتقار الحاكمين لأفراد الشعب إذ يغصبون أموالهم كما يشاءون دون اكتراث، كما لا يحاولون إشراكهم في رأي، أو الاستماع إلي نصيحة مخلصه يبديها صادق غيور، فإذا قاموا بتعمير مسجد أو بناء مستشفى فإنهم لا يفعلون ذلك لأنه حق واجب بل ليكونوا متفضلين محسنين فحسب .، هذا إلى غير ما ابتلي به الشعب من فرض الضرائب الفادحة، وانتشار الأوبئة الماحقة، وجفاف النيل في سنوات تتعاقب فتحدث من المجاعات الفاجعة ما تقشعر لهوله الأبدان حين تقرأ ما دونه المؤرخون من فظائع القحط، وأهوال الجوع، وانتشار الغلاء، والشر يدفع إلى الشر، فقد جلبت هذه المجاعات مختلف الأوبئة القاتلة، فانتشر الطاعون، ودفن المئات من الموتى في اليوم الواحد! وتجراً العصاة من شذاذ العربان وقطاع الطرق، فنهبوا ما وقعت أيديهم عليه

(١) العهد المملوكي الفترة من ٦٤٨هـ — ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ — ١٥١٧ م . ينظر الأزهر تاريخه وتطوره مرجع سابق ص ١٠٩ . والمملوكي نسبة إلى المماليك وهم : الجنود الخدم . لأن لفظة مملوك كان معناها في الأصل الرقيق الأبيض الذكر . والشرقيون في أوج عزهم — أى في عهد صلاح الدين — هم أول من أدخل المماليك إلى مصر . ينظر تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل تأليف المستر جورج يانج — تعريب على أحمد شكري ط مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ — ١٩٩٠ م ج ٢٢/٥ .

من القوات الضرورية لأناس يكتفي أحدهم بالكسرة اليابسة في اليوم الطويل!!
والسلاطين والأمراء من وراء ذلك كله يبطشون بلا وازع ويحكمون بلا قانون "(١) •
بذلك اتضح : مدي المعاناة التي عاناها الشعب المصري في ظل الحكم المملوكي، فقد
ساءت أحوال البلاد، وانتشر الفساد، مما أدى إلي قيام علماء الأزهر الشريف من
مدرسين وقضاة، للوقوف في وجه هذا الطغيان، والصدوع بالحق في مواجهة أباطيل
الأمراء والسلاطين من المماليك، متحلين بالصبر الجميل الذي لا يثيهم عن واجبهم
الديني مهما كانت النتائج •

وقد عرض د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ما قام به علماء الأزهر في مواجهة الطغيان
في العصر المملوكي كالتالي:

- ١- موقف العز بن عبد السلام — رَحِمَهُ اللهُ — مع السلطان الظاهر بيبرس •
- ٢- موقف محي الدين النووي — رَحِمَهُ اللهُ — مع السلطان الظاهر بيبرس •
- ٣- موقف قاضي القضاة ابن دقيق العيد — رَحِمَهُ اللهُ — مع نائب السلطان
(منكوتر) •
- ٤- موقف علماء مصر وقضااتها — رحمهم الله — مع السلطان الرهيب (قانسوه
النورى) •

وأري أن آخذ نموذجاً واحداً من هذه النماذج، لأعرض به صورة وضيفة
مشرقة تُبرز دور علماء الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان المملوكي، وعلى غرار
بقية النماذج •

هذا النموذج هو موقف قاضي القضاة ابن دقيق العيد (١) مع نائب السلطان
منكوتر، ويحدثنا عنه د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — قائلاً: "وأما الآن فقيه شجاع من طراز

(١) د/ محمد رجب البيومي — نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر — ط — مكتبة السعادة سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م —

(١) هو الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي المصري ، القوصي

العز والنووي هو العلامة الفقيه القاضي الورع ابن دقيق العيد، وقد نشأ عزوفاً عن المناصب البراقة، مؤثراً للبحث العلمي وحده، ولكن تهالك الأمراء على التدخل في شؤون القضاة، وخضوع بعض الضعفاء لمآربهم الظالمة دفعه إلي أن يقبل منصب (قاضي القضاة) وأن يجمع نوابه من قضاة الأقاليم ليحذرهم أن يستجيبوا لغير ما يؤذن الحق، وقد كتب منشوراً دورياً يحرم أن يحيد القاضي قيد شعرة عن حق الله، ثم جاء الدور عليه شخصياً حين وجد نائب السلطنة الأمير (منكوتر) يغتصب الأموال بغياً دون حق، ويحتال لذلك بما لا يخفى على مثل ابن دقيق العيد — رَحِمَهُ اللهُ — ، وقد رفعت إليه قضية خلاصتها أن تاجراً كبيراً من التجار مات وترك وراءه ثروة كبيرة، فرأي منكوتر أن يدعي أن لهذا التاجر شقيقاً عينه بنفسه ليكون الوارث في الظاهر، ثم ليستولى الأمير على الميراث من بعد، لقاء مكافأة يسيرة!

ورفع الأمر إلى ابن دقيق العيد — رَحِمَهُ اللهُ — ظاناً أن الحيلة ستتطلي عليه، واختار أحد كبار خاصيته ليبلغ رغبته في التعجيل دون تأجيل، وجاء الرسول ليلالغ في التلطف، وليبلغ ابن دقيق — رَحِمَهُ اللهُ — أن الأمير (منكوتر) مهتم بإنصاف الأخ الشقيق، وأنه يشهد بنفسه أنه أخوه وعلى القاضي أن يثبت هذه الأخوة ليأخذ كل ذي حق حقه! ولكن ابن دقيق — رَحِمَهُ اللهُ — قال للرسول: وما قيمة شهادة (منكوتر) فقال مأخوذاً: هو عندنا وعندكم عدل يا مولاي؟ فضحك ابن دقيق مستهزئاً وقال سبحان الله! هو عندكم عدل!! ثم أنشد قول الشاعر:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند!

وقال أبلغ الأمير أن ذلك احتيال!! ولكن الأمير طامع، والميراث كبير، فعاود الوساطة ملحاً، فجمع ابن دقيق — رَحِمَهُ اللهُ — قضاة القاهرة، وقال: أشهدكم أنني عزلت نفسي باسم الله، قولوا للسلطان يول غيري! ولزم بيته وانتشر الخبر بين الناس،

المنشأ، المالكي ثم الشافعي، المعروف بابن دقيق العيد. ولد في شعبان سنة ٦٢٥هـ الموافق ١٢٢٨م بينع. وتوفي في عام ٧٠٢هـ الموافق ١٣٠٢م. ومن مؤلفاته: الإمام، والإمام في أحاديث الأحكام. ينظر موسوعة أعلام الفكر — بقلم أ — د / عبد اللطيف محمد العبد — مرجع سابق ص ٣٦٤ — ٣٦٥.

ووصلت الضجة إلى السلطان فجمع نائبه موبخاً وقال: لقد تسببت في سوء السمعة! ماذا أقول للناس، وقد اعتزل ابن دقيق!

ثم أرسل إليه ملحقاً أن يعود إلى عمله، وليس لنائبه معه أي كلام! وتم ما أراد ابن دقيق، فرجع نائبه إلي القضاء! وأرسل إلى جميع نوابه في ديار مصر ألا يستجيبوا إلى غير الحق، وأنه وقف موقفه من الأمير ليضرب لهم المثل، وعليهم أن يعرفوا أن المنصب زائل، وأن الله مطلع، وأن متاع الحياة الدنيا قليل! وأن الآخرة هي دار القرار . . وكانت رجة عالية الدوى بين الناس !! (١) .

إن هذا الموقف من الإمام الفقيه الورع ابن دقيق العيد — رَحِمَهُ اللهُ — ليدل دلالة واضحة على شجاعته وثباته على الحق ولن يرضى عنه بديلاً، ولو أدى ذلك إلى أن يعتزل منصبه كما حدث بالفعل، لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقى .
ويعلم كذلك أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢)، فأراد أن يكون في تعداد المجاهدين بألسنتهم، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن يجابه الظالمين بالحق الذي يخرسهم متمسكا به وثابتاً عليه، فلا يقبل مساومة ولا وساطة في ذلك، وابن دقيق — رَحِمَهُ اللهُ — من أعلام الأزهر الذين نهلوا من علمه، واشتد ساعداهم فيه، فموقفه هذا يرفع شأن الأزهر الشريف، ويرد على كل متطاول بأن صوت الأزهر صاعد بالحق على مر العصور لا يخشى في الله لومة لائم .

(١) نضال الأزهر — مرجع سابق ص ١١ — ١٣ .

(٢) فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: { أفضل الجهاد : كلمة عدل عند سلطان جائر } أو أمير جائر { أخرجه أبو داود في سننه — كتاب الملاحم رقم ٣٢ — باب الأمر والنهي رقم ١٧ — حديث رقم ٤٣٤٤ — مرجع سابق ج ١٨٥٧/٠ وأخرجه الترمذي كذلك عن أبي سعيد بلفظ { إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر } كتاب الفتن — باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر — حديث رقم ٢١٨١ — مرجع سابق ج ٧٢/٤ . وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد بلفظ { أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر } كتاب الفتن رقم ٣٦ — باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٢٠ — حديث رقم ٤٠١١ — مرجع سابق ج ٤٢٢/٣ . وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم ١١٠٠ — مرجع سابق ج ١/٢٤٨ .

وقد أثبت د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — دور علماء الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان المملوكي من خلال ما عرضه من صفحات مضيئة من تاريخ الأزهر الشريف تشهد بذلك .

ثانياً: في العصر العثماني (١):

ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن أحوال البلاد في ظل الحكم العثماني قائلاً: "زاد انحدار الأحوال سوءاً في العصر العثماني، لأن السلطة في العصر المملوكي كانت في يد طائفة واحدة هي المماليك، ولكنها صارت في يد فريقين متنازعين في العصر العثماني، هما سلطة تركيا ويمثلها الوالي المختار من الآستانة وسلطة المماليك، وهم ينظرون بعين الكراهية والحقد إلى الوالي، ويحاولون البطش به إذا أنسوا من الدولة العثمانية انصرافاً عن الشئون المصرية ."

هذا النزاع المستمر بين ممثلي الدولة العثمانية وأمراء المماليك كان ذا أثر سيء علي الشعب، لأن الوالي إذا اشتد أزره بمعاونة من قد ترسلهم تركيا من جنود الحملات التأديبية لأمراء المماليك!

هذا الوالي ينتهز موضع قوته فيحاول الإثراء بما يفرضه من الضرائب والمكوس (٢)، وقد تأتته أوامر سلطانية من الآستانة تدعو، إلى جمع الأموال فيهتبل الفرصة للغصب غير المشروع ليرضى الدولة بقسط مما يجمع مدخراً القسط الكبير لنفسه، لأنه يعرف جيداً أن مدته في مصر لا تتجاوز العام أو العامين ولا بد أن ينقلب إلى أهله ذا ثراء بما سلب، إذ كان من سياسة الدولة ألا تمهل والياً أكثر من أمد محدود كيلا يشتد قوته فيحاول الاستقلال بالبلاد، أما أمراء المماليك فيفتحون عيونهم جيداً إلى مقدرة الوالي فإن أنسوا منه الضعف، وتراخت الدولة عن إسعافه لما يدهمها من الأحداث في أوربا فإنهم يستأسدون ويعلنون جبروتهم ، ويرسلون عيونهم إلى التجار

(١) العهد العثماني الفترة من ٩٢٢ — ١٢٥٠ هـ — ١٥١٧ — ١٨٠٥ م . ينظر الأزهر تاريخه وتطوره مرجع سابق

ص ١١٣ .

(٢) المكس: الضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار ج مكوس . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٥٨٧ .

وأصحاب الثراء متمسكين من تظهر عليه آثار النعمة كي يسلبوه كل خير! وتلك حال محزنة حقاً، لأنها تجعل الشعب الأعزل بين شقى الرحى • وقد تكالب عليه الشر من شمال ويمين! "(١) •

يتبين من ذلك أن: أحوال البلاد في العصر العثماني ازدادت سوءاً عما كانت عليه في العصر المملوكي، ولكن الشعب ما استكان وما وهن، لأنه وجد من علماء الأزهر من ناصروه، وقاموا بالكفاح ضد الفريقين المتنازعين فريق الأمراء، وفريق الولاة •

وقد ذكر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — نماذج من هذا الكفاح الذي سجله التاريخ لهؤلاء الأعلام الأفذاذ الأزهرين • وهذه النماذج كالاتي:

- ١- كفاح الشيخ أحمد الدردير العالم الورع الشجاع — رَحِمَهُ اللهُ — للأمراء الظالمين المفسدين •
- ٢- كفاح العالم الكبير الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ العلماء — رَحِمَهُ اللهُ — للأمراء الطغاة •

٣- كفاح العالم الأزهرى الشيخ سليمان المنصوري — رَحِمَهُ اللهُ — للسلطان العثماني الظالم • وأرى: أن أعرض نموذجاً من هذه النماذج، وهو نموذج كفاح الشيخ/ عبد الله الشرقاوي (١) — رَحِمَهُ اللهُ — ، وقد عرضه د/ البيومي بقوله: " الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ العلماء، كان يملك أرضاً في بلبيس ، وجاءه أقاربه يعلنون أن محمد بك الألفي قد داهم البلدة، وأخذ ما وقعت يده عليه وفرض الضرائب الباهظة، فاستاء الشيخ،

(١) نضال الأزهر ص ١٦ — ١٧ •

(٢) هو الإمام عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهرى الشرقاوي • ولد في قرية الطويلة في إقليم الشرقية سنة ١١٥٠هـ الموافق ١٧٣٧م، وإليه ينسب ، وتوفي سنة ١٢٢٧هـ الموافق ١٨١٢م • وهو أحد صفايخ الأزهر البارزين ، تولى مشيخة الأزهر خلفاً للشيخ / أحمد العروسي ، فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها، حتى كان يضرب بعظمها المثل • وله مؤلفات كثيرة ومنه: (التحفة البهية في طبقات الشافعية)، (فتح المبدي في شرح مختصر الزبيدي) في الحديث، و(حاشية الشرقاوي على كتاب التحرير للشيخ زكريا الأنصاري) في الفقه • وغيرها • ينظر موسوعة أعلام الفكر — بقلم أ — د / محمد الجوادى — مرجع سابق ص ٦١٥ ، ٦١٧ •

وعمد إلى الموقف المعتاد حيث عطل الدراسة بالأزهر، وصعد المؤذنون على المآذن فأعلموا الناس بما جد من خطر، فتركوا متاجرهم وتعطلت الأسواق، ثم تزاور الشيوخ، وتناقش العامة في الطرقات حتى تم الاتفاق على الذهاب إلى بيت الشيخ السادات — رَحِمَهُ اللهُ — ، وهو قريب من بيت إبراهيم بك كبير المماليك لوقته، ونظر فرأى الضجة، وانتهى إليه سخط العلماء ومن ورائهم العامة على ما يكابدون من البغي، وجاءه الطلب الصريح من قادة الأزهر بضرورة رفع الجور وإقامة الشرع، وإبطال المكوس الجائرة، فاتصل بالناقمين كالمهدد، فقبل بهجوم لا عهد له به، واحتج بكثرة نفقات الأمراء، فجابهم العلماء بأن النفقة لا تأتي عن طريق السلب، والأمير لا يكون أميراً لأنه يأخذ ويسلب بل لأنه يعطى ويمنح، فإذا كان غاصبا ناهبا فهو قاطع طريق لا أمير، وتأزم الموقف وقد رجع العلماء جميعاً إلى الجامع الأزهر واعتصموا به دون أن يفارقوه إلى منازلهم، واستمرت المتاجر موصدة، والأسواق معطلة والصيحات الناقمة ترتفع من المآذن، واتصل الأمراء بالوالي العثماني فأخذوا يتشاورون ثم جاءوا جميعاً يعلنون خضوعهم إلى مطالب علماء الأزهر إذ يبطلون الضرائب المستحدثة ويمتنعون عن مصادرة الأموال، ونهب المتاجر، وجاء قاضي القضاة فكتب وثيقة بذلك على الأمراء؛ لتكون موضع الإلزام، فسجلت حقوق الإنسان في وطنه إذ يعيش حراً آمناً على نفسه وأهله وماله، وقد وقعها الوالي والقاضي والأمراء، وحفظها علماء الأزهر لتكون موضع الاحتكام" (١) .

فهذا الموقف الرائع يبين دور علماء الأزهر الشريف في مواجهة طغيان الأمراء والولاة الطغاة المستبدين في العصر العثماني، وعلى غرار هذا الموقف مواقف أخرى كثيرة تؤكد ما قام به علماء الأزهر — رحمهم الله — من حمل أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانوا بحق لسان الشعب كافحوا لرفع الظلم عنه ومحاربة الفساد، واتخذوا من الجامع الأزهر محلاً لاجتماعهم معتصمين لا يرحون أماكنهم حتى تتحقق

مطالبهم، ويعود الحق لأهله، وبهذا العرض الرائع أبان د/ البيومي — ﷺ — عن دور الأزهر الشريف في مقاومة الطغيان في العصر العثماني .

ثالثاً الأزهر والغزوة الفرنسية (١):

وعن مقدم الحملة الفرنسية لغزو مصر يحدثنا د/ البيومي — ﷺ — قائلاً: "قدمت الحملة الفرنسية في عصر أسود، إذ كان الطاغيتان إبراهيم، ومراد يحكمان البلاد حكماً رهيباً لا يعرف معني العدل، وكلاهما جاهل لا يعرف شيئاً من أمور السياسة الدولية ولا يظن الدنيا تجمع قوة أقوى من قوة الممالك الذين يتبعونه، هذا إلى تهور مراد وبطشه وسفكه للدماء دون مبرر حتى ترك كثير من الفلاحين أرضهم وحملوا أطفالهم إلى حيث لا يعلمون، وقد تغل نابليون بما حاق بالتجار الفرنسيين من مظالم على يد مراد لأنه أثقلهم بالمغارم الفادحة في القاهرة والإسكندرية ورشيد، إذ كانت لهم متاجر رابحة في هذه البلاد فوالى مراد استنزافها ومصادرتها، حتى شكت فرنسا صنيعه إلى الدولة العثمانية، وقامت تركيا بتحذيره فلم يهتم!!

أقول تغل نابليون بذلك أمام الشعب المصري ليبيدي ستارا خادعا فحسب، لأن احتلال مصر كان سياسة ضرورية في رأيه؛ ليقف أمام انجلترا موقف من يسيطر على مستعمراتها في الشرق ويحول دون اتصالها المطرد بهذه المستعمرات، كما أنه متنفس لفرنسا كي تشعر بامتدادها الاستعماري على نحو يرضي غرورها الجشع، وحين علم مراد بالغزو الفرنسي استهزأ به، وظن القادمين فلولا مرتعشة ترجف من سطوة الممالك، وقد عبر بذلك لفنصل النمسا حين قال إن الفرنسيين (فستق) للأكل لا للحرب!

ثم جمع لمقاومتهم جيشاً ضم اثني عشر ألفاً منهم ثلاثة آلاف من الممالك وتسعة آلاف من الفلاحين والعرب الذين لا يعرفون بدائة القتال! ولا نسرف في وصف هذه المعركة الأليمة، فقد انتصر نابليون واحتل البلاد . .

(١) نزل بأرض مصر في الأيام الأولى من شهر يوليو ١٧٩٨م جيش فرنسي كبير يقوده نابليون بونابرت . ينظر ثورة يوليو —

نزل القائد القاهرة واثقاً مفتخراً، ومال إلى الكياسة فأعلن حبه للشعب المصري، وقد جاء لينقذه من بطش المماليك والعثمانيين، فهو يحب الإسلام ويقدر شريعته، ثم أنشأ ديوانا لحكم مصر جعل أعضائه عشرة من كبار العلماء ليوهم الشعب أنهم الحاكمون، وجاءت مناسبة المولد النبوي فاحتفل به احتفالاً باهراً، كما احتفل بوفاء النيل احتفالاً مماثلاً يفوق ما عهد في أيام مراد، إذ أطلق المدافع، وزين السفن بالمصابيح، وأظهر ابتهاج جنده بما يشاهدون! وظن بعد ذلك كله أن الأمر استقر، وأن الريح ستجري رخاء في مقبل أيامه " (١) .

يتبين من ذلك أن: المحتل أراد أن يخدع الشعب المصري بأنه جاء لتخليص البلاد من الظلم والفساد، وأقام الاحتفالات مشاركاً للشعب في مناسباته الدينية والوطنية، وذلك لتوطيد سياسته وبسط نفوذه وفرض سيطرته على البلاد دون أدنى مقاومة من الشعب، ولكنه لم يفلح في ذلك فقد هب الشعب بكل طوائفه لمقاومة هذا المحتل الغاصب للبلاد، لأنه يعرف أنه أفاك كاذب جاء لنهب خيرات البلاد واستنزاف ثرواتها، وكان لعلماء الأزهر الشريف دور بارز في مقاومة هذا المحتل الغاصب للبلاد.

ويحدثنا د/البيومي عن ذلك قائلاً: "أخذ أبطال المقاومة يتجمعون، وكان الأزهر محلهم المختار، فكدسوا الأسلحة في أرواقته وزواياه حتى إذا استوثقوا من قوتهم صعد المؤذنون ينادون بالجهاد على المآذن، وفي مذكرات نابليون ما يثبت أن لجنة الأزهر كانت تسمى لجنة الثورة وأن رئاستها كانت للشيخ السادات — رَحِمَهُ اللهُ — ، وأن علماء الأزهر كانوا يطوفون بالشوارع محرضين، كما قدرت المصادر الفرنسية عدد الذين تجمعوا بالأزهر تحت قيادة علمائه بخمسة عشر ألفاً! وقد التقى بهم الجنرال دييوى فقتلوه حين أطلق عليهم الرصاص " (٢) .

(١) نضال الأزهر ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) السابق ص ٢٨ .

ويحدثنا د/ البيومي عن ما قام به الغزاة الفرنسيون لقمع هذه الثورة قائلاً: "كما أخذت القيادة الفرنسية أهبتها لتحطيم الثورة وقمعها، وطلب القائد الجديد (بون) إلى نابليون أن يأذن له في أقسى الوسائل صرامة مع الأزهر وقيادة الثورة فيه . .
— ودخل نابليون وجنوده الجامع الأزهر — راكبي الخيول شاهري السلاح، وأخذوا يتخطرون (١) في صحنه الواسع، ثم ربطوا خيولهم بقبلته، وداهموا الأروقة وخزانات الكتب، ومصابيح السقوف، وقناديل الإضاءة، ونهبوا ما وجدوه ذا نفع من الأواني والقصاع والودائع والمدخرات، أما الكتب فقد نثرت على الأرض لتلتهمها النيران!

وأما المصاحف وهي أعز شيء في الأزهر فقد ديست بالنعال! لا أقول ذلك توهماً أو جرياً مع الخيال، ولكني أرجع إلى الجبرتي فأجده يصور الكثير مما أعجز عن استيفائه! والعجز عجز شعور يكتوي بالحسرة، وإحساس يلتهب بالغیظ لا عجز قلم يكتب، وورق يسود، فما أهون ما يجري القلم سابحاً مسطراً، ولكن المجال الرهيب يعقل كل جامع سباق!

ولا نحب أن نقول إن نابليون قد عثر على أسماء الزعماء فأعدم منهم ثمانين بطلاً فدائياً نجا من القنابل ليواجه الانتقام وفيهم خيرة العلماء والتجار والصناع ووجوه البلاد وأعيانها ممن زحفوا من الأقاليم النائية ناصرين مسعفين! وقد قال المسجلون للأحداث إن الإعدام كان يتم على فترات، بحيث يفاجأ المصريون في الصباح برؤوس ترمى في الطريق لتكون عبرة لمن اعتبر" (٢) .

وبالرغم من ذلك فإن رجال الأزهر صامدون مجاهدون لمقاومة الاحتلال الغاشم، فقد استطاع طالب من طلاب الأزهر الشريف أن يقتل رأساً من الطغاة المحتلين بعد أن اشتد في إيذاء المصريين ونهب أموالهم، ويحدثنا عن ذلك د/ البيومي قائلاً: " وقد ظن كليبر أن الشدة ستعقب له راحة البال، ولم يستشعر ندماً على استفحال

(١) الخطر: المتبختر . ينظر المعجم الوجيز ص—٢٠٢ .

(٢) نضال الأزهر ص—٢٩، ٣١—٣٢ بتصرف يسير .

النقمة، وتمادى الطغيان، بدليل أنه أباح لبعض عملائه أن يهدم ما يشاء من المنازل إذا امتنع ساكنوها عن سداد الضرائب! ومن أين؟ وقد نهبوا كل ما وقعت أيديهم عليه! ولكن الموت قد ترصده من حيث لا يحتسب إذ وفد على الأزهر سليمان الحلبي — رَحِمَهُ اللهُ — وقد كان طالباً به من قبل، يعرف الكثيرين من أساتذته وطلابه، ولم يكن التحريض من خارج مصر كافياً لإشعال روح الانتقام في صدره، بل إن الذي ضاعف اشتعالها ثوابه بالقاهرة ثلاثين يوماً يجتمع بالطلاب والأساتذة ويسير في الشوارع والطرق فيري الخرائب الخاوية تتعي أصحابها، وتبكي من ثوبوا تحت أنقاضها من الشهداء، فأقدم على اغتيال كليبر وقد تمهد الطريق أمامه لمشية أرادها الله، لأن مثل هذا القائد الأجنبي الطاغية لا يسهل الوصول إليه في قصر يحوطه الحراسون المدججون بأفنتك سلاح، بل لا يستطيع شاب واحد أن يطعنه بخنجر لا يملك سواه! وقد تم مصرعه في لحظات ودار التحقيق ليثبت اتهام أربعة من طلاب الأزهر كانوا دائماً في رفقة الحلبي قبل أن يقدم على الانتقام، وقد أعدم الأزهريون بقطع رؤوسهم، وإحراق جثثهم، ثم وضعت رؤوسهم على العصي الغليظة ليطاف بها في الأحياء .

واتجهت الريبة إلى كل أزهرى، فكان الشيخ من الطلاب لا يأمن على نفسه أن تتخطفه الجنود دون ذنب سوى أنه أزهرى، لذلك تقدم شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي — رَحِمَهُ اللهُ —، ومعه الشيخان الصاوي والمهدي — رحمهما الله — إلى الجنرال مينو الحاكم الجديد كي يأذن بإقفال الأزهر كيلا يكون موضعاً للانتقام، إذ لا يؤمه غير الطلاب والأساتذة والمصلين، فأجاب مينو طلبه القوم، وسمرت الأبواب بعد أسبوع واحد من مقتل كليبر، وظل الأزهر موصد الأبواب حتى رحلت الحملة الفرنسية إلى وطنها غير مأسوف عليها من إنسان ٠٠" (١) .

وفى الختام عرض د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — نماذج من علماء الأزهر الشريف الذين جاهدوا بكل ما ملكوا من طاقة، لتحرير البلاد من الغاصبين المحتلين، فتحدث عن ثلاثة من أبناء الأزهر وهم:

- ١- الشيخ سليمان الجوسقي — رَحِمَهُ اللهُ — .
- ٢- الشيخ الكبير عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر لعهد الحملة الفرنسية — رَحِمَهُ اللهُ — .
- ٣- الشيخ السادات — رَحِمَهُ اللهُ — .

وأري أن آخذ نموذجاً من الثلاثة، وهو الشيخ سليمان الجوسقي — رَحِمَهُ اللهُ — ، ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عنه قائلاً: "ولا يتسع المجال لذكر من تعرضوا للبلاء قتلاً وإرهاباً من أبناء الأزهر! حتى الذين لا يقدرّون على التنفيذ لعرض يعوقهم، ومن هؤلاء الشيخ سليمان الجوسقي إذ كان شيخاً لزاوية العميان، وكان حريصاً على أن تتجو البلاد من هؤلاء المستبدين، فأخذ يلقي دروسه الوطنية داعياً إلى الثورة، ومستشهداً بما قام به السلف من فدائية نادرة فألهب النفوس، وتحقق لذوى الأمر من الحاكمين دوره الكبير فى إشعال الثورة الأولى، وشهد الخونة أنه كان يخطب الجمهور مشجعاً إبان العاصفة، وأنه رغم فقد البصر كان ينتقل من مكان إلى مكان دون قائد ليشعل الحمية في الصدور يقول الأستاذ الكبير/ محمد فهمي عبد اللطيف — رَحِمَهُ اللهُ — بعد حديث مشبع عن جهاد سليمان الجوسقي: ووقف الشيخ سليمان فى انفعال وقوة، وأخذ يصرخ والدموع تنحدر علي خديه هاتفاً: والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء ولقد خاض رسول الله الحرب حتى شج وجهه، وكسرت رباعيته (١)، وفى سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين فلعنة الله علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم ٠٠" (٢) .

(١) كان ذلك فى غزوة أحد كسرت رباعيته ، وشج فى رأسه ، فجعل يسלט الدم عنه ، ويقول { كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم } . ينظر زاد المعاد فى هدى خير العباد — ابن قيم الجوزية — ط جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت — الطبعة الثالثة سنة ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م ج ٣ / ١٦١ .

(٢) نفس السابق ص ٣٤ — ٣٥ .

من هذا الموقف يتبين دور علماء الأزهر الأبطال في مقاومة الغزاة الفرنسيين، وعلى غرار مواقف أخرى كثيرة تشهد بفدائية الأزهريين وصمودهم في مواجهة طغيان المستبدن الطغاة، الأمر الذي يثبت للجميع دور الأزهر الشريف في تحرير مصر واستقلالها من احتلال الفرنسيين .

رابعاً: في عصر محمد علي (١):

وذكر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — أن العلماء من الأزهر والأعيان من القاهرة ومن ورائهم الكثير من العامة طالبوا بتعيين محمد علي والياً على مصر لما توسموا فيه من العدالة والخير (٢)*، واشترطوا معه أن يلتزم العدالة، وأن ينهض بالبلاد مجافياً لطريقة من سبقوه، ولكن سرعان ما سلك مسلك من سبقوه في النهب والفساد ناقضاً ما أبرمه من عهد، حتى صار طاغية جباراً .

ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن ذلك قائلاً: "وقد كانت حملاته العسكرية، ومؤسساته المعمارية في حاجة إلى مال كثير، فعمد إلى أن يسلك مسلك المماليك في مصادرة الأموال، ومضاعفة الضرائب، وسلب المحصول الزراعي دون أن يبقى للفلاحين ما يأكلون!" (٣) .

ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — ناقلاً عن الجبرتي (٤) ما قام به محمد علي عندما تولى حكم البلاد قائلاً: "أخذ الجبرتي يشهد شهادة الحق فيما يراه بعينه بالقاهرة، وما يفد إلى سمعه من أبناء الأقاليم على السنة أصدقائه العدول، فذكر أن محمد علي ألغى الديوان العام الذي أنشأه نابليون وجعل أعضائه من العلماء ليسهموا بالرأي في شئون البلاد، ومهما كان الديوان خاضعاً لرئاسة الحاكم فوجوده شيء ضروري لأنه ينقل وجهة النظر المخالفة وإن لم يؤخذ بها، كما يحد شره الحاكم حين يجد أموره مكشوفة

(١) تولى محمد علي حكم مصر سنة ١٨٠٥م ينظر الأزهر تاريخه وتطوره مرجع سابق ص ١١٥ .

(٢) * ينظر نضال الأزهر ص ٤٢ — ٤٣ . (٣) السابق ص ٤٤ — ٤٥ .

(٤) هو عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي، العقيلي المصري الحنفي الزيلعي . ولد سنة ١١٦٧هـ الموافق ١٧٥٤م . توفي مخنوقاً بطريق شبرا في رمضان سنة ١٢٣٧هـ الموافق سنة ١٨٢٢م . من أهم مؤلفاته : (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) . ينظر موسوعة أعلام الفكر — بقلم أ — د/ عبد الله محمد جمال الدين — مرجع سابق ص ٢٠٢ — ٢٠٤ .

تطرح للبحث دون نقاب، وفي تاريخ هذا الديوان ما يدل علي فاعليته إذ أبطل أمورا منكرة كانت موضع الاستياء، وحين التزم محمد علي بالعدالة في وثيقة تعيينه أمام الشيخ الشرقاوي - رحمه الله - والسيد مكرم - رحمه الله - كان معلوما أنه سيخضع للشورى، وأن الديوان رمز لهذه الشورى المشتركة بين كبار العلماء والمخلصين ، ولكن محمد علي لا يريد أن يقف أحد في طريقه، وقد احتج بأن الأعباء كثيرة وأن اجتماع الديوان يشغله! وذلك خداع مكشوف لأن مناقشة الأمور المعقدة مما يساعد على حلها، والباشا يجتمع بخاصته وأصحاب هواه في كل وقت، أفيكون اجتماع الأسبوع شاغلاً عن جلائل الأعمال! هذا ما لخصه الجبرتي وسجله في وضوح واستيفاء .

وناحية أخرى تتحو هذا المنحي المغرض في سلوك محمد علي، وذلك أنه حرص على أن يكون جميع مستشاريه من غير المصريين، فإنك تجد نائبه أجنبياً وكذلك من يسيرون دفة الأمور من أمثال باغوص بك مستشار التجارة، وكرابيت الأرمني مدير الجمارك، وسليمان أغا السلحدار منفذ الأحكام ومحمود بك الخازندار مستشار المالية ومصطفى أغا كرد المحتسب، ومن لا نستطيع حصر أسمائهم لكثرتها! أفلا يكون بين هؤلاء رجل مخلص كالسيد مكرم - رحمه الله - أو عبد الله الشرقاوي - رحمه الله - وهما صاحبا مجده، ومؤثلا عرشه؟ " (١) .

ويحدثنا د/ البيومي عن موقف علماء الأزهر من هذا الطاغية قائلاً: " وهو أمر هاج هائجة العلماء فتقدموا إليه يذكرونه بالعهد الذي أخذه عليه يوم أن نصبوه والياً، فأسرها بنفسه ساعة الاجتماع، ووعد خيراً، وفي طريق عودتهم إلي المنازل بادر باعتقالهم، وأمر بنفي السيد عمر مكرم إلي دمياط! (٢)* وقد كان صاحب الكلمة الأولي في تعيينه وكان يتملقه حينئذ أمام العامة ويقول له: يا والدي!

(١) نفس السابق ص ٤٦ .

(٢) * ينظر معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر د/ أحمد زكريا الشلق - كلية الآداب جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٦ م ص ٦٢ .

والسيد عمر أزهري تعلم في الجامع الأزهر الشريف حتى وصل إلى درجة العلماء، ولكنه لم يشتغل بالتدريس في الأزهر بل انصرف إلى تثير أرضه في بسطة عيش ووجاهة محل، والتف حوله الناس إذ عين نقيباً للأشراف، أقول ذلك لأن بعض الكاتبين لم يسيروا إلى أزهريته بل ظنوه ثرياً وجهاً فحسب، وليس له صلة بالأزهر، والحق أن الأزهر قد تولى تثقيفه حتى صار به زعيم الشعب! فإذا ذكر جهاده المخلص فهو حلقة في سلسلة النضال الأزهري دون نزاع" (١) .

ثم يحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الجبرتي المؤرخ الأزهري في مواجهته لطغيان محمد علي قائلاً: " فرغ محمد علي من الممالك بعد المذبحة! وفرغ من العلماء حين اعتقل نفعاً، ونفى من البلاد نفعاً آخر، وقد ظن أنه قطع كل لسان وأخمد كل معارض، ولم يدر أن الله قد هباً له عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ الأزهري النابغة يرصد طغيانه ويسجل تجربته في صحف تقرأ علي الناس، إذ كانت يوميات الجبرتي مما يعشقه العامة ويتداولونه يوماً بيوم، حتى ضاق الباشا بناقده ، فأصلاه ضروباً من الأهوال كان أشدها علي نفسه اغتيال ولده الأوحده، ويقول كثير من الباحثين أن الجبرتي نفسه قد مات مقتولاً بمكيدة من الباشا (٢) .

كما واجه الجبرتي محمد علي بكثير من فظائعه المنكرة حين دون مثل هذه الحادثة في حوادث شوال سنة ١٢٣٤هـ — كان الباشا — أي محمد علي — بجهة الإسكندرية، لحفر ترعة الأشرفية — المحمودية — فأمر حكام الجهات بجمع الفلاحين للعمل، فكانوا يربطونهم بالحبال قطارات، وينزلون بهم في المراكب، وتعطلوا عن زروعهم في بلادهم، وقاسوا شدة بعد رجوعهم في المرة الأولى، ومات الكثير منهم في البرد والتعب، وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر (ولو فيه الروح) ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيد، طولبوا بالمال، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بغير من

(١) نضال الأزهر ص ٤٤ — ٤٥ .

(٢) ل د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ مقال رائع بعنوان (هل مات الجبرتي مقتولاً) أقام فيه الدلائل والبراهين على أن لمحمد علي اليد الطولي في مقتل الجبرتي . ينظر صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي — د محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ص ١٥٤ — ١٦٢ .

التبن وكيلة فول، وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون، والكيل الوافر، ثم يجي الطلب للعودة إلى الشغل في التربة، ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الأرض، وهي في غاية الملوحة، والمرة الأولى كانت في شدة البرد، وهذه المرة في شدة الحر، مع قلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة" (١) .

وأخيراً نقل د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الجبرتي حسنات محمد علي قائلاً: "ولكي يكون الجبرتي منصفاً نجده سجل لمحمد علي ما راقه من إصلاحاته فهو يعترف بهمته في إنشاء مصانع البارود، وسبك المدافع، وصنع القنابل، وتشديد السفن ومدارس الهندسة والطب ومصانع نسج القطن والحرير والصوف والجوخ وإعداد المخارط والسندالات والمناشير والآلات الغربية التي يوجد أمثالها في الغرب!

كما جمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد ليشغلوا تحت أيدي المهرة من الأجانب ويتعلموا الصنعة، ويأخذوا أجراً يومياً وقد عرفت (دار السد) بأنها مجمع صناعي للعمال تتسع لعشرة آلاف عامل، كما أجبر الناس على زرع شجر التوت على ضفاف الترعة والأنهار، واستقدم اللبنانيين ليعلموا الفلاحين تربية دودة الحرير فدعا ثلاثين أسرة من لبنان ووزعها على المديريات البعيدة، فكانت النتيجة ممتازة شجعت علي مضاعفة الأشجار فأثبت الباحثون أن مائة وخمسين ألفاً من العمال برعوا في نسج الحرير وهيئوه للتصدير . لقد وقف الجبرتي في وجه الطاغية موقف القاضي العادل، فكان الأزهر الذي دون الوقائع بلسان الحق، دونها برهبتها المستكرة أحياناً كثيرة، وبهجتها المحبوبة حيناً قليلاً، وهو يعلم أنه يتصدى لديكتاتور لا يرحم! وجبار لا يعدل، ولكن ارتياح نفسه وهذوء ضميره كان خير جزاء وأوفي ثواب" (٢) .

يتبين من هذا أن: علماء الأزهر كان لهم دور بارز في مقاومة طغيان وفساد محمد علي فقد وقفوا في وجهه محتجين على الظلم والفساد، وبلغ من إنصافهم أنهم عدوا حسناته ولم يهملوها رغم طغيانه وجبروته وهذا يدل على العدل في أسمى معانيه .

(١) نضال الأزهر ص ٤٥ ، ٤٧ .

(٢) السابق ص ٤٨ .

خامساً: ما قبل الثورة العربية (١):

وتحدث د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن دور علماء الأزهر في مواجهة طغيان الخديوي عباس الأول، وسعيد، وإسماعيل، فذكر ثلاثة نماذج لعلماء الأزهر الشريف مع هؤلاء وهم :

١- الشيخ إبراهيم الباجوري — رَحِمَهُ اللهُ — .

٢- الشيخ حسن العدوي — رَحِمَهُ اللهُ — .

٣- الشيخ عبد السلام المويلحي — رَحِمَهُ اللهُ — .

وأري: أن أعرض نموذجاً من هذه النماذج، ليكون دليلاً واضحاً على مقاومة علماء الأزهر لطغيان الحكام في عهد ما قبل الثورة العربية أيام أسرة محمد علي ، وهذا النموذج للشيخ الكبير حسن العدوي — رَحِمَهُ اللهُ — وقد عرضه د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — بقوله: " نذكر موقفاً رائعاً لعالم جليل صدع بالحق أمام — الخديوي إسماعيل — في اعتداد، والموقف مشتهر ذائع كتب عنه الأستاذ عباس محمود العقاد فصلاً جيداً في مجلة الهلال ونقله بعض كتب المطالعة للمدارس عنه، وقد أسنده العقاد إلى العالم الكبير الشيخ حسن العدوي — رَحِمَهُ اللهُ — ، ولكن الأستاذ/ محمد سليمان وهو أول من سجله من الكتاب في مؤلفه الحافل (من أخلاق العلماء) لم يحدد اسم ذلك البطل الصريح، فلعل لدي العقاد في تحديد اسم الشيخ العدوي ما جعله يجزم به عن يقين .

قال الأستاذ/ محمد سليمان عن محدثه الكبير ببعض التصرف اليسير لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين القواد والجند ضاق صدر الخديوي إسماعيل لذلك، وركب يوماً مع شريف باشا، وهو محرج، فأراد أن يفرج عن نفسه، فقال لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة، فقال شريف: أعمد إلى صحيح البخاري لأسمعه من عالم طاهر الفم، فيفرج الله عني، فارتاح

(١) ويقصد بذلك عصر خلفاء محمد علي ويبدأ من سنة ١٨٤٨م وحتى سنة ١٨٩٢م . ينظر معالم التاريخ المصري مرجع سابق

الخدوي لما سمع، وطلب من شيخ الأزهر أن يقرأ نفر من العلماء صحيح البخاري في القبلية رغبة في النصر ؟

وقرئ البخاري دون أن يحدث ما يرجو الخديوي من الانتصار، فهاج هائج وجمع العلماء ليقول: إما أن الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم كعلماء السلف الصالح لأن الله لم يدفع بتلاوتكم شيئاً فسكت العلماء دون رد، ولكن شيخاً في آخر الصف صاح به منك يا إسماعيل، فإننا روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: { لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم } (١) فوجم العلماء، وانصرف الخديوي صامتاً!

ولم يمض غير وقت يسير حتى حضر شريف باشا وطلب القائل ليذهب معه إلى الخديوي، فقابله في أدب وجلس أمامه على كرسي مماثل، وابتدأ إسماعيل يقول: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

فقال العالم الحر في صراحة: يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليست الخمر مباحة؟ أليس الزنا برخصة؟ فكيف ننتظر نصر السماء؟ سكت الخديوي حائراً ثم قال في أسف: وماذا نصنع؟ وهذه مدينة الأجانب وقد عاشرونا؟ قال إذن فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ فأطرق إسماعيل مفكراً، وقال: صدقت صدقت: ثم رجع الشيخ إلى زملائه وقد يؤسوا منه كأنما ولد من جديد .

— ثم علق د/ البيومي على هذا الموقف قائلاً: لا يغيب عن القارئ أن إسماعيل كان يحكم دون دستور، وأن كلمة منه تقذف بالآمن إلي مهيب الخطر، وأنه تعرض لسماع ما لا يتصور أن يواجه به ذات يوم، فإذا تجرأ عالم على مجابته بما لا يحب، فتلك شجاعة لا تقف عند حد، إذ لا يأمن على دمه أن يسيل " (٢) .

وأوافق د/ البيومي — رحمه الله — في أن هذه الشجاعة لا تقف عند حد، إنها شجاعة نادرة وجرأة عالم صدع بالحق أمام طاغية، متحملاً عاقبة جراته صابراً محتسباً فوقاه

(١) الحديث إسناده ضعيف ذكره الألباني في ضعيف الجامع عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٤٦٥٠ مرجع سابق صـ ٦٧٠ .

(٢) نضال الأزهر صـ ٥٢ — ٥٣ .

الله شر هذا الطاغية. فهذا الموقف حقاً يصور لنا ما قام به علماء الأزهر الشريف من الصدع بالحق ومجابهة الطغاة دون أن تأخذهم في الله لومة لائم .

سادساً: دور الأزهر في الثورة العرابية (١):

وعن حقيقة هذه الثورة يحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — قائلاً: "كانت الثورة العرابية ثورة شعب يهب مطالباً بحريته مسترداً كرامته السلبيّة، وإن بدأ بها الجيش المضطهد فأعطى انطباعاً مبدئياً بأن الثورة ثورة جيش، ولا ننكر أن الضباط الأحرار بقيادة البطل أحمد عرابي قد هبوا مدافعين عن اضطهادهم وسوء ما يلقون من معاملة الرؤساء، ولكنهم لم يطالبوا بحقهم وحده، بل طالبوا بحرية الشعب جميعه، ووجدوا من التأييد الشعبي الساحق ما جعل الثورة ثورة شعب بأسره، فإذا كان اضطهاد المصريين بالجيش سبباً مباشراً لاندلاع الثورة العرابية فإن سوء الوضع السياسي في مصر قد أرت الحريق فانتشر في كل مكان" (٢) .

يتبين من ذلك أن: الثورة العرابية في بدايتها انطلقت من الجيش المصري احتجاجاً على ما يحدث من سوء المعاملة لضباط الجيش، ثم اتسعت الثورة فتحوّلت إلى ثورة شعب بأسره احتجاجاً على سوء الأوضاع داخل البلاد . وقد شارك علماء

(١) نسبة إلى زعيمها أحمد عرابي حيث اختير لتزعم الشعب في ثورته على السلطة الخديوية المتهاوية والمستسلمة للنفوذ الأجنبي وفي بدايتها كانت من الجيش المصري بسبب إهماله وامتهان كرامته في حرب الحبشة التي قامت أصلاً بناء على رأي الحزب الشركسي التركي في الجيش وأبيدت في أنائها فرق مصرية بأكملها بسبب الخلافات بين كبار الضباط أو القادة الأتراك وبين القادة الأمريكيين الذين استخدمهم إسماعيل في الجيش منذ سنة ١٨٦٩م والذين كانوا قد سرحوا من الخدمة العسكرية في بلادهم أثر انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية . ومما زاد من خنق الضباط المصريين تسخير الجند في حفر الترع ومد السكك الحديدية وزراعة أراضي الخديوي وتصرفات عثمان رفقي الجر كسي ناظر الجهادية في وزارة رياض والذي استأثر بني جلدته الضباط الأتراك وحدهم بالترقيات دون الضباط المصريين . ثم تكاتف الشعب مع الجيش فكانت ثورة شعبية التقت فيها العناصر المدنية والعسكرية عن طريق الكفاح الثوري ضد التسلط والنفوذ الأجنبي . وكانت العناصر المدنية تشمل الأعيان أو الملاك الزراعيين الذين أغضبهم فرض المزيد من الضرائب على أراضيهم إلى جانب الفلاحين الذين قاسوا أشد أنواع العذاب نتيجة لاشتغالهم بالسخرة واشتداد وطأة الضرائب عليهم وكذلك طوائف الموظفين المصريين الذين ضايقهم من السيطرة الإنجليزية والفرنسية استخدامها للأجانب بدلا منهم في الإدارة وإغداقها المرتبات الضخمة عليهم على الرغم من قلة كفايتهم . ينظر ثورة يوليو مرجع سابق ص ٨٢ — ٨٣ . ومعالم التاريخ المصري مرجع سابق ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) نضال الأزهر ص ٥٧ .

الأزهر الشريف الشعب المصري، فكانوا من مؤيدي هذه الثورة بل إن قائد هذا الثورة ينتسب إلى الأزهر، فهو أزهرى النشأة .

ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " نتحدث عن دور الأزهر في نصرة الحق حين أيد الثورة واشترك فيها، وتعرض لمصاعب نهايتها، وقد كان زعيم الثورة أحمد عرابي أحد أبناء الأزهر ٠٠ " (١) .

ويحدثنا د/ البيومي عن بعض المواقف الهامة لأبناء الأزهر في هذه الثورة قائلاً: " وأحس الخديوي أن القوة الحقيقية ليست معه، لأن الذين يملكون رأيه من سفراء إنجلترا وفرنسا وبعض السراكسة والأتراك يلقون تياراً جارفاً من أنصار الحركة العرابية، لاسيما والحكم فى أيديهم، لأن وزارة محمود سامي البارودي وزارة وطنية، ووزير حريبتها قائد الثورة أحمد عرابي ولا خلاص من الأزمة إلا بسقوط الوزارة، وهذا ما أشار به سفير الدولتين الدائنتين، إنجلترا وفرنسا، ولم تكن الإشارة شفوية هامة بل تعدت المشورة إلى الطلب الرسمي فى مذكرة تطلب إبعاد أحمد عرابي وعبد العال حلمي، وعلى فهمي إلى أي جهة من جهات القطر خارج القاهرة، ويتبع ذلك سقوط وزارة محمود سامي البارودي وتعيين وزارة موالية للأجانب والقصر!

وكان المنطق الطبيعي أن يرفض أحمد عرابي وجميع أعضاء مجلس الوزارة هذا المطلب التعسفي، ولم يكونوا وحدهم فى الرفض حيث اجتمع قادة الرأي من العلماء والكتّاب معهم للتداول، ثم صمموا على المقاومة الصريحة للاستبداد، وجاء الشيخ محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — فوضع قسماً وطنياً أداه الجميع، ليمثل عهداً أمام الله بالإخلاص للوطن، ثم تطورت الأمور فاستقالت وزارة البارودي وأصبح الضباط وجهاً لوجه أمام مؤامرة محكمة من الأعداء!

وهنا يؤدى الأزهر دوره الوطني الرائع حين يجتمع شيخ الأزهر العلامة الأنبابي — رَحِمَهُ اللهُ — مع فريق من كبار العلماء أمثال الشيخ محمد عlish — رَحِمَهُ اللهُ —

والشيخ حسن العدوي — رَحِمَهُمُ اللَّهُ — والشيخ أبو العلا الحلفاوي — رَحِمَهُمُ اللَّهُ — ليتشاوروا في المأزق الحرج، ولينتهوا إلى وجوب تأييد الثورة العرابية بكل ما يملكون . .
وأصبح الموقف سافراً لا يحتاج موارد أو مداراة، فقد عرف الخديوي أن الشعب قد دبّت فيه روح اليقظة، وأن عرابي باشا لا يقف وحده، وأن الأزهر من أكبر مؤيديه، فاستعان بإنجلترا وفرنسا من جديد، ورأت إنجلترا الفرصة سانحة لتثبيت أقدامها، وتحقيق مطامعها الاستعمارية القديمة . .، فأرسلت أسطولها إلى الإسكندرية ليضربها بالقذائف وليحتل جنودها أماكن متعددة منها!

وماذا يستطيع الأحرار غير المقاومة المستميتة أياً كانت العاقبة، وقد اطمأن الخديوي إلى حماية الأعداء فأصدر أمره بإقالة عرابي، واجتمع المؤتمر الوطني للمرة الثانية في ٢٢ يولييه ١٨٨٢م، وقام الإمام محمد عبده — رَحِمَهُمُ اللَّهُ — بإلقاء كلمة مستفيضة تسلسل الأحداث وتثبت خيانة الخديوي للثورة، وتابعه على الروبي باشا أحد أبطال الثورة فألقى كلمة مماثلة، وأمام هذه الحقائق السافرة أصدر علماء الأزهر فتوَاهم الجريئة بمروق الخديوي وخيانتته من التجائه إلى عدو البلاد مما يوجب عزله وإدانته، وقد وقع على الفتوى كل المجتمعين من علماء الأزهر" (١) .

بذلك يتبين أن: الأزهر الشريف لم يكن بمعزل عن الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، بل شارك الشعب الكفاح لقمع الظلم، وتحقيق العدالة وتطهير البلاد من الفساد، وصدع بكلمة الحق بكل جرأة في وجه الطغاة المستبدين من الحكام، ووقف موقف المؤيد بكل ما يملك من قوى للحركات الإصلاحية التي تدعو للإصلاح، وليس أدلّ على ذلك من موقفه من الثورة العرابية .

سابعاً: بعد الاحتلال الانجليزي (١):

وقد أبرز د/ البيومي دور الأزهر الشريف في مقاومة الاحتلال الانجليزي كالآتي:

١- دور الإمام محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — .

٢- دور طلاب الأزهر — رحمهم الله — .

وأري: أن أقتصر على دور الإمام محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — ، وقد تحدث عنه د/ البيومي قائلاً: " فقد نفي إلى بيروت، فلم يسكت، بل واصل المعارضة الغاضبة لأعداء الإسلام والمصريين، ثم رأى أن يغادر بيروت إلى باريس ليجتمع مع أستاذه جمال الدين الأفغاني فيعيدا ما بدءا به من مناهضة الاحتلال، ولك أن تتصور جهاد غربيين فقيرين لا يملكان شيئاً ذا بال ثم هما بعد ذلك يصدران مجلة العروة الوثقى لمحاربة الاحتلال، ويقابلان أساطين الساسة من الوزراء والنواب ويكتبان في الصحف العالمية منددين بفظائع الاستعمار في كل بلد إسلامي دون إبطاء بل سافر محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — إلى إنجلترا نفسها ليصارع الاستعمار في عقر داره، وقد كتب في صحيفة (البال مال) يقول في صراحة سافرة مخاطباً الإنجليز: إننا نرى انتصاركم للحرية إنما هو انتصار لما فيه مصلحتكم، وإن عطفكم علينا كعطف الذئب على الحمل، وقد قضيتم على عناصر الخير فينا لكي تكون لكم من ذلك حجة للبقاء في بلادنا، فلم لا تغادروا مصر؟

لقد علمتمونا شيئاً واحداً هو التضامن في مطالبتكم بالجلاء، شكونا من الأتراك لأنهم أجانب عن أوطاننا، وأردنا لبلادنا إصلاحاً وتقدماً كتقدم الأوروبيين في طريق الحرية لكننا نعلم أن بمصر الآن ما هو شر من استبداد الحكام، وشر من ظلم الأتراك إن لنا رجاءً واحداً وهو أن تغادروا بلادنا إلى غير رجعة .

ولما سأله محرر الصحيفة عن الخديوي توفيق: قال إن توفيقا أساء إلينا أبلغ السوء لأنه مهد لدخولكم بلادنا، وانضم أيام الحرب إلي أعدائنا ٠ ولا يمكننا أن نشعر إزاءه باحترام!! (١) ٠

من هذا الموقف الرائع يتبين لنا دور علماء الأزهر في مقاومة الاحتلال الانجليزي، فقد قاوموه بكل ما ملكوا من قوة، وما ادخروا وسعاً في ذلك، وموقف الإمام محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — وأستاذه الأفغاني — رَحِمَهُ اللهُ — خير دليل على ذلك ٠

ثامناً: الأزهر يقود ثورة سنة ١٩١٩م (٢):

وقد ذكر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — أن كثيراً من الكتاب في الصحف أغفلوا دور الأزهر في هذه الثورة إلا ما ندر من أسطر ضئيلة لا تصور الحقيقة الكبرى، ثم ذكر د/ البيومي أهمية الدور الذي قام به الأزهر في الثورة، وأنه الرائد والقائد الأول لها قائلاً: "وكان عجباً أن يغفل دور الأزهر في هذه الثورة إغفالاً لا ندرى ما الباعث عليه، إلا ما ندر من أسطر ضئيلة لا تصور الحقيقة الكبيرة، مع أن الثورة بدون جهاد الأزهر تفقد الرائع الجليل، ولا أقول ذلك تزييداً وادعاء، بل أرجع إلى ما ذكره

(١) نضال الأزهر ص ٦٨ — ٦٩ ٠

(٢) من المعروف أن نيران ثورة ١٩١٩م اندلعت صبيحة يوم ٩ مارس سنة ١٩١٩م وهذه أولى مراحل الثورة وهي مرحلة قصيرة المدي من الناحية الزمنية قاومتها القوات العسكرية البريطانية بكل عنف وشدة وتمتاز هذه المرحلة باشتراك الفلاحين فيها اشتراكاً فعالاً وفي أثناءها ظهرت الحكومة الوطنية المستقلة عن القاهرة في زفتي والمنيا والمجالس الوطنية في كثير من المراكز وهي أخيراً المرحلة التي كان من الممكن أن تتطور من ثورة سياسية إلى ثورة اجتماعية غير واعية ٠ وتبدأ المرحلة الثانية من ثورة ١٩١٩م من إبريل سنة ١٩١٩م وهذه مرحلة طويلة المدي تتميز بخروج الفلاحين من العمل الثوري الإيجابي وانحصار الثورة في القاهرة ومدن القطر ولعبت فيها عناصر المدن من طلبة وموظفين ومحامين وعمال الدور الرئيسي ٠ وهذه هي مرحلة الكفاح السليبي ٠ ولقد شهدت القاهرة مظاهرات عنيفة وسقط كثير من الجرحى والشهداء نتيجة الاشتباك مع القوات البريطانية كما شهدت أيضاً مظاهرات صامتة كانت أكثر تعبيراً من المظاهرات الصاخبة وعمدت السلطات البريطانية في مصر إلى تشكيل محاكم عسكرية خاصة لمحاكمة من يقبض عليهم ٠ وسرت الروح الثورية من القاهرة إلى الأقاليم فتعطلت المواصلات هذا فضلاً عن قيام الأزهر بدوره كاملاً في هذه الثورة كما حدث في عهد الحملة الفرنسية حيث كان معقلاً للثورة ومركزاً لإشعاعها — وصاغ للثورة شعاراً رددته الجماهير (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) ٠ ينظر ثورة يوليو مرجع سابق ص ١٧٤

الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه الشهير عن زعيم الثورة، حيث أعلن أن سعد زغلول نفسه فوجئ بالمظاهرة الكبرى التي انبعثت من الأزهر فأحدثت الشرارة الأولى في الشعب ثم اندلع لهيبها في سائر المدن والقرى وقد نص العقاد صراحة ص ٢٢٦ وما بعدها على أن الثورة في بدئها لم يكن لها تنظيم من الوفد ولم يكن على رأسها مدير مسئول من رجال السياسة الرسمية! حتى لقد تعجب سعد — رَحِمَهُ اللهُ — في معتقله حين وافته الأنباء بمظاهرات الأزهر!!" (١) .

ثم تحدث د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن بعض الأحداث الذائعة للأزهر في إلهاب الثورة أتخير منها حديثه عن المظاهرتين الأوليتين للأزهر في تاريخ الثورة حيث تحدث عنهما بقوله: "لقد اعتقل سعد زغلول ورفاقه في ٨ مارس سنة ١٩١٩م، فلم يكذب الأزهريون يتناقلون النبأ حتى سرت في نفوسهم روح الغضب الناقم، ويتتابع خطابوهم على منبره العالي يلهبون الحماسة ويدعون إلى العمل الفوري من أجل البلاد، ثم خرجوا في يومي ٩، ١٠ مارس في مظاهرتين رنانتين كانتا الأوليين في تاريخ الثورة فأخذوا يطوفون الأحياء هاتفين بسقوط الحماية، ومن فوقهم رصاص الانجليز يتقاطر ٠٠ — وقد صاغ شباب الأزهر — للثورة شعاراً عفويّاً هتفوا به جميعاً حين نادوا في مظاهرتهم الأولى بقولهم: (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) فحددوا مطالبهم في عبارة موجزة تتسم بالوضوح الصريح، وقد ريع المعتمد البريطاني لما حدث فأبرق لخارجية لندن بأنباء المظاهرة، وبأن له بوضوح أن ما زعمه للخارجية من قبل بأن حركة سعد طائشة لا تبلغ مبلغ حركة مصطفى كامل قد ثبت بطلانه الصريح بمظاهرتي الأزهر! هاتان المظاهرتان اللتان كانتا بعيدتين كل البعد عن أدنى تأثير للوفد السياسي كما ذكر مؤرخ سعد! بل إن أحد زعماء الوفد حينئذ قبل الانشقاق وهو عبد العزيز فهمي ثار على المتظاهرين في غضب، وأعلن أن المسألة ليست لعب أطفال وصاح بالجموع دعونا نعمل في هدوء ولا تزيدوا النار اشتعالا، وقد ذكر ذلك العقاد في وضوح صريح!

وإذا كان سعد قد عجب لحدوث المظاهرتين اللتين لم يكن يتوقعهما وإذا كان عبد العزيز قد استتكر المظاهرات أشد الاستتكار فالأزهر وحده المسئول عنها فهو صاحب الفضل الأول في إيقاظ المصريين للمطالبة بحقوقهم، وفي الجراءة الساحقة التي ضرب بها المثل للناس حين واجه رصاص الإنجليز في غير مبالاة! ٠٠ وقد حدثت في المظاهرة الثانية خارقة عجيبة لأحد شباب الأزهر ٠٠

هذه الخارقة العجيبة لا يزال يذكرها من عاصروا الثورة وقد كان الأزهريون يتناقلونها في مجالسهم كأحدى الأساطير حتى سجل حقيقتها الواضحة عن مشاهدة وعيان الأستاذ محمد على غريب بجريدة الأخبار الصادرة في ١٢ / ٣ / ١٩٦٩م فقال ما نصه:

أذكر أن الإنجليز نصبوا مدفعاً أمام الأزهر وصوبوه إلى قلوب الآلاف من المتظاهرين وكان يدير المدفع جندي انجليزي سرعان ما تقدم منه شاب أزهري بكل جرأة وشجاعة — بل إن الوصف بالجرأة والشجاعة لا يكفي — فإن هذا الشاب الأزهري قد اندفع إلى الجندي البريطاني وضربه على رأسه فأوقعه أرضاً، ثم استولى على المدفع ولكن ماذا عسى أن يصنع به، لقد أخذ يديره يميناً وشمالاً دون أن يعرف كيف يطلقه إلى أن اخترقت رصاصة من أحد الإنجليز رأسه فسقط شهيداً " (١) ٠

من هذا يتبين أن: تاريخ الأزهر حافل بالبطولات النادرة والشجاعات الفائقة والمواقف الرائعة التي تبرز عظمته وكفاحه المستميت في وجه الاحتلال الغاصب للبلاد، ووقوفه في وجه الطواغيت من الحكام على مر العصور، وبهذه الإطالة على تاريخ الأزهر منذ العهد المملوكي وحتى ثورة ١٩١٩م يكون د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — قد أبرز دور الأزهر الشريف إبرازاً لا يدع مجالاً لمغرض أو حائف للنيل من هذا الصرح الشامخ، أو العمل على توهين صورته في نفوس العامة ٠

المطلب الثاني

جهوده في الرد على الطاعنين في قضايا تمس الأزهر الشريف

ويظهر ذلك من خلال ما سطره في كتابه نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر من قضايا هوجم فيها الأزهر ظلماً عن عمد مقصود، حيث وجهت إليه اتهامات باطلة هو منها برئ براءة الذنب من دم ابن يعقوب عليه السلام .

وقد تولى د/ البيومي - رحمته الله - الرد على هذه الاتهامات وأثبت عوارها، وهذه القضايا هي:

- أ - اتهام الأزهر بأنه عدو الحرية ووكر الرجعية وصنيعة الحاكم .
- ب - اتهام الأزهر بأنه لايسهم إيجابيا في السلام الديني .
- ج - اتهام الأزهر بالتدخل في شئون الفكر ، وأنه سبب أزمة الحياة الفكرية في مصر .

أولاً: اتهام الأزهر بأنه عدو الحرية ووكر الرجعية وصنيعة الحاكم:

فقد وُصم بذلك إبان موقفه من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) (١) لمؤلفه الأستاذ/ على عبد الرازق، وكتابي (الأيام) (٢)، (الشعر الجاهلي) (٣) لمؤلفهما طه حسين .

وأري أن أقصر على كتاب الإسلام وأصول الحكم كنموذج لذلك، وقد كتب د/ البيومي عنه قائلاً: " ما رأيت موقفاً ظلم فيه الأزهر عن عمد مقصود كما ظلم في موقفه من كتاب الإسلام وأصول الحكم . . وقبل كل شيء أعلن أن صاحب القضية الأستاذ على عبد الرازق - رحمته الله - باحث جاد اجتهد فأخطأ اجتهد في أصل

(١) خلاصة ما يدعو إليه في هذا الكتاب إقصاء الإسلام عن الحكم فالدين طقوس دينية فقط ولا يسوس حياة الناس .

(٢) وقد جابه د/ طه حسين الأزهر في هذا الكتاب بالانتقاص والتشهير ، وملاً الصحف هجاء منكراً لأساتذته ينظر نضال الأزهر ص ١٠٠-١١١ .

(٣) وقد جنح د/ طه حسين في هذا الكتاب إلى إنكار شخصيتين تاريخيتين نبويتين أثبت القرآن وجودهما ، ونسب إليهما رفع القواعد من البيت في مكة ، وهما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فقد أعلن أنه لا يجوز بما جاء في كتاب الله . ينظر نضال الأزهر ص ١١٢-١٢١ .

من أصول الإسلام التي قام عليها بناؤه فلم ينل حظاً من التوفيق، وكان على الأزهر أن يعلن للناس خطأ المجتهد في أصول الإسلام بالدليل الناهض والحجة الواضحة، وكان على الأستاذ أن يستمع إلى الحجة المناهضة في تواضع وإذعان، ولكن نفرأ ممن يسيئهم أن يظهر الحق في قضية إسلامية تمس أصلاً من أصوله قد تعاووا من حوله، وأخذوا يبذلون الجهد الجاهد في تأييده وتسفيهه معارضيه، حتى خيل إليه أنه على حق ٠٠ وقد اعترف الأستاذ/علي عبد الرازق -رحمته الله- أنه بدأ يكتب كتابه عن الحكم في الإسلام منذ سنة ١٩١٥م حين عين قاضياً بالمحاكم الشرعية في مصر، اعترف بذلك في مقدمة الكتاب ص (ف) من الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٥م كما اعترف (٢٥) من هذه الطبقة بأنه يكتب هذا الكلام والخلافة قائمة في تركيا لم يفكر في إلغائها أحد والخليفة القائم حينئذ هو السلطان محمد الخامس!

هذا ما اعترف به الرجل صراحة في كتابه اعترافاً صريحاً لا يقبل الريب، ومعناه أنه اجتهد في مسألة الخلافة قبل أن تسقط على يد مصطفى كمال بسنوات كبيرة، وأن إلغاء الخلافة لم يكن دافعه إلى بحث قضية الإسلام وأصول الحكم ! ولكن الذين يؤيدونه بالباطل لا يريدون أن يسمعوا هذا الاعتراف الصريح إذ يرون أن يعلنوا للعامة أن الكتاب قد ألف بعد سقوط الخلافة وأن الملك فؤاد قد طمع في أن يكون خليفة، وأن الأزهر يحاول أن يؤيد الملك لا أن يؤيد الإسلام، وأن الباحث الجريء على عبد الرازق قد تصدى للملك بكتابه، والملك لا يؤيده غير الرجعيين من علماء الأزهر!!" (١) ٠

وفى الرد على هذه الأراجيف كتب د/ البيومي قائلاً: " فيا الله كيف تخلق الأراجيف خلقاً وكيف يذكر صاحب الكتاب صراحة ما ينكر هذه الأراجيف ويقلعها من الأساس، ثم يصبر عليها من يؤيدونه بالباطل ليوحوا إلى العامة أن علماء الأزهر مأجورون، وأن الملك يحركهم حيث يريد.

ولنفرض أن الملك كان ذا هوى في الخلافة فهل يمنع ذلك علماء الأزهر أن ينطقوا بالحق في قضية تمس أصلاً من أصول الإسلام حين يرون أحد علماء الأزهر يخطئ في اجتهاده ويعلن على الناس ما يخالف هذه الأصول وهو في رأي الناس جميعاً عالم من علماء الأزهر وقاض من قضاة الشرع الإسلامي، له من منصبه ودرجته العلمية ما يفتن الناس بقوله!

لقد نشر الأستاذ/ على عبد الرازق كتابه بصفته الدينية، فوجب أن يقول علماء الأزهر رأيهم فيما ينسبه أحد أبنائهم إلى دينهم الحنيف، ولو سكتوا عن ذلك لكانوا آثمين، ثم إن الكتاب قد وجد من الدوي والضجيج ما جذب الأنظار إليه إذ تكاتف أعداء الفكرة الإسلامية على تأييده، أفيست علماء الأزهر حينئذ خوفاً من إرهاب المتشدين بعبارات الحرية والكرامة والرجعية!

ثم أ تكون الحرية في أن يجهر المخطئ بخطئه فيؤيده المبطلون ثم لا تكون الحرية في أن يقوم الأزهر بتصحيح الخطأ بما يملك؟ فإذا فعل ذلك فهو عدو الحرية وكر الرجعية وصنيعة الحاكم في منطق هؤلاء " (١) •

يتبين من ذلك أن: الأزهر هوجم ظلماً في هذه القضية، فما كان الأزهر يوماً ما عدواً للحرية ولا وكرًا للرجعية ولا صنيعة للحاكم وتاريخه العريق خير شاهد على ذلك، وما قام به الأزهر من مقاومة الأراجيف التي تطعن في أصل من أصول الإسلام، لا يعد رجعية ولا عقبة في وجه التقدم ولا مصادرة للحريات، فما قام إلا من منطلق رسالته العظيمة التي تتضمن نشر الإسلام والدفاع عنه ودفع أباطيل خصومه •

ثانياً: اتهام الأزهر بأنه لا يسهم إيجابياً في السلام الديني:

وهذا الاتهام منسوب إلى الأزهر من الكاتب الفرنسي (موريس جودفري دي موبين)، فقد قال قولاً قديماً يذهب فيه إلى أن الأزهر بمصر لا يسهم إيجابياً في السلام الديني! ثم رددت هذا القول بعض الصحف اليومية •

وقد عرض د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — هذا الاتهام ثم شرع في الردّ عليه قائلاً: "وأنا أعرف أن صاحب هذا القول المسرف قد أصدر كتاباً سماه (النظم الإسلامية) حشاه بأخطاء كثيرة نسبها إلى الإسلام خطأً دون صواب، فإذا نسب للأزهر هذا الرأي الجائر فليس من المستغرب، لأن المستغرب فعلاً أن ينصف الأزهر من لا ينصف الإسلام .

وواضح أن الأزهر يمثل الإسلام في كل رأي يبدیه . فإذا دعا الإسلام إلى السلام الديني فهي الدعوة التي يحتضنها الأزهر ويلتزمها أي التزام . وليس رأي الإسلام في السلام الديني بعيداً عن كاتب يعالج شئون المسيحية والإسلام في باريس . وينقل عن الإمام/ محمد عبده رَحِمَهُ اللهُ آراء كثيرة سردها في كتاب (الإسلام والنصرانية) كما يعرف سلفاً ما كتبه الأستاذ/ الإمام في رده علي المسيوهانوتو مبيناً دعوة الإسلام إلى السلام ومؤاخاة العلم، واحترام الرأي المخالف! فيا الله كيف يتحدث مؤلف النظم الإسلامية حديث من لا يعرف الإسلام وقد تفرغ للبحث عن الشئون الإسلامية حتى عد متخصصاً فيها لدي معشره .

وها هو ذا يتحدث عن الأزهر دون دراية، ولا نعذره في خطئه المغرض، لأن رأي الأزهر في السلام الديني ذائع مشتهر في أوروبا وأمريكا أذاعه شيخه الأكبر الإمام/ محمد مصطفى المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — في مؤتمر الأديان ببروكسل عام ١٩٣٦م . وأذاعه في باريس عالم من أجمع علماء الأزهر ونابغيه وهو الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله دراز — رَحِمَهُ اللهُ — في مؤتمر الأديان سنة ١٩٣٩م . وما زال ممثلو الأزهر يعلنون في كل مؤتمر يلتبس فيه النفع! أف تكون محاضرات مؤتمر الأديان في باريس بعيدة عن كاتب متخصص، يتحدث عن الشئون الإسلامية . ويفرد المؤلفات الخاصة بها . ثم لا يأذن لنفسه أن يلتفت إلى ما يدور حول تخصصه العلمي في وطنه . بل إلي ما قيل في أمور يتصدى للبحث عنها مصدراً رأيه النهائي! وإذا كان ما قيل عن السلام الديني والأزهر مما لا يقنعه فلماذا لا يرد عليه بالمنطق

الصائب لنعرف أن للرجل أبعاداً شاسعة يجهلها الباحثون أما أن يصدر الحكم عارياً عن أسبابه وغافلاً عما قاله الفاقهون بشأنه فهذا هو الجور الصريح " (١) .

وفى الحقيقة قد أجاد د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في هذا الردّ، وبرأ ساحة الأزهر الشريف من هذا الاتهام الكاذب، فالأزهر منذ أن انبثق نوره، وهو ينطلق داعياً إلى السلام الديني، وهذا ما أعلنه كبار علمائه قديماً، وما زالوا يذيعونه في مؤتمرات الأديان حديثاً .

ثالثاً: اتهام الأزهر بالتدخل في شئون الفكر، وأنه سبب أزمة الحياة الفكرية في مصر: وهذا الاتهام منسوب للأزهر من الأستاذ/ توفيق الحكيم، فقد ندّد بالأزهر في صفحات من كتابه (وثائق من كواليس الأدباء) زاعماً تدخله المتكرر في شئون الفكر، وقد ذكر د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — سبب هذا الاتهام قائلاً: "إذ بلغه — كما ادعي — أن الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — قد اعترض على ما جاء بكتابه (يوميات نائب في الأرياف) خاصاً برجال القضاء الشرعي، فاهتبل هذه السانحة دون أن يتأكد من صحتها ثم أدلي بحديث ينعي فيه علي الأزهر تدخله المتكرر فيما سماه بشئون الفكر، وكأني بالفارس المضطهد وقد سره أن يظهر في صورة المدافع عن الحرية فاندفع إلى رد الهجوم المتخيل ليعلم الناس أنه أحد ضحايا الرأي الحر، والفكر الجريء، وقد شاء أن يقرن الإسلام بالمسيحية والأزهر بالكنيسة، كما يفعل أعداء الإسلام ظلماً دون عدل .

فقال في حماسة: وقد آن الأوان لنواجه الأمر في صراحة فيما يتعلق بتدخل الأزهر المتكرر في شئون الدولة الفكرية، وأن تتدبر من الآن الخطر الذي يهدد حرية الكتابة، وحظر التأليف ونهضة العلوم إذا سيطر علي الحياة الفكرية في هذا البلد العصري بمثل هذه الروح، فالمعروف عن ظلام القرون الوسطي أن الكنيسة كانت هي التي تتحكم في عقول المفكرين مما أدي إلي شل حركة العلوم والفنون، فلما جاءت عصور النور، وتم فصل الكنيسة عن الدولة استطاعت الحضارة أن تزدهر هذا

الازدهار الذي يسود العالم اليوم، فلا شك إذن عندي أن مستقبل مصر متوقف علي ضمان حرية العقل والأفكار الضرورية لكل نهضة حقيقية " (١) .

وقد تعقب د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — هذا الكلام بالرد قائلاً: "وقد توالى الصفحات في كتاب الأستاذ الكبير لتثبت له الحقائق أن الأستاذ الأكبر لم يتدخل في شيء يتعلق بكتابه، وكان عليه بعد ذلك أن يرفع هذه الصفحات الظالمة من الوثائق لأنها بنيت علي افتراء باطل ولكن الكاتب أثبتها في إصرار ، ثم نسي أنها دعوي كاذبة فقال في نهايتها معقباً: هذه الأحاديث والأخبار المنشورة في صحف ذلك العهد تتعلق بأزمة الحياة الفكرية التي تعرضت لها لما رأيت من خطورتها علي نهضتنا العقلية .

وقارئ هذا الكلام يظن أن الأستاذ قد تعرض حقا لأزمة فكرية، كما يظن أن الحياة الفكرية في مصر بنوع عام قد تعرضت لهذه الأزمة بسبب تدخل الأزهر؛ وكل ذلك خطأ لا يقوم دليل واحد على صحته لدي من يزنون الأشياء بميزانها الصحيح " (٢) .

ثم نقل د/ البيومي ردّ الأستاذ الدكتور/ محمد البهي قائلاً: "وهذا ما عناه الأستاذ الدكتور محمد البهي حين قال في الرد علي دعوي الأستاذ/ توفيق الحكيم: إن الأزهر لا يطلب سلطان الكنيسة في القرون الوسطي، ولم يطلبه يوماً ما، وإنما يؤدي مهمته الروحية فوق مهمته العلمية وهي المحافظة على الأمة وعلى شبابها المثقفين، وشيخ الأزهر لا يحد من حرية البحث الجامعي إذا ما حاول أن ينزع الأمة من تحكم فئة تدعي لنفسها من الألقاب الثقافية ما تشاء مستغلة جهل الشعب، وعدم سمو المستوى العلمي فيه .

ثم قال الدكتور/ البهي: حددوا الألفاظ قبل استخدامها، وضعوا المقارنة بين نهضات الأمم علي أسس صحيحة، وتخلوا قبل كل شيء عن عقيدة وجوب تقليد الغرب، أما الإيمان أولاً بوجوب تقليد الغرب في خيره وشره، ثم إلزام القارئ بنتائج

(١) السابق ص ١٣٢-١٣٣ .

(٢) نفس السابق ١٣٣ — ١٣٤ .

ما يسمى (البحث) المبني على هذا الإيمان فذلك هو هدم حرية التفكير، والتحكم الذي هو أقرب إلي تحكم الكنيسة في القرون الوسطي" (١) .

ثم نقل د/ البيومي مقالاً للأستاذ/ المراغي أعلن فيه رأي الإسلام في تقرير حرية الفكر وتبرئة الأزهر من هذا الاتهام الكاذب قائلاً: "والأستاذ المراغي الذي لم يرض الكاتب موقفه من القصة، ونسب إليه انتقاداً مفترى علي بعض ما جاء في (يوميات نائب في الأرياف) قد خطب أكثر من مرة في طلاب الأزهر ليعلن لهم رأي الإسلام في تقرير حرية الفكر .

وليرد علي من يخافون من تدخل الأزهر في شئون الكتابة كما وهم الأستاذ الحكيم، فقال — ﷺ — من حديث مستفيض: إن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر علي الحياة العامة فهم يقولون إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة، إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة، هذا ما يقوله الناس، أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها، لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التي نقرؤها في علم الكلام، وقد حمى الإسلام أدياناً تخالفه، وحمى علماء الإسلام مذاهب غير صحيحة واجتهدوا في أن يردوا عليها بالدليل، فليس الأزهر من المعاهد التي تكره حرية الرأي ولكن الأزهر يكره شيئاً واحداً هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بأئمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشكك العامة في دينهم، وأن يشكك النشء في عقائدهم، أما الآراء العلمية في حدود العلم ودائرته فإنها تدرس في المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها" (٢) .

بعد هذا الجهد الطيب من د/ البيومي — ﷺ — في عرض الافتراءات التي نسبت للأزهر الشريف والرد عليها، يتبين ما قام به من جهود مضيئة في الدفاع عن

(١) نضال الأزهر ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) السابق ص ١٣٨ .

الأزهر الشريف، ولم يكن دفاعه عن تعصب أو هوي، بل دفاع لرفع الظلم عن أعرق مؤسسة علمية نسبت إليها اتهامات باطلة ظلماً وزوراً، ووردها المرجفون وكأنها حقائق مما أثار ثائرة د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — فهب لنصرة المظلوم، ومواجهة الظالم بالحق، لاسيما وقد تأثر بقول الإمام/ محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ —: (من عرف الحق عزَّ عليه أن يراه مظلوماً) (١) .

أسأل الله العظيم أن يجعل ذلك في موازين حسناته يوم الدين .

المطلب الثالث

جهوده في إبراز مواقف الأزهر الشريف من المؤلفات التي تطعن في

ثوابت الإسلام : — ويظهر ذلك من خلال ما ألمح إليه من بيان موقف الأزهر الشريف من بعض الكتب التي تطعن في ثوابت الإسلام، وأري أن أقتصر على اثنين منها وهما:

أ — كتاب الإسلام وأصول الحكم لمؤلفه الأستاذ على عبد الرازق .

ب — كتاب الشعر الجاهلي لمؤلفه الدكتور طه حسين .

أولاً: كتاب الإسلام وأصول الحكم (٢):

وقد ألمح د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — إلى موقف الأزهر من هذا الكتاب تحت عنوان (موقف الأزهر من كتاب الإسلام وأصول الحكم)، وبيّن أن الأزهر الشريف هوجم ووصم بأنه عدو للحرية بسبب موقفه من هذا الكتاب وقد سبق الحديث عن ذلك . وهذا الكتاب ألفه الأستاذ/ على عبد الرازق من علماء الأزهر اجتهد فأخطأ، وخالف في أصل من أصول الإسلام، وقد ناقشه علماء الأزهر الشريف، ويحدثنا د/ البيومي عن هذه المناقشة قائلاً: "لقد كان الأزهر موضوعياً حين ناقش أفكار الكاتب

(١) ينظر طه حسين وقضية الشعر الجاهلي — د/ محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون سنة طبع ص ٥ .

(٢) وفكرته تدور حول تنحية الإسلام عن الحكم فقد أعلن قائلاً: إن الشرعية الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم

والتنفيذ . ينظر نضال الأزهر ص ٩٣ .

مناقشة علمية تعتصم بالدليل، وأصدر تقريراً مفصلاً بنقاط الخلاف، وقد نشر التقرير في الصحف اليومية رداً على ما روجه المزيّفون عن أوهام الكتاب" (١) .

يتبين من هذا أن: الأزهر الشريف حصن للإسلام حصين يقف في وجه كل طاعن فيه حتى وإن كان من أبنائه، فلا محابة في ذلك وهذا ما حدث بالفعل مع الأستاذ على عبد الرازق، فقد أصدر الأزهر الشريف تقريراً شافياً لمناقشة أفكار الكاتب وإبطالها، وأري أن أعرض فكرة واحدة من هذه الأفكار ثم أتبعها بمناقشة لجنة كبار علماء الأزهر الشريف، وهذه الفكرة جاءت ضمن الأفكار التي عرضها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — مع مناقشتها من تقرير الأزهر الشريف الذي صدر بشأن ذلك .

والفكرة عرضها د/ البيومي بقوله:

" قال المؤلف: إن الشرعية الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ، وأن الدنيا من أولها إلى آخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ما ركب فيها من عقول، وأهون على الله من أن يبعث لها رسولاً وأهون عند رسل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها . — ثم أعقبها بتقرير الأزهر قائلاً:

وجاء في التقرير ملخصاً: أن المؤلف يشطر الدين الإسلامي شطرين منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا ويضرب بآيات الكتاب وسنة رسول الله عرض الحائط، فهو يصادم آيات مثل قول الله: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٢) وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ وَإِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٤)، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٥)، وقوله: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) نضال الأزهر ص ٩٣ .

(٢) سورة القصص من الآية رقم ٧٧ .

(٣) سورة النساء من الآية رقم ١٠٥ .

(٤) سورة المائدة من الآية رقم ٤٩ .

(٥) سورة النساء من الآية ٥٨ .

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ (١) واستطرد التقرير إلى ذكر آيات كثيرة مشتهرة شملت صحائف ١٢، ١٣، ١٤، مما هو ذائع لدى المسلمين، كما ذكر من أحاديث الرسول ﷺ — ما ينص علي تطبيق الآيات دون لبس " (٢) .

بذلك أبان د/ البيومي — ﷺ — موقف الأزهر من هذا الكتاب الذي يطعن في أصل من أصول الإسلام، وقد ذكر د/ البيومي أن صاحبه رجع مؤخرا عن قوله، فقال: "على أن الأستاذ علي عبد الرازق — ﷺ — قد أدرك أخيرا بعض ما تسرع فيه، فحاول الرجوع عنه، وأعلن ذلك في مجلة رسالة الإسلام العدد الثالث من السنة الثالثة وقد صدر في شهر رمضان سنة ١٣٨٠هـ — يولييه سنة ١٩٥٩م، إذ قال تعقيبا على مقال الدكتور/ أحمد أمين — ﷺ — في هذه المجلة ما نصه: قرأت بحثا قيما لحضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور/ أحمد أمين، جاء في صدره أنه كان يتجادل معي فقلت إن دواء ذلك أن نرجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل، وقد وقفت أمام نظري كلمة (روحانية) ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكري قديمة لهذه الكلمة معي فقد زعم الباحثون أنني في ذلك البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعة روحانية محضة، ورتبوا علي ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا، أما أنا فقد رددت عليهم أنني لم أقل ذلك مطلقاً لا في هذا الكتاب ولا في غيره، ولا قلت شيئاً يشبه هذا الرأي أو يدانيه، أسوق هذا الحديث ليزكر الأستاذ الكبير أن فكرة روحانية الإسلام لم تكن لي رأياً، يوم نشرت البحث المشار إليه، إنني رفضت يومئذ رفضاً باتاً أن يكون هذا رأيي .

وقد علق د/ البيومي على هذا الكلام قائلاً: هذا تراجع صريح، لأن الأستاذ/ علي عبد الرازق قد قال في ص ٦٩ من كتابه: أن ولاية الرسول علي قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وولاية الحاكم ولاية مادية تلك زعامة دينية

(١) سورة النساء من الآية رقم ٢٩ .

(٢) نضال الأزهر ص ٩٣ — ٩٤ .

وهذه زعامة سياسية" (١) .

ثانياً: كتاب الشعر الجاهلي:

ومؤلفه الدكتور/ طه حسين، ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن فكرة هذا الكتاب، وعن تجني صاحبه على كتاب الله قائلاً: "إن كتاب الشعر الجاهلي يقوم على فكرة ليست جديدة! هذه الفكرة هي دعوى الانتحال في هذا الشعر . وقد ثبت لدى الدارسين أن نقاد العرب من لدن عهد ابن سلام الحمجي إلى عصرنا هذا قد قالوا بانتحال كثير من القصائد، ولأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي فصل رائع في الجزء الأول من كتابه عن تاريخ الأدب العربي أشبع هذه الناحية بما لا مزيد عليه، وقد قبل الكتاب عند صدوره باحتفال رائع، وقد أفاد منه الدكتور طه حسين إذ أشاد به في بعض ما كتب! فلو أن الدكتور/ طه قصر حديثه على الانتحال ما أوجد هذه الفرقة الصاخبة، ولكن الدكتور قد بالغ في دعوى الانتحال مبالغة تابع فيها المستشرق الإنجليزي مرجليوث، حيث نقل أكثر أدلته دون أن يعزو إليه شيء مما أخذ عنه! وإذا كان الإسراف في ادعاء الانتحال منقود منقود، فما كان ذا خطر يسبب هياج الناس بعمامة، والأزهر بخاصة، ولكن ترك القضية إلى أشياء تمس كتاب الله، وتلصق بالبحث إلصاقاً دون داع علمي قد أوقد الصدور وحق لكل ذي غيرة إسلامية أن ينهض مدافعاً عن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " (٢) .

ثم عرض د/ البيومي بعض ما قاله الدكتور/ طه حسين قائلاً: " أن المؤلف كذب القرآن في ما قال عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام حين قال في ص ٢٦: للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم — عليهما الصلاة والسلام — إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة

(١) نضال الأزهر ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) السابق ص ١١٣ — ١١٤ .

نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى، فهي حديثة العهد، واستغلها الإسلام لسبب ديني وسياسي أيضاً، فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل العربية ونستطيع أن نقول إن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية، واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية، كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية، وأن قصة العاربة والمستعربة، وتعلم إسماعيل العربية من جرهم كل ذلك أحاديث أساطير لا خطر له ولا غناء فيه " (١) .

من هذا يتبين أن: د/ طه حسين كذب القرآن صراحة ووصم الإسلام بالاحتلال، وقد وقف الأزهر الشريف موقفاً صارماً، فقام علماءه بالردّ عليه ودحض أباطيله مما دفع بنوى الغرض من الكتاب إلى وصمه زوراً وبهتاناً بأنه هاجم كتاب الشعر الجاهلي لأنه يرفض الجديد الحي، ويتمسك بالقديم البالي!، وأنه ضد حرية الفكر، وأترك المجال لأستاذي/ الدكتور البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - لمناقشة ما قيل، فقد قال بعد أن عرض بعض ما قاله د/ طه حسين: " هذا بعض ما تضمنه كتاب الشعر الجاهلي، مما دعا علماء الأزهر إلي الثورة إليه، وقد ثبت أن جميع ما تورط فيه الدكتور من آراء مؤذية قد نقلت عن غيره، وإنني لأتساءل كيف يكون تصحيح الحقائق محاربة لحرية الفكر؟ من ناحية الأزهر، وكيف يكون تشويه الحقائق استجابة لحرية الفكر من ناحية الدكتور ومؤيديه؟ حتى نرى في كل حين كاتباً يدّعي أن الأزهر قد هاجم كتاب الشعر الجاهلي لأنه يرفض الجديد الحي، ويتمسك بالقديم البالي! في حين أن الأزهر بعلمائه وكتابه يناقشون القديم والجديد معاً! ويأخذون ما فيهما من الخير ويدعون ما بهما من الشر! بدليل أن كتب الدكتور طه الخالصة للأدب من مراجع الأزهريين في دراساتهم الجامعية، بل إن أدب الدكتور طه نفسه كان محور دراسات في رسائل الماجستير

والدكتوراه، وقد أنصفه الباحثون مصيباً، ونقدوه مخطئاً، وإذا كانت حرية الفكر شيئاً غير ذلك! فأى شئ تكون " (١) •

ولا أجد تعليقاً على ذلك فأترك هذه المناقشة المفحمة تتألق جمالاً وروعة •



الفصل الرابع

المناحي الفكرية لنتاج د/ البيومي

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن عدة أمور وهي :

- أ — الشخصيات الإسلامية ويدور الحديث من خلالها عن تراجم العلامة د/ البيومي — رحمته الله — لعلماء الإسلام ، و دفاعه عن شخصيات دينية مظلومة .
- ب — القضايا الإسلامية ، وقمت بتصنيفها إلى عدة قضايا : قضايا فكرية ، وتناولت منها انحدار المستوي الثقافي بالجامعات ، وقضايا اجتماعية ، وتناولت منها من مضايقات الزواج ، وقضايا أخلاقية ، وتناولت منها حقوق الحيوان في الإسلام ، وقضايا سياسية ، وتناولت منها عقوبة الإعدام ، قضية التصوف ، وتناولت فيها نشأته الصوفية ، ودفاعه عن كبار المتصوفين ، وموقفه من التصوف .
- ج — ما يتعلق بالسيرة النبوية ، وتحدثت فيه عن خطر يحيق بالسيرة النبوية ، وعن غزوات الرسول، وأسبابها الدافعة ، وعن الخلافة الراشدة .
- د — ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي ، وتحدثت فيه عن ما لم يكتب من تاريخ الأزهر ، ثم تحدثت عن متى نكتب التاريخ المعاصر ، ثم تناولت كتاب الأغاني والتاريخ الإسلامي، ثم تحدثت عن عاشوراء في تاريخ الإسلام .
- هـ — الأستاذ الدكتور / البيومي رحمته الله ما له وما عليه ، وعرضت فيه أقوال العلماء وآراءهم في شخصية د/ البيومي رحمته الله ، كما عرضت فيه ما أخذه بعض الناقدين علي د/ البيومي رحمته الله.

وقد اشتمل هذا الفصل علي خمسة مباحث ، وهي :

المبحث الأول : الشخصيات الإسلامية .

المبحث الثاني: القضايا الإسلامية .

المبحث الثالث : ما يتعلق بالسيرة النبوية .

المبحث الرابع: ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي

المبحث الخامس: الأستاذ الدكتور / البيومي رحمته الله ما له وما عليه

المبحث الأول

الشخصيات الإسلامية

وسوف يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : تراجع لعلماء الإسلام : — ويظهر ذلك من خلال هذه السلسلة المباركة المكونة من خمسة أجزاء، والتي وضعها د/ البيومي رحمه الله تعالى بعنوان (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين)، حيث جمع فيها ما يقرب من خمس وأربعين شخصية من العلماء والأبطال والمصلحين، وقد بين د/ البيومي رحمته الله الهدف الذي من أجله كانت هذه الدراسة في الجزء الأول من هذه السلسلة بقوله: "هذه النهضة النشيطة (١) في حاجة ماسة إلي من يفهم حقها من الدراسة والتقييم، وقد اخترت أن أتحدث عنها في ظلال أبطالها من أئمة المسلمين، لا لأترجم لحيوات هؤلاء الأبطال فما أقصر همة تتجه إلى رصد سنوات الميلاد والرحلة والوظائف والوفاء، إذا جعلت ذلك غاية جهدها المدون بين السطور، ولكن الحديث المثمر هو الذي يكشف عن أحوال المصلح، ويفسر دوافعه الذاتية، ويقدر جهاده الدائب فيما اعترضه من الصعاب وإذ ذاك يتسع المجال للحكم العادل من المؤلف، والاطمئنان الواعي من القارئ الحصيف " (٢) .

(١) يقصد بالنهضة ما حققه المسلمون من تقدم يبشر بالنجاح في أكثر ميادين الحياة وذلك في النصف الأخير من القرن العشرين

• ينظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين — د/ محمد رجب البيومي — ط — سلسلة البحوث الإسلامية السنة

الحادية عشرة — ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ — فبراير سنة ١٩٨٠م ج ٣/١ .

(٢) السابق — نفس الصفحة .

ثم ذكر د/ البيومي رحمته الله فائدة الدارسة لهذا التاريخ قائلاً: "إن دراسة التاريخ في سيره الطويل ضرورة ملزمة، لا لناخذ العبرة من حوادث الزمن وكوارثه فحسب، بل لنقدر خطواتنا التالية في ركب الإنسانية، وتطلعاتنا الآملة في موكب التقدم الحضاري، على ضوء ما نعلم من أحداث، وفي تقدير ما مر بنا من تجارب، وما تحملناه من أعباء" (١) .

ثم عرض د/ البيومي رحمته الله الحديث عن هؤلاء الأعلام من خلال ما اشتهروا به من أعمال جليلة بقوله: " ففي اتجاه مكافحة المحتل الغاصب تجد أعلاماً ضحوا براحتهم، وأفنوا صحتهم ثائرين على الاحتلال، مرحبين بعذاب السجن، وأليم الجوع، ومرير البرد، حتى تعلق كلمة الله ومن هؤلاء: عبد الحميد بن باديس رحمته الله وعبد العزيز جاويز رحمته الله ومحمد البشير الإبراهيمي رحمته الله، ولهم مع ذلك صرخاتهم البيانية في إيقاف الرقود، وإلهاب النفوس .

وفي مجال الدعوة إلى مجد الإسلام والاستمساك بعروته الوثقى، وتدبيج الكتب، وإقامة الندوات لإذكاء الهمم وإيقاد العواطف، تجد أمثال: محمد إقبال رحمته الله، ومحمد عاكف رحمته الله، وعبد الرشيد إبراهيم رحمته الله، وشكيب أرسلان رحمته الله، وعبد الوهاب عزام رحمته الله، واللورد هدلي رحمته الله داعية الإسلام في بلاد الانجليز .

وفي مجال الذود عن مقدسات الشريعة، وحماية القرآن والسنة من كيد المبشرين، ورد السهام الباغية إلى صدور ذوي الغرض من المستشرقين تجد أمثال محمد فريد وجدي رحمته الله، ومحمد رشيد رضا رحمته الله، وطنطاوي جوهري رحمته الله .

وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل الجهود المضنية في العمل بشريعة الإسلام مهما قامت الحوائل وتكاثفت الصعاب، تجد أمثال: محمود أبي العيون رحمته الله، وأحمد غلوش رحمته الله، ومحمد الخضر حسين رحمته الله .

وفي تقدير التاريخ الإسلامي والنظر إلى أبطاله بعين الإنصاف مع التصدي لكل شبهة يلوكها الاستشراق تجد أمثال: رفيق العظم رحمته الله، ومحمد الخصري رحمته الله، وعبد الوهاب النجار رحمته الله، وأحمد أمين رحمته الله .

وفي مجال تنشيط الأدب العربي وإحياء اللغة العربية والعمل علي نشر الثقافة الإسلامية، وبعث التراث القديم تجد أمثال: أحمد حسن الزيات رحمته الله، واحمد تيمور رحمته الله، وسيد ابن علي المر صفي رحمته الله، وعبد القادر المغربي رحمته الله " (١) .

وأري: أن أعرض نموذجا لكل اتجاه، فأتخير علماً من أعلامه وأسطر ما سجله د/ البيومي رحمته الله .

ففي الاتجاه الأول: مكافحة المحتل الغاصب أتخير من أعلامه عبد الحميد بن باديس رحمته الله، وقد تحدث عنه د/ البيومي تحت عنوان عبد الحميد بن باديس الإمام الجزائري المجاهد قائلاً: "نشأ عبد الحميد بن باديس نشأة دينية نيرة، إذ درس اللغة ومبادئ الإسلام علي أيدي أناس يفهمون الشريعة فهماً صافياً، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس فأكمل دراسته الدينية، ورحل إلى بلاد الشرق العربي، فزار مصر وسورية ولبنان ومكة والمدينة، واتصل عن كثب (٢) بمحاور الإصلاح الديني الذي كانت تمثله مدرسة الأستاذ الإمام في مصر . .

كما كانت رحلته رحمته الله إلى الجزائر في خاتمة حياته مجالا طيبا للحديث عن آرائه القويمة في نهضة الإسلام وإصلاح المسلمين!

وقد رزق عبد الحميد القلق الثائر الذي لا يستقر حتى يستقيم الأمر لأهله، فأخذ علي عاتقه القيام بالدعوة إلى الإسلام في وطن مستضعف يتكالب عليه الباطل بخيله ورجله، ورأى أن الدعوة إلى الإسلام لا تفرق عن الدعوة إلى العربية، فهما قطبا الدائرة في مناواة الاستعمار .

(١) السابق ص ٤ — ٦ .

(٢) الكتب — يقال: رماه من كثب: قرب وتمكن . ينظر المعجم الوجيز ص ٥٢٨ .

وكان ابن باديس خطيباً فصيح العبارة إذا ارتقي المنبر يوم الجمعة نفخ من روحه العاتية في سامعيه، فأنعش الذابل (١) وأخضر اليباس، وفسح الطريق للأمل العريض، وأما قدرته القلمية فقد كانت تمهد له انتصار الفكرة الصادقة إذا اصطدمت بالفكرة المغرضة، فيعبئ شتي جهوده كي يقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. وقد تعدد مجال الإصلاح أمامه، فسلك طرقاً مختلفة تلتقي جميعاً في الدعوة إلى الله عن بصيرة، وقد كان من قوة الإرادة بحيث صمد إلى الاعتقال والاضطهاد دون أن يستكين، وزاد في صلابته القوية أنه كان يقدر هذا العذاب قبل وقوعه " (٢) .

ثم أشار د/ البيومي رحمه الله إلى أهم الميادين التي انفسحت لجهاده فآتت النصر الميمون قائلاً: "لقد أنشأ جمعية العلماء، وفتح لها فروعاً تنتشعب في أنحاء الجزائر، فخلق طائفة من الدعاة والمرشدين يحملون أمانة الكلمة، ويؤدون دوره الإصلاحية في القرى المتناثرة والعواصم النازحة ٠٠ — وعندما حارب الاستعمار اللغة العربية في مدارسها قام بإنشاء — مدارس إسلامية عربية أهلية وأعد لها أبناءها من المعلمين، ووضع برامج الدراسة الإسلامية:

إذ تقوم بتفسير كتاب الله، وتعليم اللغة العربية، وتشرح دور المسلمين في اليقظة الفكرية وأثرهم في ركب الحضارة حين كانوا هداة العالم في عصور الظلمات، مبينة أسباب الضعف الطارئ علي الدول الإسلامية، ورأسمة وسائل العلاج الصحيح من دعوة إلى الإسلام السلفي كما يتفرق في أصفى المنابع الرائعة قبل أن تكدره شبهاة الحشوية من ذي الحكايات اللفظية وتخرصات الحقدة من ذوى النعرات المذهبية!

هذه المنابع الصافية التي تتفرق في آيات الكتاب وأحاديث الرسول وسيرة السلف الصالح ممن يهدون إلى الحق وبه يعدلون! فهي مدارس تعليمية للمبتدئين وإرشادية وتوجيهية للمنتهين! وإذا كان المبتدئ يترقى في دوره حتى ينتهي من

(١) ذبل النبات — ذبلا وذبولاً : ذهب نداوته وطراوته . و — الإنسان والحيوان ضمرو وهزل . ينظر المعجم الوجيز

ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٢) النهضة الإسلامية ج ١/ ١١٢ — ١١٣ .

دراسته فإنه لا يدع المدرسة حتى يخرج مسلحاً بذخيرة لا تفل ومدججاً بأقوى الحجج والبراهين .

أما الصحافة فقد كانت أحد الجوانب الهامة من كفاح ابن باديس، إذ أنشأ المنتقد والشهاب ليؤديا دور المنار في مصر ويزيدا عليه الدعوة إلى التحرير السياسي، وإذا كانت فرنسا تزعم أنها تحمل رسالة الحرية والحضارة والإنسانية في العالم وتتوقح بذلك بين قوم يئنون تحت مظالمها الغادرة، إذ تشن عليهم حرب الإبادة والاستئصال دون رحمة أو هوادة!!

إذا كانت فرنسا تزعم ذلك، فإن ابن باديس قد جعل من صحيفته ميداناً رحباً لإبادة هذا الزعم واستئصاله، فهو يذكر مواطنيه بفظائعها المنكرة في أرض الجزائر، فيعلن كيف هاجمت هذه الدولة المتشدقة بالحرية والإنسانية قبيلة العوفية ليلة ١٦ / ٤ / ١٨٣٢م وهي نائمة في الخيام قبل الفجر، فذبحت هؤلاء الغزل الأمنين ذبحاً لا رحمة فيه . .

كما بين ابن باديس كيف كانت تساق حيوانات الفلاحين غصباً للبيع، وكان من بين الغنائم أساور نساء في الأيدي المقطوعة وأقراط فتيات لا يزال تلتصق بها قطع من الآذان!

أما حرائق الكهوف في الجبال الجزائرية، فمن أفظع حوادثه ما فعله الأفاقون من جنود الاحتلال: حين أوقدوا النار ليلة كاملة أمام كهف يضم قبيلة بأجمعها، وما جاء الصباح ودخل الجند الكهف حتى وجدوا نحو ثمانمائة من جثث الضحايا البريئة بين نساء وشيوخ وأطفال تحت أقدام الثيران والحيوانات التي انطلقت تلمس النجاة من النار فداست كل عزيز ثم لقيت حتفها مع الناس!

هذه الفظائع وأمثالها كانت أدلة ابن باديس، وحججه القاطعة على ندالة الطغيان الفرنسي، وهي التي أوحى له العزم في جهاده المستشهد حتى تنوعت آفاهه الإصلاحية، واستطاع أن يعصف بأسطورة فرنسة الجزائر وتنصير المسلمين "(١) .

ثم ختم د/ البيومي رحمته الله حديثه عن ابن باديس بنقل شهادة له من أعدائه والحق ما شهدت به الأعداء فقال: "ولعل خير ما نختم به هذه الصفحة البيضاء من جهاد عبد الحميد بن باديس رحمته الله أن ننقل شهادة الكاتب الفرنسي فرانسيس جانسون، كما سجلها الأستاذ/ أنور الجندي بكتابه الكبير (الأدب في معركة التجمع والمقاومة) ص ٩٣ حيث قال الكاتب الفرنسي في صراحة سافرة:

إن المعركة الباديسية أحدثت إصلاحاً شاملاً فيما وصل إليه الإسلام بعد تخلصه من التحريف والشوائب التي علقته به نتيجة للتفسيرات المشكوك في صحتها، حيث تراكت خلال قرون عدة، كما عملت علي تعميم الثقافة العربية بإنشاء مدارس تتولى تدريس اللغة العربية ونشرها في الجزائر، كما نشرت الوعي القومي، مما وقف عقبة في وجه السيطرة الاستعمارية ومما أقلق سلطات الاستعمار التي كانت تستخدم فئة من رجال الدين المأجورين لتجعل الإسلام وسيلة لتخدير الشعب، كما قاومت خطة القضاء على اللغة العربية، واستخدام كل سلاح لمحاربة تعليمها، ودثر ثقافتها، لتصبح نوعاً من التراث الذي لا يجد مجالاً للبقاء في غير بضع عشرة مدرسة من المدارس العتيقة التي تقرئ القرآن •

وقد علق د/ البيومي بقوله: هذا ما قاله فرانسيس جانسون، وهو قول موجز جامع قام مقالنا هذا بإيضاحه وتفسيره، وهو يُعد شهادة صادقة لابن باديس من فرنسي كان يتمنى في أعماقه ألا تكلل الحركة الباديسية بالنجاح" (١) •

بهذه الترجمة الصادقة جلا د/ البيومي رحمته الله ما قام به الإمام الجزائري عبد الحميد بن باديس رحمته الله من مقاومة عظيمة للاحتلال الفرنسي فقد كان عقبة في وجه السيطرة الاستعمارية فحال بينها وبين تحقيق مآربها واستطاع أن يحقق النجاح لدعوته الإصلاحية •

وفي الاتجاه الثاني: الدعوة إلى الإسلام أتخير من أعلامه اللورد هدلي داعية الإسلام في بلاد الانجليز رحمته الله، وقد تحدث عنه د/ البيومي تحت عنوان (لورد هدلي

رئيس الجمعية الإسلامية ببريطانيا) قائلاً: " وتعريفاً بالرجل الكبير: نذكر أنه ولد في سنة ١٨٥٤م وتوفي سنة ١٩٣٥م عن احدي وثمانين سنة، وقد تلقى علومه الابتدائية والثانوية بأرقى المدارس الانجليزية، ثم تخرج في جامعة كمبردج، وحصل على أرقى درجاتها العلمية في الرياضيات واشتغل بالتدريس والصحافة والهندسة، وكان في بداية أمره بروستانتيا ثم درس الكتلكة، فضاقت ذراعاً بما بين المذهبين من فروق لا تعقل نتائجها وقد هداه ذلك إلى البحث في الأديان الأخرى كاليهودية والبوذية والإسلام، فأشرق النور في عقله وقلبه واعتنق الإسلام عن دراسة فاحصة، وتأمل مستنير، ولم يدخر جهداً أو مალأً أو صحة في التبشير به، حتى قام في سن السبعين برحلات متتابعة إلى مصر والحجاز والهند وجنوب أفريقيا، داعياً إلى الصراط المستقيم، وقد رأس الجمعية البريطانية الإسلامية ولقب بسيف الرحمن فاروق رحمته الله، وكتب صحفاً هامة في الدعوة إلى دين الله، ولعل أهمها كتابه الرائع (إيقاظ الغرب للإسلام) ٠٠ وقد كان المعروف لدي جمهرة المحققين باللورد هدلي أنه أول لورد انجليزي أشرق الإسلام في قلبه " (١)٠

ويحدثنا د/ البيومي عن ثقافته الدينية وقوة محاورته لخصومه قائلاً: " لقد كانت ثقافة لورد هدلي الراقية — فضلاً عن مركزه الاجتماعي المرموق — باعثاً ملحاً علي الاستماع إليه، والنظر في براهينه، وقد أوتي من اللقانة والذكاء واللباقة ما جعل خصومه يكرون أمام حججه ، فقد هالهم أن يعرض اللورد في أحاديثه صفحات مشرقة عن حياة رسول الله ﷺ ، وطفقوا يقولون: إن الرجل يعرض الإسلام ونبيه في صورة لا تمثل الواقع! كأن الواقع الصريح لديهم هو ما افتراه المتعصبون من القساوسة وأعداء الإسلام عن غرض سافل دنئ !! فجابهم اللورد بقوله:

إن الحقائق التاريخية الخاصة بالنبي ﷺ من الشهرة والثبوت بحيث لا يتسنى معها اختلاق شيء جديد، فإن لنا معشر المسلمين كتباً ضخمة معترفاً بصحتها تحتوي على أحاديث الرسول ﷺ التي محصها الرواة تمحيصاً دقيقاً، ومن هذه الكتب نستمد كل

ما نريد أن نكتبه عن الرسول • وقد بلغ من عناية المسلمين بهذا الأمر أنهم يضربون عرض الحائط بكل ما يقال عنه ﷺ مما لم يرد له ذكر في كتب السنة مهما حمل من إشادة وتمجيد " (١) •

ثم عرض د/ البيومي ﷺ تلخيص النقاط البارزة في كتاب إيقاظ الغرب كما ألفه اللورد هدلي؛ ليدلل على أن إسلامه كان عن يقين وبصيرة، ويرد على من زعم أنه مصادفة أو تحت تأثير أحد الدعاة .

وبذلك جلا د/ البيومي ﷺ شخصية هذا الداعية الكبير، فبالرغم من أنه انجليزي الأصل إلا أنه دخل في الإسلام عن اقتناع، فقد وجد فيه حلاً للألغاز التي وقفت أمامه في المسيحية، وكان له عظيم الدور في الدعوة إلى الإسلام وردّ شبهات خصومه فجزاه الله خير الجزاء وبرّد بالرحمة مثواه •

وفي الاتجاه الثالث: الذود عن مقدسات الشريعة تأخير من أعلامه الأستاذ/ محمد فريد وجدي ﷺ، وقد تحدث د/ البيومي ﷺ عنه تحت عنوان (محمد فريد وجدي العلامة الموسوعي الناقد) (٢) قائلاً: " كان الأستاذ/ وجدي صاحب رسالة هامة يكرّس في سبيلها جهده، ويبذل في تبليغها قوته وماله، فلم يكن يتخذ من الكتابة الأدبية مجالاً للتزويد والمباهاة، ولكنه وضع أمامه هدفاً مرموقاً يجهد في الوصول إليه •

فقد رأى الإسلام لعصره غرضاً تتجه إليه السهام ويتناولها أعداؤه بالافتراء والتشكيك • أما أنصاره فقد أضافوا إليه من الخرافات والغرائب ما ضاعف محنته وأعان الموتورين عليه من ذوى الأهواء ••، فتجرد لكفاحه النبيل وأصدر الكتب المتتابعة، وأنشأ الصحف والمجلات المتعاقبة وسارت الأيام بأبحاثه وآرائه حتى أصبحت آثاره العلمية ملاذاً يعتصم به الإسلام في مهب الزعازع " (٣) •

(١) السابق ص ١٤٩ — ١٥٠ •

(٢) وله مؤلف بعنوان محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي — ط دار القلم — دمشق الطبعة الأولى سنة

١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣ م •

(٣) النهضة الإسلامية ج ١/ ١٢١ — ١٢٢ •

ثم تحدث د/ البيومي عن الأستاذ/وجدي قائلاً: " لقد بدأ الأستاذ خطوه العلمي وهو يعرف اتجاهه الصحيح، وذلك من فضل الله، لأن صاحب الاتجاه المحدد، ليس كاتباً فحسب، بل هو قائد ذو رسالة، يهدف إلى جمع الناس حولها، والتفافهم نحو مثلها، ومثل هذا القائد لا يهدأ له مضجع حتى يزيل الأوهام عن كل شك يعتري الناس في حقيقة ما يقرره، وهذا ما كان من أمر الأستاذ وجدي علي أوسع نطاق! •

كان أول كتاب ألفه الشاب الناشئ صرخة في آذان من يستمعون إلى الترجمات الأوروبية الملحة في ذات الله، حيث رأى مقالات الإباحيين وقصص المبتدئين، ومن ورائهم سموم الاستشراق تطالع الناس في صحف سيّارة، وكتب مستقلة، وهدفها الأوحاد زعزعة الإيمان بالخالق في النفوس، بل وُجد في هذه الحقبة من يعد الإلحاد في ذات الله سمواً فكرياً لم يصل إليه المتديّنون الذين يقرؤون كتب القرآن والحديث! ولهم شكوكهم التي قرأها الأستاذ فوق في حيرة، وحاول السؤال عنها فوجد الباب موصداً لا يتسع لنقاش، ومن ثم اتجه إلى التفكير المستقل، حتى اهتدى إلى صواب حقيقي أزال عنه الشك • وكأنه رأى أمثاله من الشبيبة الناهضة، يخوضون غمرات هذا الشك دون أن يهتدوا إلى سبيل، فعجل بالتأليف في هذه السن المبكرة، لا ليقال: إنه كتب وألف! بل ليرتد سبيلاً قلّ طارقوه، وعثر مجتابوه، فكان كتاب (الفلسفة الحقّة) الصرخة الأولى من ناشئ لم يبلغ العشرين! " (١) •

ثم تحدث د/ البيومي عن إصداره لدائرة معارف القرن العشرين قائلاً: "وقد كانت مصر في مطلع هذا القرن ذات حاجة ماسة إلى ذخيرة وفيرة من المعارف الإنسانية في شتي العلوم الحديثة فليس بها من المؤلفات العصرية ما يسد فراغاً هائلاً يوحى بالجهالة الأمية، وينذر بالتقهقر السريع إلى عصور الظلمات فعكف الأستاذ/وجدي علي

إصدار دائرة معارف القرن العشرين في عشرة مجلدات ضخام، وأعد لها مطبعة خاصة تخرج علي الناس بإنتاج الكاتب وحده — دون غيره — !! (١) •

ثم تحدث عن نقده للكتب الذائعة التي تحارب الفكرة الإسلامية قائلاً: "وقد ظهرت لعهد طائفة كثيرة من الكتب البراقة لأقلام لامعة نشيطة تحارب الفكرة الإسلامية، وتصادف ارتياح الأغمار ممن لا يفيئون إلي دراسة واسعة أو تفكير مستقيم • وما أكثر من يصفق للجديد دون روية أو تبصر مهما تكشف مثالبه واتضحت سوءاته • ولكن فريدا يقف بقلمه الجبار أمام ما يخرج هؤلاء جميعاً، فيتلقى الكتاب الذائع بالنقد الصائب والتفنيد السديد وطريقته النقدية تدعو إلي الإعجاب والعجب معاً، إذ لم يسمح مرة ليراعه أن ينال شخوص ضحاياه علي كثرتهم الغالبة، بل اتجه إلي الآراء وحدها، يعرضها كما ذكرها أصحابها في أمانة وإحاطة، ثم يدفع بالتالي هي أحسن، دفع المحيط الوثائق دون أن تأخذ نشوة الفلج، فيكيل لصاحبه ما يند عن آداب البحث ومقتضيات اللياقة بل إنك تراه يؤيد ما يتفق مع وجهة نظره تأييداً يغمره بالثناء والإطراء، فلا تدري أنت أم مهاجم أم مدافع! " (٢) •

ثم تحدث عن كفاحه في مضمار السياسة قائلاً: "ولم يغفل محمد فريد وجدي حق مصر عليه، فقد كافح في مضمار السياسة، إذ أصدر صحيفة (الدستور القومية) لتكون منبر الوطنية الصادقة في عهد الاحتلال، وقد تعرض إلى هزات عنيفة دفع إليها تمسكه بمبدئه الصريح، فقد وقف الخديوي عباس منه موقفاً قاسياً حين رفض الأستاذ أن يجعل صحيفته مطية لحزب تركيا الفتاة إذ رغب إليه صاحب القصر أن يمحو شعارها الرسمي (لسان حال الجامعة الإسلامية) لتتجه إلي تأييد فكرة إدماج العرب في القومية التركية!! •

(١) النهضة الإسلامية — ج ١/ ١٢٣ — ١٢٤ •

(٢) السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ •

ومع ما بذل من عروض سخية في الجاه والمال فقد أصرَّ صاحب الجريدة على شعارها الدائم، وحاربتة الدولة بمضايقاتها الكثيرة، فاضطر إلى تعطيل صحيفته وهو مستريح الضمير لموقفه الصحيح " (١) .

وعن أبحاثه الروحية يحدثنا د/ البيومي رحمته الله قائلاً: " وقد اتجه الأستاذ وجدي إلي الأبحاث الروحية، فأصدر مجلة خاصة بها، وأفرد لها أجزاءً متتابعة من مؤلفه القيم (على اطلاع المذهب المادي) وقد اتخذ منها حجة قوية يحارب بها من ينكرون الحقائق الغيبية في عالم السموات والأرض، وساعدته الاستكشافات الأوربية في هذا المجال مساعدة ناجعة فتابعها بلذة وشغف، وأخذ يفسر ظواهرها ويعلل نتائجها، حتى أصبح — في اللغة العربية — فارسها المعلم وكاتبها الحصيف، وقد أتاحت له ثقافته العميقة في علوم النفس والاجتماع والفلسفة فيضاً زاخراً من الحجج العقلية والأسانيد الكونية أكسب مقالاته قوة ومتانة، كما أورثه تضلعه العريق في اللغة العربية أسلوباً مشرقاً واضحاً يصل به إلي أهدافه الفكرية وصولاً أخذاً لا ينقصه البريق والنصوع، حتى قال عنه الأستاذ باول كراوس: إنه ملك كُتَّاب العرب علي الإطلاق " (٢) .

بهذا اتضح : ما قام به الأستاذ/محمد فريد وجدي رحمته الله من جهود مضيئة في الذود عن الإسلام، ودفع أباطيل خصومه، وقد عرض د/ البيومي رحمته الله ما قام به الأستاذ/محمد فريد وجدي رحمته الله عرضاً وافياً معدداً مآثره العظيمة، ومشيداً بعلمه الغزير، وما ذكرته غيض من فيض مما ذكره د/ البيومي رحمته الله .

وفي الاتجاه الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أتخير من أعلامه الأستاذ/ أحمد غلوش رحمته الله، وقد تحدث عنه د/ البيومي رحمته الله تحت عنوان (أحمد غلوش رئيس جماعة المسكرات وداعية الإسلام) في الجزء الثاني من موسوعته النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، وبدأ حديثه متعجباً كيف رحل هذا الرجل العظيم دون أن تفيض الأقلام في وصف كفاحه الدعوي في ميادين العمل النافع ابتغاء

(١) نفس السابق ص—١٢٧ .

(٢) نفس السابق ص—١٢٨ —١٢٩ .

مرضاة الله حقاً طوالاً جاوزت الستين إلى أن قال: "أفلو كان الراحل ممثلاً عصرياً شارك في إفساد النشء بما قدم من أباطيل، أفلو كان الراحل مطرباً فنياً ساعد على الهدم الخلقي بانتشار الأغاني الماجنة والتخريب الإنساني، أو لو كان الراحل قصاصاً يلتقط فضائح الجنس، وينسج حيل الإثم!

لو كان الراحل شيئاً من ذلك، لرأينا الصور الحزينة والمراثي الحارة والأعمدة الطوال، والكلمات الإذاعية تحتشد لذكراه احتشاداً وتضجر الأسماع والعيون بما تهرف من أراجيف! ولكن الراحل بعض من أسلم وجهه إلى الله وهو مؤمن، واستمسك بالعروة الوثقى، وقد كرمته الدولة حين منحته جائزة التقدير في بعض أعياد العلم، ولكن الذين يكتبون في الصحف ويتحدثون في الإذاعة لا يهتمون بأمثال هؤلاء الأبطال، إذ حيل بينهم وبين ما يعملون! " (١) .

ثم يحدثنا د/ البيومي رحمه الله عن محاربته للمسكرات قائلاً: " كان الدكتور غلوش في أوائل هذا القرن شاباً موظفاً بالإسكندرية، وهي حينئذ تعج بالأجانب، إذ تضم أكبر مجموعة من الجاليات الأوروبية، ولكل جالية حاناتها المنتشرة في ربوع الثغر، فصارت الخمر تشرب علناً في الطرقات، وأصبح شاربوها المعربدون لا يجدون من يمنعهم حين يتوقحون مخمورين، ويتمايلون عابثين، إذ أن قانون الامتيازات الأجنبية كان في عهد الاحتلال يحمي هؤلاء المفسدين أن يؤاخذوا بما يصنعون! .

وزاد الأمر سوءاً أن الذين في قلوبهم مرض، وفي إيمانهم فتور من المواطنين، اندفعوا يقلدون هؤلاء الفجرة فيما يأنمون إذ رأوا في محاكاتهم الوقحة مدعاة مدنية وحضارة، ودليل تقدم وحرية، فكثرت الحانات بالإسكندرية كثرة لم تلبث أن امتد وباؤها إلى أكثر عواصم القطر المصري وحواضره، وكان مما يؤسف المؤمنين أن تقام الحانات في بعض أحوالها قريباً من دور العلم وأماكن العبادة، دون أن يستشعر أصحابها خجلاً من أنفسهم! .

واستيقظ أصحاب الحانات فجأة ليجدوا أنفسهم أمام حرب لافحة يقودها الدكتور غلوش فلجئوا إلى الحرب الباردة، إذ أذاعوا أن الدكتور غلوش يتاجر سراً في الحشيش والأفيون، فهو يحارب الخمر بضراوة كيلا تقف دون رواج تجارته!، وانتشرت الأكذوبة في الناس، فما كان من المجاهد الذكي إلا أن أعلن أنه غير اسم جماعته من (جمعية منع الخمر) إلى (جمعية منع المسكرات) كيلا تقف عند الخمر وحدها، بل تتناول كل مسكر أو مخدر، ثم أخذ في اجتماعاته يحلل ما تتضمنه المسكرات بعامة من شرور!، وكان تغيير الاسم مفاجأة مفحمة جعلت أصحاب الشائعات يرتدون خائبين! وإذا كان بعضهم من ذوي الصلات الوثيقة بالحاكمين في القاهرة فقد سعوا إلى نقله عن الإسكندرية وأجيبوا إلى ما يطلبون .

فاتجه الدكتور/غلوش إلى القاهرة ليسير بنشاطه في ميدان أوسع وأشمل .فاتخذ مقراً رئيسياً لجمعيته في حي السيدة زينب! ووجد أنباء جهاده تسبقه وتشق له الطريق فارتاح إلي ما قدر له من هجرة الثغر، لأن الصحف اليومية والأسبوعية باتت على مقربة منه، فجعل يمدّها بشتى الأبحاث الخاصة بأضرار المسكرات .

وحين رأى خصومه يواجهونه بانتشار الخمر في جمهرة البلاد الأوربية دون أن تحدث لذويها ما يشير إليه من الأدواء عمل جاهداً على أن يتصل بجمعيات منع الخمر في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا، وسائر العواصم الغربية، ليأخذ عنها ما تقول كي يقنع بعض من لا يعجبهم غير المنطق الأوربي ممن هانت نفوسهم، ففقدوا الثقة في عقولهم، وصاروا هباء تبده أعاصير المستعمرين، وقد لبّت هذه الجماعات رغبته فأرسلت إليه إحصائيات كثيرة بما انتاب طوائف المدمنين من إنهاك الجسم وجنون العقل، وانحطاط قوى النسل، مؤيدة ذلك بتقاريرات المجمع الطبية، والهيئات العلمية " (١) .

ثم يحدثنا د/ البيومي عن رحلة الدكتور/غلوش إلى أوربا قائلاً: " وكان الدكتور/غلوش لم يكتف بما سيق إليه، فرأى أن يرحل بنفسه إلى أوربا، ليستمع إلي

رؤساء الجمعيات من أمثاله، ويناقشهم الرأي في أمضي الأسلحة، وقد كانت رحلته الأولى إلى الغرب بركة وخيراً علي الإسلام، إذ ناقش القوم بما يتصورنه ديناً وثنياً خرافياً لا يلائم المدنية، ولا يقوم برغبات العصر!، فهاله أن يعرف ذلك، وانطلق يكتب بالانجليزية مؤلفاً وافياً بأصول الإسلام وتعاليمه ثم يطبعه على نفقته، ويقوم بإهدائه إلى من يتوسم فيهم الإنصاف من صفوة المفكرين، ثم علم أن قراءه في حاجة إلى نصوص قرآنية ونبوية فبادر بترجمة معان شافية لآيات القرآن ونصوص الحديث!

وهكذا اتسع ميدان الجهاد الإسلامي أمام الدكتور/ غلوش فأصبح من دعاة الإسلام في أوروبا! وصارت كتابته الإسلامية موضع النظر والمراجعة" (١) .

من هذا اتضح: ما قام به د/البيومي رحمته الله من تجلية دور الداعية الحركي الذي قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان له الفضل العظيم في محاربة المسكرات والقضاء عليها، كما كان له عظيم الفضل في نشر الإسلام في أوروبا، حيث أزال ما علق بأذهان الغرب عنه، وأعطاهم الصورة الصحيحة عن الإسلام، وقد جاهد بنفسه وماله في سبيل ذلك .

وعندما انتقل إلى جوار ربه كان من المنتظر أن تهب الأقلام لوصف ما قام به من كفاح وجهاد في سبيل الدعوة ونشر الإسلام، ولكن تقاعس القوم كما هو عادتهم عند نعي الدعاة والعلماء يغفلونهم إغفالاً واضحاً، في حين أنهم يفيضون في نعي أهل الفسق والفجور من الممثلين والمغنين وغيرهم .

وقد قيّض الله تعالى د/ البيومي رحمته الله رحمة واسعة فقد كتب عن هذا الداعية العظيم الدكتور أحمد غلوش برد الله بالرحمة مثواه وأفاض في ذكر جهوده وكفاحه بما يفي له حقه، ويخلد ذكره، وهذه عادة العلامة د/ البيومي رحمته الله في الكتابة عن الأعلام الذين رحلوا وكانوا نسياً منسياً في دنيا الناس، كتب عنهم في هذه السلسلة العظيمة وفي غيرها أسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناته وأن يجزيه خير الجزاء .

وفى الاتجاه الخامس: تقدير التاريخ الإسلامي، والنظر إلى أبطاله بعين الإنصاف مع التصدي لكل شبهة يلوكها الاستشراق أخير من أعلامه الأستاذ/ عبد الوهاب النجار رحمته الله .

وتحدث عنه د/ البيومي رحمته الله في الجزء الثاني تحت عنوان (عبد الوهاب النجار المؤرخ، الباحث، المجاهد) قائلاً: "ولد الأستاذ النجار بالقرشية في منتصف مارس سنة ١٨٦٢م، وكان والده ممن يميلون إلى التصوف، وحدث أنه كان يقرأ في كتاب الطبقات للشعراني ساعة بشر بمولده، فسمي وليده عبد الوهاب تيمناً بمؤلف الطبقات، وكأنه أراد بذلك أن يكون الوليد من رجال العلم الصوفي، وقد سار في تربيته على نحو يؤهله لما يريد، فعمل على حفظ القرآن في طفولته، ثم أرسله إلى الجامع الأحمدى في طنطا، ليتلقى الدراسة الأزهرية في يفاعته، وكانت للطالب نفس تهيم بالأدب على حد ذاته ٠٠ - وأعجب بالشاعر حافظ إبراهيم - فأكب على كتبه رواية وحفظاً واستيعاباً .

ثم جدّ من الأحداث ما دفعه إذ ذاك إلى دراسة المسائل الدينية في أصول الإسلام والمسيحية وهو بعد في سنواته الدراسية الأولى، إذ أن أحد القسس الانجليز من البروتستانت قد تزيا بزى الأقباط، ووفد إلى طنطا في بعثة تبشيرية سرية، وكان أكبر همه أن يحوّل الاعتراضات المغرضة ويذيعها بين الناس، ثم أخذ يجتمع بطلبة المعهد الديني ليلقي إليهم سمومه في ثوب أسئلة دينية تتطلب الإجابة، فلم يطق الفتى الناشئ صبراً على التبشير المقصود، وأخذ يحاصر القس مع نفر من زملائه سائلاً مساجلاً متهماً، حتى تحولت طنطا إلى ساحة سجال ديني، وانتقل صدى هذا النقاش إلى القاهرة، ثم أبرق القس إلى الجهة التي أرسلته في انجلترا فضجت واتهمت المصريين بالتعصب الديني وتدخل اللورد كرومر المعتمد البريطاني حين رأى من الحكمة إبعاد القسيس عن طنطا كي لا يؤجج حرباً دينية .

ولولا ثبات النجار ورفاقه لتمادي المبشر في غيه مشمولاً بعناية الحاكمين من المحتلين ٠ ثم انتقل النجار إلى القاهرة والتحق بدار العلوم، فكان نجماً لامعاً، وزميلًا

عظيماً (لعبد العزيز جاويش) رَحِمَهُ اللهُ، (وأحمد إبراهيم) رَحِمَهُ اللهُ، (وحسن منصور) رَحِمَهُ اللهُ من أبناء فرقته الدراسية، ولم يكد يقوم بتدريس اللغة العربية في مدرسة عابدين الأميرية حتى وجد المدرسة الانجليزية بباب الخلق تقوم بالتبشير العلني للمسيحية مشمولة برعاية كرومر السفارة!

وقد ضمت إليها نفرًا من القسس يدعون المسلمين صراحة إلى الدين المسيحي فتذكر جهاده السالف في طنطا واختار نفرًا من رفاقه المدرسين وتوجه إلي مقر التبشير ليناقدش القسس فيما يدعون! ثم والى ذهابه يومياً إلى المدرسة مع رفاقه، إلى أن فوجئ ذات مساء بكوكبة من الجند تخف للقبض عليه مع زملائه، وتحرم عليهم دخول هذا المكان! فاتجه من الفور إلى الأستاذ محمد زكى الدين سند وكان من خيرة الدعاة للإسلام حيث اتفقا علي تأسيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، لتجمع الشباب الإسلامي كل مساء في منتداهما العلمي مفندة مزاعم التبشير، وهاتفة بمجد الإسلام! وكانت أول جمعية إسلامية تؤلف للدعوة الإسلامية في مصر وقد اتسع نشاطها فضمت الكبار من الوزراء والعلماء والقضاة وصار لها مجلة تسجل محاضراتها وتذيعها علي الناس .

ثم رأى الأستاذ أن يغذى الصحف اليومية بآرائه الدينية والاجتماعية، فظهرت مقالاته المتتابعة تعالج شئون الإصلاح حتى صار له ذكر طائر في قومه، فانتدب إلى التدريس بالمدارس العالية ورحل إلى الخرطوم في سفارة علمية ثم رجع ليكون أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية القديمة، فأتيح له أن يشرف علي تهيئة جيل جديد يتفتح للبحث العلمي في شتى فروعهِ" (١) .

ويحدثنا د/البيومي عن مجال دعوة الأستاذ/ عبد الوهاب النجار عن طريق جمعية الشبان المسلمين قائلاً: "ولعل أبرز مجال أنفسح أمام الشيخ في مضمار الدعوة

الإسلامية هو مجال جمعية الشبان المسلمين (١) ، منذ سعى مع الأستاذ (عبد العزيز جاويش) رَحِمَهُ اللهُ والدكتور (عبد الحميد سعيد) رَحِمَهُ اللهُ إلى تأليفها لنقوم برسالة الإسلام الثقافية والاجتماعية، فتصد التيار الغربي المناوئ، وتدعو إلى إحياء أمجاد السلف، وترد الثقة بحضارة العرب وعظمة الإسلام، وفي قاعة هذه الجمعية جلجل صوت النجار عالياً في كل مناسبة تحين، بحيث صارت منتدى ربيعاً لكبار المخلصين من رجال الشرق والإسلام وأصبحت منبر الداعين إلى الله فاجتذبت أفواج الشباب وكشفت خداع المروجين لمادية الغرب وبهارجه وأقامت حصناً واقياً للفكرة الإسلامية، وظهرت مجلتها الرسمية تذكر المسلمين بسلفهم الصالح، وقد يكون غريباً أن يصبح الشيخ النجار محرر باب الإفتاء الفقهي في المجلة، ليصدر عن ثقافة أصيلة تمددها خبرة وافية بأحوال العصر، وملابس العرف وتطور التشريع!"(٢) .

وعن منهجه في التحقيق التاريخي يحدثنا د/ البيومي قائلاً: "على أن الأستاذ النجار كان نسيج وحده في معالجة التاريخ! إذ هدته بصيرته إلى مناقشة الافتراءات

(١) تكونت أول جمعية عمومية للشباب المسلمين في يوم الجمعة أول جمادي الآخرة سنة ١٣٤٦هـ الموافق الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٢٧م حيث اجتمع نفر من الشباب المسلم المؤمن بربه ، وعقدوا الجمعية العمومية الأولى ، وانتخبوا المرحوم الأستاذ / محمد الخضر حسين أول رئيس لجمعيات الشبان المسلمين .

وتتلخص أهدافها في الآتي :

أ — خدمات دينية وعلمية وثقافية .

ب — مساعدات اجتماعية .

ج — تنمية المجتمع .

د — الحفاظ علي البيئة وإثرائها .

هـ — العمل علي تنشئة الشباب نشأة صحيحة دينيا وثقافيا ورياضيا واجتماعيا ، وتهيئة الوسائل والظروف التي تعينه علي تفهم تعاليم دينه ، والتزود من ينابيعه الصادقة عن طريق إنشاء دور الحضانات والمدارس الإسلامية ، والمعاهد العلمية .

و — توثيق رابطة الإخاء والتضامن بين المراكز والجمعيات الإسلامية علي الصعيد الدولي ، وتبادل الزيارات والبعثات بين المركز العام والهيئات الأخرى الدولية والانضمام للمنظمات العالمية وثيقة الصلة بأغراض المركز بعد أخذ موافقة الجهة المختصة . . . الخ

هذه الأهداف . ينظر كتيب التعريف بجمعيات الشبان المسلمين ، وعنوانه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين خمسة وسبعون

عاما في خدمة الإسلام والعروبة — تاريخ الإنشاء — الأهداف والأغراض — الإنجازات — طبع بمعرفة المركز العام لجمعيات

الشبان المسلمين بالقاهرة ص ٢ — ٥ .

(٢) النهضة الإسلامية ج ٢ ص ١٤٨ .

الزائفة شبهة شبهة في كل مناسبة تعن، وقد ساعده علي ذلك ذاكرة نيّرة تستوعب الأحداث المختلفة استيعاباً شافياً، ومن ورائها عقل مدرك ينظم ويرتب، وينفي ويثبت! وما زال الباحثون يتناقلون آراءه الصائبة في بيعة أبي بكر — ﷺ — ومقتل عمر — ﷺ — ، وحادث التحكيم وخرافة إحراق مكتبة الإسكندرية، وما خب فيه المغرضون مما استطاع المؤرخ البصير أن يجلوه أنصع جلاء! " (١) .

من هذا يتبين أن الأستاذ/عبد الوهاب النجار صاحب اليد الطولي في مكافحة التبشير، ومواجهته في عقر داره، وإخماد فتنته، كما أنه صاحب الفضل في تحقيق التاريخ، ويعد من رجال التاريخ الإسلامي الذين كان التوفيق حليفهم في هذا الجانب .

وفي الاتجاه السادس: مجال تنشيط الأدب العربي وإحياء اللغة العربية أتخير من أعلامه الأستاذ/عبد القادر المغربي ﷺ، وتحدث عنه د/ البيومي ﷺ في الجزء الرابع تحت عنوان (عبد القادر المغربي العالم اللغوي الأديب) قائلاً: "كنا ونحن طلاب بالأزهر ننتظر انعقاد مؤتمر المجمع اللغوي بشوق زائد، لنحظى برؤية أفذاذ العلماء من الشرق والغرب، ولننظر إليهم وجهاً لوجه، حين يلقون أبحاثهم الأدبية، ويشافهون الجمهور في حفلات الافتتاح بما يريدون، وفي طليعة هؤلاء الأماثل شيخنا العالم الفذ: الأستاذ/عبد القادر المغربي ﷺ .

كان الشيخ بسمته الوقور، ومنظره الرائع يجذبنا إليه أكثر من غيره، فكنا نلاحقه في ردهات (٢) المجمع لنأنس بحديثه، ونستفسر عن مكان إقامته، وأنواع زيارته، كي نتابعه فيما تنهياً لنا متابعته عن ارتياح منه" (٣) .

ويحدثنا د/ البيومي عن الإنتاج العلمي للمغربي قائلاً: "إن من يقرأ إنتاج المغربي في شتى ميادين العلم والإصلاح يشاهد عجباً أي عجب! أرأيت إلى الزارع الماهر يجد أمامه أرضاً شاسعة فسيحة تتطلب الغرس والري، فهو يجمع لها شتى

(١) السابق ص ١٥٦

(٢) الردهة : مدخل البيت الذي تفتح عليه حجراته وطرقاته . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٢٦١ .

(٣) النهضة الإسلامية ج ٤/ ٢٤ .

البذور من مختلف الحاصلات: يغرس في ناحية قطناً، وفي ناحية أرزاً، ويشق الترع، ويتعهد الأشجار والكروم، ثم يتذكر أنواعاً كثيرة من الزروع، فيبحث عنها ليغرس منها في أرضه الشاسعة، وما يزال ينتقل من بذر إلى بذر، ومن ثمر إلى ثمر، حتى يلمس الخضرة الزاهية تملأ عينيه، فيستريح قليلاً، لبدأ العمل المتشعب من جديد. هكذا كان المغربي! ٠٠

لقد كتب في الفقه، وفي اللغة، وفي الأدب وفي التاريخ، وفي السياسة، وفي التفسير والحديث، وكان مضطراً إلى أن يخوض لجباً مختلفة ترحمه بطوفانها المترابك، لأنه يلمس خواء مذهباً في كل ناحية، فالأرض فقيرة إلى جميع الثمار، ولا بد أن ينوع المزروعات، ولو كان المجال مجال تخصص وإمهال لعكف على علم واحد، وأنّى ذلك! وهو في مرحلة انتقال فليعمل جاهداً في كل مجال " (١) ٠

ثم تحدث د/ البيومي عن مشاركته في قضية تحرير المرأة قائلاً: "لقد عاش في مصر، ورأى انحطاط المرأة وانزوائها تحت طبقات الجهل والمرض والاحتقار، ثم رأى الضجة الهائلة التي أحدثها (قاسم أمين) بكتابه الخطيرين، وشاهد تيارات صاخبة من المعارضة والتفنيدي، فاضطر إلى أن يبين رأي الإسلام كما يعتقد وأن يخوض المعركة إلى جوار قاسم ليثبت أن دعوة تحرير المرأة لا تعنى الخلاعة والتبرج والاستهتار، ولكنها تجنح إلى تربية المرأة وتنقيفها وتهيئتها لأداء دورها الطبيعي في الحياة! .

وما زال يكتب في الصحف ويحاضر في النوادي مستشهداً بما يطمئن إليه من النصوص وما يعرفه من وقائع الصدر الأول في الإسلام، وظل حديث المرأة شغله الشاغل أمدًا غير بعيد، ورأى خصومه في صلابته مجالاً للتزيد عليه، فما ازداد إلا يقيناً وصلابة، ثم جمع خلاصة آرائه في كتابه عن (السفور والحجاب) " (٢) ٠

(١) السابق ص ٢٨ ٠

(٢) نفس السابق ص ٢٨ — ٢٩ ٠

هذا بعض ما كتبه د/ البيومي رحمته الله عن الأستاذ عبد القادر المغربي رحمته الله، وقد أعربت هذه الكتابة عن ثقل المغربي رحمته الله وكيف أنه استطاع أن يخوض هذه اللجج المختلفة في بحار هذه العلوم المتنوعة، كما أنه خاض معركة المرأة مع أدعياء التبرج والسفور واستطاع بقوة علمه وثقافته المتنوعة أن يجابههم برأي الإسلام في قضية تحرير المرأة بما لا يدع مجالاً لمستزید . وبذلك أكون قد عرضت بعض ما كتبه د/ البيومي رحمته الله عن تراجع بعض العلماء في كتابه العظيم النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين بقي أن أشير بعد ذلك إلى ما كتبه عن علماء الأزهر بصفة خاصة في مقالات بمجلة الأزهر منذ ما يقرب من منتصف القرن، حيث كان له مقال شهري بمجلة الأزهر قبل أن يرأس تحريرها (١) بعنوان (من أعلام الأزهر) وأري أن أتخير مقالا من هذه المقالات لأعرض فيه طريقته العظيمة في الكتابة عن أعلام الأزهر الشريف . فقد كتب عن الإمام الأكبر/الظواهري رحمته الله مقالا بعنوان (من أعلام الأزهر الإمام الأكبر الشيخ/ محمد الأحمد الظواهري إنصاف بعد إجحاف) (٢) وقد بدأ حديثه عن القضية التي أثرت ضده قائلاً: "نعرف أن ثورة أزهريّة (٣) قامت في

(١) أُسند إليه تحرير مجلة الأزهر في ذو القعدة سنة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م . ينظر مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير سنة ٢٠٠١م الجزء الحادي عشر - السنة الثالثة والسبعون ص١٦٠١ .

(٢) ينظر مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤١٧هـ - ديسمبر ١٩٩٦م الجزء الثامن السنة التاسعة والستون - ص١١٣٠ - ١١٣٥ .

(٣) عانت مصر في تلك الفترة من أعباء الأزمة المالية العالمية المعروفة، وحدثت هذه الأزمة من قدرة الشيخ والحكومة على التوسعة على خريجي الأزهر في مجالات التوظيف ورفع المرتبات؛ مما أسخط الأزهريين عليه، فكان مما صنع أن فصل من الأزهر ٧٢ من شيوخه وعلمائه، وكان منهم الشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ عبد الجليل عيسى، والشيخ شلتوت، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ علي سرور الزنكلوني. لذلك ما إن بدا في الأفق السياسي قرب انتهاء النظام القائم في أواخر وزارة عبد الفتاح يحيى حتى انفجر ما يسمى ثورة الأزهر على الظواهري، وفي ٨ نوفمبر ١٩٣٤م قرّر قسم من طلبة الأزهر الإضراب عشرة أيام، ثم تابعه جميع طلاب الأزهر، واستمرّوا في المظاهرات رغم فصله زعماء الطلاب فصلاً نهائياً؛ كان منهم الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ محمد المدني، وتألبت على الشيخ الظواهري كل القوى الشعبية والحزبية ما عدا الملك الذي اضطر إلى قبول استقالته في ٢٧ أبريل ١٩٣٥م، وعاد المراغي شيخاً للأزهر للمرة الثانية، فأعاد على الفور المفصولين والمنقولين وغير ذلك من الإجراءات الجزئية. ينظر مشيخة الأزهر - أ/ علي عبد العظيم - ط - مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م)، تاريخ الجامع الأزهر - أ/ محمد عبد الله عنان - ط - مكتبة الخانجي - القاهرة (١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م)، الأزهر في ألف عام - محمد عبد المنعم خفاجي - ط - عالم الكتب - بيروت (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

وجه شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر/ محمد الأحمد الطواهري أدت إلى استقالته وقد أصبح قادة الثورة من الطلاب ذوي مناصب عالية فيما بعد، ومنهم من وصل إلى الوزارة، فأخذوا يتحدثون عن جهادهم الثوري بما يبرز زعامتهم الغالبة وهم في حديثهم لا ينصفون الحق قدر ما يجمعون مواقفهم .

ومن هؤلاء الأستاذ/ أحمد حسن الباقوري — رَحِمَهُ اللهُ — حيث بالغ في نقد الأستاذ الطواهري — رَحِمَهُ اللهُ — مبالغة دفعت أحد أبناء الشيخ إلى الردّ عليه في مجلة المصور وكنت أقرأ ما كتبه الأستاذ الباقوري وشيعته فأحس مبالغة واضحة، ولكنني أتمهل فلا أكتب رأيي حتى تجتمع بين يدي خطوط البحث المنصف، ثم أتيح لي أن أقرأ ما قاله الأستاذ الكبير محمد متولي الشعراوي — رَحِمَهُ اللهُ — عن هذه الثورة وكان أحد الطلاب المناهضين لشيخ الأزهر فوجدته يقول: هذه الحركة والحق يقال قد خدعنا فيها، قالوا لنا إن الشيخ الطواهري — رَحِمَهُ اللهُ — يعمل علي توظيف العالم الذي تخرج في الأزهر سبع عشرة سنة بثلاثة جنيهاً، وكان هذا مرتب المدرس الإلزامي، فكيف يحدث ذلك؟ وقمنا وتظاهرنّا مطالبين بإعادة الشيخ المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — إلي مشيخة الأزهر، وكان ذلك ضد الإرادة الملكية، وكان معهد الزقازيق الثانوي أول المعاهد الذي خرج طلابه يتظاهرون ويحتجون، ويطالبون بإبعاد الشيخ/ الطواهري عن الأزهر .

ثم تبين لنا الحقيقة بعد ذلك، وهي أن الميزانية التي كانت مرصودة لتوظيف الخريجين الجدد في هذه السنة ليست كافية لتوظيفهم جميعاً بالمرتب المعتاد، فأراد أن يتيح لهم جميعاً فرص العمل بمكافأة شهرية قدرها ثلاثة جنيهاً لكل واحد منهم حتى لا يتعطل أحد وذلك لحين توفير الميزانية الكافية لتعديل الرواتب، وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك وقد استجابت الدولة، وتم تعديل الرواتب .

ثم علق د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — على ما قاله الشيخ/ الشعراوي — رَحِمَهُ اللهُ — قائلاً: هذا ما قاله الشيخ الشعراوي، وقد دفعني قوله: (إننا خدعنا في ثورتنا علي الشيخ) إلى أن أبحث الموضوع ببعض التؤدة، ولست أسعى لتبرير أي خطأ تسرع فيه الشيخ، فهو بشر يخطئ ويصيب، ولكني أحاول أن أثبت موقفه علي حقيقته، ولا يغض هذا

من مكانة منافسه الإمام المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — ، فكلاهما ذو فضل بارز، ولن يضيق فاضل من أئمة الأزهر بفضل أخيه وكما قيل (يكره الفضل أن تضيق الصدور) (١) .
ثم شرع د/ البيومي في الحديث عن نشأته العلمية قائلاً: نشأ الأحمدي في بيئة علمية صوفية إذ كان والده شيخاً للجامع الأحمدي بطنطا وله شعبية كبيرة بين العلماء والعامّة معاً، وكان يميل إلى التصوف متخذاً إياه سبيل المعرفة الحقيقية للعلم، فتأثر ولده به في اتجاهه الصوفي، ولكنه في منحاه العلمي سلك سبيل تلاميذ الإمام محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — ، فكان يواظب على دروسه، ويعني باللباب من مسائل العلم، وكان الإمام يدعو تلاميذه إلى قراءة كتب حديثة تضاف إلى الكتب المتداولة فأصاح الطالب لهذه الدعوة وجمع الحديث والقديم في استيعابه .

وشاءت الظروف أن يكون امتحانه في العالمية أمام لجنة يرأسها الإمام، فتخوف الطالب حذراً أن يحسبه الأستاذ الإمام متأثراً بالشيوخ المعارضين لحركة الإصلاح، وأبوه في مقدمتهم وقد تحدث عن مشاعره الموجلة في مذكراته التي طبعت تحت عنوان (السياسة والأزهر) فقال: إنه تهيّب الموقف قبل أن يلج حجرة الامتحان، وكان من عادة الطلاب أن يبدؤوا بتقبيل أيدي الأساتذة قبل الجلوس، فما كاد يلمس يد الأستاذ الإمام حتى نزعها منه مكتفياً بلمس أصابعه، ثم فاجأه بأن قال له: سمّاك والدك الأحمدي نسبة لأحمد البدوي وسنري ما سيكون شأن هذا الرجل معك! قال الشيخ: كان لهذه العبارة المصحوبة بخطف يده مني أثناء محاولة تقبيلها أثر سيء في نفسي، فانقبض صدري، واسودت الدنيا في عيني، ولما طلب مني أن أبتدي الكلام تأخرت برهة ثم تماسكت وأجبت بطريقة غير طريقة زملائي، إذ عمدت إلي جوهر الموضوع دون تعلق بالحواشي الزائدة، وأيقنت أنني حزت قبول الإمام .

ولكن لم يظهر على وجهه ما يدل على سروره، فشق ذلك على نفسي، وصممت أن انتزع منه الإعجاب فخطر لي أن أعاود الكلام مرة أخرى في الموضوع نفسه فعندئذ قال الشيخ: لماذا تريد استئناف الكلام، لقد تكلمت كلاماً طيباً جيداً، وعالجت

البحث علاجاً رائعاً، والأحسن أن ننتقل إلى موضوع آخر، فكانت عبارة الإمام هذه كأنها البلمس الشافي، فاندفعت أجيب بالطريقة التي اخترتها، فقال الشيخ: إن ترتيب بحوثك وطريقة العرض مما يعجب ويروق، وسأخذ معك في ترتيب الأبحاث طريقاً جديداً، وأخذ يقلب أوضاع المسائل، ويخرج من علم إلى علم، حتى طال النقاش بضع ساعات على غير المألوف، حتى أرهقت إرهاقاً جسمانياً وعقلياً، فطلبت في نفسي شربة ماء، ولكنني سكت مهابة للشيخ، ثم غلبني الظمأ، فطلبت من الشيخ أن يأمر لي بشربة ماء، فقال الشيخ: أنت تستحق (شربات) لا ماء، فقد أحسنت كل الإحسان، وأرسل في طلب كوب كبير من (الخرنوب) لأشرب مع أعضاء اللجنة علي حسابه، ثم قال: لقد فتح الله عليك يا أحمدي، والله إنك أعلم من أبيك، ولو كان عندي فوق الدرجة الأولى لأعطيتك إياها، فكانت عبارته هذه حديث الناس في الأزهر، وأصبحت من أسباب سعادتي " (١) .

وفي التعليق على هذا الموقف الرائع قال د/ البيومي: "هذا ما كان من أمر الأحمدي - رَحِمَهُ اللهُ - مع الإمام/محمد عبده - رَحِمَهُ اللهُ - في امتحان (العالمية) وفيه دليل على نبوغ الطالب، وحسن استعداده، وفي رضا الإمام عن طريقته في الإجابة، وبعده عن طريقة زملائه التقليدية مما يدل على سعة أفق، باعثها القراءة خارج المحيط الأزهرى" (٢) .

ثم تحدث عن آثاره العلمية قائلاً: "كان من أعجب ما فوجئ الجمهور من آثار العالم الشاب محمد الأحمدي الظواهري أنه ألف كتاب (العلم والعلماء) (٣) في الرابعة والعشرين من عمره عقب تخرجه، وهو كتاب لا يفقد بريقه الأخاذ مهما تطاول عليه الزمن، لأنه صرخة عالية في وجه الجمود التعليمي بالأزهر، ولو كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده في مكانته الرفيعة في العالم الإسلامي ما عد غريباً عنه أسلوباً وتفكيراً

(١) السابق ص ١١٣١ - ١١٣٢ .

(٢) نفس السابق ص ١١٣٢ .

(٣) الكتاب صُودرت نُسخه وقت صدوره وأحرقت . ينظر موقع أزهرى - الشيخ / محمد الأحمدي الظواهري - الموقع / <http://www.azharitv.net/text-pages/view/id/١٧٧> . تاريخ الدخول ١٠ / ١ / ٢٠١٢ م الساعة الثانية ظهراً .

واتجاهاً ورسماً لخطوات الإصلاح، فقراءة الكتاب تدل على أن الشاب الناشئ قد أحاط بأدواء العالم الإسلامي بعامة ومصر بخاصة إحاطة المتألم المتأوه الذي يري خطوات الانحدار السريع تهوي بالتعليم الديني إلى الهاوية .

وأظرف ما في الموضوع أن كتاب (العلم والعلماء) يعارض معارضة تامة اتجاه والد الأحمدي وهو الشيخ إبراهيم الظواهري شيخ علماء المعهد الأحمدي، إذ كان في طليعة من يتمسكون بالقديم المتوارث من الكتب الخالية من الابتكار فكانت شجاعة الابن أنه نشر عن بيئته الخاصة، والبيئة العامة معاً في صلاصة لا تعرف التراجع، نشر عن هذه البيئة وهو يعلم أن الخديوي يقف بالمرصاد لكل داعية للإصلاح علي مذهب الإمام!

وأقول على مذهب الإمام لأن الأفكار التي جاء بها الأحمدي قد توافقت في أكثرها مع اتجاه الإمام، ولم تمنعه خصومة معشره للإمام أن يجهر في الكتاب بتأييده " (١) .

ثم عرض د/ البيومي الأفكار العامة للكتاب ومنهجه الإصلاحية فيه وأخيراً ختم بقوله: " وإني أدعو باحثي اليوم إلي دراسة هذا الكتاب ليأخذ وضعه الطبيعي في حركة الإصلاح العلمي، إذ مكانه من هذه الحركة مكان الأسس الثابتة في باطن الأرض من الجدران الناهضة فوقها، ولو خلص الأحمدي من الأعمال الإدارية في حياته وتفرغ لمثل هذه البحوث لكان من أعلام التربويين في هذا العصر، ولكن المناصب ذات أعباء ثقال، وقد حالت بينه وبين هذا النبع الرائق من الفكر المستقل الحي، وعزأونا أن بقي هذا الكتاب الرائع من ألمع آثاره الجياد " (٢) .

وبذلك أستخلص الآتي :

- ١- أن من بعض أهداف د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في التراجع عن العلماء أن يدفع عنهم ما حيك حولهم ظلماً، وهذا ما حدث حين كتب عن الإمام الظواهري — رَحِمَهُ اللهُ — ، فقد أنصفه بعد أن انخدع الأزهريون فأجحفوه .

(١) مجلة الأزهر — عدد شعبان سنة ١٤١٧هـ — ديسمبر ١٩٩٦م الجزء الثامن ص ١١٣٢ — ١١٣٣ .

(٢) السابق ص ١١٣٥ .

٢- التريث وعدم التسرع في الأحكام وهذا ما حدث بالفعل فعندما كان د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - يقرأ للأستاذ/أحمد الباقوري - رَحِمَهُ اللهُ - في نقد الإمام الظواهري - رَحِمَهُ اللهُ - كان يحس بالمبالغة الواضحة، ولكنه تمهل فلم يكتب رأييه في ذلك حتى اجتمعت لديه خيوط البحث المنصف .

٣- أن الإمام الظواهري - رَحِمَهُ اللهُ - علم شامخ صاحب قدم راسخة في العلم، وقد جمع بين القديم والحديث متأسيا بمنهج أستاذه الإمام محمد عبده - رَحِمَهُ اللهُ - ، وترك منهج والده الذي يدعو إلى التمسك بالقديم من الكتب الخالية من الابتكار، وبذلك نبغ وذاع صيته بين العلماء، وقد ظهر نبوغه منذ الصغر بسبب سعة أفقه الذي اتسع بالقراءة الممتدة خارج المحيط الأزهرى .

٤- حسن عرض د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - لسيرة الظواهري - رَحِمَهُ اللهُ - ومآثره، وقدرته على مواجهة الصعوبات التي تواجهه في الحديث عن هؤلاء الأعلام، مما يدل على عبقريته وذكائه العلمي فلا يكتب عن هؤلاء العباقرة إلا عبقرى مثلهم .

المطلب الثاني

دفاع عن شخصيات دينية مظلومة

وقد دافع د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - عن العديد من الشخصيات التي ظلمت وأجحفت بغير حق ويظهر ذلك من خلال ما عرضه في العديد من كتبه، ففي كتابه (من منطلق إسلامي) الجزء الأول كتب موضوعاً بعنوان (شخصيات دينية مظلومة في كتاب الأيام(١))، وتحدث عن ثلاثة من الأعلام قد أساء إليهم مؤلف هذا الكتاب وهبط بهم عن مكانتهم المنشودة مع أنهم من أعلام الفكر الإسلامي وهم:

١- فضيلة الشيخ/ طنطاوي جوهرى - رَحِمَهُ اللهُ - .

(١) كتاب الأيام كتاب في الأدب و مؤلفه د/ طه حسين ويقع في ثلاثة أجزاء وقد قرر هذا الكتاب على طلبة المدارس الثانوية، وقد جاوز مؤلف هذا الكتاب الواقع في الجزء الثالث منه، إذ هبط بنفر من أساتذته عن مكاهم المنشود، فأعطي الناشئة صورة غير حقيقية عن هؤلاء الأعلام . ينظر من منطلق إسلامي - د/ محمد رجب البيومي - ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون سنة طبع ج ١٤٧/١ - ١٤٨ بتصرف .

٢- فضيلة الشيخ/ محمد المهدي — رَحِمَهُ اللهُ — .

٣- فضيلة الشيخ/ محمد الخصري — رَحِمَهُ اللهُ — .

وفى كتابه (قضايا إسلامية) الجزء الأول كتب موضوعاً بعنوان (انقدوا الأعلام ولا تهدموهم) وتحدث عن ثلاثة من زعماء الوعي الإسلامي وهم زعماء الإصلاح: الأستاذ جمال الدين الأفغاني — رَحِمَهُ اللهُ — ، والإمام/محمد عبده — رَحِمَهُ اللهُ — ، والإمام محمد مصطفى المراغي — رَحِمَهُ اللهُ — . وأنصفهم من إحفاف فريق من الكتاب .

وفى كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الثاني كتب موضوعاً بعنوان (تبرئة ابن الفارض) ليدفع عنه ما نسب إليه من اعتقاده بوحدة الوجود .

وفى كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الأول كتب موضوعاً بعنوان (اتقوا الله في أئمة الإسلام) يدفع فيه ما كتبه بعض الكتاب عن ثلاثة من كبار أئمة الفقه يصممهم بحب الغناء وتعلمه والاستمالة إليه، وهؤلاء الأئمة هم: مالك بن أنس، وعطاء بن رباح، وابن جريج رحمهم الله .

وفى كتابه (من منطلق إسلامي) الجزء الأول كتب موضوعاً بعنوان (ما هكذا نتحدث عن العلماء) رداً على ما كتبه بعض الكتاب في الصحف من إساءة إلى العالم اللغوي النحوي (الكسائي) فقد كتب عنواناً كبيراً يحتل رأس صحيفة كاملة بخطه العريض الممتد يقول فيه: (الكسائي وصمة عار في جبين الضاد) .

وأري أن أتحدث عن ثلاثة ممن أنصفهم د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — وهم:

أ — الشيخ/ طنطاوي جوهرى — رَحِمَهُ اللهُ — .

ب — الإمام/ مالك بن أنس — رَحِمَهُ اللهُ — .

ج — الصوفي الكبير ابن الفارض — رَحِمَهُ اللهُ — .

١- الشيخ/ طنطاوي جوهرى:

ويحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن مكانته العلمية قائلاً: " كان الشيخ طنطاوي جوهرى من أعلام الفكر الإسلامي في عصره، وقد رشحه الدكتور/علي مصطفى مشرفة لجائزة نوبل تقديراً لمؤلفاته العلمية عن السلام العالمي . أما تفسيره العلمي

للقرآن فقد شغل الأذهان تأييداً ومعارضة في الربع الأول من هذا القرن حيث انتحي منحي علمياً، وجد المؤيد والمفند، فأحدث دويماً في المحيط الفكري " (١) .

ثم عرض د/ البيومي ما قاله د/ طه حسين عن الشيخ/ طنطاوي جوهرى بقوله: "ومفكر كبير من هذا الطراز العالمي النادر، لم يجد الدكتور/ طه حسين ما يقوله عنه في الجزء الثالث من الأيام غير قوله: كان يدرس الفلسفة الإسلامية بعد الأستاذ/ محمد سلطان والأستاذ/ سنتلانا خاصة، وكان يتكلم كثيراً، ولا يقول شيئاً، وكانت كلمات الجمال والبهاء والكمال والروعة أكثر الكلمات جرياً على لسانه منذ يبدأ الدرس إلى أن يتمه، وكان لا ينطق بكلمة منها إلا مد ألفها وأسرف في المد، وربما أخذه شيء من ذهول، وهو يمد هذه الألف، فيغرق الطلاب في ضحك، يخافت به بعضهم، ويجهر به بعضهم الآخر، ويفيق الأستاذ من ذهوله على هذا الضحك، فيلوم الطلاب، لا علي أنهم يضحكون، بل علي أنهم لا يشاركونه الإعجاب بجمال الطبيعة، وجلال الكون، وبهاء القمر، حين يرسل ضوءه المشرق على صفحة النيل، ويمد ياء النيل، فيسرف في مدها ويأخذه ذهول يرد الطلاب إلى ضحك متصل" (٢) .

ثم علق د/ البيومي ليدفع ما قاله د/ طه من التهكم بالشيخ فقال: "ويمضي الدكتور في مثل هذا الاستخفاف دون اقتصاد، وإذا كان من حقه وقد صور انطباعه الخاص نحو دروس الشيخ أن يقول ما يعتقد، فإن من الواجب العلمي عليه أن يقرن هذا التهكم المتصل ببعض ما يشير إلي فضل الأستاذ في إنتاجه العلمي المبتكر، وفي تأليفه الموسوعي الذي ترجم إلي عدة لغات!

أما أن يكون هذا التهكم الخالص كل ما يخص الرجل من تلميذه، فذلك إجحاف صارخ، إن أحس به الدارسون فلن يشعر به من يقرءونه من الطلاب .

ولو قرأ الدكتور طه حسين ما نشره الأستاذ/ طنطاوي جوهرى في مجلة الرسالة عن نشأته في ريف الشرقية، وانبهاره بجمال الطبيعة انبهاراً دفعه إلي البحث

(١) د/ محمد رجب البيومي — من منطلق إسلامي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون سنة طبع ج ١٤٩/١ .

(٢) السابق ص ١٤٩ — ١٥٠

في نظامها الكوني، حتى أثبت نظريته الخاصة في السلام العالمي مستنداً إلى سلام العوالم الكونية حين تسير كواكبها وفق النظام الدقيق .

لو قرأ الدكتور ذلك لعرف أن هيام الشيخ بجمال الطبيعة هو الحجر الأساسي في فلسفته الفكرية، فإذا حاول أن يغرس هذا الهيام في نفوس طلابه، فهو أمر طبيعي لا يحتاج إلى رسم كاريكاتوري يضخم الحصة كي تظهر وكأنها طود كبير" (١) .

من هذا يتبين إنصاف د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — للأستاذ/ طنطاوي جوهري بعد أن أحجفه الدكتور طه حسين في كتابه الأيام بذكر الهنات وإغفال الحسنات، ولو أنصف د/ طه حسين لأردف حديثه عن هنات الرجل بالحديث عن فضله ومكانته العلمية، لأن الإنصاف إعطاء الرجل ماله وأخذ ما عليه .

٢ — الإمام مالك بن أنس (٢) — رَحِمَهُ اللهُ —: وقد كذب بعض الكتاب كذبا صريحا عليه، فنقل عنه تعلمه للغناء وتعلقه به، وقد نقل د/ البيومي هذا الكذب ليرد عليه بما يُخرس لسان قائله وينصف الإمام وبدأ بذكر ما قيل فقال: "في تاريخ الإمام أنه تعلم الفقه والحديث من كبار الشيوخ والمحدثين، ولكن أول شيء بدأ بتعلمه كان هو الغناء، وكانت في الحجاز مدارس كثيرة، ومذاهب يختلف فيها الناس ويتجادلون، وأحست أم مالك ميل ابنها للغناء وتعلمه، فصرفته عن ذلك قائلة: إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء، واطلب الفقه، وكان من ذلك كما قاله هو، تحوله إلى الفقه . ولكنه بقي علي حبه للغناء وممارسته في بعض الأوقات، ونلاحظ هنا أن أم مالك

(١) نفس السابق ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٢) هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ، سليل بيت العلم والفقه ، كان جده مالك تابعيا كبيرا ، وجده الأعلى أبو عامر صحابيا جليلا . ولد بالمدينة المنورة عام ٩٣هـ — وتوفي عام ١٧٩م ، وعاش بها ولم يرحل عنها إلا حاجا . كان قويا في الحق عظيم الإيمان يصدع بما يري ، وإن أغضب ذوي النفوذ والسلطان ، أودى في الحق حتى إن جعفر بن سليمان والى المدينة قد ضربه بالسياط لما نُسب إليه أن البيعة لا تصح مع الإكراه ، بما يفيد أن بيعة بني العباس باطلة ، وقيل لأنه أفقّ بتحريم زواج المتعة . لم يجلس علي كرسي الفتوى ويتصدي لذلك إلا بعد أن شهد له سبعون بأنه أهل لذلك . قال فيه الشافعي رَحِمَهُ اللهُ مالك حجة الله علي خلقه بعد التابعين . تنقل بين العلماء والشيوخ يأخذ عنهم العلم ويجمع أحاديث النبي ﷺ . أشهر كتبه هو الموطأ وهو كتاب جليل في الحديث والفقه جمع فيه ما صح عنده من أحاديث أهل الحجاز وفنأوى الصحابة والتابعين . ينظر مدخل الفقه الإسلامي — مرجع سابق ص ١٤٩ — ١٥٠ بتصرف يسير

لم تحب اشتغال ولدها بالغناء، ولم تستنقص تعلمه، ولا الاشتغال به لا من ناحية الدين ولا من ناحية المجتمع، بل أرادت مالكا على أن ينصرف عنه حرصا على مستقبله كما نقول في لغة عصرنا!!

وفي تاريخه أنه لم يتعلم فقط الغناء وأنه كان أول شيء تعلمه، بل إنه كان نقادة للغناء، وأستاذاً معلماً يعلمه غيره، ففي تاريخه أن سائراً في الطريق، وقت الظهيرة كان يغني بيتاً من الشعر يقول:

ما بال قومك يا رباب خزراً كأنهم غضاب

وسمعه مالك، فأطل عليه من خوخة بابه وقال له: يا فاسق، أسأت الغناء، ومنعت القائلة — أي: أزعجت الناس وقت راحتهم وقيلولتهم وأشعت الفاحشة — ثم أخذ مالك يغني، فظن عابر الطريق أنه (طويس) أبرع المغنيين وأعظمهم في عصره، فسأل مالكا، من أين لك هذا الغناء الجيد البارع؟ فأخبره مالك خبر تعلمه الغناء وهو صغير، فطلب السائر أن يعيد الغناء الذي غناه، فأجابه مالك جواباً لبقاً ظريفاً يقول: لا والله تريد أن تحفظه وترويه وتغنيه وتقول أخذت هذا الغناء عن مالك بن أنس (١) • وفي مجال التعليق لإحقاق الحق وإنصاف الإمام قال د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ —: "هذا ما قاله الكاتب، وهو في لبابه منقول عن أبي فرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني • فإذا تأملنا هذا القول، وجدناه ينطق بكذبه الصريح، لأسباب يلحظها دارس سيرة الإمام في مظانها الصادقة، فلا يسعه إلا الرفض الصريح لأمر أهمها:

أولاً: إن جميع الذين تحدثوا عن هيئة مالك — رَحِمَهُ اللهُ — في طفولته وصباه ذكروا أنه كان أزهر أشقر واسع العينين، ولم يُرَ بياض في حمرة أحسن من وجه مالك — رَحِمَهُ اللهُ — ، فكيف تقول أمه: يا بني إنك قبيح الوجه!! وهبها قالت ذلك لتصدده عن الغناء، أكان يصدقها في هذا القول وهو يعلم عن نفسه غير ما تقول!

(١) د/ محمد رجب البيومي — الصراط المستقيم — ط سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف — السنة السابعة والثلاثون

— الكتاب الثالث سنة ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م ج ١/ ١٦٣ — ١٦٤ •

ثانياً: يقول الكاتب: إن مالكا بقي علي حب الغناء وممارسته بعض الوقت، لأن أمه لم تحب اشتغاله بالغناء من ناحية الدين أو المجتمع، ولكن من ناحية وجهه فحسب! والذي يؤكد كاتبو سيرة مالك — رَحِمَهُ اللهُ — أنه اشتغل في صباه بزّازا (١) يتاجر مع أخيه النضر حتى أنس من نفسه ميلا للعلم فترك مهنة أخيه! فكيف مارس الغناء حتى صار أستاذاً ينقد من تخصصوا في الغناء ووهبوا له عمرهم الأطول؟!

ثم ما معني قول الكاتب إن أم الإمام لم تنكر احتراف الغناء لأمر ديني أو اجتماعي، بل لأن ولدها قبيح الوجه! أتكون والدّة الإمام ذات رأي فقهي يحذر الكاتب أن يفهم منه ترفعها عن الغناء! فيسارع إلى نفي هذا التوهم! إن المعروف فطريا أن كل أم تري ولدها جميلاً في عيناها، فكيف تصفه بما ليس فيه؟ ألا يدل ذلك على اختلاق الحادثة من أساسها!

ثالثاً: كان للإمام مالك — رَحِمَهُ اللهُ — هيبة جبارة تمنع أصحابه أن يبدعوه بالسؤال في حلقة الدرس، أو أن يطالبوا بالجواب عن السؤال إذا لم يشأ الإجابة حتى قيل فيه:

يدع السؤال فلا يُراجع هيبة والحاضرون نواكس الأذقان

وقد رووا أن تلميذاً سأله عن حديث لرسول الله — ﷺ — وهو واقف فأمر بضربه حيث جاوز الأدب إذ لم يجلس مجلس المتواضع في حلقة الحديث، كما أمر بحبس قاضي المدينة إذ تكلم في الحديث النبوي ماشياً، ف قيل له: إنه القاضي . فقال: ذلك أحرى أن يؤدب، وقد اعتذر القاضي في الحلقة! هذا الإمام الذي يحتفل بمشهد العلم هذا الاحتفال، ويحرص على سمعته العلمية في مدينة رسول الله — ﷺ — إذ أصبح كبير علمائها! هذا الإمام يخرج عن وقاره، فينادي مغنياً عابراً ليصح له الأداء! ثم يقول له، لن أقول لك من أنا؟ حتى لا نتحدث بأن (مالك بن أنس) قد

(١) البز: نوع من الثياب — والبزاز: بائع البز . ينظر المعجم الوجيز مرجع سابق ص ٤٩ .

صح لك الأداء! وإذا كان الإمام يريد إخفاء اسمه فلماذا ذكره في الحوار فيقع فيما يكره! أهو ساذج إلى هذا الحد؟!

رابعاً: قالت الرواية المزعومة علي لسان الإمام: لقد أزعجت الناس وأشعت الفاحشة! وهذا اعتراف صريح بأن الغناء فاحشة في رأي الإمام — لو صدقت الرواية — فكيف يكون هذا رأيه الفقهي، ثم ينطلق بالغناء من خوذة بيته ليسمعه كل عابر! ألا تري أن التلفيق واضح، بل فاضح! وكان علي الملفق أن يكون أوعي وأنبه!

خامساً: إن الإمام في رأيه الفقهي ينهي عن الغناء ويراه عيباً ترد به الجارية المشتراة، إذا وجدت مغنية، على حين يرى الشافعي الغناء مكروه فقط! فكيف يمارس مالك الغناء، وهذا حكمه الفقهي وتلك فتواه؟!

سادساً: أما رواية أبي الفرج الأصفهاني لهذه الواقعة فهي أقوى دليل علي تنفيقها لأنه صاحب الأغاني" (١) .

بذلك أبان د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الحقيقة، وكشف عن عوار هذا الكذب، وبرأ ساحة الإمام مما نسب إليه افتراء وزوراً .
أسأل الله أن يجزل له المثوبة وأن يجعل قبره عليه برداً وسلاماً .

٣- الصوفي الكبير ابن الفارض — رَحِمَهُ اللهُ — :

وقد زعم نفر من الباحثين أنه ينادى بوحدة الوجود، أو يقول بالحلول والاتحاد وقد دللوا علي زعمهم بأبيات من ديوانه فهموها على غير ما أراد وقد ذكرها د/ البيومي بقوله: " إنهم يأتون إلى مثل قول ابن الفارض:

تراه إن غاب عني كل جارحة	في كل معني لطيف رائق بهج
في نغمة العود والناي الرخيم إذا	تألفاً بين ألحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الخُمائل في	برد الأصائل والإصباح في البلج
وفي مساقط أنداء الغمام على	بساط نور من الأزهار منتسج

وفى مساحب أذبال النسيم إذا أهدى إلى سميرا أطيب الأرج
وفى التثامى ثغر الكأس مرتشفاً ريق المدامة في مستنزه فرج

يأتون إلى مثل هذه الأبيات الرائعة فيقولون إنها تدل على اعتقاد الشاعر بوحدة الوجود!! (١)

ثم علق د/ البيومي بقوله: " وكل قارئ منصف يشهد بأن الأبيات تدل على أن الصنعة دليل الصانع، فالشاعر إذا سمع نغمة العود الرخيم، أو رأى الغزلان ترتع في مسارح الخمائل النضرة، أو رأى الأنداء تسقط على الأزهار وما يكتنفها من الغصون والأوراق والعشب، أو يتمتع بشم النسيم محملاً بعبق الورد ٠٠٠ إذا لمس الشاعر هذه المظاهر الرائعة للكون الذي أبدعه فاطر السموات والأرض فإنه يذكر الخالق الفاطر ويرى في صنعته القدرة دليل ربوبيته، فيشاهده في كل أثر من آثاره! هذا هو المعنى الطبيعي للأبيات، وهو استجابة لقول الله: ﴿ سَرُّهُمْ ءَاتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) فأين دليل وحدة الوجود إذن! ثم لماذا نقف عند هذه الأبيات وحدها، ونترك مئات الأبيات التي تنكر وحدة الوجود مثل قول ابن الفارض:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى!
يا قلب أنت وعدتني في حبهم صبرا فحاذر أن تضيق وتضجرا
ومثل قوله ﷺ:

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا
يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا
وقوله:

(١) د/ محمد رجب البيومي — الصراط المستقيم — ط سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف — السنة الثامنة والثلاثون —

الكتاب الأول — سنة ١٤٢٨ هـ — ٢٠٠٧ م — ج ٢ / ٦٠٠ .

(٢) سورة فصلت آية رقم ٥٣ .

ترى مقتلتي يوماً ترى من أحبهم
وما برحوا معنى أراهم معي فإن
لهم أبداً مني حنو وإن جفوا
وقوله (قدس الله سره):

مالي سوى روعي وباذل نفسه
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني
في حب من يهواه ليس بمسرف
يا خيبة المسعى إذا لم تُسعف

وأكد أنقل الديوان لو استطرت فاستشهدت بكل ما ينحو هذا المنحى من الغزل
الراقي •

إن المعروف المقرر لدى دارسي الأدب الصوفي: أن مصر لم تعرف ما يسمى
بالتصوف النظري وما يلهج به الدارسون من كلام حول وحدة الوجود والاتحاد
والحلول، لأن الصوفيين المصريين كانوا رجال فقه قبل أن يكونوا رجال تصوف، وقد
درسوا الشريعة الإسلامية دراسة خالصة جعلتهم ينكرون كل ما خالف القرآن والسنة
من شطحات! " (١) •

ثم مضي د/ البيومي في التعليق قائلاً: " أن ديوان ابن الفارض قد زيد فيه بعض
ما لم يقل، وقد نقل الدكتور/ زكي مبارك — رَحِمَهُ اللهُ — عن أستاذه الشيخ/ محمد المهدي
— رَحِمَهُ اللهُ — قوله: إن ذلك السبط كان يضيف أبياتاً إلى بعض القصائد ثم قال الدكتور
عقب ذلك: وقد أراد هذا السبط أن يزيد ثروة جده فأساء •

وإذن ففي ديوان ابن الفارض قصائد ليست له قطعاً فإذا قرأنا في (نظم السلوك)
ما يشير إلى مذاهب الفلاسفة المشار إليها، فمنطق الأشياء يوحي بأن الزيادة المفتعلة
يبرأ منها ابن الفارض، لأن صاحب المذهب الفلسفي في التصوف يكرره دائماً في
قصائده كما نري عند الحلاج، وابن عربي، وابن سبعين • • • ومن هنا منحاهم •

أما ابن الفارض فكل شعره ما عدا عدة أبيات لا تتجاوز أصابع اليد في (نظم السلوك) تشير إلى وحدة الوجود، فتقطع بأعظم برهان بأنها من الزيادات المضافة سواء نظمها السبط أو سواه وأرجح أن ناظمها غير السبط، لأنه يعرف اتجاه جده، ومحال أن يلصق به ما لا يؤمن به، ومن هذه الأبيات المفتراة ما نسب إليه زوراً في قوله:

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تجلت تجلت
ومازلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
هذا الشطح الفلسفي بعيد عن منهج ابن الفارض فيما قاله! وإذا كان الديوان قد زيد فيه ما لم يقله، فهذا الشطح يعتبر عضواً غريباً في جسم يبرأ منه، وأقول للذين يخالفون هذا الاتجاه محاولين أن يصموا ابن الفارض بما هو برئ منه! أعندكم شاهد آخر غير ما جاء في (نظم السلوك) (١) .

بذلك قام د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — بواجب عظيم حيث دافع بكل ما أوتي من قوة علمية عن شخصيات ظلمت وأجحفت بغير حق، فكان بمثابة المحامي المدافع عنها، ودفاعه بدون أجر أو نفع دنيوي، وإنما قربة إلى الله تعالى برفع الظلم عن المظلومين، ووفاء لهؤلاء الأعلام الذين أفنوا حياتهم في خدمة الإسلام ونفع المسلمين، فقد عزَّ عليه أن يجد من ينهش في لحومهم ويسعي في هدمهم والهبوط بهم عن مكانهم الرفيع دون أن يهب لنصرتهم والدفاع عنهم رداً للجميل واعترافاً بالفضل لذويه وقد أبلى بلاء حسناً في هذا المضمار .

أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته .



المبحث الثاني

القضايا الإسلامية

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول قضايا دينية: —

وقد تناولها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في العديد من كتبه، ففي كتابه (من منطلق إسلامي) الجزء الأول تناول موضوعاً بعنوان (في آفاق الصيام)، وفي الجزء الثاني تناول الموضوعات الآتية: (الفدائية والتهلكة)، (طهارة البنات وفتوى الأزهر)، (احتكار السلعة) .

وفي كتابه (في ميزان الإسلام) الجزء الأول تناول (عقيدة البعث)، (الدين والوازع الخلقي) وفي الجزء الثاني تناول (الإدمان والتدمير)، (مقاريء الحديث النبوي في مصر)، (ترتيل القرآن) .

وفي كتابه (قضايا إسلامية مناقشات وردود) الجزء الثاني كتب عن (قصة المولد النبوي) .

وفي كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الأول كتب عن (عبادة الشيطان بين القديم والحديث)، (القرآن صالح لكل زمان ومكان) وفي الجزء الثاني كتب عن (الحج مجمع علمي)، (الأشعري يرجع إلى عقيدة السلف) .

وأرى: أن تأخير قضية من هذه القضايا وهي (قضية الفدائية والتهلكة) لتكون نموذجاً لها فقد ساء قوم فزعوا أن العمليات الفدائية التي تقوم بها الشبيبة المسلمة لا مقصد من ورائها إلا الأنانية وحب الذات ووصموا أصحاب هذه العمليات بارتكاب ما نهى عنه القرآن من إلقاء النفس إلى التهلكة، وقد كتب د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — مفنداً هذه المزاعم، ومبيناً وجهة النظر الدينية في هذه القضية، وقد بدأ بعرض مزاعم القوم قائلاً تحت عنوان (زيف صريح): "فهل صحيح أن الفدائية الباسلة أنانية مريضة، لأن

المستشهد في سبيل المبدأ الصريح لا يقصد نصرة المبدأ، ولكن أعماقه الدفينة تمتلئ بحب الاشتهار الكاذب، حين يندفع إلى القتال فيحسب في سجل الشهداء، ويتلو الناس حديث بطولته بعد رحيله، فيكسب فخرا يتردد علي الألسنة، ويعود علي أسرته بالزهو والخيلاء!

هذا ما يقوله الذين يُبغضون الناس في الفدائية الباسلة، إذ عجزوا عن أن يصدوهم عن ميادين الكرامة، فحاولوا أن يصموهم بالأنانية وحب الذات!

ثم علق د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — مفنداً هذه المزاعم فقال: ونحن نتساءل؟ أيُشعر الميت بعد رحيله بالفخر والمباهاة في الحياة الدنيا حتى يقدم علي الاستشهاد ليتردد اسمه بين الناس؟

أَيكون الثاوي في ضريحه ذا سمع راصد لما يقوله الأحياء فينتشي بعبير الزهو والخيلاء؟ أيعقل أن يحدث ذلك، ويقول به أناس يدعون البراعة في كشف السرائر، وتحليل النوازع المخفية بين اللحم والدم في أطباق الصدور!!

لو كان هؤلاء صادقين في نظريتهم اللئيمة لانتقلوا بالأمر إلي مكانه الصحيح فنصوا في صراحة على أن المؤمن المستشهد يثق بوعد الله حين يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمْ لَهِمْ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟﴾ (١)

وهنا يقدم المستشهد علي ربه، وقد زهاه الفخر لا بما سيقال عنه في الحياة من ثناء، ولا بما سينتهي إلى أسرته من فخر موقوت، ولكن بما أعدَّ الله له في فردوسه من نعيم! لو كان هؤلاء المحللون صادقين لقالوا ذلك مستنديين إلى ما يعلمون من واقع الشهداء قبل أن يندفعوا إلى الميدان، ولكنهم ماديون لا يؤمنون بالبعث، ولا يحاولون أن يوحوا للناس أن هناك إلهاً يجازي على الخير والشر، وإن فكل حديث عن ثواب المستشهد في جنة الله مرفوض مرفوض، وعليهم أن يصموا آذانهم عنه في مجال التحليل، فلم يبق إذن غير التلفيق المموه للأباطيل والاحتيال الخادع للمبررات!

بل لم يبق إلا الطعن في المستشهد، ومحاولة تشويهه بالغرض الكاذب، لتتمحي البطولة من النفوس وليفرح هؤلاء بجبن المدافعين، وخور المنهزمين!

ثم مضى د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في تنفيذ هذه المزاعم مستشهداً بمواقف من بطولات السلف الصالح فقال تحت عنوان (صخرة صلبة): والذين يحاولون استهجان البسالة الفدائية، ينطحون برءوسهم صخرة صلبة تفتت تلافيف أدمغتهم فلا يستطيعون البقاء، لأن آيات الاستشهاد، وأحاديث التضحية، ومواقف السلف الصالح من الإقدام المستهين بالأرواح مما لا يكاد يقف عند حصر، وطلاب المدارس يعرفون من تاريخ الفدائيين في الإسلام مما يجعل التطبيق العملي للوحي القولي حقاً لا شك فيه، ولا إخال أحداً من المسلمين يجهل موقف عليّ بن أبي طالب ليلة الهجرة، إذ نام عليّ فراش ابن عمه وهو يتأكد الموت الخاطف طعناً بالرماح وضرباً بالسيف، وهو فرد أمام جموع! وقد مكث الليل الأطول ينتظر الموت ما بين لحظة ولحظة، ولم تكن هذه التضحية فريدة في بابها، فمواقفه في الغزوات المتتالية تسجل تغلغل هذه الفدائية في نفسه، وفي يوم الخندق تقدم وهو شاب فتى لينازل فارس العرب أجمعين عمرو بن ود، حين صاح البطل المتكبر: هل من مبارز؟ وتقاوس المسلمون عن مواجهته مشفقين! ونهض عليّ، فهمّ الرسول بإمهاله، كي يتبين حقيقة ما سيقدم عليه، ولكن الأمر كان كما وصفه الشاعر (١) حين قال:

إذا ما همّ أقعده أخوه وزاد إلى اللقاء هوي فقاما

وتمكنت الفدائية من نفس عليّ، فتقدم، وأذن الله باندحار غريمه على يديه في غير انتظار ولو كان الإمام عليّ كرم الله وجهه يحفل بالعاقبة لتأني بعض الشيء، ولكنه باع لله نفسه، فكتب له النجاة .

ولن تنحصر الفدائية في عمل تقف عنده، بل إن ضروبها تختلف باختلاف ما يراه الفدائي حاسماً في أمره، فقد تكون التضحية في بث الألغام الناسفة لقوة العدو، أو

(١) هو الشيخ/ محمد بن عبد المطلب . ينظر موقع الإمام علي عليه السلام — مدائحه . الموقع /

http://www.imamalinet.net/ar/f/fa/fa۲.htm . تاريخ الدخول / ١/١١ / ٢٠١٢ م في الساعة السابعة

سلب الذخيرة الفاتكة دون مبالاة بانفجار أو قذف صاعق، وصاحبها لا يبالي أوقع علي الموت أم وقع الموت عليه، فإن كتبت له النجاة فهي خارقة نادرة، وإن كانت الأخرى فتلك أعزُّ ما يشتهي ويأمل " (١) .

ثم ردّ د/ البيومي على زعمهم بأن الفدائية إلقاء في التهلكة، وبين أن استشهادهم بالآية في غير محله فقال: " أمّا تفسير آيات الكتاب علي غير وجهها الصحيح عند هؤلاء، فما أكثر ما تورطوا في الفهم البعيد احتيالاً على ما يريدون وتلفيقا لما يروجون، وقد تأتى رواية ضعيفة تشير إلي غير الظاهر من المراد، فيطرون بها كل مطار، ويرجحونها علي الروايات الجيدة ذات الإسناد الصحيح!

ونذكر بهذا الصدد قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) فإن معني التهلكة عدم الإنفاق في شئون الحرب والإهمال في إعداد الذخيرة الحربية، لذلك صدرت الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، وختمت بقوله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، يقول أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه — من رواية للترمذي نقلها القرطبي في تفسيره —: إنكم تتأولون الآية الكريمة هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا دون أن يعلم رسول الله: إنما أموالنا قد ضاعت وأن الله ﷻ قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله علي نبيه ﷺ يرد علينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ، فكانت التهلكة في إقامتنا علي الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو .

يقول القرطبي — رحمه الله — : وما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم، وإنما قال أبو أيوب رضي الله عنه ذلك حين كان المسلمون يجاهدون الروم، فخرج الأعداء إليهم في صف عظيم، وخرج من المسلمين من يعادلونهم وأكثر، فحمل رجل من المسلمين علي صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: يا سبحان الله

(١) د/ محمد رجب البيومي — من منطق إسلامي — ط — المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون سنة طبع — ج ١٦ / ٢ — ١٨ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٥ .

يلقي بيده إلى التهلكة، فنهض أبو أيوب رضي الله عنه ليوضح معني الآيات وأسباب النزول بما لا يدع شكاً لمستريب، وهناك روايات أخرى تفرق في التفصيلات وتنتهي إلى النتيجة الحاسمة التي توضح معني التهلكة بما أوضحه أبو أيوب رضي الله عنه، ومكانها كتب التفسير فلا نطيل .

إذا علم هذا المعني، فمن الغريب أن يجهله بعض من يستشهدون بالآية في غير موضوعها الصريح، لأن واجب المستشهد أن يعرف أقوال المفسرين، وما روي من أسباب النزول لا أن يكتفي باللفظ المباشر دون أدني مراعاة للسياق الكريم " (١) .

ثم ختم د/ البيومي — رحمته الله — حديثه ببيان أقوال الفقهاء في حكم من يقتحم المهالك وحده قائلاً: "في كتب التشريع والتفسير أحكام لمن يقتحمون المهالك من المجاهدين، وهم يتأكدون النهاية السريعة، ونحن نلخص المهم منها عن تفسير القرطبي — رحمته الله — كيلا نبقي أقل بادرة ظن لدي من يقفون عند المعني الحرفي بعيدا عن المراد من النص الشريف:

١— لقد اختلف الفقهاء في اقتحام الرجل ساحة الحرب وحمله علي العدد الكثير وحده، فقال قوم: لا بأس إذا كان لديه قوة، وعنده النية الخالصة، وذلك بين من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢) .

٢— وقال آخرون: إذا حمل الرجل علي جماعة كثر من اللصوص أو المحاربين، فإن علم أنه سيقتل من حمل عليه وينجو، فحسن، ولو غلب علي ظنه أنه سيقتل ولكنه سيبلى بلاءً حسناً في الأعداء فجائز أيضاً، ومن هذا ما روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً؟ قال: فلك الجنة فانغمس في العدو حتى قتل (٣) .

(١) السابق ص ١٩ — ٢٠ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٠٧ .

(٣) لم أقف على حديث بهذا اللفظ ولكن وقفت على حديثين مختلفين في بعض الألفاظ: ١— عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أيكفر الله عني خطاياي؟ قال رسول الله ﷺ نعم فلما ولي الرجل ناداه رسول الله ﷺ أو أمر به فنودي له — فقال رسول الله ﷺ كيف قتلت؟ فأعاد عليه قوله فقال رسول الله ﷺ نعم إلا الدين كذلك قال لي جبريل عليه السلام . والحديث أخرجه النسائي في سننه كتاب =

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد، في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: من يردهم عنا، وله الجنة، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة! (١) .

٣- قال محمد بن الحسن رضي الله عنه: لو حمل رجل واحد علي ألف رجل من المشركين، وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة، أو نكاية في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلطف في غير منفعة للمسلمين ،

فإن كان قصده تجرئة للمسلمين عليهم، حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه لأن فيه منفعة للمسلمين علي بعض الوجوه، وإذا كان قصده إرهاب العدو، ليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه، وإذا كان فيه نفع للمسلمين فأتلف نفسه إعزازاً لدين الله وتوهيناً للكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ (٢) .

وكلام الإمام ابن الحسن ذو دقة، واحتراز، يظهران في مثل قوله: فلا يبعد جوازه، وهكذا شأن الأصلاء من أعلام التشريع، وبعد، أفترانا أوضحنا المراد من معني التهلكة، كما حبذنا الاستشهاد الفدائي بما نملك من الدليل؟ " (٣) .

وأجيب د/ البيومي - رحمته الله - قائلاً: بلى قد اتضح معنى التهلكة في الآية الكريمة فلا مجال لحملها على غير ما سيق في فيه، كما أن د/ البيومي حبز أيضاً في

=الجهاد رقم ٢٥ - باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين رقم ٣٢ - حديث رقم ٣١٥٢ مرجع سابق ج٦/٣٥٠ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم ٣١٥٦ . والثاني عن جابر رضي الله عنه أنه قال قال رجل يوم أحد : أ رأيت إن قتلت في سبيل الله فأين أنا؟ قال: في الجنة فألقي تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل . والحديث أخرجه النسائي أيضا في سننه في كتاب الجهاد - باب ثواب من قتل في سبيل الله عز وجل رقم ٣١ حديث رقم ٣١٥١ ج٦/٣٤٠ . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم ٣١٥٤ .

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير رقم ٣٢ - باب غزوة أحد رقم ٣٧ - حديث رقم ١٧٨٩ مرجع سابق ج٦/٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) سورة التوبة من الآية رقم ١١١ .

(٣) من منطلق إسلامي مرجع سابق ج ٢ / ٢٠ - ٢١ .

الاستشهاد الفدائي بما عرض من أدلة وبما بيّن من مواقف السلف الصالح في الفدائية، وأقوال الفقهاء في أحكامها، وبذلك لم يترك مجالاً لمستزيد ولم يدع ثلماً لمغرض .

إذن فالقول بأن الفدائية أنانية وحب للذات وإلقاء للنفس في التهلكة لم يعد له رواج بين الناس بفضل ما أوضحه د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن الفدائية، وبذلك لم يعد تقاعس فعلي الشبيبة المسلمة أن يهبوا لنصرة هذا الدين بما أوتوا من قوة ولكل منهم أن يتصرف بما يتفق مع قوة إيمانه فيقدم على البطولة الباسلة فرحاً مستبشراً بما وعد الله به المجاهدين في سبيله من جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر .

المطلب الثاني قضايا فكرياً —

وتناولها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — من خلال ما سطره في العديد من كتبه ومقالاته، ويمكن حصر العديد منها كالآتي:

أولاً: ما سطره في كتبه:

أ — كتابه (ردود هادئة — تفنيد لبعض الأراجيف الذائعة دون تحقيق) (١) ويحتوي على مقالات جيدة كتبها د/ البيومي ردوداً على اتهامات رددتها المخالفون للمنهج الإسلامي ترداداً نقله لاحق عن سابق حتى أصبح كأنه أغنية مزعجة ذات رنين يصم الآذان، وقد رأي فضيلته أن الساكت عن الحق شيطان أخرس فقام بتأييد من المولى ﷺ وبما له من مكانة علمية مرموقة بالرد على هذه الاتهامات وكشف ما جاء بها من أباطيل ببصيرته النافذة وعلمه الفياض (٢)* .

ب — كتابه (في ميزان الإسلام) الجزء الأول تناول فيه (القرآن أساس الثقافة)، (مرء لا جدال) وفي الجزء الثاني تناول فيه (الحوار المثمر)، (افتراءات كاذبة يروجها الشيوعيون)، (التهجم بالباطل) .

(١) الكتاب — ط سلسلة البحوث الإسلامية — السنة الثانية والثلاثون — الكتاب الرابع سنة ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م .

(٢)* ينظر السابق — تقديم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأستاذ السيد وفا حسن أبو عجور ص ٣ .

ج - كتابه (من منطلق إسلامي) الجزء الأول وتناول فيه (حرية البحث النزيه)، (نفاق الرأي)، (خianat علمية يجب تجنبها)، (انحدار المستوى الثقافي في الجامعات) (أمانة الكلمة في مقدمات الصحف)، (نشر الجرائم في الصحف)، وفي الجزء الثاني تناول (سفه متعمد في الحقائق الإسلامية)، (المفكر الإسلامي)، (النقد في الصحف والمجلات)، (أصوليون أم سلفيون)، (تضليل متعمد في كتاب مدرسي)، (الاطلاع الناقص) .

د - كتابه (قضايا إسلامية مناقشات وردود) الجزء الأول تناول فيه (شبهات حول التفكير الديني)، (بحوث المستشرقين)، (معارف مخطئة عن الإسلام)، (خطأ في فهم التربية الروحية)، وفي الجزء الثاني منه تناول (حيوانات تصوم كالإنسان)، (الداعية الإسلامي في عصر الشك)، (الأزهر والدراسات الفلسفية) .

هـ - كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الأول وتناول فيه (حرية التفكير في الأزهر الحديث)، (حوار الأديان في باريس)، (مستقبل الإنسانية في القرن القادم)، (فهم خاطئ لرسالة الدين)، وفي الجزء الثاني تناول فيه (الفكر الإسلامي في مهب الصراع)، (الإقناع العقلي قبل رسالة إبراهيم)، (الإقناع العقلي في رسالة إبراهيم) .

ثانياً: ما سطره في افتتاحيات مجلة الأزهر:

أ - الصحافة بين نشر الرذائل وكتمان الفضائل . عدد شعبان سنة ١٤٢٩هـ - أغسطس ٢٠٠٨م .

ب - مستقبل الطالب الجامعي . عدد رجب سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

ج - الدروس الخصوصية أسقطت التلميذ الفقير . عدد رجب سنة ١٤٢٧هـ / أغسطس ٢٠٠٦م .

د - من أخطاء التعليم في مصر . عدد ربيع آخر سنة ١٤٢٧هـ / مايو ٢٠٠٦م .

ل — الكتاب المدرسي عبء ثقیل ٠ عدد جمادي الآخرة سنة ١٤٢٩ هـ / يونيه ٢٠٠٨ م ٠

م — أكثر الرسائل الجامعية هيكل عظمي ٠ عدد المحرم ١٤٢٩ هـ ٠

ن — نشر التراث أم سرقة التراث ٠ مقال بمجلة الأزهر عدد ذو القعدة سنة ١٤٢٧ هـ / ديسمبر ٢٠٠٦ م ٠

هـ — غناء الجسد في القنوات الفضائية ٠ عدد المجرم سنة ١٤٢٨ هـ / فبراير ٢٠٠٧ م ٠

و — ينالون ٩٩% في الثانوية ثم ينحدرون ٠ عدد شعبان سنة ١٤٢٧ هـ / سبتمبر ٢٠٠٦ م ٠

وأري: أن أقتصر علي قضية من الكتب وقضية من الافتتاحيات، فمن الكتب أتخير (انحدار المستوى الثقافي بالجامعات) ومن الافتتاحيات أتخير (ينالون ٩٩% في الثانوية ثم ينحدرون) ٠

أولاً: انحدار المستوى الثقافي بالجامعات:

وتحدث د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن هذه المشكلة بقوله: "تكشف لجان الاختبار عن حقائق مذهلة حين يتقدم حامل الليسانس أو البكالوريوس إلي الوظائف العامة في المؤسسات والإذاعة وغيرهما، إذ يسأل الجامعي المثقف عن بدائه مبدئية فلا يدري عنها شيئاً، يسأل عن مدينة كبروكسل، فيقول إنها اسم طبيب، بل يسأل عن محافظة من محافظات الجمهورية المصرية فلا يعرفها اسماً وموقعاً، حتى لتتشك لجنة الامتحان في أن المسئول جامعي حقاً، ولكن تكرر هذا النوع الأمي وتعدد مشاهداته في اللجان المختلفة كاد أن يجعل الأمر مألوفاً!

وأنت تحار في سبب هذه الأمية العقلية التي فاقت الأمية الأبجدية في خطورتها، فالأمي غير المتعلم معذور حين يجهل كل شيء، ومع ذلك فقد يعرف ما لا يعرفه المتعلم المثقف، إذا قورن بينهما في بعض مناحي السلوك الإنساني! أليس عجباً كل العجب أن تجد لدى بعض الأميين من ساكني الريف المصري من وسائل ضبط النفس

في أخرج المواقف، ولباقة التصرف عند تصادم الرغبات، وحسن الاحتيال للخروج من المأزق ما قد يتعذر وجوده لدى الشباب المتعلم! أو لدى بعض الشباب المتعلم، فنحن نلتزم الدقة في التعبير، ولا نقصد التشهير بحال، إنما نطبّ للعلاج!"(١) .

ثم بيّن د/ البيومي السبب في هذه الأمية بقوله: "إن أساس المشكلة في هذه الأمية القاتلة لدينا أن المدارس والجامعات لم تغرس في نفوس الطلاب حب القراءة، فالكتاب المدرسي عبء ثقيل علي الطالب ولا شيء سواه، والكتاب الجامعي تحول إلى مذكرات يطبع أكثرها على الآلة الكاتبة، ويلتزم بها الطالب وكأنها كل شيء . بل رأينا من أساتذة الجامعات من يهجنّ إجابة الطالب إذا اعتمد علي كتاب خارجي أو علي كتاب لزميله، إذ أنه بذلك تعدي ما يجب الاقتصار عليه من مذكرته التي أخرجتها الآلة الكاتبة!

ولا يفيد الإنكار في شيء، فتلك حقائق منكرة رأيناها رأي العين، وبهذا يخرج الطالب الجامعي وليس لديه أدنى رغبة في تزويد نفسه بالاطلاع إلا من عصم الله وشذ عن القاعدة المطردة هذه الأيام"(٢) .

ثم ردّ د/ البيومي قول من يعلل انصراف الناس عن القراءة بارتفاع أثمان الكتب قائلاً:

"أيجوز لنا أن نتعلل بارتفاع ثمن الكتاب؟ والمعرفة مبدولة لدينا في الجريدة اليومية ثم لا نغيرها أدنى انتباه، وما نقوله عن الجريدة، نقوله عن الإذاعة مرئية ، ومسموعة فالبحث عن الأغاني والتمثيلات هدف الأصابع الدائرة من محطة إلى محطة، فإذا طرق السمع نقاش أدبيّ أو حديث علمي فلا بد أن تسرع الأصابع الغاضبة إلى التماس إذاعة تحمل أغنية كررت آلاف المرات، ومن الذي يفعل ذلك؟ ليس هو الطفل الصغير، أو العامل الأمي، أو العجوز المريضة، إنه الجامعي المثقف! ونحن لا ننكر أثر الأغاني والتمثيلات في الترويح النفسي، والتوجيه الاجتماعي، ولكننا ننكر أن

(١) من منطلق إسلامي — ج ١ / ٢٢٩ .

(٢) السابق ص ٢٣٠

تكون كل شي لدي أكثر المتعلمين! بحيث لا يسمح للبرامج الهادفة، بالانتشار والذيع
علي نحو مريح" (١) .

ثم أفصح عن سبب آخر في هذا الانحدار وهو الإخفاق التربوي قائلاً: " وما
دما قد تحدثنا عن إخفاق الجامعة في تثقيف أبنائها الطلاب، فلا بد من أن نتحدث عن
أسباب هذا الإخفاق بل لابد قبل الحديث عن الإخفاق الثقافي، أن نشير إلى الإخفاق
التربوي، لأن إغفال الجامعات لتنمية السلوك الإنساني، وتنشئة الطالب نشأة إسلامية
تلتزم قواعدها من أخلاق القرآن، وسنة الرسول، وسيرة السلف الصالح، هذا الإغفال
جعل أكثر الشباب يستسهل الانحراف، إذ لا يعصمه من الزلل نص محكم من كتاب الله
أو درس تهذيبي يريه النمط المنشود في الحياة، وبعض من قرؤوا كتب الشريعة من
الطلاب لم يصلوا إلى لبابها المقصود، فالتبس الحق بالباطل في خواطرهم، ولا بد
لنجاح السلوك الإنساني في الحياة أن تهتم الجامعات بالتنشئة الإسلامية، وأن تجعل
السلوك القويم موضع التفوق وأهم وسائل النجاح في مضمار الحياة (٢) .

وأخيراً تحدث د/ البيومي عن مستوى الجامعة اليوم مقارناً بالأمس قائلاً: " ولا
أقصد جامعة بعينها، ولكننا نسجل ظاهرة الهبوط في المستوى الجامعي في أكثر
العواصم الإسلامية إذا قيس بما سبقه من المستويات، والأدلة حاضرة، هي الموازنة بين
جامعي اليوم، وجامعي الأمس، والفرق بينهما بعيد بعيد .

لقد اقتربت الكلية الجامعية الآن من المدرسة الثانوية، حيث أصبح الطالب لا
يستشعر فرقاً واضحاً بين طريقتي التدريس في الأولي والثانية، فإذا انتقل من السنة
النهائية في المرحلة الثانوية، وواجه التعليم الجامعي، وجد المدرس يلقي، ويشرح
الكتاب، ويلخص الدرس، وذلك ما يعهده من قبل، فأين الفارق إذن ؟

إن الفلسفة التعليمية التي قام عليها الاتجاه التعليمي في الجامعة موازناً بما
سبقه، أن طالب المدرسة الثانوية يتلقى المعلومات الغائبة عن ذهنه ليفهمها

(١) نفس السابق ص ٢٣١ .

(٢) نفس السابق ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

ويستوعبها، ويمتحن في موادها آخر العام الدراسي، أما الطالب الجامعي فلا بد أن يشارك بنفسه في تلقي المعلومات، فيعرف مصادرها، وطريقة البحث عنها، ثم يعرض ما انتهى إليه ليجد التصحيح من الأستاذ إذا أخطأ، كما يجد ما يرشده إلى ما غاب عنه كي يستكمل البحث على وجهه الصحيح، وهنا يكون الطالب الجامعي أستاذ نفسه، حين يعاني ضروب البحث في المصادر النظرية، والمعامل العملية، كما يكون تلميذ أستاذه حين يعرض نتائجه عليه ليقوم ما اعوج، ويكمل ما نقص" (١) .

ثم تحدث د/ البيومي عن مرحلة ما بعد الجامعة وهي مرحلة الدراسات العليا قائلاً: " ونترك المرحلة الجامعية الأولى إلى ما بعدها من مرحلة الدراسات العالية، لننظر في البحوث التي يقدمها الطلاب وينالون عليها درجات الماجستير والدكتوراه، ولا نجادل في أن بعض هذه البحوث قد استقام علي الطريق الصحيح، حين وجد الدارس الكفاء، والمشرف البصير، والفاحص الناقد، فأبرز في المجال العلمي شيئاً ذا بال، ولكن هذا البعض النفيس قليل إذا قيس بالكثرة المعهودة بيننا اليوم، لقد كان طالب الدراسات العليا من قبل يختار بمقاييس دقيقة، بحيث لا يتهيأ لمرحلتي الدكتوراه والماجستير إلا ذوو المواهب العلمية الرفيعة، وهؤلاء يستشعرون حرارة العمل تنبعث في عروقهم فلا يهدءون حتى يخرجوا الجيد إن لم يكن الممتاز الرفيع، ومن ورائهم المشرفون يقودونهم إلى مراحل عالية تضيء بالجديد النافع، ولا تنخفض إلى المكرر المعاد" (٢) .

يتبين من ذلك: أن مرحلة التعليم الجامعي تحتاج إلى تغيير في طريقة الدراسة به، وكما أشار د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — من أن الطالب عليه أن يجد فرقاً في هذه المرحلة عن التي كانت قبلها، فإذا كان في مرحلة الثانوية يجد الموضوعات قد أُعدت له في الكتاب المدرسي ثم بعد ذلك يقوم الأستاذ بشرحها، ففي هذه المرحلة الجامعية لا بد من تغيير، ويكون بتقليد الطالب أمر البحث بنفسه في موضوعات تُحدد له؛ ليأتي

(١) من منطق إسلامي ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٢) السابق — ج ١/ ٢٣٦ .

وحده بالنتائج ويعرضها على الأساتذة، ليصلحوا ما بها من أخطاء، ويكملوا ما بها من نقص .

وأظن هذه الطريقة نافعة إن شاء الله لأنها تعطي الطالب الثقة في نفسه ليغوص في بطون المراجع العلمية لاستخراج الجيد المستطاب الذي يحوز إعجاب أساتذته، كما أنها أيضا تجعله يتقدم في العلم يوما بعد يوم بكثرة قراءته وإطلاعه، وبذلك نقضي على هذه المشكلة انحدار المستوى الثقافي في الجامعات .

وقد أشار د/البيومي أيضا أن تأخذ مرحلة الدارسات العليا الطابع الجدي في اختيار الطلاب الملتحقين بها حتى يتسنى لهم فيما بعد إعداد الأبحاث الجيدة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، ودعا إلى قيام المشرف بواجبه في توجيه الطالب إلى كل ما هو جديد نافع، والبعد عن كل ما هو مكرر معاد، وهذه كلها اقتراحات رجل حصيف جمع بين نفاذ البصيرة، والعلم النافع الفياض فهو بحق أستاذ الأساتذة برد الله بالرحمة مثواه .

ثانياً: ينالون ٩٩% في الثانوية ثم ينحدرون:

وهذه افتتاحية د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — لمجلة الأزهر في عدد شعبان سنة ١٤٢٧هـ — سبتمبر ٢٠٠٦م، ومنذ أن تقلد منصب رئيس تحرير مجلة الأزهر وهو يطالع القراء بافتتاحيات رائعة تعالج قضايا الواقع، وتدل في الحقيقة على غزارة علمه، وفقهه للواقع الذي يحياه .

وهذه قضية من قضايا الواقع عرضها د/ البيومي بقوله: " في هذه السنوات العجيبة نرى كليات القمة كما يسمونها، وهي في مضمونها لا تفترق عن كليات السفح المظلومة، نرى هذه الكليات من طب، وهندسة، وصيدلة لا تأخذ من الطلاب غير الحائزين على ٩٩% إلى ما لا يقل عن ٩٥%، فإذا انخفض المجموع إلى ما دون ذلك، ترفعت هذه الكليات عن أن تتحدر إلي مستوى لا يليق بمركزها العلمي، ويدخل النابغون من هؤلاء الأفاضل إلى كلياتهم، فإذا نتيجة الامتحان في العام الأول تعصف

بأكثر من النصف في كل كلية!! فهل يكون من ارتفع إلى مستوى المائة في المائة أحياناً أو ما دونها بقليل عاجزاً عن اجتياز السنة الأولى إلي ما فوقها! أين إذن النبوغ العبقري الذي جعله يأخذ أعلى الدرجات في الشهادة الثانوية! ثم يتخلف عنه فجأة، وكأنه حذاء قد بلى في قدمه بعد عام واحد، ليجد نفسه مضطراً للإعادة، وقد يكون قد أرهق والده في دروس خصوصية ذات أرقام فلكية كما أرهقه من قبل في دروس خاصة في سنته الأخيرة بالمدرسة الثانوية وما قبلها، حتى باع مفروشات منزله وكاد ينام علي الحصير!

أين ذاك النبوغ وكيف تواري؟ ثم ارجع البصر كرتين إلي ما قبل ذلك بأربعين عاماً أو أقل، فإنك ستجد من أخذ ٧٠% أو ما دونها بقليل، قد وجد مكانه في كليات القمة المزعومة، وانتقل من نجاح إلى نجاح فلم يتعثّر في عام واحد، ولم يكن وباء الدروس الخصوصية الجامعية قد مسه بسوء، فانتقل سليماً معافى، لم يرهق والده في قليل أو كثير، حتى إذا بلغ منتهاه في الدراسة، وجد المكان المهيأ، بل وجد السلاح العلمي الذي ظفر به باجتهاده، فهو طبيب حقيقي! أو مهندس حقيقي، وليس ممن حفظ كلاماً، ثم رددّه شفويا وتحريراً فاقتحم العقبة بعد أهوال! " (١) •

ثم عقد د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — موازنة بين حال المدرسة الثانوية في القديم والحديث قائلاً: " وللموازنة بين عهد مزدهر من قبل، وعهد منتكس من بعد، علينا أن نعرف حال المدرسة في العهدين لنعلم كيف أثمرت في عهد، وكيف أجذبت في عهد • ففي العهد المزدهر، كان التلميذ ينتهي للمدرسة الثانوية في أول عهده بالمراهقة، فيجد المتنفس المريح في مدرسته إذ في أول أسبوع يبدأ النشاط على وجه لا عهد له من قبل في مستواه الإعدادي فالنشاط الرياضي يجد اللعب المريح في فناء المدرسة المتسع .

وإذا كانت المدرسة في احدي العواصم الكبرى فلها ساحتها الرياضية التي تتسع للمدارس المختلفة، كما يجد هذا النشاط من المدرسين مهرة مجربين يزاولون النشاط

في متعة نفسية قبل أن يكون واجباً مفروضاً، والنشاط الأدبي تتعدد فروعها إلى أسر مختلفة، أسرة الخطابة، وأسرة الشعر، وأسرة القصة، ولكل أسرة أستاذ يقوم علي أمرها ممتعاً بثقة طلابه، وهم ممتعون برعايته وتوجيهه وهم معه في كل أسبوع يتناولون ما بمكتبة المدرسة من صحف ومؤلفات ويسألون عما غمض فيجدون الإجابة، ثم يتهيئون لكتابة النماذج البدائية للشعر والقصة فيجدون العطف ويملئون أوقاتهم قراءة وكتابة متى سنحت لحظات الفراغ، وجماعة الأشغال اليدوية وجماعة الموسيقى، وجماعة الرحلات وجماعة التمثيل تقوم بنشاطها في تنافس برئ دافع، وحفلات المدرسة في المناسبات المتكررة تفسح لهؤلاء أن يبدوا على المسرح في فترات سعيدة يدعى فيها أولياء الأمور فيصفقون للمجيد، وتتسع آمالهم في الغد إذ دلت البراعم الناشئة على الزهر المتأرجح في هذا الجو يشعر الطالب أنه أصبح ذا كيان، وأن المدرسة كانت ترويحاً له من قيود يجدها في منزله، وتتعدد صداقاته فيعمر منزله بالصفوة المختارة من زملائه وكلهم حريص على أن يكون نابهاً بين إخوانه، نابهاً في الدرس، نابهاً في النشاط، نابهاً في التعامل الشخصي، وللنباهة أعباء تتطلب الجد في العمل واليقظة في الاستماع عند تلقي الدروس والحرص على مراجعتها، هذا هو الواقع الذي شهدناه من قبل وألفناه، فهل له من مثيل يقرب من الآن؟!

ثم واصل د/ البيومي الموازنة بين مكانة المدرس العلمية قديماً وحديثاً بقوله: والأستاذ كان قبل كل شيء مهيباً للتدريس عن كفاءة واقتدار إذ لم تكن كليات الأقاليم قد باضت وأفرخت لتهيئ من (يوقوق) في الفصول دون جدوى، كان ذا راتب شهري يكفيه على ضآلته فهو آمن السرب مرتاح خاطر من جهة معاشه لذلك يقبل على عمله وفي اعتقاده أن كل تقصير سيحاسب عليه من ضميره قبل أن يحاسبه الموجهون والمفتشون .

لم يكن يفكر في درس خصوصي إلا إذا أتاه برحاء مكرر، وقد عرف تلاميذه معرفة الوالد لأبنائه في الأسرة الواحدة وكل منهم يحاول أن يكون لديه بالمنزل الأثير كما درس المقرر وقسمه تقسيماً على مدى الشهور بحيث لا ينتهي العام إلا وقد

استوفاه على أحسن ما يستطيع، هذه هي المدرسة وهؤلاء هم الطلاب وهذا هو المدرس؟

فلا غرابة أن يطرد السير إلى العاقبة المحمودة دون إرهاق، ولا غرابة أن ينتقل الطالب من المدرسة إلى الجامعة وقد قام بناؤه الفكري ونموه النفسي على أساس وطيء، فإذا أخذ سبعين في المائة من المجموع، فقد نال ذلك عن جهد حقيقي، وهو به سعيد!

وقد عرف المسئولون في الجامعة له قيمة هذا الرقم غير المصنوع ففتحت أمامه الأبواب! وخرجت أمثال أحمد زويل، ومجدي يعقوب! أما المدرسة الآن فهي موجودة ببنائها الحجري فقط، ولكنها غير موجودة تماماً بالنظر إلى مجهودها العلمي (١) . وبعد أن أنهى د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - هذه الموازنة الرائعة التي تكشف عن الواقع بكل صدق وصراحة تحدث عما يحدث الآن من مهازل، فالمدرس يدخل إلى الطلاب، ليقرأ عدة صفحات أو يحل بعض المسائل دون اكتراث بمن فهم أو من لم يفهم فلم يعد للأداء التعليمي في المدرسة جدوى، وأصبح الدرس الخصوصي وحده هو سبيل النجاح، ثم تحدث عن أكاذيب الكتاب المدرسي (٢) .

وبذلك يتبين: أن الدارسة بالمدرسة الآن في حاجة ماسة إلى ما كانت عليه من قبل، فالمدرس في حاجة إلى إحياء ضميره حتى يؤدي رسالته ويوقن بأنها رسالة لا وظيفة، وذلك يتطلب منه أن يشرح الدروس في الفصل المدرسي، ويترك الدرس الخصوصي أو على الأقل يشرح في المدرسة مثل ما يشرح في الدرس الخصوصي، ويعامل طلابه معاملة أبنائه، فلا يبخل عليهم بما يحتاجونه من الشرح، وعلى الرقابة أن

(١) السابق ص ١٢٢٣ - ١٢٢٤ .

(٢) ويقصد بذلك أن الطالب يدرس في مقرر الكتاب المدرسي ما يكذبه الواقع فمثلاً يدرس في كتاب التربية الوطنية أن الإدارة المحلية تحقق العدالة المطلقة في توزيع الخدمات علي كل أنحاء البلاد بدلا من تركيزها في المدن الكبيرة دون الريف، فيتساءلون، هل تم ذلك فعلاً؟ يتساءل مستنكراً لأنه يري مظاهر الجور والمحسوبية والابتزاز في كثير من الإدارات، ويشهد بعينه إقصاء صاحب الحق، وتقريب ذوى الزلفى من الوساطات ويجاهر المدرس بما يراه فيواقفه ويقول: إن الكتاب المدرسي لا يصور الواقع كما هو كائن! . ينظر السابق ص ١٢٢٦ .

تؤدي دورها، فينشط الموجهون والمفتشون لمتابعة الأساتذة، وتقويم المعوج، وتقوم لجنة علمية بتنقية الكتب المدرسية مما شابها من معلومات لا توافق الواقع . لوتم ذلك ما وُجد هذا التردّي في المستوي، لأن الطالب عندئذ يكون مؤهلاً علمياً، فيجيب على الأسئلة عن فهم لا حفظ، ويواصل التفوق في مرحلته الجامعية، وينمحي هذا الانحدار في مستوي الطلاب .

المطلب الثالث قضايا اجتماعية:

وتناولها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في كتبه ومقالاته، ومن أهم ما تناوله منها ما يلي:

- أ — الطفولة المعذبة في مصر (١) .
- ب — من أمراض المجتمع (٢) .
- ج — القرية المصرية في الجيل الماضي (٣) .
- د — تلاميذنا بين الترف والجريمة (٤) .
- هـ — من مضايقات الزواج (٥) .

وأري أن: أعرض قضية من كتبه، وهي (من مضايقات الزواج)، وقضية من افتتاحياته وهي (الطفولة المعذبة في مصر) .

أولاً: من مضايقات الزواج :

وبدأ د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — حديثه عن ذلك بقوله : " يأسف الاجتماعيون كثيراً أن تكون للزواج مضايقات، مع أن الأصل فيه أن يكون مصدر هناءة تامة وسعادة دائمة ، إذ يقول الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٦) ، فسكون النفس وطمانينتها هدف

(١) افتتاحية مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦ م .

(٢) افتتاحية مجلة الأزهر عدد المحرم سنة ١٤٣٠هـ - يناير ٢٠٠٩ م .

(٣) افتتاحية مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٢٩هـ - يوليه ٢٠٠٨ م .

(٤) من منطلق إسلامي ج ٧٤/١ — ٨١ .

(٥) السابق ص ١٥٦ — ١٦١ .

(٦) سورة الروم الآية رقم ٢١ .

أول من أهداف الزواج وفي ظل هذا السكون الآمن تكون المودة الحانية ،والرحمة الرقيقة ،حين يتعاون الزوجان على تحمل الأعباء بثغر باسم ، وعزم نشيط ،ولعل من رحمة الله أن تكون هذه المضايقات في كثير من أحوالها سهلة الحل ،يسيرة الاحتمال ، فليست خطرا هادما تصعب ملاقاته إلا فيما ندر لدى قوم يتبعون زمام العاصفة وحدها،فلا ينظرون إلى الأمر من جميع نواحيه ليوافقوا بين مناحي الخير ،ومواضع الشر ،بل تتجسد أمامهم النقائص وحدها ، وكأنها كل شيء ، وإذ ذاك يقضون حيواتهم في عذاب مريع" (١) •

ثم قام د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — بعرض رؤية بعض المحللين النفسيين لهذه القضية قائلاً: "ومما يؤسف له أن بعض من يتحدثون عن الزواج من علماء النفس، وهم قلة مندفعة جوار أكثرية عاقلة، يسرفون في الاستنتاج العلمي إسرافاً مبالغاً لا ضرورة له، إذ يزعم هؤلاء أن العداوة شيء طبيعي بين الزوج والزوجة وأن من أسباب هذه العداوة أن كل جنس يحمل في تكوينه الجسمي عناصر الجنس الآخر، فليست هناك ذكورة خالصة وأنوثة خالصة، وإنما الأمر نسبي في الزيادة والنقصان، وبهذه العناصر المتشابهة يحدث التصادم، إذ لا يكون الزوج حينئذ مكماً لزوجته، بل معارضاً لها، فتيسر أسباب التصادم لأتفه الأسباب" (٢) •

وبعد أن عرض د/ البيومي هذا الرأي الشاذ شرع في تفنيده قائلاً: "وهذا القول الذي يفيض فيه ذوي التحليل النفسي يحتاج إلي من يرده رداً عاقلاً بشهادة الواقع نفسه، إذ أن المسألة لو كانت مسألة التركيب البيولوجي في الزواج، لوجب أن تكون المضايقات الزوجية في كل أسرة أو في أكثر الأسر مع التساهل، وبنسبة واحدة في شتي الأجيال الزمنية المتعاقبة، ولكننا نجد كثيراً من الأسر يستمتعون بالسعادة الزوجية استمتاعاً لا شك فيه، كما نجد الأجيال السابقة أحسن حظاً من هذا الجيل في توفر الاستقرار واكتمال الهدوء والطمأنينة،فلو كانت المسألة مسألة تركيب بيولوجي لكان

(١) من منطلق إسلامي ج ١/ ١٥٦ •

(٢) السابق نفس الصفحة •

الصراع محتوماً في كل زمان ومكان، فليكن هؤلاء المحللون عن القول بهذه (الجبرية المحتومة) التي لا دليل عليها " (١) .

وبعد أن أبطل د/ البيومي هذا القول مستشهداً بالواقع شرع في بيان أسباب المضايقات الحقيقية للزواج قائلاً: " أما المضايقات الحقيقية فترجع إلى أمور عارضة يمكن تجنبها، وليست أصلاً عضوياً لا محيد عنه، وأذكر أن الكاتب الإنجليزي الكبير (هـ. ج. ويلز) لخص هذه المضايقات في الجمال والمال واختلاف الميول والنزعات، وعجبت جداً أن تكون بواعث السعادة من جمال ومال هي نفسها بواعث الشقاء، لأن كل واحد من هذه المضايقات سلاح له حدان متناقضان " (٢) .

ثم واصل د/ البيومي حديثه عن كل باعث من هذه البواعث التي ذكرها الكاتب الإنجليزي،

فعن الجمال كباعث من بواعث المضايقات الزوجية كتب قائلاً: " إن المرأة البسيطة في تكوينها الجسمي تمنح قرينها عيشة هادئة بتواضعها النفسي، وقلة رغباتها المادية، فهي ليست ذات دلال مفرط بحيث تكون شغله الشاغل تعطفاً واسترضاءً، وهو من أجلها عرضة لحسد قد يكدر عليه حياته، كما هو عرضة لغيرة مفرطة تأكل صدره، إذ يحس أن زوجته موضع التطلع، وقد تتجسد أوهامه، فيتصور أموراً لا حقيقة لها ولكنها مع ذلك تؤرقه وتضنيه، وتجعله غير مستقر في حياته النفسية، ومن طبيعة صاحبة الجمال المفرط أن تتطلب من النفقات ما قد يكون بعيداً عن مقدرة قرينها، وقد تكون في صميم نفسها قانعة راضية، ولكن من ينصحونها من الأقارب، ومظهري المودة، يجسدون لها أهميتها الجمالية، ويدعونها إلى إرهاب زوجها بالمطالب التي تستحقها من كانت في مثل جمالها، وهكذا يصبح الجمال المدل مصدر إزعاج وإرهاب " (٣) .

ثم تحدث د/ البيومي عن المال كباعث من بواعث المضايقات الزوجية قائلاً: " إذا كان أحد الزوجين ذا ثروة خاصة فإن ثراه الملموس قد يكون مكدرًا للصفو بدل

(١) من منطلق إسلامي — ص ١٥٧ .

(٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) نفس السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ .

أن يكون وسيلة للسعادة، فالرجل يتطلع إلي مال الزوجة، ويراه مما يجب أن يعود عليه بالرفاهية والاستمتاع، علي حين ترى أنه حقها وحدها، وأن مطامع صاحبها لا بد أن تقف دونه، فيحدث من الخلاف ما يجعل البيت السعيد غائم الأفق بالضباب الكثيف، وقد يكون الزوج هو صاحب الثراء، ولكنه مقتصد غير مبذر، فتظن الزوجة أنه لا يريد أن يسعدها بماله، فيحدث الكدر المنغص أيضاً، لذلك كان من الضروري مراعاة المستوي المالي المناسب بين الزوجين، لسد أبواب الخلاف " (١) .

وعن اختلاف الميول والنزعات كباعث أيضاً للمضايقات الزوجية كتب د/ البيومي قائلاً:

" أما اختلاف الميول والنزعات فباعثه الحقيقي اختلاف البيئة والثقافة، فإذا كان أحد الزوجين في مستوى عائلي أو ثقافي دون مستوى صاحبه، شعر باتساع الهوة بين رغباته المنشودة، وما لقرينه من رغبات مضادة وقد يكون صاحب المستوي الرفيع متسامحاً متكبراً، فيظل يتحدث عن نفسه معدداً مزاياه، وكأنه بذلك يردد نقائص صاحبه وطبيعي أن يكثر اللجاج المندفع في مثل هذه الظروف، فتتمو البغضاء بالتدرج، حتى تصل إلي حد يتعذر معه الوفاق، وكان من الممكن تجنب كل ذلك، لو نزع كل زوج إلي مماثله القريب " (٢) .

وأخيراً وضع د/ البيومي العلاج الناجع لهذه المضايقات قائلاً: "إذا طلبنا العلاج لهذه المضايقات، وجدناه في ضرورة الاختيار المناسب قبل الاقتران، وقد شخصه رسول الله ﷺ تشخيصاً حكيماً، حين قال: { تتكح المرأة — والنكاح في اللغة معناه الزواج — لمالها وحسبها وجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين } (٣)، فقد حدد رسول

(١) نفس السابق ص ١٥٨ .

(٢) نفس السابق ص ١٦٠ .

(٣) الحديث بلفظ { تتكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك } أخرجه البخاري عن أبي هريرة كتاب النكاح رقم ٦٨ — باب الأكل في الدين ٠٠ رقم ١٦ حديث رقم ٥٠٩٠ — مرجع سابق ج ١٤ / ٣٤٣ — ٣٤٤ . وأخرجه مسلم كتاب الرضاع رقم ١٧ — باب استحباب نكاح ذات الدين رقم ١٥ — حديث رقم ١٤٦٦ مرجع سابق ج ٥ / ٣٠٧ — ٣٠٨ .

الله مرغبات الزوجة من مال وجمال وحسب، ولكن أثر على هذه المرغبات عنصراً هاماً وهو (الدين)، لأن ذات الدين الحقيقي تعتصم به فتعرف حق صاحبها، وتحسم بوارد الخلاف حين تلوح بوارق الشر، والدين صفة (جامعة) لكل الفضائل، ومن أهمها العفة الشريفة، والود المخلص، والحنان المتبادل، والإيثار النبيل، وإذا اكتمل ذلك كله لدي الصاحبين — زوجاً وزوجة — فلا مضايقات ولا مكدرات" (١) .

بهذا شخص د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — هذه المشكلة تشخيصاً دقيقاً رائعاً، حيث وضع يده على ممكن الداء، ثم قدم العلاج الناجع الذي يستأصل المشكلة ويقضي على الخلافات بين الزوجين، وبذلك يكون المنزل العائلي روضة ناضرة ذات عطر ودفء ونسيم .

ثانياً: الطفولة المعذبة في مصر:

وهي مشكلة من صميم الواقع تناولها د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في افتتاحية مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤٢٧هـ / نوفمبر ٢٠٠٦م، وطالع القراء بما يشاهدونه على أرض الواقع، وقد شَخَّص المشكلة تشخيصاً دقيقاً ثم قدم العلاج الناجع لها .

وقد بدأ حديثه بالمقارنة بين طفل أمس، وطفل اليوم قائلاً: "لقد كان الطفل في أمسه خيراً منه في يومه، بحيث لا يوجد وجه للمقارنة بين الأمس واليوم، فطفل الماضي ينشأ في بيت يرعاه، ويعمل علي أن ينبت نباتاً حسناً، فهو يصد عنه كل ما يوحى إليه بما يسوء، وقد فرغ المربون من تقرير قولهم إن الطفل هو الرجل، وأن الرجل في كل أدواره متأثر بما كان عليه في طفولته، فرغ المربون من ذلك حتى ليعتبر الحديث عنه من قبيل تحصيل الحاصل، وهذا ما كان يعرفه الأب والأم معاً، فيجتهدان ألا تمس طبيعته الخيرة، وفطرته النقية البريئة، بما يعكس براءتها، إذ لا يرى إلا الحسن، فإذا اقترف بعض الهنات كان التهذيب الحاني أقوى الوسائل لهدايته، ومهما قلَّت ثقافة الأب والأم فهما يعرفان الضروري من قواعد السلوك الصحيح، فيقولان له إن الكذب وبال، وإن السرقة جريمة، وأن محبة الأخوة والأخوات واجب محتوم، وقد

يسمع أحاديث لطيفة من الأم والجدة تدعو إلى الخير في قصص ساذجة لها وقعها الطيب في نفس ساذجة لم تتعلق بأوضاع الحياة، فيتجه بما يسمع وما يعامل به إلى السلوك السوي، ويذهب إلى المدرسة وهو مهياً تهيئة تامة للسلوك الحميد، ويجد زملاءه الصغار علي شاكلته، تربوا تربيته، ونهلوا مما نهل من قصص هادفة، وتربية صالحة، فيتم التعارف على نحو من الحب الواعي، والود الذي يحذر النقائص، ويرتفع إلى الفضائل، ثم تجيء دروس التربية الدينية لتنمي هذه البذور المغروسة في النفوس فتشبه الأعواد ناضرة خضراء، وارفة زاهية، ثم تنزعزع السيقان، فلا ذبول ولا ظمأ، وإنما التشذيب والتذهيب !

وقد يوجد من يشذ لعارض اعترض حياته المنزلية، ولكنه حين يجد الجو العام نفّاحاً بالطيب، رفاً بالمودّة . يحاول أن يقتدي بالجمهرة الراضية مطمئنة والمعلم من ورائه يقوم ما اعوج، ويهدي للتي هي أقوم .

هذا طفل الأمس، يصل إلى مدرسته طاهراً نقيّاً، لا يعرف باباً للشر، ولا تهجس نفسه هامسة بالأذى، وطبيعته في أصلها خيرة ترحب بكل سار بهيج وتنأى عن كل شين يعيب، فهو إلى السلامة أقرب، وإلى النجاة أهدى، فلنترحم عليه الآن في أمسه الغابر، ثم نكر النظر إلى طفل اليوم لنخبر شأنه . ونذكر ما ارتطم فيه من عثرات . إنه حين يعي ما حوله يتجه إلى التليفزيون . وأمه فرحة بالتهائه واشتغاله، لتفرغ إلى شأنها بعيداً عنه، وأبوه المرهق بأعبائه لا يجد فراغاً لمحادثته وتسليته، وينظر الطفل إلى ما أمامه، فيجد مشاهد من الرعب تصل أحياناً إلى حد القتل، حيث تتوالى الجرائم آخذة بعضها بحجز بعض، كما يجد أحياناً مشاهد من الخلاعة تريه فنوناً من التبذل في الضم والتقبيل والعناق، وقد يسأل الكبير من إخوته فيشرح له شرحاً يضل ولا يهدي، ثم يري مرة أخرى فنوناً من المكر والاحتيال، ويقف علي أساليب من الغش والخيانة ويسأل عن ذلك فيجد الإجابة التي تضل ولا تهدي!

وإذن فقد أدرك المسكين في عمره البض (١)، وبرعمه الغض شروراً موبقة تجسّد له الرذيلة، وتصورها بالتمثيل والتشخيص، وبعد أن كان أخوه من قبل يسمع حديث الجدة الضاحك، وينصت إلى تقويم أمه الحاني، ولا ينظر إلى مشهد من مشاهد الشر يوجهه إلى مسلك شاذ، بعد أن كان أخوه في الجيل الماضي ذا حصانة واقية .

نشأ المسكين وقد عرف من الشرور والآثام مالا طاقة له باحتماله، فإذا توجه إلى المدرسة فإن زملاءه أيضاً قد وردوا مورده، وجاء الجميع إلى المدرسة مزوداً بأساليب الاحتيال، عارفاً من موبات السقوط والانحدار مالا مزيد عليه، وقد يستمع إلى من يُزيّن له اقتراف السوء، في سرقة أو شهادة زور، أو اتهام لبرئ، أو ما يعجز القلم عن تسطيره، فسرعان ما يستجيب، ولم لا ؟ وقد تلقى من التليفزيون دروس الجريمة بكل أنواعها، وعرف أسماء الممثلين والممثلات، وسمع عنهم عبارات الإطراء، فلم يفرق بين الواقع والتمثيل . . .، ويجئ مدرّس اليوم فلا يؤدي واجبه كمدرس الأمس " (٢) .

بهذه المقارنة يتبين: أن انحراف طفل اليوم وفساده يكمن وراء الأسباب الآتية:

١- الإهمال الأسري: فإن أول سبب في انحراف طفل اليوم هو تخلي الوالدين عن دورهما المنوط بهما نحو أبنائهما " فمن أهمل تعليم ولده، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً .

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عقتني صغيراً، فعقتك كبيراً، وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً كبيراً" (٣) .

(١) بض البدن — بضاضة وبضوضة : امتلاً ونضر . ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق ص ٥٣ .

(٢) افتتاحية مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤٢٧هـ نوفمبر ٢٠٠٦م الجزء ١٠ السنة ٧٩ ص ١٥٤٢ — ١٥٤٤ .

(٣) د/ على عثمان — ظاهرة أطفال الشوارع — أسبابها وعلاجها في ضوء الإسلام — حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

العدد الثامن عشر قسم الثقافة الإسلامية سنة ١٤٢٤هـ — ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٣ — ٢٠٠٤م ج ٢/ ٦٠٤ — ٦٠٥ .

وبهذا أصبح طفل اليوم يتيمًا بالرغم من وجود والديه لأنهما تخلّيا عن دورهما في التربية.

ولله در شوقي حين قال :

" ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولاً" (١) .

٢- الإعلام المدمر: وهذا لا يقل خطراً عن سابقه، فالولد إذا ما ترك أمام التلفاز فإنه يتشرب منه كل ما هو قبيح، ويتأثر بالبرامج الهدّامة التي تقوّض الأخلاق، وتعلّم الإجرام، فالتلفاز " يشبع في النشء حب المغامرة، كما ينمي المشاغبة والعدوانية عن طريق محاكاة الممثلين، ويزرع في نفوسهم التمرد على الكبار، والتحرر من القيود الأخلاقية والسخرية من المدرّسين، ويجعل الثقافة والتعليم مادة تثير الضحك والهزء والاستخفاف " (٢) .

كما أن " كثرة سماع الطفل للقصص والأفلام الخيالية يجعله هامشي التفكير، ضعيف الشخصية، ويشب علي ذلك فلا يستطيع أن يتخذ قراره بنفسه، ولا يستطيع أن يجابه الواقع ولا أن يفكر في حلول عملية لأي مشكلة واقعية بل يكون تفكيره خيالياً بحثاً " (٣) .

٣- الإهمال المدرسي: كذلك من أسباب انحراف طفل اليوم ما يوجد في كثير من المدارس من إهمال للدور التعليمي والتوجيهي فلا علم نافع ولا توجيه للسلوك، فالمدرّس لا همّ له إلا الدرس الخصوصي، وأما وقت الدراسة في المدرسة، فيضيع بلا نفع في أغلب الأحوال .

(١) ينظر محاضرات في النظام التربوي الإسلامي — د/ سمير عبد المنعم حسن — كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة — بدون ذكر دار للطباعة — الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م ، وينظر أيضاً — خطب الشيخ محمد حسان ط دار ابن رجب بالمنصورة الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م ج ٥ / ١١٤ .

(٢) د / محمد أحمد إسماعيل المقدم — الإجهاز علي التلفاز — ط — دار الصفوة بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٣) الشيخ وحيد عبد السلام بالي — المتهم الأول ط — مكتبة الصحابة بالإمارات ومكتبة التابعين بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م ص ٥٦ .

ثم خص د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - الأطفال الذين لم تنهياً لهم سبل التعليم بالحديث قائلاً: " ونترك أطفال المدارس إلي الأطفال الذين لم تنهياً لهم سبل التعليم، وخطرهم أفدح وأوجع، وقد ابتليت بهم المدن الكبرى، كما انتشروا في القرى والنجوع، فإذا كانت العشوائيات في المدن تضم أسرهم المسكينة فإن أكواخ القرى تعج بهم كالذباب الطائر في كل مكان، ومصيبة هؤلاء أن أولياء الأمور لا يشعرون نحوهم بأدنى مسئولية بل يتخذونهم أداة للعيش بما يسلكون من اعوجاج، وقد جدت ظاهرة أليمة في هذا الوسط البائس، تلك ظاهرة الأب الخامل، الذي لا يتحمل أدنى مسئولية تجاه أسرته، يدع للأُم أن تبذل جهد الجن في جمع الفتات مما يصلح للزاد، فتارة تكون خادمة، وتارة بائعة ألوان من الخضار ذي الثمن الزهيد، وتارة سائلة تتكفف، وفي يدها غلام وعلي كتفها طفل، والأب حين يأنس من أطفاله بعض القوة يدفعهم إلى الكسب غير المشروع، عن طريق النشل أو التسول، فترى الأطفال في الأسواق وفي المقاهي، وفي عربات الترام يتسولون، ويتعرضون لأقوي الأخطار في القفز من عربة إلى عربة، وفي الوثب إلى الرصيف إن وجدوا من يحاول إيذاءهم، وقل بعد ذلك ما مستقبل الواحد من هؤلاء وقد شب علي السرقة، ووجد الازدراء والإيذاء من الجمهور؟؟

وطبيعي أن أمثال هؤلاء لم يسمعوا نصيحة تهدي إلى الخير، ولم يعرفوا أي معنى للفضيلة، فإذا شبوا عن الطوق كان الإجرام أقوي وسائلهم للكسب، وقد يجد الأطفال (معلماً) خطيراً يجمعهم طوائف شتى ليرسم لهم طريق السلب . .

إننا نعلم أن أبواب الخير قد اتسعت لإيواء بعض هؤلاء المشردين بين الملاجئ والمبرات ، ولكن طوفان النسل المتزايد يجعل هذه الأبواب قطرات متساقطة لا تسقي ظمأ ، وأكبر الآفات أن تجد الأب الكسول الخامل ذا الأولاد الخمسة، يسعى إلى أن يتزوج أخرى تأتي بخمسة آخرين ليؤدوا الرسالة المشروعة لديه " (١) .

وأخيراً قدم د/ البيومي العلاج قائلاً: " قد لا نستطيع معالجة هذه الأوبئة علي نحو سريع، ولكن السير خطوة خطوة مما يسعف بهذه المعالجة، وأول هذه الخطوات أن نفرض على الرجل ألا يتزوج بأخرى إلا إذا اتسعت موارد رزقه، وقدم ما يثبت أنه ذو اقتدار على أن ينفق على منزلين لا علي منزل واحد، كما نفرض على العاقل أن يبحث عن عمل قبل أن يقدم على الزواج! وليس في ذلك مخالفة للشرع الحنيف، فقد قال رسول الله ﷺ: { يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء } (١) وبذلك نحد من طوفان التشرذم من منبعه ونرحم الأمة من وجود جيل قادم سينخر في كيانها بما يرتكب من موبقات!" (٢) .

وأوافق د/ البيومي - رحمه الله - علي هذه الحلول، حيث إن كثيراً من أفراد الأمة العاطلين لا همّ لهم إلا إشباع رغباتهم، فيجنحون إلى التزوج بأكثر من امرأة طمعا في قضاء الشهوة غافلين عن العاقبة السيئة التي تترتب على هذا التزوج من انتشار أطفال الشوارع الذين يصيرون نكبة على الأمة وعامل هدم لبنائها الشامخ العظيم، فلا بد من وضع العراقيل في وجه هؤلاء؛ للحد من الفساد، فإذا كان الواحد منهم ذا أسرة واحدة ويفعلون بالأمة الأفاعيل من سرقة وقتل واغتصاب، فكيف نسمح له أن يكون أسرة أخرى تسير على منوال الأسرة الأولى؟ .

المطلب الرابع قضية أخلاقية:

وتناول د/ البيومي - رحمه الله - الكثير منها في كتبه، ومقالاته، ومن أهم ما تناولته في كتبه ما يلي:

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود كتاب النكاح رقم ٦٨ — باب قوله ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج رقم ٢ — حديث رقم ٥٠٦٥ مرجع سابق ج ١٤ / ٣٠٨ — ٣١٢ . وأخرجه مسلم في كتاب النكاح رقم ١٦ — باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنه ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم رقم ١ — حديث رقم ١٤٠٠ مرجع سابق ج ١٨٥/٥ .

(٢) افتتاحية مجلة الأزهر ص ١٥٤٩ .

- ١- له كتاب عنوانه: (من المثل الإسلامية) جمع فيه العديد من القضايا الأخلاقية، ومن أهمها مايلي:
 - أ - مثل الإسلام تبعث على اعتناقه .
 - ب - حقوق الحيوان في الإسلام .
 - ج - صلة الأرحام في الإسلام .
 - د - الضمير العلمي .
 - ز - صدق الحديث .
 - هـ - التفسير الكيمائي للأخلاق .
 - و - بين الحلم والتحمل .
 - ي - الصداقة خلق إنساني .
- ٢- في كتابه (في ميزان الإسلام) الجزء الأول تناول: (الفضائل الخلقية في الإسلام) .
- ٣ - وفي كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الأول تناول: (الدين مصدر الخلق الفاضل)، وفي الجزء الثاني تناول فيه: (حاجة الأخلاق إلى درس مستقل) .

ومن أهم ما تناوله في مقالاته ما يلي:

 - أ - مستقبل الأخلاق بالمعاهد والمدارس . افتتاحية مجلة الأزهر عدد صفر سنة ١٤٣٠هـ فبراير ٢٠٠٩م .
 - ب - العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية . افتتاحية مجلة الأزهر عدد ربيع آخر سنة ١٤٢٢هـ / يوليو ٢٠٠١م .
 - ج - الحج ارتقاء خلقي وطهارة نفسية . افتتاحية مجلة الأزهر عدد ذو القعدة سنة ١٤٢٣هـ يناير ٢٠٠٣م .

وأري: أن أتناول قضية من الكتب وقضية من الافتتاحيات، فمن الكتب أتناول (حقوق الحيوان في الإسلام)، ومن الافتتاحيات أتناول (العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية) .

أولاً: حقوق الحيوان في الإسلام:

وبدأ د/ البيومي - رحمته الله - حديثه عن هذه القضية بعرض ما قيل عن الحيوان في القديم قائلًا: " اشتهر في القديم لدى علماء الغرب أن الحيوانات كائنات آلية، لا تتمتع بذكاء، فهي تتحرك تحركات غريزية دون أن تعي من أمرها شيئاً، وبالغ بعضهم فزعم أن نصيب الإحساس لديها ضئيل .

ثم فندّ د/ البيومي هذا الزعم بقوله: وهو زعم ينقضه الواقع المشاهد للعيان، وليس بحاجة إلى دقة في الملاحظة كي تتضح قضيته على الوجه الصحيح، بل إن فليسوفاً كبيراً كـ (ديكارت) وهو من هو! وقد أبدى من الآراء في الحيوان ما يكاد يلحقه بالنبات، ولكن تقدم العلوم قد ارتفع بالحيوان إلى مستواه من الإحساس التام، والشعور بمؤثرات اللذة والألم والراحة والتعب والجوع والشبع والظمأ والري على نحو يكاد يطابق شعور الإنسان " (١) .

وبعد أن أبطل د/ البيومي مزاعم القوم من أن الحيوان لا إحساس له، وأثبت له الإحساس، تحدث عن جمعيات الرفق بالحيوان قائلًا: "وقد أسست في أوروبا جمعيات الرفق بالحيوان، وكانت انجلترا أول الدول نهوضاً بهذه الجمعيات، إذ ظهرت أول جمعية بها في سنة ١٨٢٤م أي منذ قرابة قرن ونصف، وكان ظهور الجمعيات وانتشارها في عواصم الممالك والدول الغربية مدعاة فخر متزايد لهؤلاء الذين يزعمون أن التقدم الحضاري لديهم قد بعث علي إنشاء هذه الجمعيات، وأن المسيحية وحدها هي دين الرحمة والإشفاق " (٢) .

ثم شرع د/ البيومي في الرد على ما زعمه أصحاب هذه الجمعيات من دعوي التفرد بهذه المبادئ من الرحمة والإشفاق والحنان قائلًا: " ولو كان هؤلاء الزاعمون لم يدرسوا الإسلام قرآناً وحديثاً وتشريعاً وتاريخاً يمتد إلى أربعة عشر من القرون، لقلنا إنهم يجهلون ما لدينا من الروائع الخارقة في مضممار الرأفة بالحيوان، ولكنهم قد

(١) د/ محمد رجب البيومي - من المثل الإسلامية - ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ص ٣٢ .

(٢) السابق ص ٣٣ .

خصصوا فريقاً من باحثيهم في شتى دولهم للإلمام بشريعة الإسلام، فظهر مئات الدارسين ممن يُعرفون بالمستشرقين، وقد ترجموا كتاب الله وحديث رسوله، وصحائف التشريع إلى لغاتهم المختلفة، ففهم تجاهل الحق الواضح، ونحن لا ننكر أن المسيحية الأصلية قد قامت على الرحمة والحنان، ولكننا نتساءل: أين أثر هذه الرحمة فيما تنزله دول أوربا بالآمنين من بواعث الفتك المدمر، وقذائف القنابل الصاعقة، دون جرم يبعث على هذا الدمار المتأصل الساق، أفيكون مظهر الرحمة لدى هؤلاء إنشاء جمعيات تعطف علي فصائل من الحيوانات وحدها، أم أن الرحمة مظهر عام يشكل الكائنات جميعها •

وإذا كان الحق لا يعدم أنصاره في كل زمان ومكان، فقد وجدنا من هؤلاء الذين يزعمون لأنفسهم التفرد بالرحمة دون سائر الناس من يريهم تناقضهم الكبير فيما يتناولون من القضايا المتشابهات، فقد احتجت جمعية الرفق بالحيوان في أمريكا حين فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية في المحيط الهادي فقتلت آلاف الحيوانات المائية حيث طفت علي ظهر المحيط جثث هذه الضحايا المسكينة على نحو يبعث التحسر والالتياح، وقدمت جمعية الرفق بالحيوان احتجاجها الواضح معلنة تأثرها الشديد! وكان علي أعضاء هذه الجمعية الكريمة أن يمتدوا برحمتهم إلى الإنسان أيضاً — لأن الرحمة شعور تام لا يتجزأ تجزأ يُفرق بين حيوان وحيوان •

كان علي أعضاء هذه الجمعية أن يعلنوا احتجاجهم حين أسقطت الطائرة الخطيرة قنبلتها الذرية على هيروشيما، فقتلت عشرات الآلاف في طرفة عين، وتركت آلاف المشوهين يعانون من آلام المرض ما استراح منه هؤلاء الذين بلعته الأرض في كرة طرف!

إن الشعور بالرحمة على الكائنات شعور نبيل يجب أن يسود الناس جميعاً، ولن يصدق هذا الشعور حتى يشمل كل كائن حساس ليجتث بواعث الألم قبل أن تهياً لها الأسباب " (١) •

ثم تحدث د/ البيومي عن الرحمة بالحيوان في الإسلام قائلاً: " يعلم رجال التشريع الإسلامي أصول فقههم الحكيم، فهم يعرفون بناءه على الأخلاق الوطيدة، والتزامه بما يفي بحقوق الكائنات وفاءً يدرأ عنها الإجحاف والتعسف " (١) .

ثم ساق د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - أمثلة من أحاديث النبوة، ومن الواقع المعاصر، ومن التشريع الإسلامي، ومن التاريخ الإسلامي، تدل على الرحمة بالحيوان .

و أرى: أن أعرض مثلاً لكل نوع من هذه الأمثلة:

فمن أحاديث النبوة، ما ذكره بقوله: " في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال:

{ بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها وشرب ثم خرج، فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكره الله فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ فقال:

في كل كبد رطبة أجر } (٢) " (٣) .

ومن الواقع المعاصر، ما ذكره بقوله " ذكر الجراح الفرنسي الشهير (بييراك) أنه وجد يوماً قريباً من داره كلباً جميلاً مصاباً بتكسر في أصابعه، وقد برح به الألم، فأمر بإدخاله إلى الدار، وأخذ يعني بأصابعه فجبر عظامها، وما زال به حتى شفي تماماً، فلما استرد صحته غادر المنزل مبتهجاً، ومضت خمسة أشهر جاء بعدها الكلب إلي الطبيب، فدعاه أن يلج منزله فأبى وأخذ ينظر إليه مسترحماً، ويجذب ثوبه بفمه، كأنه يريد أن يتبعه، فانقاد له الجراح وسار وراءه، فأوصله إلى كلبه مطروحة على مقربة من الدار تشكو ما كان يشكو صاحبها من تكسر الأصابع، فعلم الجراح أن الكلب قادها لتجد علاجها لدي الطبيب، فدهش الجراح لمشاعر الكلب وقام بالعلاج " (٤) .

(١) — من المثل الإسلامية — ص ٣٤ .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة كتاب المظالم رقم ٤٧ — باب الآبار التي على الطرق إذا لم يُتأذ بها رقم ٢٣ — حديث رقم

٢٤٦٦ — مرجع سابق ج ٥٢٣/٧ . وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام رقم ٣٩ — باب فضل سقي البهائم المحترمة

وإطعامها رقم ٤١ — حديث رقم ٢٢٤٤ — مرجع سابق ج ٥٠٢/٧ .

(٤) نفس السابق ص ٣٧ .

(٣) السابق ٣٤ — ٣٥ .

ومن التشريع الإسلامي ، ما ذكره مما دونه فقهاء الإسلام في كتبهم التشريعية بقوله: " يحرم خصاء البهائم لما يلحق من التعذيب، ويحرم متابعة السفر عليها دون أن ترتاح؛ لأن لها حق الاستراحة والأمن، كما يحرم أن يُتخذ الحيوان هدفاً للرمي تعلماً للصيد، ففي صحيح مسلم أن ابن عمر رضي الله عنهما { مر بفتيان من قریش قد نصبوا طيراً يرمونه، فلما رأوه تفرقوا، فسأل ابن عمر: من فعل هذا؟ إن رسول الله لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً } (١)" (٢) .

ومن التاريخ الإسلامي ، ما ذكره بقوله: "جاء في كتاب الأم للإمام الشافعي - رحمته الله - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قدم مكة، فدخل دار الندوة يوم الجمعة وألقى رداءه على جدار فيها، فوقع عليه طير من الحمام فأطاره الفاروق عن ثوبه، ووقع على جدار آخر كانت عليه حية فقتلته، فتأثر عمر - رضي الله عنه - لما رأى وقال لأصحابه: ما أظن إلا أنني كنت السبب في مصرع الطائر؟ فماذا أصنع؟ ف قيل له: تصدق بعنزة يا أمير المؤمنين، فعجل بالتصدق، وهو يري نفسه مذنباً بذنب لم يرتكبه " (٣) .

وبذلك يتبين: أنه لا توجد رحمة تقترب من هذه الرحمة في سموها وعلو قدرها، فالرحمة في الإسلام شملت كل ما هو كائن حي، فقد خلق الله الرحمة مائة جزء أنزل جزءاً واحداً يتراحم به الخلائق، وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً .
ومصدق ذلك قوله ﷺ: { إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، وآخر تسعاً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة } (٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح رقم ٣٤ - باب النهي عن صير البهائم رقم ١٢ - حديث رقم

١٩٥٨ - مرجع سابق ج ٧/ ١٢٠ .

(٢) من المثل الإسلامية ص ٣٨ .

(٣) السابق ص ٣٩ .

(٤) ذكره الألباني في كتابه صحيح الجامع الصغير مرجع سابق حديث رقم ١٧٦٧ - ج ١/ ٣٦٣ .

ثانياً: العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية:

وتناول ذلك د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - في افتتاحية مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٢٢هـ - يوليو ٢٠٠١م، وبدأ الحديث ببيان أن العدل سنة من سنن الله في الكون فقال: "العدل سنة من سنن العالم الطبيعي به سارت الكواكب في مجاريها وعلى نظامه توقف مجرى الليل والنهار، فالشمس تجري لمستقر لها لا تتزحزح عنه، والقمر له منازل معلومة مرصودة، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان •

لقد اكتشف الفلكيون بعد أن رصدوا الكواكب السيارة أن أبعادها بالنسبة إلى الشمس تسير على نظام عادل لا يختلف (٣-٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨) وبالعدل الدقيق قامت حركة الكون في اطرافها المديد، كما أن الخلل الشاذ في بعض مظاهر الكون لا يكون إلا عقاباً علي ترك العدل، لأن الظلم يحق الحياة الإنسانية كما تحقق الزلازل والبراكين هدوء العالم الأرضي في وقت من الأوقات" (١) •

ثم بين د/ البيومي أن العدل اتجاه فطري فقال: "وكما أن العدل ظاهرة كونية فهو أيضاً اتجاه فطري في النفس إذا سلمت من غواشي البيئة الفاسدة، وبرئت من سيطرة الغريزة الهابطة فحين ترتكس النفوس في حماة الضلال لا تطمئن اطمئناناً كافياً لشذوذها المنحرف بل تضيق به وتحس كأنها بمنأى شاسع عن الطريق الصحيح إحساساً يورثها لذع الألم، وبرح الندم، مهما تظاهر المذنب بالتماسك والالتئام، إذ يشعر شعوراً داخلياً أنه يأتي بما لا يناسب إنسانيته من الآثام • ويتمنى لو أمكنه سريعاً أن يسدل ستاراً على مخازيه بأن تهيب له الظروف ما ينجيه من انحداره نجاء خالصاً لا رجعة فيه لأن صوت الفطرة في أعماقه يؤرقه، وقد يموت الضمير نهائياً عند قلة قليلة، وهؤلاء شواذ لا تستقيم بهم قاعدة عامة، ومن دلالة هذا الاتجاه الفطري في النفس أن صاحب الخلق المحمود إذا عدل في أهله ورعيته يشعر بالارتياح المغتبط في كل موقف من مواقف عدالته، حتى ولو عادت عليه هذه العدالة المتحرزة ببعض الأضرار

المادية أو المعنوية، لأنه يعرف أنجزاء من جنس العمل وأن الضرر الذي لحقه بإجراء العدالة ضرر ظاهري يخفي نفعا كثيراً له قبل أن يلحق النفع سواء (١) .

ثم ذكر د/ البيومي أن العدالة نوعان عدالة داخلية، وعدالة خارجية فقال: "وعلماء الأخلاق حين يتحدثون عن العدالة يجعلونها عدالتين: عدالة داخلية، وعدالة خارجية .

فالعدالة الداخلية هي مراعاة الالتزام الدقيق بقواعد النظام العادل في السلوك الإنساني بحيث لا تقوى ناحية ما فتسيطر علي غيرها سيطرة تفقد المرء توازنه النفسي، أو تعظم غريزة هابطة فيسوء أثرها حين تسيطر على عاطفة شريفة فتمحقها .

وتفسير ذلك أن الإنسان يخضع لقوى عقلية وقوى شهوية، والقوة العقلية هي التي تحتل مكان القيادة فتوجه صاحبها إلى الطريق الصحيح، وتكبح جماح القوى الشهوية حين تميل إلى تجاوز ما أحل الله من متاع ، أو سلب ما يحوزه الغير من مال، وبمراعاة العدالة بين القوتين يحدث الانسجام النفسي لدى الإنسان، إذ يكون موفقاً في حياته فلا تعصف به نزوة هائجة إلى عمل عدواني، أو انحطاط بهيمي، لأن العدالة الإلهية قد منحت الإنسان إدراكه البصير ليسير في المحيط الزاخر آمناً مهابة العواصف الهوج، والزعازع الهائجة، فيصل إلى الشاطئ بسلام وما يقوله الأخلاقيون قديماً عن القوى العقلية والقوى الشهوية يقوله علماء النفس حديثاً عن الإدراك والوجدان والنزوع، والمال واحد وإن اختلف الاصطلاح .

أما العدالة الخارجية فهي التي تتجاوز التنظيم الداخلي للنفس إلى الاتصال الاجتماعي بين الناس، ولا شك أن كل إنسان حريص علي ألا يضيع حقه فهو يتطلع إلي استيفاء ثمرات جهوده، تطلعاً قد يدفعه إلى الطمع في ثمرات غيره .

إذا فقد عنصر الحق في نفسه، إذ من الحق كل الحق ألا يجور إنسان على إنسان حتى ولو كان في نهاية الحد الأقصى من عدالة المتربصين، فقد قال الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓيَ ءَلَا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ (١) والنصوص القرآنية في هذا المجال كثيرة يعرفها الدارسون، وعلينا أن نتفهم نفوسنا حين نصدر الحكم في تحديد العلائق بيننا وبين الناس، لأن الشيطان يعجز عن أن يدفع المسلم المتحرز دفعاً صريحاً للظلم، فيأتي إليه من باب التدليس، ليزين له الشر حين يرسمه في صورة الخير، فيجعل من ميوله الذاتية في حب الاستئثار بالنفع ما يريه الباطل المحض في صورة الحق الصريح إذا لم يعتصم بالحجة الواضحة دافعاً تطلعات الهوى المغرض " (٢) ٠

وأخيراً تحدث د/ البيومي تحت عنوان (العدل في العدل) قائلاً: "يقول الأستاذ/ إبراهيم الجبالي - رَحِمَهُ اللّٰهُ -: إذا نظرت إلى المعاملات وجدت قانون العدل محكماً، وطريق الإنصاف محتماً لأن الإسلام قد عدل في العدل، نعم لقد عدل حتى في العدل، لأنه لم يحتم علي صاحب الحق أن يأخذ بالعدل، كما لم يحرمه حقه من العدل، وإنما قال له: لك الحق في أن تستوفي حَقَّك بالعدل، ولكني مع ذلك أرغبك في الإحسان فما أشبه الإتيان بالإحسان بعد العدل أن يكون اعتدلاً في تقرير العدل " (٣) ٠

وبعد أن نقل د/ البيومي كلام الأستاذ/ الجبالي - رَحِمَهُ اللّٰهُ - قال معلقاً: "وكان الجبالي ينظر إلي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٤) ٠

فيجد العدل هو الميزان الطبيعي للمصالح العامة، ويرى الإحسان في العدل منزلة مستثناة للخاصة، وهي التي تجاوز العدل إلى العفو وهو الإحسان، وإذا كان من علماء الأخلاق في الغرب من جعل الإحسان في العدل دون تجاوز، فإن هذا الأخلاقي الكبير لم يحط خبراً بكل النفوس، إذ من البشر من تسمو نفسه إلي التسامح متنازلاً عن حقه العادل .

(١) سورة المائدة آية رقم ٨ ٠

(٢) نفس السابق ص ٥٦٤ — ٥٦٥ ٠

(٣) افتتاحية مجلة الأزهر — مرجع سابق ص ٥٦٦ ٠

(٤) سورة النحل من الآية رقم ٩٠ ٠

وقد رأينا من كرام الناس من يبكي لمآسي أعدائه، ويود أن لو هادنتهم الأوصاب
ومن يتنازل مشكوراً عن حقه العادل في ساحة القضاء رغبة في ثواب الله يوم الجزاء،
وتجاوز العدل إلى الرحمة سمو نفسي دعا إليه الإسلام مخيراً بين الحسن والأحسن،
والفاضل والأفضل وتلك عليا مراتب الفضلاء" (١) .

بذلك أبان د/البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - عن هذه الفضيلة الخلقية إبانة واضحة تدعو
العقلاء إلى التمسك بها، والترقي إلى مرتبتها العالية، ويتحقق هذه الفضيلة "ينتظم هذا
الكون، ويسعد الناس في تبادل المنافع التي أحلها الله تعالى فيما بينهم" (٢) .

"ومن فوائد العدل ما يلي:

- ١- الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة .
- ٢- دوام الملك وعدم زواله .
- ٣- رضا الرب قبل رضا الخلق عن العادل .
- ٤ - سلامة الخلق من شره .
- ٥- أصحاب العدل أهل للولاية والحكم والتقدم والرفعة .
- ٦- الصدع بالحق وعدم مماالة الباطل .
- ٧- يسد مسد كثير من أعمال البر والطاعة .
- ٨- عموم العدل في الإسلام، حتى إنه ليشمل الأبعدين، فضلاً عن الأقربين والكافرين
مع المسلمين ، ويشمل التسوية حتى مع أعضاء الإنسان نفسه .
- ٩- طريق موصل إلى الجنة " (٣) .

(١) نفس السابق ونفس الصفحة .

(٢) الإمام الأكبر د/محمد سيد الطنطاوي - السمعيات والأخلاق - ط ول إنجنيرينج إنتربرايز سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ -
٢٠٠٢م ص ١٥٥ .

(٣) الشيخ أحمد الطوخي والدكتور أحمد مصطفى - السلسلة الذهبية في الأخلاق الإسلامية - ط مكتبة السنة
بالقاهرة سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م ج ١/٢٦١ .

المطلب الخامس قضايـا سياسـية:

وتناولها د/ البيومي - ﷺ - في العديد من كتبه، ومن أهم ما تناوله ما يلي:

١- في كتابه (قضايا إسلامية) الجزء الثاني تناول (عقوبة الإعدام)، (التسعير الجبري) .

٢ - وفي كتابه (الصراط المستقيم) الجزء الثاني تناول فيه (القتل الخطأ) .

٣ - وفي كتابه (في ميزان الإسلام) الجزء الأول تناول فيه موضوعاً بعنوان (يحاربون الشريعة الإسلامية) وفي الجزء الثاني تناول (هلال المحرم مصدر وعي سياسي) .

وأرى: أن تأخير من هذه القضايا (عقوبة الإعدام)، وقد بدأ د/ البيومي حديثه عنها بالإشارة إلى أن كثيراً من الدول التي قررت إلغاء هذه العقوبة من قبل تطالب بإعادتها الآن بسبب كثرة الجرائم التي لا يحد منها إلا هذه العقوبة الرادعة فقال: "نشرت احدي الصحف العربية في ٣/١٩ / ١٩٨٢م ما نصه: وقع نحو ٥٠ عضواً من الأعضاء البرلمانيين لحزب المحافظين البريطاني أمس علي طلب يؤيدون فيه دعوة جهاز البوليس البريطاني لإعادة العمل بعقوبة الإعدام شنقاً للمتهمين المدانين، في قضايا القتل مع سبق الإصرار والترصد، وذلك في محاولة للحد من تزايد موجة الجرائم الخطيرة التي زادت بنسبة ١٠ % في عام ١٩٨١م لتصل إلي رقم قياسي معدله ٢,٩ مليون جريمة خطيرة . وهكذا نجد انجلترا تتراجع في مسألة إلغاء عقوبة الإعدام، وليست أول حكومة تفكر في إلغاء هذه العقوبة فقد سبقتها إلي ذلك بعض الدول كالبرتغال واليونان وهولنده والنرويج والهند ورومانيا والكثير من المقاطعات السويسرية ودول أمريكا الجنوبية .

وقد كان القرن الثامن عشر يموج بحرب فكرية بين دعاة الإلغاء ودعاة الإبقاء، فظلت المناقشة قائمة إلى يومنا هذا، يشترك في ميدانها أساتذة مصريون وبريطانيون وبلجيكيون وإيطاليون، ولكل فريق أدلته وبراهينه، ولقد كان لهذه المناقشات المدوية أثرها البعيد، فامتنت بعض الدول نهائياً عن عقوبة الإعدام واستبدلت بها الأشغال

الشاقة المؤبدة أو الحجز الإنفرادي أو النفي إلى مجاهل مظلمة، كما اضطرت بعض الدول التي ترى إبقاء العقوبة إلى إنقاص عدد الجنايات التي يعاقب مقترفها بالإعدام، واتخذت بعض الدول وسائل مخففة لتنفيذ الإعدام، مع أن الموت بالزهر كالموت بالفحم كما يقول أمير الشعراء " (١) .

أقول: ولكن ديننا الحنيف أمرنا بإحسان القتلة، قال رسول الله ﷺ: { إن الله كتب الإحسان علي كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة } وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته } (٢) .

ثم تحدث د/ البيومي - رحمه الله - عن عقوبة الإعدام في الشرائع السماوية قائلاً: " وقد جاءت الشرائع السماوية منادية بتطبيق العقوبة، وتنفيذها في حالات خطيرة لا يسد مسدها غير عقوبة الإعدام فالتوراة تنص على وجوب قتل النفس بالنفس كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (٣) والشرعية الإسلامية تجعله زاجراً للقاتل وحسماً للجريمة، فقد قال الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

ونحن نعلم أن ميدان الحياة فسيح للتناحر والشجار، وأن بعض النفوس البشرية يتعذر عليها أن تستجيب لنوازع الخير، فقد جبلت على القسوة الطاغية فأغلقت آذانها عما يتردد من هتاف بالفضيلة والتسامح ومراقبة السماء، وهذه النفوس القاسية التي توغل في الشر وتندفع إلى الدماء لا بد أن تجد الجزاء العادل الحاسم، وإذا اعتقد

(١) د/ محمد رجب البيومي - قضايا إسلامية مناقشات وردود - ط دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ

١٩٨٥م ج ٢/ ٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن شداد بن أوس - كتاب الصيد والذبائح رقم ٣٤ باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد

الشفرة رقم ١١ حديث رقم ١٩٥٥ مرجع سابق ج ٧/ ١١٨ - ١١٩ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٤٥ .

(٤) سورة البقرة الآيتان ١٧٨ ، ١٧٩ .

القاتل أنه سيفلت من القتل بعقوبة ما، فإن الرغبة في الشر ستأجج في جوانبه والاندفاع سيبلغ أبعد مداه، ولهذا كان القتل أنفي للقتل كما يقول المثل العربي • ولعل أصدق شاهد علي ذلك أن بعض الدول التي قررت إلغاء عقوبة الإعدام كإيطاليا قد عادت إلي تنفيذه وتطبيقه إذ هالها وأزعجها استفحال الشر وتفاقم الخطب، وصدق الله ﷻ حين قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (١) " (٢) •

وأخيراً عرض د/ البيومي أدلة القائلين بوجوب الإلغاء قائلاً: " يقول المحبذون للإلغاء:

- ١- إن القانون حين يعاقب على القتل خليق به أن يستأصله من مواده فلا يأمر بعقوبة يشدد عليها النكير •
- ٢- إن إعدام المجرم خسارة ثانية للأمة، فإنها ستفقد اثنين بتنفيذ العقوبة لا واحداً فقط كما أن إعدام القاتل لن يفيد أهل القتل •
- ٣- أن العقوبة أثر من آثار الوحشية والبربرية وليس من العدالة أن نتمادي في تنفيذ عقوبة يتألم لها الشعور الإنساني النبيل •
- ٤- إن عقوبة الإعدام متي حكم بها ونفذت نهائياً فقد أصبح من المحال أن نصح آثارها الظالمة، إذا ثبت أن الحكم بها قد بني علي أدلة غير صحيحة، وهنا تكون الكارثة كأفدح ما تكون •
- ٥- إن عقوبة الإعدام هائلة مريعة ومن الإمكان أن تستبدل بها عقوبة أخرى، كالأشغال المؤبدة أو الحجز الإنفرادي مدي الحياة، أو النفي إلى مطارح نازحة •
- ٦- لقد لوحظ أن البلاد التي ألغت هذه العقوبة قد قلّت بها حوادث القتل والإجرام وكان الإلغاء نفسه أداة إصلاح •
- ٧- إن عقوبة الإعدام تمنع من إصلاح المجرم، مع أن العقاب في وضعه الأصلي قد شرع للإصلاح والتهديب " (٣) •

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١٧٩ •

(٢) قضايا إسلامية مرجع سابق ص ٣٨- ٣٩ •

(٣) قضايا إسلامية - مرجع سابق ص ٤٠ •

ثم شرع د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - في الرد قائلاً: " هذه هي أدلة القائلين بالإلغاء والرد عليها هين ميسور، وسنوجزه إيجازاً يحمل الحجة الملزمة والإقناع المريح فنقول:

١- أما القانون الذي يعاقب علي القتل خليف بأن يستأصله من مواده فمغالطة واضحة، لأن القانون بتنفيذه الإعدام يمثل المجتمع، والقاتل بجريمته الشنعاء يمثل نفسه وحده، وما يحرم على الفرد لا يحرم على المجتمع، فكما أن له الحق في المصادرة والغرامة والحبس، فله الحق في تنفيذ الإعدام .

٢- وأما أن إعدام المجرم خسارة ثانية للأمة، فهو غير معقول، لأن استئصال المجرم كسب أي كسب . ولو استمرت حياته فلن يؤمن شره، والقول بأن إعدام القاتل لن يفيد أهل القتل يتضمن إغفالاً تاماً للناحية النفسية لدي هؤلاء فلا ريب أن أحزانهم ستهدأ حين يجدون القاتل قد لقي جزاءه العادل، وإلا فلا مناص من التآمر والتربص، مما يضطرب معه الأمن أسوأ اضطراب، وقد راعت الشريعة الإسلامية شعور ولي الدم فجعلت له الحق في الإصرار على القصاص أو العفو بمحض إرادته كيلا يعتقد عجزه عن إدراك طلبته فتدب في صدره عقارب الغيظ والانتقام .

٣- وأما أن العقوبة أثر من آثار الوحشية والبربرية، ومفزعة للشعور الإنساني فهذا كلام توحى به العاطفة المتذبذبة دون أن يجد مجالاً لدى الإدراك الصحيح، فالوحشية تتجسم حين يعتدي القاتل علي البرئ المظلوم وليست في استئصال الشر وبتره، والعاطفة المستنيرة تؤيد العقل في محق الإجرام، ولا تتألم لإقامة الحق، ونحن نقرأ في الصحف أنباء المشنوقين ونسمع أقوالهم الأخيرة، فلا نتأوه لمصارعهم العادلة إذ كانت في حقيقتها حسماً للداء .

٤- وأما أن عقوبة الإعدام إذا نفذت خطأ فلن يقدر على ملاقاتها بحال، فهذا قول له وجهته السطحية، إذ أن الخطأ القضائي في هذه العقوبة نادر جداً، وقد تمر أعوام دون أن يسمع به في شتي نواحي العالم . .

وقد أخذت له الاحتياطات الواقية بالرجوع إلى مفتي الجهة، وإرسال أوراق القضية إليه على أن الشريعة الإسلامية لا تجيز الإعدام إلا في حالة الثبوت باعتراف المتهم أو بشهادة شاهدي الرؤية، وهذا خير من ترك الأمر إلى ضمير القاضي واقتناعه كما في قانون العقوبات الذي يعمل به الآن .

٥- وأما أن عقوبة الإعدام هائلة مفزعة ويمكن أن تستبدل بها الأشغال الشاقة المؤبدة مثلاً، فهذا هروب من شر إلى أشد منه بل إن بعض المجرمين ينتحرون خلاصاً من الحياة إذا صدموا بالأشغال الشاقة صباح مساء .

٦- وأما أن البلاد التي ألغت هذه العقوبة قد قلّت بها حوادث القتل، فهذا ما يصطدم بالحقائق الواقعية ولا يمكن أن يتقبله عقل بتسليم وإذعان . . والواقع أن البلاد التي تقل بها حوادث القتل هي التي تبقي العقوبة وليس العكس كما يقول محبذو الإلغاء .

٧- وأما القول بأن الإعدام يمنع من إصلاح المجرم فمع التسليم به ينبغي أن نعلم أن الأشغال المؤبدة نفسها لا تكفل إصلاح المجرم فهل نتركه إذن حراً طليقاً يعيث كما يشاء أو نلجأ إلى شر لا بد منه وهو الإعدام ، علماً بأنه يصلح غير المجرم أو يردعه على الأقل " (١) .

وبعد هذه المناقشة الرائعة لأقوال الفريقين أبدى د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - رأيه قائلاً: "ولعلنا بعد هذه المناقشة المنصفة نستطيع أن ننادي بإبقاء هذه العقوبة رغبة في صلاح المجتمع وتنفيذاً لشريعة السماء . . وليعلم المعارضون أن قانون الله لا يخضع لعاطفة جامحة أو يتغير بفلسفة مثالية تحتقر الواقع وتتجاهل حقائق الأشياء " (٢) .

وأوافق د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - على إبقاء هذه العقوبة الصارمة الرادعة التي بها يتم الحفاظ على أرواح المواطنين، كما أن بها الحد من هذه الجريمة النكراء جريمة القتل التي عدها الإسلام من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، " ففي كتابه ﷺ إلي أهل

(١) قضايا إسلامية ص ٣٩ - ٤١ .

(٢) السابق ص ٤١ .

اليمن وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراف باله وقل النفس المؤمنة بغير الحق " (١) .

وحرمة الإسلام دم المسلم وغلظ في التحريم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: { رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك؛ ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيراً } (٢) . وقال ﷺ: { لزوال الدنيا أهون علي الله من قتل رجل مسلم } (٣) .

المطلب السادس قضية التصوف وموقف د/ البيومي

منها: وقبل أن أتحدث عن ذلك تجدر الإشارة إلي ما يلي:

أ — مفهوم التصوف ونشأته . ب — آراء العلماء في التصوف .

أولاً: مفهوم التصوف ونشأته:

" إن التصوف يمثل نزعة إنسانية، يمكن القول بأنها ظهرت في كل الحضارات على نحو من الأنحاء، وهو يعبر عن شوق الروح إلي التطهر، ورغبتها في الاستعلاء علي قيود المادة وكثافتها، وسعيها الدائم إلي تحقيق مستويات عليا من الصفاء الروحي والكمال الأخلاقي . ولم يكن المسلمون استثناءً من هذه القاعدة، فقد ظهر التصوف لديهم مثلما ظهر لدي من سبقهم أو عاصرهم من الأمم " (٤) .

(١) الإمام ابن حجر المهيتمي — الزواجر عن اقتراف الكبائر — ط دار الحديث بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م ج٢/٢٠٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن رقم ٣٦ — باب حرمة دم المؤمن وماله رقم ٢ حديث رقم ٣٩٣٢ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه — مرجع سابق ج٣/ ٣٨٩ .

(٣) أخرجه النسائي في سننه عن عبدالله بن عمرو كتاب تحريم الدم — باب تعظيم الدم حديث رقم ٣٩٩٣ مرجع سابق ج٧/ ٨٦ . وأخرجه الترمذي كذلك عن عبدالله بن عمرو — كتاب الديات رقم ١٤ — باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن رقم ٧ — حديث رقم ١٤٠٠ وصححه الألباني مرجع سابق ج٣/ ٩٨ — ٩٩ .

(٤) الموسوعة الإسلامية العامة — بقلم أ — د/ عبد الحميد مذكور — ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — إشراف أ — د/ محمود حمدي زقزوق — وزير الأوقاف الأسبق — سنة ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م ص٣٨٦ .

يتبين من ذلك: أن التصوف لم يظهر في حضارة دون حضارة أو في أمة دون أمة، بل عمَّ ظهوره جميع الأمم، وشمل كل الحضارات، فقد قيل: بأن التصوف "منسوب إلي رجل كان يجاور بمكة قبل الإسلام يسمى صوفة بن بشر، وعلّق ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - بأن النسبة إلي هذا الرجل أو إلي قبيلته نسبة ضعيفة . . لأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضي أن يكون مضافاً إلي قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام" (١) .

و" يُرجع ابن تيمية نسبة التصوف إلي الصوف الذي يلبسه الزهاد تخشنا وزهادة" (٢) .

فالصوف زى الأنبياء وشعار الزهاد العباد يتميزون به عن أهل الرغبة في الدنيا .

وقد ذكر العلماء للتصوف تعريفات عديدة منها ما يلي:

- أ — " التصوف: قلة الطعام، والسكون إلي الله تعالى والفرار من الناس .
- ب — التصوف: ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك، وهكذا .
- ج — التصوف: هو الدخول في كل خلق سَنِيٍّ والخروج من كل خلق دَنِيٍّ .
- د — التصوف: خُلُقٌ فمن زاد عليك في الخُلُقِ فقد زاد عليك في الصفاء" (٣) .

ويمكن تعريف الصوفي بأنه هو: "الذي يكون دائم التصفية، لا يزال يصفي الأوقات عن شوب النفس، ويعينه علي كل هذه التصفية دوام الافتقار إلي مولاه، فبدوام الافتقار ينقي من الكدر، وكلما تحركت نفسه وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفرَّ منها إلي ربه" (٤) .

وأما عن أسباب نشأة التصوف لدى المسلمين فمتعددة، " بعضها من داخل البيئة الإسلامية، وبعضها من خارجها .

(١) السابق نفس الصفحة .

(٢) د/ مصطفى محمد حلمي — ابن تيمية والتصوف — ط دار ابن الجوزي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م ص ٣٨ .

(٣) الموسوعة الإسلامية العامة — مرجع سابق ص ٣٨٧ .

(٤) السابق — بقلم هيئة التحرير — ص ٩١٢ .

وكان الزهد هو البيئة الطبيعية التي نشأ فيها التصوف، وكان الزهد نفسه ثمرة لعوامل دينية واجتماعية حيث طرأ علي الحياة عند المسلمين أنماط من العيش وصور من السلوك، لم تكن مألوفة في حياة الصدر الأول من المسلمين الذين كانوا يتميزون بالبساطة والقناعة، والبعد عن التفنن في مطاعمهم ومشاربهم، أخذاً بالورع، وخشية من الحساب .

ولكن الحياة تحولت فيما بعد، وعند أهل الترف والغني إلي نماذج من السرف الفاحش الذي يستثير أهل الفقر والمسكنة، المستمسكين بما كان عليه السلف من زهد وبساطة، وكان ذلك من دواعي نشأة التصوف عند المسلمين كما يقول ابن خلدون: وأصل هذه الطريقة العكوف علي العبادة ٠٠٠ والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ٠٠٠ وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال علي الدنيا، في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلي مخالطة الدنيا، اختص المقبلون علي العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

علي أن التصوف لم يخل من التأثير ببعض المؤثرات الوافدة من نظم صوفية أخرى ، جاءت من خارج البيئة الإسلامية، بسبب الترجمة أحيانا أو بسبب اتصال المسلمين — بعد الفتوحات — بشعوب أخرى كان لها قدم راسخة في التصوف كالهند وفارس .

وقد كان بعض الصوفية من أصول ترجع إلي هذه الشعوب، وليس ببعيد أن يكون لبعض أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون بين المسلمين بعض التأثير أيضاً، وكان من آثار هذه العوامل كلها أن ظهر لدي بعض الصوفية أقوال ونظريات مشابهة لبعض ما ظهر في النظم الصوفية الأخرى "(١) .

يتبين من ذلك: أن التصوف نوعان، تصوف حقيقي وهو ما كان مستمداً من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ .

" وقد انعقد إجماع شيوخ الصوفية على ضرورة التزام المريد المطلق في أثناء رياضته بأحكام الشريعة الظاهرة، والعمل بالتكاليف الدينية المكتوبة فقالوا: الطرق إلى الله تعالى كثيرة، وأصح الطرق وأمرها وأبعدها عن الشبه إيتباع القرآن والسنة قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونيةً .

فكان الجنيد - رَحِمَهُ اللهُ - يقول: الطرق كلها مسدودة علي الخلق إلا لمن اقتفي أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته . وكان التستري - رَحِمَهُ اللهُ - يقول: أصول طريقتنا سبعة: التمسك بالكتاب والافتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق" (١) .

وتصوف ادعائي، وهو ما كان "استعلاءً علي الشريعة بدعوى الحقيقة، وإعلاءً للباطن على حساب الظاهر، وترويجاً للأفكار والمذاهب الدخيلة التي تتحدث عن الفناء والحلول، ووحدية الوجود وإسقاط التكاليف، ووقوعاً في أسر البطالة والتواكل والجمود والسلبية، والإعراض عن العلم بدعوى العلم اللدني " (٢) .

ثانياً: آراء العلماء في التصوف:

وقد اختلفت فيه الآراء بين التأييد والمعارضة، " وتتنحصر في تيارات ثلاثة:

أ — المؤيدون للتصوف والمدافعون عنه، كالكلاباذي والسلمي والقشيري والمكي والغزالي والهويري والهروي والجيلاني وغيرهم .

ب — المعارضون للتصوف من أغلب الفقهاء والمتكلمين طوال العصور، وربما يمثلته اتجاه ابن الجوزي . وهذا الاتجاه قد لا يسلم من التحيز ويفتقد النظرة العلمية الصحيحة إلى جانب تأثره الشديد بشيخه ابن عقيل الذي كان يرى في الصوفية إما أهواء متبعه، أو رهبانية مبتدعة .

(١) الموسوعة الإسلامية — مرجع سابق ص ٩١٣ .

(٢) السابق ص ٣٨٨ .

وكان يدعو المسلمين إلى عبادة الله ﷻ وفق العقل والشرع دون المظاهر التي حرص الصوفية علي إتباعها من إهمال الحقوق وترك الأولاد، والالتجاء إلى زوايا المساجد •

وكان الشافعي يحمل بقوة علي التصوف والصوفية، فقد قال: التصوف مبني علي الكسل، ولو تصوف الرجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق •

ج — الموقف الوسط ويُعبر عنه أمثال ابن تيمية، وابن القيم، وابن خلدون إذ يؤيدون الاتجاهات الصوفية المطابقة للكتاب والسنة، ويعارضون بشدة مذاهب التصوف الفلسفي عند الحلاج والسهروردي المقتول، وابن عربي ومن سلك مسلكهم " (١) •

وبعد هذا العرض الموجز للتصوف ونشأته، وآراء العلماء فيه، أرجع إلي ما أنا بصدد الحديث عنه في هذا المطلب، وهو قضية التصوف وموقف د/ البيومي منها •

وفي الحقيقة: إن د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — متصوفاً، وبدأ تصوفه العملي منذ النشأة فقد نشأ محباً لمجالس الذكر الصوفية في بيوت الله، حيث حفل مسجد قريته الكفر الجديد بهذه المجالس، وشارك فيها وهو في دور الطفولة والصبا منذ نصف قرن •

كما أنه قد شارك في مجالس أخرى وهو في مراحل التعليم المختلفة ففي دمياط، وهو بالمعهد الابتدائي صلي الجمعة في مسجد أبي المعاطي وهو من كبار الأولياء وشارك في مجلس الذكر بعد الصلاة •

وفي الزقازيق، وهو بالمعهد الثانوي ذهب؛ ليحضر الاحتفال بالمولد السنوي للشيخ أبي خليل، واستمع إلي عظة ألقاها العارف بالله الشيخ/ علي عقل وهو من كبار الصوفية في عصره، وحضر حلقة الذكر التي أقيمت بعد ذلك • وفي القاهرة، وهو بكلية اللغة العربية، كان متابعاً للموسم الديني في مولد الحسين ﷺ؛ ليشارك في حلقات الذكر مع الذاكرين • كما أنه كان يحضر بالجامع الأزهر لدرس الشيخ العارف بالله صالح الجعفري إمام الجامع بعد صلاة الجمعة حيث يُختم بمجلس ذكر عامر •

وفي الزقازيق في قرية بني عامر كان يذهب لزيارة مقام صديقه وزميله شيخ الطريقة الهاشمية الأستاذ/ محمود أحمد هاشم - رَحِمَهُ اللهُ - حيث كان المسجد متكدسا بالمصلين في يوم الجمعة، وقد أتوا علي شوق؛ لاستماع الخطبة وأداء الفريضة، ثم للانتظام في حلقة الذكر المججلة بالتهليل والتكبير؛ ليشاركهم في ذلك (١) * .

كما أنه كان يزور مسجد الشاعر الصوفي عمر بن الفارض سلطان العاشقين (٢) * . ولكنه توقف في ميدان التصوف العملي نظراً لكثرة أعماله العلمية، وانطلق في ميدان التصوف النظري، فسطر في كثير من مؤلفاته عن التصوف، ففي مؤلفه (أشواق العارفين) صفحات من تاريخ الصوفية تحدث عن كبار الصوفية أمثال الحسن البصري، ورابعة العدوية، الحارث المحاسبي، وذي النون المصري، وغيرهم، وعرض مواقفهم في العبادة والزهد والشوق .

كما أنه جند نفسه للدفاع عن أعلام الصوفية مما وُصموا به من تهم، ففي مؤلفه الصراط المستقيم الجزء الثاني تحدث عن الموضوعات الآتية: (الصوفيون والفتوة)، و(تبرئة ابن الفارض) ، و(الدرويش المفترى عليه)، و(حول السيد البدوي ومعارضيه) .

وأري: أن أعرض موضوع (الدرويش المفترى عليه)، حيث ردّ د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - هذا الافتراء الذي وُصم به الصوفية، وقد عرض هذا الافتراء بقوله: "شاع لدى العامة وصف للدرويش الصوفي بعيد عن معناه الحقيقي، فهم يطلقونه علي أصحاب المرقعات والملابس البالية والحيل الكاذبة من أدياء التصوف، وليس العامة وحدهم هم الذين يقعون في هذا الخطأ الواضح بل إن نफراً من كرام الدارسين يفهمون هذا الفهم البعيد عن المدلول الصحيح .

فقد قرأت في كتاب (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) للدكتور/ أحمد أمين ما ذكره تحت عنوان (الدرأویش) حيث قال ص ١٩٩: وقد اشتهروا بالإتيان

(١) * ينظر ص ٤٩ — ٥٣ من الرسالة .

(٢) * ينظر الصراط المستقيم — مرجع سابق ج ١/ ٢٩٥ .

بالأعمال العجيبة، كغرز المسامير الحديدية في أعينهم من غير أن يقاسوا ألماً، وابتلاع الجمر والزجاج ، وخرق أجسامهم بالسيوف وخدودهم بالمسلات، وأحياناً يحرقون قطعة من جذع النخل، ويحشونها بخرق قد غمست في الزيت والقطران ويشعلونها، ثم توضع مشتعلة تحت الإبط " (١) •

وفي الرد علي هذا الافتراء كتب د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - قائلاً: "وظاهر أن هؤلاء هم المشعوذون لا الدراويش، وهم ينتسبون زوراً وبهتاناً إلي التصوف، والتصوف بريء من كل هذه الخرافات، وليس كل من يدّعي الانتساب إلي طريقة ما يُعد درويشاً، لأن الدرويش الحقيقي ملتزم بآداب الإسلام، وبعيد كل البعد عن هذا الرجل الكاذب، وإذن فهو من المارقين السفهاء! " (٢) •

بذلك يتبين: أن كثيراً من الجهلاء قد تزيوا بزي الصوفية، وهم بعيدون كل البعد عن معني التصوف، فيقعون في خرافات وترهات تُنسب ظلماً إلي الصوفية، وهم منها برآء، فهؤلاء أدعياء للتصوف وليسوا متصوفين حقيقيين، ومن الظلم أن يُحكم علي التصوف من خلال هؤلاء، وتاريخ الصوفية حافل بسير الأعلام من رجال التصوف الحقيقي •

(١) الصراط المستقيم — مرجع سابق ج٢/٦٠٩ •

(٢) السابق نفس الصفحة •

وأخيراً موقف د/ البيومي من التصوف:

لقد أبدى د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - تأييده للتصوف الصحيح المستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح فقال: "والتصوف الصحيح هو ثمرة علم الأخلاق الإسلامي، ويقوم علي دعائم راسخة من توجيه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وسير السلف الصالح ممن اجتباهم الله برعايته فكانوا قدوة المهتدين، ومنارة السائرين، فإذا دلت مظاهر منحرفة من بعض أدعياء التصوف علي ما يخالف اتجاه الهداة المرشدين، فهم من التصوف الحقيقي بمكان بعيد " (١) .

وأنكر علي أصحاب التصوف الفلسفي وأدعياء التصوف، فبعد أن تحدث عن الإمام الحسن البصري - رَحِمَهُ اللهُ - رأس الصوفية وبيّن منهجه في تطهير النفوس من خلال أحاديثه لتلاميذه عن هواجس الشر في نفس المؤمن، وفساد الأعمال بالرياء، وخواطر النفس المؤمنة حين تتجرد من الشهوات لتتلقى أنوار السماء، دعا مشايخ الصوفية إلي إتباعه في هذا المنهج قائلاً: "ولو اتبع شيوخ المتصوفة من بعده منهجه في تطهير النفوس، وتركوا كل ما تورطوا فيه من أحاديث الاتحاد والحلول ووحدية الوجود مما وفد إليهم من ثقافات لا تنتمي إلي الإسلام، لو اتبع شيوخ الصوفية مذهبه في تطهير النفس، ونقاؤها من الأدران، لكانوا أساتذة الأخلاق الإسلامية دون مرء .

ولا أنكر أن فضلاء منهم قد نهجوا نهجه، وواصلوا السير في الطريق السلفي المستنير إلي الصريح من كتاب الله وسنة رسوله دون تأويل، فكانوا أقماراً ساطعة في الدياجير، ولكنهم وقعوا بين حريين مشتعلتين، حرب ذوي الفلسفة من هواة الثقافة الوافدة، وحرب الجهلة من المشعوذين الذين يدجلون بالمظاهر التافهة، فيلبسون العمائم الملونة، ويمسكون بالسبح الطويلة، ويكتبون الأحجبة الكاذبة، ويرقصون في الحفلات الصاخبة! ويحسبون أنهم مهتدون!!

إن الأجدر أن نتبع في التصوف منهج الحسن — ﷺ — ومن تبعه بإحسان! "(١) •

بذلك استبان رأي د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — في التصوف وأنه يُحبِّذ التصوف الحقيقي الصحيح في إطار القرآن، والسنة، وسير السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وينبذ ما يفعله الجهلة من أدعياء التصوف من الدجل والشعوذة، وكذلك ما تورط فيه أصحاب التصوف الفلسفي من أحاديث الاتحاد والحلول ووحدانية الوجود مما وفد إليهم من ثقافات لا تنتمي إلي الإسلام •



المبحث الثالث ما يتعلق بالسيرة النبوية

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول خطر يحيق بالسيرة النبوية:

اتجه فريق من الباحثين إلى رصد الأساطير الشعبية التي أضيفت للسيرة النبوية، وخلط الواقع بالخيال وتمويه الحق بالباطل في سيرة سيد الأنبياء ﷺ، مما دفع د/ البيومي - رحمه الله - كعادته، فقد زرق غيرة شديدة علي الحق - أن يهب محذراً من هذا المسلك البغيض الذي يروج للكذب والافتراء علي رسول الله ﷺ، ويهدد السيرة النبوية الصادقة بالخطر الشنيع، ويحذرنا د/ البيومي - رحمه الله - من هذا المسلك مبيناً خطورته، قائلاً: " هذا الاتجاه الذي يخلط الواقع بالخيال ويموه الحق بالباطل في سيرة سيد الأنبياء ﷺ، هو خطر شنيع يهدد السيرة الصادقة، حين يسمح أن تمتزج بأساطير المخرفين، واختلاق من لا يقدرون خطر الكذب علي رسول الله، إذ هم في الواقع يساعدون علي ذوبان الحقائق في خضم الأباطيل، وإذا اتسع هذا النطاق إلي مداه المرتقب دون أن يجد من يقف في طريقه، فسيأتي زمن يحار فيه القارئ بين ما يأخذ وما يدع مما يري ويقرأ من الأخبار، بل ربما تملكه الشك في كل ما يقرأ ٠٠

وتلك هي الغاية التي اتجه إليها المستشرقون حين اهتموا بدراسة الأساطير الشعبية لتصبح تاريخاً فيما بعد! ولتمتد إلى سيرة رسول الله ﷺ فتحوطها بركام كثيف يحجب الساطع من لآئها المنير، وقفي على أثر هؤلاء من بني الإسلام من جهلوا عاقبة ما يصنعون، فاندفعوا إلى شفير الهاوية غير متئدين " (١) ٠

وبعد أن ألقى د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - الضوء على خطورة هذا الاتجاه في دراسة السيرة النبوية لدي بعض الباحثين من المستشرقين وجهلة المسلمين تحدث عن سر إهتمامهم بهذه الأساطير قائلاً:

" وتسأل عن السر في الاهتمام بهذه الأساطير لدي من يحرصون على جمعها ودراستها، فتجد الدكتورة الفاضلة (نبيلة إبراهيم سالم) أستاذة الأدب العربي بكلية الآداب جامعة القاهرة تقول بصدد هذا الاتجاه في بحث ضاف نشرته بمجلة (عالم الفكر) .

وهي بالضرورة في طبيعة من يأخذون بهذا الاتجاه، تقول الكاتبة الفاضلة: إن الرواة اعتمدوا في هذه الرواية (رواية الأساطير الشعبية في قصة المولد النبوي) على خيالهم أكثر من اعتمادهم علي النص الأصلي للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى، إذ لم تكن الأحداث التي روتها السيرة وألفها الناس هي التي تثير شعور الجماعة، بل هي الإضافات التي تتبع من وحي مشاعرهم، وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام منذ كان بذرة في بطن أمه إلي أن خرج من الوجود" (١) .

وبعد أن نقل د/ البيومي كلام الباحثة الفاضلة في السر في الاهتمام بالأساطير الشعبية عند الحديث عن سيرة النبي المختار أعقبه بالتعليق قائلاً: "وتعليقاً علي هذا الرأي نقول: أما أن الرواة قد اعتمدوا في قصة المولد النبوي علي خيالهم أكثر من اعتمادهم علي النص الأصلي للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى فنعم! وهذا مصدر الخطأ من الرواة، إذ لا يجوز لهم أن يخلطوا بين الواقع والخيال في سيرة صادقة لنبي صادق مشهود الوقائع، متواتر الأحداث، مشتهر الصفات! وأما أن الأحداث التي روتها السيرة وألفها الناس لا تثير شعور الجماعة، وإنما تثيرها الإضافات التي تتبع من وحي مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ، فهذا ما نخالفه كل المخالفة، لأن عظمة الرسول ﷺ، منذ مولده إلي وفاته لم تقم علي الإضافات التي نسبت

إليه، ولم تتأجج عاطفة الحب للنبي العظيم لدي العامة والخاصة من المسلمين لما أضافه الخيال في سيرته المطهرة، ولكن لما في واقع هذه السيرة من نماذج عليا للمثل الرفيعة، إذ أن أخلاق الرسول ﷺ المثالية ومواقف جهاده الصابرة الثابتة، وتأديته رسالة السماء علي نحو ما كان ليبلغه سواء حتى أخرج الناس من الظلمات إلي النور، هذا كله هو الذي أجب مشاعر المسلمين نحو نبيهم الكريم! أما الأساطير المضافة فأهون بها في هذا المجال، وقد أضيفت أساطير هائلة إلي سير أقزام فلم تفعل شيئاً!!" (١).

ووافق د/ البيومي - رحمه الله - في هذا الرأي، فسيرة النبي الأعظم مليئة بالمواقف العظيمة، والأحداث الرائعة فليست بحاجة إلى هذه الأساطير التي بُنيت على ضرب من الخيال يباين الواقع، بل إن أحداثها العطرة جديرة بأن تلهب المشاعر، وتحرك الوجدان بالحب الصادق العظيم لهذا النبي الكريم .

"إنه من الظلم للحقيقة الكبيرة أن تتحول - السيرة - إلي أسطورة خارقة، ومن الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة أن تعرض في أكفان الموتى . إن حياة محمد - ﷺ - ليست - بالنسبة للمسلم - مسلاة شخص فارغ، أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا . إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها . فأبي حيف في عرض هذه السيرة وأي خلط في سرد أحداثها إساءة بالغة إلى حقيقة الإيمان نفسه" (٢) .

ثم عرض د/ البيومي أمثله من القصص الأسطورية التي أضيفت للسيرة النبوية قائلاً: "إن الكاتبة الفاضلة ذكرت في مجال القصص الشعبي الخاص برسول الله - ﷺ - قصة عامر اليهودي، وقصة اليتيم المظلوم، وقصة الجمل والغزاة، وقصة معاذ بن جبل - رضي الله عنه - مع الإضافات التي ألصقها الرواة بقصتي الإسراء والمولد النبوي واعتبرت ذلك خيالاً شعبياً رائعاً يضيف الحماسة الدافقة، والحنان المتوقد لذكر رسول الله - ﷺ -!

(١) من منطلق إسلامي - مرجع سابق ج ٢/ ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) الشيخ / محمد الغزالي - فقه السيرة - ط دار القلم دمشق بيروت - الطبعة السابعة سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ص ٤ .

وهو رأي يزداد عجبنا من سرده، لأن هذه الأساطير وحدها لا تقدم ولا تؤخر في مقياس العظمة النبوية التي تغني بجهادها وصفاتها وأثرها في المحيط الإنساني بأجمعه عن كل تلفيق زائف تسطع عليه شمس الحقيقة فيتحول إلي سراب!

أيتأجج شعور المسلمين نحو رسول الله ﷺ — لأن ما يدعي (خيالاً دون حقيقة) بعامر الراهب، كانت له ابنة كسيحة مقعدة ورأت نورا من السماء ليلة مولده فبرئت، ودهش والدها فسار معها إلي منزل الوليد الجديد ليراه مؤتلق الضياء !

أيتأجج الشعور بهذا القصص الكاذب ولا يتأجج بمواقف جهاده ﷺ منذ قام وحده داعياً إلى الله، صارخاً في قومه: لو كذبت الناس ما كذبتكم، إن الرائد لا يكذب أهله، ومتحملاً أشد بلاء الاضطهاد من عمه وذوي قرباه فضلاً عن الأبعدين الغرباء، حتى جاء نصر الله والفتح .

أنتأجج مشاعر المسلمين نحو رسول الله لأن الغزاة والجمال كان له شأن معهما إذ رهن نبي الإسلام (كما تدعي القصة كذباً) نفسه عند صاحب الغزاة كي يفك أسرها لتذهب حيث ترضع أولادها وتعود (١)، ثم يتحدى اليهودي رسول الله أن يجعله ينطق الجمال، فما كان من النبي إلا أن أنطق الغزاة ليكون نطقها معجزة كافية لا تقبل الإنكار!

أنتأجج مشاعر المسلمين بهذا الاختراع الساذج، ولا تتأجج بموقف كموقفه يوم الهجرة حين خرج فاراً بدينه، وكان ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (٢) " (٣) .

(١) قصة الغزاة ذكرها ابن كثير في كتابه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال : مر رسول الله على قوم قد اصطادوا ظبية فشدها على عمود فسطاط ، فقالت : يا رسول الله ، إني أخذت ولي خشفان ، فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم ، فقال : أين صاحب هذه ؟ فقال القوم : نحن يا رسول الله ، قال : خلوا عنها حتى تأتي خشفيهما ترضعهما وترجع إليكم . فقالوا : من لنا بذلك ؟ قال أنا ، فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها . . ينظر معجزات النبي ﷺ — لابن كثير — ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة بدون تاريخ ص ١٦٥ .

(٣) من منطلق إسلامي — ج ١٥٥/٢ — ١٥٦ .

(٢) سورة التوبة من الآية رقم ٤٠ .

وأري أن أقصر على ما ذكر من الأمثلة، وبذلك يتبين خطورة هذه الأساطير، فكتب السيرة تحتاج إلى تنقية، فالقصص الواقعية الصادقة فيها الغنية، فلا حاجة لأمثال هذه الأساطير التي حوّلت كتب السيرة إلى ركام كثيف يتعب القارئ، فيجعله في حيرة من أمره بين ما يأخذ وما يدع من الأخبار، لأنه يقدر خطورة الكذب على رسول الله لأنه يعلم أن النبي ﷺ قال: { إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد } . فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار { (١) } .

فجزى الله د/ البيومي خير الجزاء حيث بصّر المسلمين بما لاهه الأعداء من أساطير حشوا بها سيرة النبي ﷺ، ليحجبوا نورها الساطع في ظلمة هذا الأساطير، ولتكون حائلاً دون انتفاع المسلمين بالمواقف والأحداث الحقيقية من سيرة نبيهم ﷺ، ولكن بعد جهود الناصح الأمين وضحت الحقيقة واستبان نورها .

المطلب الثاني

غزوات الرسول وأسبابها الدافعة:

وقد قام د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - بتأليف كتاب بعنوان (في ظلال السيرة النبوية، غزوات الرسول) تحدث فيه عن الغزوات الآتية:

- ١- غزوة بدر الكبرى .
- ٢- غزوة أحد .
- ٣- غزوة الأحزاب .
- ٤- معركة خيبر .
- ٥- غزوة مؤتة .
- ٦- حنين والطائف .

(١) أخرجه مسلم في المقدمة — باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ رقم ٢ حديث رقم ٤ مرجع سابق ج ١/١٠١ . ووافقه البخاري في كتاب الجنائز رقم ٢٣ — باب ما يكره من النياحة علي الميت رقم ٣٣ حديث رقم ١٢٩١ مرجع سابق ج ٤/٣٧٧ .

٧- غزوة تبوك •

وأري: أن أتخير غزوة من هذه الغزوات ألا وهي غزوة أحد، وقبل الحديث عنها أعرض ما قاله د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - عن السبب الذي دفعه إلي الحديث عن هذه الغزوات .

قال د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - : "وتاريخ الغزوات النبوية، يشير إلى أكثر من دلالة وقد فهمه بعض المتسرعين علي غير وجهه، حين سجلوه على أنه هجوم مفاجئ لكسب المواقع ،وبسط النفوذ، وهو في حقيقته دفاع اضطراري أمام هجوم عدواني لا سبيل إلي تلافيه، دفاع قام به الذين أخرجوا من ديارهم بغيا وظلما ، ثم لم يتركوا في مهاجرهم النازح ليتنفسوا الهواء النقي في أفق وضئ، بل حيكت حولهم المؤامرات، وأحكمت الدسائس للانتفاض عليهم •

وكان لابد من الدفاع عند الهجوم تارة أو مجابهة الهجوم في خطواته الأولى حين تتأكد دلائله، ويوشك أن يقع، وكل ذلك حق مشروع لا جدل فيه، ﴿وَلَمَنِ انْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ (١) •

وهذه الصفحات تصور أحداث الغزوات بما يبين أسبابها الدافعة، ويصف خطواتها المتلاحقة ويوجز نتائجها الحاسمة، لتتضح المرامي الحقيقية لهذه الوقائع " (٢) •

إذن مقصد د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - من هذه الدارسة لغزوات الرسول ﷺ: أن يدفع أباطيل أعداء الإسلام الذين وصموا الجهاد الإسلامي بأنه عدوان واقتحام لنشر الإسلام بالقوة، فيثبت د/ البيومي لهؤلاء من خلال عرضه لغزوات الرسول بكل دقة وأمانة أن المسلمين لم يعتدوا على أحد، وأنهم اضطروا إلي ما ابتلوا به من أعباء القتال زيادا عن كلمة الإسلام، وتحقيقاً لرسالته الإنسانية في نشر العدالة والحرية والمساواة، حتى جاء نصر الله والفتح، وأشرق علي الإنسانية صبح وضئ يشع بالأمن، ويتألق بالسلام •

(١) سورة الشورى آية رقم ٤١ •

(٢) د/ محمد رجب البيومي - في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ط - المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ص- ٤ •

غزوة أحد:

وقد اخترتها للحديث عنها كنموذج لغيرها من الغزوات التي تناولها د/ البيومي - رَحِمَهُ اللهُ - وبدأ د/ البيومي بالحديث عن سبب هذه الغزوة قائلاً: " وقعت كارثة بدر صاعقة علي المشركين ٠٠ وقد حلف المشركون ألا يبكوا قتلاهم حتى ينالوا ثأرهم من المسلمين ٠٠، وأخذت قريش تبعث الفداء للأسري مقهورة ذليلة، وهي تأخذ في الاستعداد كل يوم للثأر، وحين رجع أبو سفيان بغيره مشي إليه من بقي من أبناء الأشراف، وقد صاروا رؤساء بعد قتل آبائهم مثل عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهما، فقالوا: إن مال العير لا بد أن يرصد لحرب المسلمين، ولا بد أن تجمع من يحالفنا من قبائل كنانة وتهامة لتأخذ بالثأر، فوافق القوم ٠ وشرعوا يرسلون الشعراء إلى القبائل المجاورة، يسألونهم النصر ويدعونهم إلى القتال معهم، باذلين ما يريدون من مال، وقضوا ثلاثة عشر شهرا في الاستعداد الدائب " (١) ٠

بذلك تبين: أن المشركين هم الذين أرادوا القتال أخذا بالثأر لقتلهم في بدر، ولم يكن لدى المسلمين نية للدخول في حرب مع المشركين مرة أخرى، فالبادئ للحرب في هذه الغزوة هم المشركون فهم الذين خرجوا لحرب المسلمين ٠

وعن صفة خروجهم يحدثنا د/ البيومي قائلاً: " نهضت قريش - قرابة عام - تجمع الجموع وتحشد الحشود حتى تم لها جيش من رجالها وممن والاهها من تهامة وكنانة وبني الهون والأحابيش من بني المصطلق، ورأت أن تلهب العزائم، فاصطحب السادة نساءهم وبناتهم كي يدفعنهن إلى الثبات فلا يفروا من الميدان ساعة الهول .

وقد خرجت في أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة، يقود جيشها أبو سفيان بن حرب، يحمل لواءه طلحة، وعلي ميمنته خالد، وعلي الميسرة عكرمة، وعلي الرجالة صفوان بن أمية، وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل من بينهم مائتان من الفرسان المهرة كراً وفراً على الخيل، وسبعمائة من الدارعين المسلحين، ومن ورائهم حشد من العبيد والغلمان لقضاء الحوائج وإعداد ما يتطلبون من قراء وشراب، وكان من بينهم

(١) في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ص ٣٣ - ٣٤ ٠

(وحشي) وهو عبد حبشي يجيد الرمي بالسهام وقد أغراه سيده أن يتربص بحربته لحمزة بن عبد المطلب — ﷺ — ليقتله، فذلك جزاء عتقه، كذلك حمسته هند بنت عتبة، وقد وعدته خيراً كثيراً إن أخذ بثأرها من حمزة! — ﷺ — وأقبل الجميع حتى نزلوا على شفير الوادي مما يلي المدينة " (١) •

يتبين من ذلك: أن الأمر بالنسبة لقريش مسألة حياة أو موت، فقد جاءت بخيلها ورجلها وفي هذه المرة عزمت على عدم الفرار من الميدان، فلن يحول بينها وبين النبي ﷺ إلا الموت •

وعن موقف النبي ﷺ من خروج قريش كتب د/ البيومي قائلاً: "سمع الرسول بما كان، فجمع أصحابه مشاوراً، وكان من رأيه أن يظل المسلمون بالمدينة فلا ينهضوا في الخلاء لملاقاة الأعداء، لأن المدينة حصينة وما دخلها عدو فانتصر، فإذا ولجها المشركون قاتلهم الرجال ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فيندحرون خائبين •

هكذا كان رأي الرسول ﷺ ، ورأي جماعة من مشيخة الأوس والخزرج، ولكن نفرًا من ذوي الحماسة لم يزلوا برسول الله ﷺ يستحثونه على الخروج قائلين: ما غزي قوم في ديارهم إلا ذلوا، فاستمع إليهم، ودخل بيته، ولبس لأمته، فلما رأوه متهيئاً هكذا، ندموا، وقالوا: أكرهنا النبي ولم يكن لنا ذلك، وأخذوا يعتذرون هاتفين: اصنع ما أردت يا رسول الله، فقال ﷺ: ما كان لنبي لبس لأمته أن يدعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه • وسار الجيش الإسلامي في ألف من الصحابة حتى إذا كان بين أحد والمدينة تخاذل عبد الله بن أبي، فرجع بثلاث الناس، وقال أشرت عليه ألا يبرح المدينة فخالفتني واستمع إلي الصبيان، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس!!

فجرى وراءه عبد الله بن عمرو — ﷺ — وهو يناشده الرجوع، ويصيح: يا قوم، لا تخذلوا نبيكم، فما استمعوا له • سار المسلمون حتى نزلوا الشعب من أحد، وقد دار الرسول بعينه ليهيئ الخطة الواقية، فجعل ظهر الجيش إلي جبل أحد، وقال لأصحابه:

لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بقتال، وقد عبد الله بن جبير — ﷺ — أمر الرماة، وقال له: ارم الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، ولا بد أن تثبت في مكانك لا تنتقل، سواء كانت الواقعة لنا أو علينا، ثم دفع النبي لواء المسلمين إلى مصعب بن عمير " (١) .

ثم يحدثنا د/ البيومي — رَحِمَهُ اللهُ — عن رحى الحرب بين الفريقين قائلاً: " والتقى الناس ودنا بعضهم من بعض، فجعلت هند بنت عتبة تجمع صاحباتها ليحرضن المشركين، وأخذن يضربن الدفوف، وينشدن الأشعار، وظهرت بطولات رائعة تدل علي تضحية بالغة، ومن أمثلتها ما صنع أبو دجانة — ﷺ — حين سمع رسول يقول: من يأخذ سيفي هذا بحقه؟

فإنه أسرع يقول: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فقال أبو دجانة — ﷺ —: أنا آخذه بحقه، فأعطاه إياه، فلما وقع في كفه، أخرج عصابته الحمراء فعصب رأسه، ومشى يتبخر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن (٢) .

وجعل أبو دجانة — ﷺ — لا يقابل مشركاً إلا قتله، واعترضته امرأة فهم أن يقتلها، ولكنه رفع السيف إكراماً له أن يقتل به امرأة وهو سيف الرسول ﷺ . اشتعلت المعركة وأبلى المسلمون بلاءً حسناً، وقد قاتل مصعب بن عمير — ﷺ — حتى قتل، فحمل اللواء علي بن أبي طالب — ﷺ — فقاتل واستبسل ولاحت بشائر النصر، فانخزل المشركون وولوا الأدبار " (٣) .

ثم يحدثنا عن مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ قائلاً: " وكان على الرماة الذين وقفوا من وراء المسلمين في الجبل أن يلزموا أماكنهم، ولكن حب الغنيمة دفعهم إلى أن يبرحوا موضعهم ليلحقوا بعض ما يأملون، ونسوا وصية رسول الله ﷺ، إذ ألزمهم بالوقوف مهما كانت النتيجة، ويعلم الله أنهم لم يخالفوا عن إصرار، ولكنهم توهموا أن

(١) في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ص ٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك كتاب فضائل الصحابة رقم ٤٤ — باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة

رضي الله تعالى عنه رقم ٢٥ — حديث رقم ٢٤٧٠ — مرجع سابق ج ٨ / ٢٦٢ .

(٣) السابق — ص ٣٦ .

المعركة قد انتهت وأن انسحاب المشركين نهائي لا رجعة فيه، فلم يجدوا فائدة في الوقوف!

وما دروا أن خالد بن الوليد — ﷺ — سينتهاز الفرصة وسيوالي الهجوم حين يري انكشاف ظهور المسلمين بعد أن فارق الرماة! لقد كان خالد — ﷺ — يعلم أن نبأهم ذات وقع شديد، وأنها عطلت هجوماً كان يجب أن يحدث، فلما وجد المكان خالياً هجم بكتيبته، على حين كان كثير من المسلمين قد فارق السلاح! وكان من الممكن أن تلتئم صفوف المجاهدين في سرعة نشيطة لولا أن مكيدة أخرى قد دبّرت بإحكام، إذ أرجف المرجفون أن رسول الله ﷺ قد قتل، فأحدث هذا النبأ هلعاً في النفوس " (١) •

ثم يحدثنا د/ البيومي عما حدث لرسول الله ﷺ في هذه الغزوة، وما فعله أصحابه قائلاً: " وتفرق المسلمون حائرين حتي خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ورماه بالحجارة فشج وجهه الكريم، وجرحت شفته، وجعل الدم يسيل على وجهه، وهو يقول: كيف يفلح قوم أسلموا نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم (٢)، ودخلت حلقتان حديديتان من المغفر في وجنتيه، ولكن جماعة من المسلمين خفوا إليه وقاتلوا دونه، ومنهم زياد بن السكن — ﷺ — ، إذ استشهد دفاعاً عن نبيه ﷺ وجاءت أم عمارة — رضي الله عنها — وهي نسيبة بنت كعب فجعلت تباشر القتال دفاعاً عن رسول الله، فتذب بالسيف وترمي بالقوس •

وأما أبو دجانة — ﷺ — فقد انحني بظهره علي رسول الله ليتلقى السهام والنبال كيلا تصل إليه، وكذلك فعل سعد بن أبي وقاص — ﷺ —! فيا لها نفوساً كريمة، رأت أن تبذل حياتها فداء لرسول رب العالمين " (٣) •

(١) في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ص ٣٦ •

(٢) كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل في ذلك: [ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] آل عمران : ١٢٨ • ينظر الروض الأنف — مرجع سابق ج ٣/ ٢٧٥ •

(٣) السابق ص ٣٦ — ٣٧ •

ثم يحدثنا د/ البيومي عن تغير حال المسلمين من الاجتماع بعد التفرقة قائلاً: "وفي هذه الأزمة الحرجة ألهم الله كعب بن مالك - رضي الله عنه - ، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله، إنه حي لم يقتل، وإذ ذاك إنكفأ عليه المسلمون من كل مكان، فأخذ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بيده، ورفع طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - حتى استوي قائماً، وعالج أصحابه حلق الحديد في وجنته حتى انتزعوها، وقد دفع الهوس أبي بن خلف إلي أن يقتحم مكان الرسول، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فتناول رسول الله حربته ووجهها إلي عنقه، فانكفأ من فوق فرسه يتلوى من الألم، وقد أيقن من الموت مع أن جرحه كان لا يري ذا خطر، وكان الناس يقولون له: لم تصب في طائل، فيقول: كلا! قتلني محمد، لقد قال لي في مكة: سأقتلك، وما أراه يكذب •

وفي هذه الأزمات لم يفقد رسول الله ﷺ كياسته، إذ نظر إلي أعلى الجبل فوجد المشركين يحتلون، فقال: لا ينبغي أن يكونوا في هذا الموضع منا، فقاتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قتالاً شديداً مع جماعة من المهاجرين حتى اضطروهم إلى مبارحة الجبل مقهورين •

دبت النشوة في نفوس المشركين فجعلت هند تزغرد، وترسل الأراجيز الشامتة، وأشرف أبو سفيان علي الجبل، وصرخ بأعلى صوته: أفي القوم محمد ؟ فسمعه رسول الله ﷺ، ونهي القوم أن يجيبوه، فقال: أفي القوم أبو بكر؟ فنهي القوم أن يجيبوه، فقال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ فنهي القوم أن يجيبوه أيضاً، فابتسم والتفت إلى أصحابه يقول: لو كان هؤلاء في الأحياء لنطقوا! لكنهم موتى فلم يتمالك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن صاح: كذبت يا عدو الله، قد أبقي الله لك من يخزيك •

وأمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه أن يتبع المشركين لينظر إذا كانوا تركوا الخيل وركبوا الإبل؟ إذ أنهم لو فعلوا ذلك فمعناه أنهم قد انتهوا من المعركة وخفوا قاصدين مكة، أما إذا ركبوا الخيل وتركوا الإبل فمعناه أنهم متوجهون إلى المدينة، ثم قال ﷺ:

لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزئهم، فخرج على بن أبي طالب — ﷺ — فوجدهم قد ركبوا النياق راحلين " (١) •

ثم ذكر د/ البيومي مواساة النبي ﷺ لأسر الشهداء قائلاً: " أما رسول الله ﷺ فقد كان الطبيب الرائع بمواساته الشافية حين أخذ يطوف بمنازل الشهداء، شهيداً إثر شهيد، وحين قال لأصحابه فيما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس — ﷺ —: { لما أصيب إخوانكم يوم أحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكّل من ثمارها، وتأوي إلي قناديل من الذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلتهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا كيلا يوهنوا في الجهاد أو ينكلوا عن الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٢) { (٣) " (٤) •

وأخيراً ذكر د/ البيومي — ﷺ — العبر من غزوة أحد قائلاً: " ١ — في غزوة أحد مجال كبير للاعتبار، وأبرز ما نشير إليه في موضوع العظة هو ضرورة الإمتثال إلى أمر القيادة، فقد أمر رسول الله ﷺ الرماة ألا يبرحوا أماكنهم في أعلى الجبل مهما اضطرب الموقف، إذ يعلم أنهم يمثلون مركز النقل الحقيقي في المعركة، إذ يرمون مهامهم القاتلة فتعوق المهاجمين ولكن الضعف الإنساني قد دفع هؤلاء إلى مبارحة الجبل، توهما منهم أن المعركة قد انتهت وأن الساعة ساعة الغنائم والأسلاب، فليسارعوا ليأخذوا بنصيبهم مما ترك المشركون، ولو علموا أنهم سيفتحون باب الهزيمة ما ولوا مسرعين •

(١) في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ص ٣٧ — ٣٨ •

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٦٩ •

(٣) أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عباس كتاب الجهاد رقم ٩ — باب في فضل الشهادة رقم ٢٧ — حديث رقم ٢٥٢٠

وحسنه محققو الكتاب مرجع سابق ج ٣/ ١٠٩١ — ١٠٩٢ •

(٤) السابق ص ٣٩ •

٢- كانت بؤادر الخلاف ظاهرة بارزة في مبدأ الغزوة، إذ تعددت الآراء حول مغادرة المدينة أو الانتظار فيها، وكان من رأي الرسول أن ينتظر، ولكنه خضع لمشورة الأكثرية، فغضب من لم يستجب لرأيهم، وانسحب ثلث الجيش وراء عبد الله بن أبي! علي حين كان الرأي جميعاً متحداً يوم بدر، فلم تتعدد الآراء، ولم ينسحب أحد، لأن رأيه لم ينفذ، ولسنا بذلك نبرر مسلك ابن أبي في انسحابه، لأنه قد أخطأ خطأً نعرف بواعثه الحاقدة في نفسه البغيضة، ولكننا نقول: إنه وجد الفرصة سانحة للتنفيس عن كيدته فاهتبلها .

٣- للإشاعات الكاذبة أثرها السيئ في نتائج الحرب، إذ أن هذا الشيطان الماكر الذي أشاع أن النبي - ﷺ - قد لقي مصرعه كان ذا هدف واضح، حيث أراد أن يشتت الشمل المجتمع وأن يوحي للمسلمين أنهم فقدوا نبيهم الذي جاءهم برسالة السماء، فلا جدوى من الحرب بعد رحيله، وقد أحدث هذا الخبر الكاذب صدى أليماً جعل نفوس المجاهدين تتراخي وتهن .

علي حين شد من أزر المشركين، فبعث فيهم من الحمية ما جرعوا به علي كل موقع من مواقع المعركة، ووصل أحدهم إلي رسول الله، وهو يحمل سيفه، ظاناً أنه في الرمق الأخير، ولا بد أن يجهز عليه، فأراد الله له أن يصرع مندرحاً! ذلك هو أبي بن خلف .

٤- انتكاس بعض النفوس إلي حماة الشك والتردد مما يوهن العزائم ساعة الروع، فقد استمع المسلمون إلي أراجيف من شهد المعركة من المنافقين، فأخذوا يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا! وهي محاولة مغرضة للتشكيك في الدعوة الإسلامية نفسها! إذ لو كانت دعوة السماء ما انهزم أصحابها! ولكن الله ﷻ قد حسم الأمر حين قال: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١) .

٥- المسلم الصادق صادق في كل موقف، ولن تمنعه عوامل التثبيط والخذلان مهما تكاثفت، فقد التف حول رسول الله من فداه بنفسه وروحه، ومن جعل ظهره مجناً واقياً من السهام! حتى النساء، فقد وقفت نسيبة تدفع بالسيف كما يدفع الرجال، وذلك يدل في وضوح علي أن صاحب الإيمان القوى لا تتأثر منه الزعازع وأن المتردد الخائر في حاجة إلى مزيد من اليقين يدرأ به عواصف الشكوك!

هذا التردد سبب حقيقي للتنازع والفشل، وقد أوماً القرآن إليه حين قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ (١) • وجواب (إذا) محذوف تقديره: كانت الهزيمة والاندحار... تلك هي بعض العبر من غزوة أحد، وفيها بلاغ " (٢) • بذلك رسم د/ البيومي - ﷺ - صورة واضحة عن هذه الغزوة، وأجاد في عرض أحداثها عرضاً مسلسلاً حتى وصل إلى النتيجة الحاسمة التي يتضح معها المرمي الحقيقي لهذه الواقعة •

كما أنه وُفق في عرض العبر والعظات المستفادة من هذه الغزوة فقد عمد إلى اللباب الخالص، ووضع يده على الداء الذي تسبب في تفرق المسلمين منهزمين •

المطلب الثالث الخلفاء الراشدة : دة :

وتناول د/ البيومي ﷺ - هذا الموضوع بالحديث عن عصر الخلافة الراشدة، ثم ردّ علي مفتريات صاحب كتاب (قبل السقوط) في انتقاص الخلافة الإسلامية • وبدأ د/ البيومي حديثه عن الخلافة الراشدة قائلاً: "عهد الخلافة الراشدة من أزهي عصور الإنسانية قاطبة، إذ كان الحاكم فيه فرداً عادياً يقوم على تطبيق أحكام الكتاب، معترفاً أنه قد وُلّي على الجماعة وليس بخيرها، وداعياً الناس إلي تقويمه إذا اعوجّ، ومعلنًا أن القوي ضعيف إذا ظلم، وأن الضعيف قوى حتى ينتصر له ولي الأمر،

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١٥٢ •

(٢) في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) ص ٤٠ - ٤٢ •

ومؤكداً أن طاعته واجبة ما أطاع الله في أحكامه، فإذا خرج عن أمر الله في حكم فلا طاعة له! (١) •

ولم تكن هذه الأقوال خطباً تقال لإلهاء الجماهير، ثم لا تجد تنفيذها في الواقع العملي، كما نلمس اليوم من ضروب الادعاءات لدي قوم يستهونون الناس بأكاذيب الإعلام صحافة وإذاعة وبرلماناً، ولكن هذه الأقوال وجدت التطبيق العملي الذي زخرت صفحات التاريخ بتسجيل وقائعه، تسجيلاً بلغ حد التواتر، ولا كذب مع التواتر المتردد بين الصغير والكبير •

هذا العهد الزاهر ظل مصدر القوة والقدرة للمسلمين، فهم يحنون إليه إذا اكفهرت أساليب السياسية وركب الطغاة رعوسهم متجبرين، بل يحنون إليه إذا ضاقت وجوه الأمل، واشتدت غياهب اليأس، فمصر حين دهمها الاستعمار الإنجليزي بعدوانه، وأخذ دعائه من الذبول يتشدقون بآثاره الموهومة، لم تجد منفذا يشرق بالأمل إلا عن طريق الخلافة الراشدة، فقام شعراؤها الكبار يبعثون الهمم الرائدة بتسجيل مآثر هذا العهد، ونظم حافظ إبراهيم قصيدة (العمرية) لتكون ملحمة خالدة تسجل مآثر أمير المؤمنين، ونظم عبد الحليم المصري قصيدة (البكرية) لتكون صفحة ناصعة تسجل مواقف أبي بكر — ﷺ، ونظم محمد عبد المطلب قصيدة (العلوية) لتشييد بروائع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ونظم أحمد شوقي ما سجله في كتاب (دول العرب والإسلام) ليقدّم الفترة الزاهرة من تاريخ الإسلام أجمل تقديم! (٢) •

بذلك أبان د/ البيومي ﷺ — عن دور الخلافة الإسلامية في عصرها الزاهر، وكيف نهضت بالبلاد ونجحت في تحقيق العدالة بين أفراد الأمة، وحققت الإصلاح في شتي مناحي الحياة، ولكن المغرضين يرجفون الأراجيف للتنقيص من شأن الخلافة الإسلامية، ومن هؤلاء صاحب كتاب (قبل السقوط) فقد أثار ثلاثة طعون في الخلافة وهي:

(١) وهذا ما أعلنه أبو بكر رضى الله عنه عندما تولى الخلافة وكان أول خليفة للمسلمين ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي — ط مؤسسة المختار بالقاهرة بدون تاريخ ص ٩٧ •

(٢) د/ محمد رجب البيومي — في ميزان الإسلام — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ج ٢٣/١ — ٢٤ •

١- أن القائمين عليها من الحاكمين كانوا بشرا لا ملائكة .

٢- إنه يستحيل أن يكون المطلوب من الحاكم اليوم أن يسير في الأسواق رافعاً الدرة، أو أن يعلو بها رعوس معارضيه، أو أن يتصنت علي البيوت في الليل، حتى يعلم من أحوال المسلمين ما يدعوه لأخذ الثريد لأطفال جياع، أو أن يؤرقه دابة في جنوب السودان! أو أن يلبس إزارا فيه اثنتا عشرة رقعة، أو أن يكون هو الحاكم الأوحد علي بيت المال!

٣- إن أئمة التشريع الإسلامي، وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل عذبوا وسجنوا في سبيل كلمة الحق!

وقد تصدي د/ البيومي برد الله بالرحمة مثواه للرد على هذه الطعون فقال عن الأول: " من الذي قال:إنهم لم يكونوا بشراً! بل من الذي قال:إن رسول الله ﷺ لم يكن بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق!

وإذا كان المؤلف قد رأى من دلائل الانحدار في هذا العهد مصرع عمر - رضي الله عنه - وما جد بعده من مصرع عثمان - رضي الله عنه - وعلي - رضي الله عنه -! مما يترتب علي ذلك في رأيه أن يكون الحكم الإسلامي سببا لمصارع هؤلاء! وبذلك تسقط حجة من يذهبون إلي إكبار هذا العهد، وينادون بتطبيق ما طبق فيه من أحكام الكتاب! إذا كان المؤلف يري في مصارع الخلفاء ما يدعو إلي الغاء الحكم الإسلامي، فلماذا لم تلغ الدساتير الغربية في كل أمة اغتيل فيها ملك أو رئيس!

لقد كان من الواجب إذن في منطق صاحب كتاب (قبل السقوط) أن يلغي الدستور الأمريكي، لأن الرجل العظيم (برهام لنكولن) قد اغتيل في القديم، ولأن الرئيس الشهير (جون كنيدي) قد اغتيل في الحديث، وإن فالدستور الأمريكي قد سبب كارثة الاغتيال في العهدين! هذا منطق الكاتب نعرضه علي القراء، ليتفقوا بما لم يكونوا يعلمون! " (١) .

وقال عن الثاني: "وإجابة علي ذلك نقول: من الذي أوحى للمؤلف أن من يطلبون تنفيذ الشريعة الإسلامية، لا يفرقون بين اختلاف الأحوال في مجتمع كمجتمع المدينة المنورة أيام عمر بن الخطاب — ﷺ — ، وما يلزم أن يأخذ به رئيس الدولة في مملكة واسعة ذات محافظات ومديريات؟

هل نادي أنصار الشريعة بضرورة حمل الدرة، ولبس الثياب المرقعة حتي يكون ذلك موضع ملام! أو أنهم دعوا إلي تنفيذ أحكام الكتاب في العبادات والبيوع والمعاملات والحدود والزواج والميراث!

ثم ألا يعلم المؤلف أن مفتش التموين الذي يراقب السوق اليوم هو عين الحاكم وأداته! وأن القائمين علي معاقبة المجرمين من رجال القضاء هم أعوان الحاكم، وأن رجال المباحث الذين يتصنتون علي الناس ليتفادوا وقوع الجرائم ويأخذوا بأسباب الحيلة هم أعوان الحاكم، وأن وزارة الشؤون حين تطعم الجائعين بمعاش مقرر تفعل ما فعل عمر بن الخطاب — ﷺ — حين قدم البر والخبز للجياع!

ثم لماذا لا يهتم الحاكم المعاصر بأحوال رعيته في الأماكن القريبة والبعيدة، فتورقه مصائر الحيوان والإنسان في أسوان مثلاً! وذلك ما يحدث عن عيان، حين يحيق الخطر ببلدة ما، فتتهز الدولة لإغاثة المنكوبين!! فإذا كانت الدولة المعاصرة تقوم بما قام به عمر — ﷺ — فأى غرابة في صنيعه، ولماذا لا يكون ما سجله التاريخ عنه موضع افتخار ومباهاة! وإذا كان عمر — ﷺ — قد لبس الثياب المرقعة في وقت كان الجذب في عام الرمادة يغمر الناس! فهذا هو المنتظر منه، ونحن الآن نؤاخذ بعض الرؤساء الذين يحتفلون باختيار ملابسهم، وتعدد أزيائها مع ارتفاع أثمانها، ونضرب المثل الأعلى برؤساء الصين يلبسون الثياب الشعبية الرخيصة، فإذا جاء عمر — ﷺ — ولبس الثوب المتواضع في زمان العسرة! كان ذلك موضع استهزاء!! ألا يجدر بنا في هذا المجال أن نستشهد بقول القائل (١):

(١) القائل هو الشاعر البحري. ينظر: الموسوعة الشاملة جمهرة الأمثال. الموقع /

إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبا فقل لي كيف أعذر" (١)

وقال عن الثالث: ثم ينتقل الكاتب في باب الخلافة الراشدة فجأة إلى حديث عن أئمة التشريع الإسلامي، وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل — رحمهم الله — ،ليقرر أنهم عذبوا وسجنوا في سبيل كلمة الحق!

ومعني ذلك لدي المنصفين أن أئمة الإسلام لا يخشون في الله لومة لائم، وأنهم يطالبون بقانون السماء حين تنتكر له الدولة . فماذا في هذا؟ وكيف يكون جهادهم في نصرة تشريع الله، وإقامة دعائم الحق دليلاً على وجوب الفصل بين السياسة والدين! كما يحرص الكاتب علي أن يقول: لقد حار العقلاء مع من يرحمون بالقول دون تسديد! فإذا زل عالم فمالاً صاحب الأمر على معصيته، صاح الصائحون: إن العلماء يبيعون الدين في سوق الحياة، ويشترون عرض الدنيا بالآخرة!

وإذا قام الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل — وأمثالهم كثيرون لا يحصيهم العد — إذا قاموا بالحق، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولاقوا من العذاب ما تحملوه في صبر وإيمان، كان ذلك دليلاً على وجوب الفصل بين السياسة والدين، لأن علماء الدين قد ذاقوا العذاب في تأدية رسالتهم، فيجب إذن أن يستتروا في بيوتهم قابعين " (٢) .

بذلك أدي د/ البيومي رسالته في الدعوة إلى الله تعالى وقام بها خير قيام، فقد تصدى لكل من يتناول على الإسلام وينتقص رجاله، وتسليح بالعلم الغزير الذي يفل الخصوم، ويزهق الأباطيل، وقد جاهد في كل الميادين بالحكمة والموعظة الحسنة وأبلى بلاءً حسناً، وبفقدته خسرت الأمة الإسلامية مدافعاً غيوراً على دينه وقف في وجه الباطل أمداً طويلاً إلى أن توفاه الله . أسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح الجنان وأن يلحقه بالصالحين اللهم آمين .



(١) — في ميزان الإسلام ج ١ ص ٢٦ .

(٢) السابق ص ٢٧ .

المبحث الرابع ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول ما لم يكتب من تاريخ الأزهر:

ويقصد د/ البيومي بذلك مرحلة التعليم الأزهري بالمساجد، فعند الحديث عن تاريخ الحركة التعليمية في مصر يُذكر دور الكتاتيب الريفية والحضرية، ويُغفل دور الأزهر في هذه الحقبة، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " نقرأ ما يُكتب عن تاريخ التعليم في مصر في منتصف القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فنجد ما يشبه الإجماع علي أن لائحة (رجب ١٤٢٨هـ / نوفمبر سنة ١٨٦٨م) التي وضعها المغفور له علي مبارك باشا لم تهمل وصف الحركة التعليمية بمصر إذ ذاك، حين سُنت قوانين جديدة مثمرة للنهوض بهذه الحركة، وبالرجوع إلى هذه اللائحة نجدها تتحدث في إيجاز عن مكاتب القرى والمدن التي يقوم عليها المعلمون من حُفاظ القرآن، وأكثرهم لا يفهم من وسائل التربية ما يساعده على التعليم المنشود، وقد رأت اللائحة أن تظل هذه الكتاتيب مؤسسات أهلية ينشئها أهل المدينة أو القرية ويقومون براتب الفقيه، حتى تسهم في محو الأمية، والقضاء علي الجهالة غير مجتازة دورها المحدود، أما المدارس الابتدائية والثانوية — علي قلتها — فقد اختارت لها الدولة من المتخصصين للقيام بالتدريس علي وجهه المنشود!

والحديث عن الكتاتيب الريفية والحضرية بهذا النحو، يُغفل دور الأزهر في هذه الحقبة، لأن تلاميذه المنتشرين في كافة أنحاء القطر كانوا يتولون التدريس بالمساجد في كل ناحية، ويقومون بتعليم الأطفال في حجر ملحقة بالمساجد!

وإذا كان بعض حفاظ القرآن قد شاركوا في هذا الحقل، فذلك لا ينفي حقيقة واضحة دونتها الوثائق الإحصائية، ونطقت بأن التعليم الأساسي في هذه الحقبة كاد أن يكون أزهرياً خالصاً، لذلك كان من العجب أن تؤلف الكتب في تاريخ الحركة التعليمية المعاصرة، فتغفل الدور الكبير للأزهر في استمرار التعليم الأساسي بالمدن والقرى، كما تغفل دور المساجد في تشجيع هذا النمط من التعليم، إذ يكاد أن يكون هو النمط الأوحـد دون بديل " (١) .

وفي إثبات الدور الذي قام به الأزهر الشريف بدأ د/ البيومي بقوله: "والسؤال الذي نبدأ به هو: من كان مدرسو المرحلة الأولى بالكتاتيب العامة في هذه المرحلة؟ وفي أي مكان وجد التدريس؟

إننا نعلم أن أول مدرسة للمعلمين الأميرية أنشئت بالقاهرة سنة ١٩٠٤م، وسميت مدرسة عبد العزيز نسبة إلى السلطان التركي عبد العزيز، وأن ثاني مدرسة للمعلمين أنشئت بالفيوم سنة ١٩٠٥م، وكانت مدة الدراسة بالأولي سنة واحدة عند إنشائها، ثم أصبحت سنتين بعد إنشاء مدرسة الفيوم، وفي سنة ١٩٠٧م أنشئت مدرستان للمعلمين بالمنصورة وقلوب، وفي سنة ١٩١٠م زادت سنوات الدراسة إلى ثلاث سنوات، ثم رأت نظارة المعارف أن يكون بكل عاصمة من عواصم المديريات مدرسة للمعلمين سنة ١٩١١م ووقف الأمر عند ذلك .

فمن الذي كان يقوم بالتدريس في الكتاتيب العامة أهلية أو تابعة للأوقاف قبل سنة ١٩٠٤م؟

ثم من الذي عاون علي استمرار التعليم بهذه المرحلة بعد إنشاء بضع مدارس لا تتجاوز أصابع اليد ؟

لا بد أن يكون طلاب الأزهر الذين تلقوا دروسهم بساحته، ولم تفتح أمامهم أبواب الوظائف الرسمية هم الذين قاموا بهذا المجهود؛ لأن الدراسة بهذه الكتاتيب لم تكن مقصورة علي حفظ القرآن فحسب، حتى يفرغ لذلك قارئو القرآن بالريف والصعيد، بل

كانت في أكثرها مما يخضع لتفتيش وزارة المعارف، إذ تعلم مبادئ الحساب والخط والإملاء والمطالعة، ولها مفتشون يقوم الواحد منهم بالتوجيه المتتابع " (١) •

ثم وجه د/ البيومي رحمته الله — خطاباً إلي من يتصدى لكتابة تاريخ التعليم بالمرحلة الأولى في هذه الحقبة قائلاً: "إن الذين يكتبون تاريخ التعليم بالمرحلة الأولى في هذه الحقبة، عليهم أن ينصوا على أن الكتابات الأهلية وأكثرها ملحق بالمساجد، قد قامت بالنصيب الأوفر في تنشئة الأطفال، ولن نقول إن التنشئة قد بلغت ما نرجوه من أساليب التربية الحديثة، فطبيعة الأشياء تأبى على ذلك، ولكننا يجب أن نقرر أن الثقافة الدينية التي يربها الأزهر الشريف قد اتجهت اتجاهًا صحيحاً، حين جعلت حفظ القرآن الكريم من وسائل التثقيف، وحين قام المتخرجون في الأزهر بتدريس ما يحوط هذا الحفظ من تعليم الحساب والإملاء والخط، فيصبح الناشئ جيد القراءة جيد الكتابة ملماً بما يتسع له عقله من مقررات الدين، وقصص الكتاب العزيز .

هذا ما يجب تأكيده قبل أن ننقل طفرة إلى تأريخ مدارس المعلمين باعتبارها أول معهد يُخرج المدرس الأولي للمرحلة الأولى، لأن هذا المعلم الناهض قد سبقه من بدعوا الرسالة التعليمية دون جزاء — وأقول دون جزاء — لأن إعانات الأوقاف الخيرية لم تشمل كتابات القري علي نحو عام، بل كانت تخص تلاميذ العواصم، لأنها ملتنقى الأنظار، وما يناله كتابات الأقاليم منها قليل قليل " (٢) •

من ذلك يتبين : أنه من الحيف أن يغفل دور الأزهر في ارتقاء التعليم الأساسي، فقد قام أبنائه بجهد عظيم في نشر العلم عبر المساجد في كل ناحية من أنحاء القطر المصري، لذا فعند الحديث عن تاريخ الحركة التعليمية بمصر ينبغي أن يشار إلى دور الأزهر الشريف في استمرار التعليم الأساسي بالمدن والقري ولا يُتجاوز إلى ما بعده، لأن تاريخ التعليم في مصر لا يذكر علي أكمل وجوهه، إلا إذا اتصلت حلقاته المتسلسلة دون إنقطاع •

(١) السابق ص ٥٣٤ — ٥٣٥ •

(٢) نفس السابق ص ٥٣٨ — ٥٣٩ •

المطلب الثاني

متى نكتب التاريخ المعاصر

وقد اختلفت وجهات النظر حول كتابة التاريخ المعاصر متى يُكتب؟ وأسفر هذا الاختلاف عن رأيين متعارضين يحدثنا د/البيومي رحمه الله — عنهما قائلاً: "تري أكثر الدوائر الأكاديمية أن تتقضي فترة قدرها خمسون عاماً، ليبدأ المؤرخ الحقيقي كتابه التاريخ بعيداً عن التأثير الشخصي، وخضوعاً للقانون المتبع في دور الأرشفة التاريخية، إذ لا تفتح أبوابها للباحثين في مسائل سياسية لم يمض عليها نصف قرن، صوناً لأسرار عسكرية أو سياسية قد تتضرر الدولة من إذاعتها، وإذا كانت الحكومات تنشر بعض الوثائق في حينها، فإن ما ينشر لا يمثل كل ما كان، بل يمثل ما لا ضرر في نشره .

أما جميع الوثائق فتظل في مخبئها الآمن حتي يذهب رجالها، ويأتي من يعمد إلي دراستها في حيدة نزيهة، وهنا يضع المؤرخ يده علي كل ما يريد! كما أن مرور نصف قرن يخفف من وقع الأحكام القاسية على من لم يكونوا يتوقعونها، لأن جيل الأبناء وجيل الأحفاد لا يستشعر الحساسية التي تداخل من مثلوا أدوار التاريخ من الآباء والأجداد .

هذه وجهة نظر الأكاديميين، أو أكثرهم علي التحقيق، لأن في بعضهم من لا يري ضرورة لانقضاء هذا الأمد، ووجهة نظره أن الأسرار السياسية لم تعد في عصر التليفزيون والإذاعة والصحافة العالمية ملكاً لدولة واحدة، فالأسرار التي يتحتم كتمانها في الصين أو اليابان، تجد الإذاعة الكاشفة في أوروبا وأمريكا، بل تجد هذه الإذاعة نفسها في الصين واليابان، لأن موجات الإذاعات العالمية تقطم الجدران البعيدة، وتطوي المسافات الشاسعة لتجعل كل شيء واضحاً غير مكتوم !

وقد علق د/البيومي على هذا الرأي قائلاً: وتلك وجهة نظر ذات قدر محتمل من الصواب، ولكنها تنسي أن بعض الوثائق الدولية يظل مكتوماً بين الدولتين فلا يعرفه إلا رجال الخارجية وحدهم، بل إن بعض الوثائق الخاصة في الدولة الواحدة يشمله هذا

الكتمان، فكيف يتاح للإذاعات البعيدة أن ترصد الدقائق الخفية طي السطور وأن تتناولها بالتحليل والتشريح " (١) .

ثم وازن د/البيومي بين الرأيين قائلاً: وحين نقارن بين الرأيين المختلفين في وجوب انقضاء نصف قرن أو عدم انقضائه نرى أن نفرق بين الكاتب السياسي، والمؤرخ المنهجي، فالكاتب السياسي صاحب الوجهة الخاصة ولا أقول المتحيزة، يكون اتجاهه موضع النظر الفاحص، ولا بد من التدقيق معه في كل ما يكتب، وأولى له أن يكتفي بالمذكرات الشخصية التي تكون بعض المادة التاريخية لا كلها، لأن مجاهر النقد ستسلط عليه في كل اتجاه، وستكشف الزائف لا محالة .

أما المؤرخ المنهجي المحايد ذو الطابع العلمي الواضح، فلا حرج في أن يتناول الأحداث المعاصرة دون انتظار لمضي المدة، لأن الحرص علي مرور هذا الزمن إذا أفاد من ناحية فربما أضر من ناحية ثانية، هي البعد المباشر عن تيار الأحداث، واضطراب الرؤية أحياناً في النظر المجرد .

على أن هذا المؤرخ المنهجي الموضوعي ليس وحده في الميدان حتى يكون عثاره في بعض الأحكام موضع الخطر، فله زملاء منهجيون مثله يتناولون موضوعه بالدراسة والتحليل، وسيدركون ما فاتته من تتبع، ويستدركون عليه ما يروونه من الخطأ، وهنا تكون الحقيقة التاريخية في أيد أمينة، أما احتجاج بعض الوثائق السياسية فلا يقف حائلاً دون البحث، لأن المد التحليلي لا ينقطع، وما يفوت كاتباً سابقاً يتداركه مؤرخ لاحق . وقد رأينا من المنهجين من أصابوا في تحليل الأحداث المعاصرة، ومن تركوا بعض الثغرات فجاء من ملأها في حيدة واطمئنان، ونحن إذا وقفنا بالدراسات السياسية نصف قرن، فإن الدراسات الاجتماعية والاقتصادية لا تقف، وكلها لا تستغني عن المواقف السياسية، فلا بد للباحث الاقتصادي والاجتماعي أن يفسر قضاياها في ضوء المنحي السياسي، وهنا تصبح الكتابة التاريخية المعاصرة من قبيل الأمر المحتوم" (٢) .

(١) من منطلق إسلامي ج ٢/ ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) السابق ص ١٧٥ - ١٧٦ .

وفي مجال الترجيح قال د/ البيومي: "نميل إلى ضرورة تدوين التاريخ المعاصر، دون انتظار لوقت يحدد بنصف قرن، علي أن يكون المدون رجل تاريخ، لا رجل سياسية، وقد يكون رجل السياسة رجل تاريخ كالدكتور/محمد حسين هيكل صاحب كتاب حياة محمد — ﷺ — ، ولكننا نتقبل ما كتبه عن العصور الأولى في الإسلام باعتباره مؤرخاً ذا منهج، وما كتبه عن جهاده السياسي في مذكراته الشخصية باعتباره صاحب مذكرات تخضع للفحص التاريخي، وليست ذات الكلمة المحايدة! فلكل مفكر أن يكتب كما يشاء، ولكن ليس كل من يكتب في السياسة رجل تاريخ" (١) .

من هذا أتفق مع د/ البيومي رحمه الله — علي ضرورة تدوين التاريخ المعاصر وعدم انتظار مدة محددة طالت أم قصرت، لأنه لا خوف على كتابة التاريخ المعاصر بأيدي المحايدين من المؤرخين، لأن الكلمة الصائبة ليست وفقاً علي قلم واحد، بل تتجمع من عدة أقلام تقف جميعاً تحت المجهر الدقيق .

المطلب الثالث كتاب الأغاني والتاريخ الإسلامي:

ومقصد د/ البيومي رحمه الله — من هذا العنوان أن كتاب الأغاني لا يُعد مصدراً من مصادر التاريخ، فلا يعتمد عليه في نقل الأخبار التاريخية، فهو كتاب أدب ورواياته التاريخية لا تثبت للنقد لأن مؤلفه كان يجمع كل ما يسمع ويقرأ دون تحقيق، وكان رجلاً منحرفاً (٢) * .

ويحدثنا عنه د/ البيومي قائلاً: " وكل الذين تحدثوا عن سيرته قد أجمعوا على تبذله وميله للمجون ومعاشرة الغلمان والولوع بمجالس الخمر والقيان! ورجل يشتهر بهذا المنحي ويهيم به وينقل الناقلون من أخباره ما يرميه بالانحراف لا بد أن يجري في مؤلفاته علي نحو ما يرضي مزاجه الخاص، فهو يتبع مزالق الريبة في أنباء من يتحدث عنهم، ويسهب إسهاباً كثيراً في سرد ما يعمهم من ألوان الخلاعة والمجون!

(١) نفس السابق ص ١٧٧ .

(٢) * ينظر قضايا إسلامية مناقشات وردود — د/ محمد رجب البيومي — ط دار الوفاء بالمنصورة بدون تاريخ ج ١٩٠/٢ —

ونحن لا نزعم أن نفوس من تحدث عنهم قد برئت من كل شر فنحن نعرف أن للإنسان مهاويه المنحدره ومراقية المرتفعة، وكان علي من يتعمد تسجيل النوادر عن رجال الأدب والتاريخ ألا يترصد المزلق وحدها، مغمضاً عن كل نوازع الخير، بل كان عليه أن يدقق في اختيار هذه الأنباء، فما يظهر عواره من الأكاذيب المفصوحة يجب أن يهمل، ولأبى الفرّج عقله الذي لا ينكره عليه منصف، ولو اتبع هذا العقل لتخفف من كثير مما ثبت لديه كذبه وإغراقه! ولكنه جعل الرواية عن غيره كافية لتسجيل ما يروي، مهما كانت الرواية ظاهرة البطلان " (١) •

ثم ذكر د/ البيومي: أن أبا الفرّج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني نقل في كتابه الأكاذيب وهو يعلم، وقد علّق على بعضها، وترك بعضها بلا تعليق، فجمع في كتابه الحق والباطل، والصدق والكذب، حتى لا يترك شيئاً لم يذكره في كتابه •

قال د/ البيومي: " أجل، كان أبو الفرّج يعرف موضع الضعف في كثير مما يسجل، بل كان يعرف الكذب الصريح ويعلق عليه حيناً، ويترك التعليق أحياناً، وننقل هنا بعض تعليقاته التي تشير إلى اتجاهه التألفي، فقد نقل في حديثه عن دريد بن الصمة أكاذيب لم يؤمن بها بل نقلها عن ابن الكلبي على علاتها ثم عقب عليها بقوله: هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بيّن في أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمة علي سائر الروايات، وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير، فإنه ذكر فيه ما لحق دريد من الهجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتل معه وانصرافه منفرداً، وشعر دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببني الحارث، وقتل أمثالهم • وهذا من أكاذيب ابن الكلبي، وإنما ذكرته علي ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء، وقد رواه الناس وتداولوه • • ويقول أبو الفرّج في موضع آخر:

لا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه، وإنما حكينا عن رواته، واجتهدنا في الإصابة، وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه فإن ذلك لا يضره ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله " (١) .
وأخيراً نقل د/ البيومي رحمته الله - نقد د/ زكي مبارك رحمته الله - للكتاب ومؤلفه قائلاً:

" كان الأصفهاني مسرفاً أشنع الإسراف في اللذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه لأن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية، ويهمل في الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه قليل العناية بتدوين أخبار الجد والراzone والتجمل والاعتدال، وهذه الناحية من الأصفهاني أفست كثيراً من آراء الذين اعتمدوا عليه .

ونظرة فيما كتبه المرحوم جورج زيدان في كتابه تاريخ أدب اللغة العربية، وما كتبه الدكتور/ طه حسين في حديث الأربعاء تكفي للإقناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جرّ هذين الباحثين إلى الحط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر عصر شك وفسوق ومجون " (٢) .

يتبين من ذلك: أن كتاب الأغاني لا يُعتمد عليه في نقل الأخبار التاريخية لأنه جمع بين الغث والسمين باعتراف مؤلفه نفسه، فلا بد من تمحيص هذه الأخبار أولاً، حتى لا تُوقع الباحث في خطر عظيم إذا ما بني عليها أحكاماً بلا تحقيق .
والأحرى بالباحث أن يرجع إلى كتب الأثبات من المؤرخين .

(١) قضايا إسلامية مناقشات وردود ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٣ .

(٢) السابق ص ١٩٣ - ١٩٤ .

المطلب الرابع

عاشوراء في تاريخ الإسلام

وقد ذكر د/ البيومي أحداث هذا اليوم في تاريخ الإسلام قائلاً: " ليوم عاشوراء في تاريخ الإسلام دوي رنان وصدي مجلجل، فكم اهتزت له عروش، وقامت به ثورات، وما أعرف محنة من محن الأبطال تركت وراءها أثرها الفاجع عبر الأحقاب والقرون كمحنة الإمام الحسين — عليه السلام — ."

وقد يكون في كوارث التاريخ ما غلبها قوة وعاقبة كهجوم التتار في المشرق واعتداء الصليبيين، وسقوط الأندلس وغيرها من الخطوب إلا أن أثر هذا الرهيب قد فاق في عمقه وروعته كل أثر سواء، حتى لجاز لشاعر متعقل كأبي العلاء المعري أن يجعل منه ظاهرة طبيعية تطالع الناس في الصباح والمساء، إذ يقول مصورا هول المأساة:

وعلي الأفق من دماء الشهداء
فهما في أواخر الليل فجران
علي ونجله شاهدان
وفي أولياته شفقان

ولو لم تكن هذه الكارثة الأليمة من حظ هذا اليوم البأس لمر غفلاً مهملاً بين الأيام، ولكنها طبعته بطابع حزين سيقترن به في تاريخ الإسلام مدي الحياة " (١) .

ثم تحدث د/ البيومي عن مقتل الحسين عليه السلام وكيف ترك صداه لدى شيعته قائلاً: " قتل الحسين شهيد الظمأ والسيف والقيظ، وأحس شيعته أنهم خذلوه في أحلك ساعاته وأخرج مواقفه، واندلع بركان الغيظ والأسف والندم يلهب المشاعر ويدفع بالأفواج الساخطة إلي الثأر والانتقام، وأصبح يوم المصارع مأتماً معولاً تلطم فيه الوجوه، وتهتك الغدائر المرسله، وتشق الجيوب، وتقام المناحات، وتقدمت الجيوش الثائرة تحارب كتائب الدولة المسيطرة، فيتسع ميدان النضال وتتناثر الأشلاء والجماجم في ساحات فياحة، تجري بها مسایل الدماء، وتصل السيوف وتسهل الخيول . . . ونظر بنو أمية

فوجدوا يوم عاشوراء في كل محرم يهيج مكامن من الحزن ويشب ما خمد من الضرام، ورأوا كربلاء تصير مزاراً مقدساً يهرع إليه الثائرون، ويتدافع من حوله الناقمون، وقد أصبحت بركاناً يقذف بالحمم وينذر بالثبور، وكم أرق مضاجعهم أن يروا هلال المحرم في أفق العام المجيد يلوح منذراً بالسخط والحداد والنواح!

وإنهم ليلتفتون فيجدون الأسواق في الكوفة والبصرة تقفر، والسواد فيما جاوز العراق يشيع ويعم، وقصائد التآبين والرتاء ترن نائحة باكية، حتى إذا مضت الأيام التسعة وحان اليوم العاشر كان الهول الأكبر، والزلال العاصف، فماذا عسي أن يفعلوا أمام هذا اليوم العصيب؟ (١) .

ثم تحدث د/ البيومي عن احتفال الشيعة في العراق بيوم عاشوراء قائلاً: "وشيعه العراق يحتفلون بيوم عاشوراء احتفالاً حزيناً، تعلق به المنائح ويلبس فيه السواد، وقد حاول يس باشا الهاشمي أن يمنع هذا التقليد منذ سنوات معدودة، فتعرض إلى ثورة صاخبة ضاعت بإزائها شتي الجهود .

وأذكر أن صديقي المرحوم الأستاذ/ محمد هاشم عطية قد حدثني عن احتفال نائح شاهده هناك، إذ كان أستاذاً للأدب بدار المعلمين العالية ببغداد، ورأي من الملامح والمنائح ما لم يكن يتصوره، بل إنه اضطر إلى مشاركة النائحين كيلا يرجف به أحد المجتمعين فيتعرض إلى ما لا يحب!

وكم يقشعر جسمي حين أطلع تاريخ ابن الأثير رحمه الله - فأجده يذكر في سنة ٤٤٣هـ أن بعض رجال العباسيين حاول أن يمنع احتفال الشيعة بعاشوراء، فأحرق جميع الأسواق والدور بالكرخ وما حوله، وبلغت ضحاياه سبعة عشر ألف إنسان!

بالله، يذهب العدد الصخم في غير مفخرة تعود علي الإسلام ويقع بأس المسلمين بينهم فيشب المتهورون حريقاً رهيباً يحصد آلاف الأرواح وتهيج الحفاظ في الصدور فيندفع الموتورون إلى الانتقام ! وكلا الفريقين ممن يتنازعون الرأي علي شفاً خطر مبيد! ولو عقل رجال الدولة لتركوا الناس يفعلون ما يبتغون بعد أن يدعوا المخالفين

إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلوهم بالتّي هي أحسن كما أمر الإسلام!" (١) .

ثم تحدث د/البيومي عن احتفال الشيعة بمصر والفاطميّين بيوم عاشوراء، فعن احتفال الشيعة بمصر كتب قائلاً: " أما يوم عاشوراء في مصر، فقد قدر له أن يجد من الدفع وال جذب، والمد والجزر، بعض ما وجده في بغداد، فقد كان الشيعة بمصر قبل ميلاد الدولة الفاطمية يحرصون على إحيائه بالأسف والبكاء، فكانت طوائفهم يذهبون في حينه إلى قبري السيدتين نفيسة و كلثوم، فيقرءون القرآن ويريقون الدموع، ويصعدون الأنين، ونفيسة هي بنت الحسن بن زيد ابن زين العابدين، وكلثوم هي بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق!

فالاجتماع لدي مشهديهما مما توحى به القرابة الدانية والوشيجة المعركة، وقد يتهور بعض الصارخين فيندفع إلى قرب السقائين وأواني البائعين بالتحطيم والتهشيم، إلا أن العقلاء من المارة يعيدون الأمن ويدفعون التطرف حتى ينصرم اليوم بذكراه المؤسسية، وأسفه اللهيف .

وعن احتفال الفاطميّين كتب قائلاً: ثم جاءت الدولة الفاطمية، وهي من ناحية أولى تبذل اهتماماً كبيراً بالمواسم والاحتفالات، وتعدّها مجالاً فسيحاً لمشغلة النفوس وانصراف الخواطر .

ومن ناحية ثانية تتخذ الإمام الحسين — ﷺ — رمزاً للبطولة الساحرة والفدائية الشهيدة — وهو فعلاً كذلك — وتتخذ من مأساته الدامية أساساً لتدعيم كيائها السياسي ووجودها الشرعي ، فلا غرو إذا اهتمت بيوم عاشوراء اهتماماً بالغ الحد، ففعلت ما يستطيع فعله في إظهار لوااعج الأسف وشعائر الحزن، إذ أمرت — في حزم حاسم — بتعطيل الأسواق، ولبس الممزق من الثياب، وأذنت النساء فخرجن مولولات نادبات، وقد صبغن الوجوه بالسواد، وأعلين النواح في الشوارع والمنازل، واندفع الشعراء

يرسلون قصائد التفجع والتوجع، والقصائد يروون فصول المأساة ويصفون مشاهد المحنة! .

وإذا كان لابد من سماط (١) كبير للطعام ينتهي به الاحتفال ويتصدره الخليفة كما يفعل في المواسم والأعياد، فإن سماط عاشوراء يتسم بطابع خاص يسمى سماط الحزن وعليه توضع أنواع كثيرة من الأملاح والجبن والمخللات والمحرقات، ولا يكون الخبز إلا من شعير مضى عليه الزمن فخشن وصلب .

ثم يجلس الخليفة الفاطمي حزينا مطرقا علي كرسي من جريد ممتهن دون وسادة أو حشية ومن حوله حاشيته ووزاؤه في مثل حالته وعليهم ثياب قاتمة تظهر ما بالنفوس من ضيق وانقباض .

وحين أقيم المشهد الحسيني بالقاهرة بعد مجئ الرأس الطاهر (٢) صار من الحتم الملزم أن تتحلق الجموع حول المسجد وداخله وأن يذهب إليه الخليفة أو الوزير في موكب حزين يلفه الأسى وتغشاه الكآبة ليستمتع إلي آيات القرآن، وخطب التأبين، ويتلقى

(١) السِماط: ما يُمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها . ج سِط ، وأسِطة . ينظر المعجم الوجيز — مرجع سابق ص ٣٢١ .

(٢) ذكر القرطبي رحمه الله في كتابه التذكرة اختلاف الناس في موضع الرأس المكرم ؟ وأين حمل من البلاد ؟ فقيل إن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة إلى عمرو بن سعيد بن العاص فأمر برأس الحسين رضي الله عنه فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنها وهذا أصح ما قيل في ذلك . وقيل إن الرأس أعيد إلى الجثة بكرلاء بعد أربعين يوما من المقتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين ، وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة فشئ باطل لا يصح ولا يثبت . ينظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة — للقرطبي رحمه الله ط المكتبة القيمة بالقاهرة بدون سنة طبع ج ٤٥١/٢ — ٤٥٢ . وقال ابن تيمية رحمه الله في كتابه رأس الحسين : بل المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي — رضي الله عنهما — الذي بالقاهرة كذب مختلق ، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك ، لعلمهم وصدقهم . ولا يعرف عن عالم مسمي معروف بعلم وصدق أن قال : إن هذا المشهد صحيح . وإنما يذكره بعض الناس قولاً عما لا يعرف ، على عادة من يحكي من مقالات الرافضة وأمثالهم من أهل الكذب . ينظر استشهاد الحسين للإمام الطبري ويليهِ رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية — ط دار الريان بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ص ١٨٣ .

العزاء ثم يعود إلى القصر وقد طويت زخارفه وطنافسه وبسطه، وفرش بالحصير البالي المتناثر، وساد الجمع سكون لا يقطعه غير نشيج الباكين وتتهجد الملتاعين" (١) .

ثم تحدث د/ البيومي عن يوم عاشوراء بمصر بعد سقوط الدولة الفاطمية قائلاً: "وكان من الطبيعي بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية أن تزول مظاهر الأسف واللوعة في مصر حين يفد هذا اليوم، إلا أن الأيوبيين قد تورطوا في الأمر تورطاً جاوز القصد، فلم يجعلوا يوم عاشوراء يوماً عادياً كسائر الأيام، بل أحيوا أحاديث التوسعة والنفقة والافتتان في المطاعم والآكال مع الإغراق في الحلوى والفتائر، وذلك تطرف لا يقل خطورة عن تطرف المحزونين البائسين .

ومر علي مصر عامان متعاقبان، كان أولهما مظهراً للترح البالغ والأسى الحزين في عاشوراء، وثانيهما مجالاً للفرحة والأنس والاعتباط، ولو نظر الأيوبيون لهذا اليوم نظرة مقتصدة لاتقوا إثارة الخواطر وانفعال النفوس ٠٠، وما زالت مصر تحتفل بالنفقة والتوسعة في أعوامها المتتالية أيوبية ومملوكية وعثمانية حتى زارها المستشرق أدورلين سنة ١٨٢٥م ورأى من مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء وما قبله من الأيام التسعة ما سجله في كتابه المعروف (المصريون المحدثون في القرن التاسع عشر)، فتحدث بإسهاب عن مظاهر جديدة تعاقبت في هذا اليوم، إذ يخرج نساء كثيرات ينتمين إلى أسر محترمة إلى الشوارع المختلفة، وكل سيدة تحمل طفلها على كتفها وتستوقف من يمر من الرجال ثم تسأله بعض النقد لتشتري به حلوى للطفل فيعيش ويسلم من الأمراض!

وهكذا أصبحت حلوى عاشوراء إكسيراً يمنح الحياة، ولن يرزق هذه الخاصه المدهشة إلا إذا جاء عن طريق الصدقة والإحسان! وقد بقيت مظاهر التوسعة في هذا اليوم حتى الآن، وخطباء المساجد في الريف يثبتون دعائمها بما يلقونه من خطب متوارثة تمتلئ بالموضوعات والمختلقات.

وإذا كان الريفيون يحبون الإمام الحسين — عليه السلام — حباً جاوز الحد، ولا يكادون يغادرون الريف إلى القاهرة إلا تبركاً بزيارة قبره، فإنهم حين ينفقون عن سعة في هذا اليوم لا يتصورون أدنى صلة تربط الإمام الشهيد بهذا الزمن المقدور، وقصارى ما يعلمون أن أحاديث الرسول تحت علي النفقة والتوسع، فيجب أن تطاع " (١) .

وأخيراً تحدث د/ البيومي — رحمه الله — عن يوم عاشوراء في سائر البلاد الإسلامية المتشعبة قائلًا: "أما سائر الأماكن المتشعبة في العراق وإيران والهند والأفغان وجبل عامل في لبنان ومحلة الأمن في دمشق وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفي البحرين والكويت وتركستان وغيرها من مهادر التشيع، فلا تزال تجل مساجدها وشوارعها بالسواد في هذا اليوم حداداً علي البطل الشهيد .

بل إن مؤرخي المسرحية في الشرق يرجعون بنواتها البدائية إلى ما كان يصنعه شيعة إيران في هذا اليوم من تمثيل لمأساة كربلاء، إذ يبدعون الرواية بخروج الحسين — عليه السلام — من المدينة ثم التحامه بجيوش الأمويين في كربلاء، ويعرضون مشاهد للصيال والنضال والبطولة والاستشهاد، ثم يقوم شيخ يثير شجون الناس يذكر ما لاقاه الحسين — عليه السلام — في نغم حزين يهيج العواطف، ويستدر الدموع، ويمر بالناس ومعه قطعة من القطن يلتقط فيها الدموع ثم يقطرها في زجاجة تحفظ للاستشفاء، ويختتم التمثيل بحرق أعشاش في جوانب الساحة ترمز إلي كربلاء، ويظهر قبر الإمام الحسين — عليه السلام — مجللاً بالسواد " (٢) .

يتبين من ذلك: أن الحدث الجلل في يوم عاشوراء هو مقتل الإمام الحسين — عليه السلام — وقد ترك هذا الحدث صداه لدي الشيعة ففي مثل هذا اليوم من كل عام يظهر حداد الشيعة على الإمام الحسين فيلبسون السواد والممزق من الثياب، ويعطلون

(١) السابق ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٢) نفس السابق ص ١٩٥ — ١٩٦ .

الأسواق، ويعلنون النواح ويظهرون الحزن والأسى لأنهم قد أحسوا بخطئهم الفاحش مع الإمام فهم الذين خذلوه حتى قتل، لذا فإنهم في ترح دائم .

وهناك فريق من الناس يعلن الفرح في هذا اليوم ويتوسع في المآكل والمشرب والنفقات .

وما يفعله الشيعة من الحداد والنواح مخالف لتعاليم الإسلام .

فقد نص " أحمد — ﷺ — على تحريم النياحة، قال في رواية: النياحة معصية .

وقال أصحاب الشافعي — ﷺ — وغيرهم : النوح حرام .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا

للنساء .

وقال بعض المتأخرين من أصحاب أحمد: يكره تنزيهاً وهذا لفظ أبي الخطاب

في الهداية . قال ويكره الندب والنياحة ، وخمش الوجوه، وشق الجيوب، والتحفي .

والصواب القول بالتحريم؛ لما في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود —

رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: { ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعي بدعوي

الجاهلية } (١) " (٢) .

"وكذلك من الشعارات الباطلة: لبس السواد، وعدم الحلق، سواء شعر الرأس أو

نحوه من شعور الإنسان " (٣) .

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود — كتاب الجنائز رقم ٢٣ — باب : ليس منا من شق الجيوب رقم ٣٥ — حديث رقم ١٢٩٤ — مرجع سابق ج ٤ / ٣٨٠—٣٨١ . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١ — باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية رقم ٤٤ — حديث رقم ١٦٥ مرجع سابق ج ١ / ٣٨٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية — عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين — ط دار الريان للتراث بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ص ١٣٤ .

(٣) الشيخ/ عادل بن يوسف العزاوي — تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة — ط مؤسسة قرطبة بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٦ م ج ٢ / ١١٧ .

فمن البدع المنكرة " إعفاء بعض الرجال لحاهم أياما قليلة حزناً علي ميتهم، فإذا مضت عادوا إلي حلقها! فهذا الإعفاء في معني نشر الشعر (١) كما هو ظاهر، يضاف إلي ذلك أنه بدعة، وقد قال ﷺ: { كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار } (٢) .

وأما ما يفعله البعض الآخر من الناس من التوسعة في هذا اليوم فهو مخالف للسنة، فالسنة صيام هذا اليوم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: { قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأي اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجي الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسي منكم، فصامه، وأمر بصيامه } (٣) .

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: { يكفر السنة الماضية } (٤) .

(١) نشر الشعر منهي عنه لحديث امرأة من المبايعات قالت : { كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصبه فيه وأن لا نخمش وجهها ، ولا ندعو ويلا ، ولا نشق جيها ، وأن لا ننشر شعرا } أخرجه أبو داود في سننه عن أسيد بن أبي أسيد — كتاب الجنائز رقم ١٥ — باب في النوح رقم ٢٩ — حديث رقم ٣١٣١ وصححه محققو سنن أب داود مرجع سابق ج٣/ ١٣٦٨ .

(٢) الشيخ محمد ناصر الدين الألباني — أحكام الجنائز وبدعها — ط مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م ص ٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم رقم ٣١ — باب صوم يوم عاشوراء رقم ٦٩ — حديث رقم ٢٠٠٤ — مرجع سابق ج٦/ ٤٥٢ — ٤٥٤ .

(٤) أخرجه مسلم عن أبي قتادة الأنصاري — كتاب الصيام رقم ١٣ — باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس رقم ٣٦ — حديث رقم ١٩٧ — مرجع سابق ج٤/ ٣٠٦ .

المبحث الخامس: الأستاذ الدكتور / البيومي رحمته الله ما له وما عليه .

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : المادحون والمؤيدون للدكتور البيومي رحمته الله:

في الحقيقة ما رأيت رجلاً كثر مادحوه وتزاحمت الأقوال عنه بعد وفاته مثل هذا الرجل العملاق العلامة د/ البيومي رحمته الله، فقد منيت الأمة الإسلامية كلها بفقده، ولا أكون مبالغاً في ذلك، ولكنها الحقيقة، فإن كثيراً من العلماء في كثير من دول العالم كتبوا عن رحيل هذا العالم الجليل وسأنقل أقوالهم إن شاء الله كالاتي:

أولاً: أقوال العلماء في مصر عن رحيل د/ البيومي رحمته الله : —

١— قول شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، وقال في افتتاح الجلسة العاشرة لمجمع البحوث الإسلامية في دورته السابعة والأربعين يوم الخميس الحادي والعشرين من ربيع الأول ١٤٣٢هـ الموافق الرابع والعشرين من فبراير ٢٠١١م بقاعة الاجتماعات بمبني مشيخة الأزهر الشريف: " فبادئ ذي بدء نحتسب عند الله سبحانه وتعالى — أستاذنا الجليل وعالمنا الكبير الشاعر والمفكر والأديب شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الذي وافاه أجله منذ أسابيع وقد كان — كما نعلم جميعاً — خاتمة الشعراء المدققين، والأدباء المحققين، ومع ذلك لـم ينل — للأسف الشديد — ما يستحقه خلال حياته ، فنسأل الله أن يجزيه كل خير بعد وفاته ، فقد كان قامة عالية وقيمة سامقة عالماً وأديباً، وهو جدير بحق أن تعقد له ندوات وندوات وقد ظل رحمته الله وحتى آخر أيامه مجداً مجتهداً، لم يترك قلمه لحظة واحدة، وأنا لدى المجموعة الكاملة لمجلة الرسالة التي أحرص على مطالعتها بين الحين والآخر والتي كان يزينها بمقالاته الرصينة في القرن الماضي .

فنسأل الله ﷻ أن يعوضنا عنه خيراً، كما — نسأله سبحانه — أن يتغمده بواسع رحمته وفضله ورضوانه، ويرحم أمواتنا وأموات المسلمين " (١) .

٢— قول فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة مصطفى وقال فضيلته: "ولقد كان الأستاذ الدكتور محمد أحمد البيومي — الذي اشتهر باسم محمد رجب البيومي — عالماً موسوعياً في عصر جارت فيه التخصصية على الموسوعية والموسوعيين وكان عالماً محققاً في عصر جار فيه الإعلام — بسطحيته — على العلم والعلماء والمحققين . . كان راهباً في محراب الفكر الإسلامي والأدب العربي في عصر اجتذبت فيه زخارف الدنيا الكثيرين بعيداً عن محاريب العلم ومشاق العمل الفكري الرصين . . لقد رحل عن عالمنا وهو يمثل مدرسة في الفكر والأدب فيها تلامذة ومريدون . . وغادر هذه الدنيا وهو عضو مرموق في أعرق هيئات العلم الإسلامي (مجمع البحوث الإسلامية) — هيئة كبار العلماء — بالأزهر الشريف " (٢) .

٣— قول فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق وقال فضيلته: " رحم الله أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور/ محمد رجب البيومي رحمة واسعة، وأنا أحد الذين تتلمذوا علي مقالاته وما يكتبه عموماً لاسيما في مجلة الرسالة التي كان يكتب فيها منذ بواكير شبابه بجانب أساطين الفكر والأدب وشيوخ العلم، وقد استفدت أنا ومعظم جيلي من كل ما كتبه، وعندما كنت طالبا في الصف الثالث الثانوي نشر لي في مجلة الرسالة في باب البريد الأدبي مقالات ثلاث علي ما أذكر وكم كان ﷺ يذكرني بهذه المقالات، وكانت المقالة الأولى منها عن الاقتباس من القرآن الكريم، وهي المقالة التي حصلت بها علي جائزة من معهد دمياط الديني .

(١) مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى ١٤٣٢هـ — أبريل ٢٠١١م — الجزء ٥ — السنة ٨٤ — افتتاحية العدد بعنوان (مجمع البحوث الإسلامية ينعي الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس تحرير مجلة الأزهر ص ٦٥٨ — ٦٥٩ .

(٢) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤٣٢هـ — مارس ٢٠١١م — الجزء ٤ — السنة ٨٤ — مقال بعنوان (أستاذ الأساتذة: الدكتور رجب البيومي) للأستاذ الدكتور محمد عمارة ص ٥٩٨ .

فضيلة المرحوم الدكتور/محمد رجب البيومي قيمة وقامة كبيرة جداً وهو جدير بكل تقدير، وأنا مع فضيلة الإمام الأكبر فيما اقترحه من أن تكون هناك ندوة عنه وعن فكره، وقد تحمل فضيلة الدكتور محمد رجب البيومي في الفترة الأخيرة مسئولية رئاسة تحرير مجلة الأزهر فأدي الأمانة علي خير وجه، ورغم الجهد الكبير الذي بذله للارتقاء بالمجلة فقد ظل على سيرته الأولى من العطاء الأدبي والفكري حتى لقي ربه فرحمة الله الواسعة عليه " (١) .

٤- قول فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم وقال فضيلته: "أود أن أذكر في هذه الجلسة التي نلتقي فيها بعد رحيل علم من أعلام الفكر الإسلامي والأدب والشعر أستاذنا الجليل الدكتور محمد رجب البيومي - رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً وَأَجْزَلَ لَهُ مَثُوبَةً وَأَسْكَنَهُ فُسَيْحَ جَنَاتِهِ -، أود أن أذكر من خلال معرفتي الشخصية بهذا العالم أنه كان عالماً موسوعياً عرف عنه أنه شاعر وأديب، وكاتب إسلامي فذ، لكنه إلي جانب تلك المواهب المتعددة كانت له دراساته الرصينة في السنة النبوية ورجالها من كبار المحدثين كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري وغيرهما من أئمة الحديث النبوي، وشوامخ الفكر الإسلامي، ولأصالة فكره ورسوخ علمه حازت مؤلفاته على شهرة واسعة وسارت في العالم الإسلامي مسيرة الضوء في الآفاق، ولا غرو فهو عالم فذ، راسخ القدم، موسوعي المعرفة، فنأمل أن يكون تراثه الخالد نصب أعيننا، وكم أشعر بالأسف لأنه حتى هذه اللحظة لم يخرج لهذا الأديب الكبير ديوان شعر يضم أشعاره المتناثرة، ولهذا أقترح أن يقوم الأزهر الشريف بطبع قصائده في ديوان وكذا أعماله الأدبية والإسلامية والتاريخية، وطبع قصائده العصماء عن الأزهر التي كثيراً ما أُلقيت في محافله، فأرجو أن يطبع كل ذلك ضمن كتب السلسلة الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية، وشكر الله لفضيلة الإمام أن منحنا هذه الفرصة كي نتحدث عن هذا العالم العلم وأدعو الله ﷻ أن يسكنه فسيح جناته، وأن يلهم آله وذويه الصبر الجميل " (٢) .

(١) مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى مرجع سابق ص ٦٥٩-٦٦٠ .

(٢) السابق ص ٦٦١ .

٥- قول فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان، وقال فضيلته: " بداية أدعو الله - تبارك وتعالى - أن يفسح للراحل الكريم في جناته وأن يجزيه خير الجزاء علي ما قدم للأزهر وللمسلمين عامة، ولأهل العربية خاصة، ولهذا أتقدم لفضيلتكم باقتراحات:

الاقتراح الأول: أن تصدر مجلة الأزهر ملحقاً خاصاً عن هذا العالم العظيم الذي قدم للأزهر كل ما يمكن تقديمه من عالم أزهري معتر بأزهريته •
الاقتراح الثاني: أن يطلق اسم هذا العالم الجليل العظيم على أحد مدرجات كلية اللغة العربية التي شرفت به أستاذاً وعميداً •

الاقتراح الثالث: أن تقوم مجلة الأزهر بطبع كل ما كتبه فضيلته ولم يطبع؛ لأن كل ما كتبه يمثل ثروة عظيمة يجب أن يطلع عليها كل مشغل بالعلوم العربية والإسلامية •

فجزاه الله خيراً على ما قدم ونسأله - تبارك وتعالى - أن يتغمده برحمته، وأن يلحقنا وإياه بالشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا " (١) •

٦- قول الأستاذ الدكتور / حمدي فتوح والي وقال فضيلته: " عرفت الدكتور محمد رجب البيومي منذ عشرة أعوام كاملة، وعلى وجه التحديد في صيف سنة ٢٠٠١م، ومنذ ذلك الوقت شعرت أنني أمام قمة أدبية شامخة تقف علي قدم المساواة بين أدبائنا العظماء من أمثال الرافعي والعقاد والمنفلوطي وطه حسين وعبد الرحمن شكري والمازني وأستاذه وصديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة التي شهدت بزوغ نجم الدكتور رجب كاتبا من أبرز كتابها منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي • رحم الله أستاذنا الجليل، ورفع درجته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين • وحسن أولئك رفيقا " (٢) •

(١) نفس السابق ونفس الصفحة •

(٢) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر - مرجع سابق مقال بعنوان الدكتور محمد رجب البيومي •• كما عرفته - للأستاذ الدكتور

حمدي فتوح والي - ص ٥٨٠، ٥٨٣ •

٧- قول فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد فتحي فرج بيومي وقال فضيلته: " لله
درك يا أبا حسام ٠٠ ما أشبه ظروف رحيلك بظروف رحيل زعيم من زعماء
النهضة الإسلامية والأدبية هو السيد مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله والذي تحدثت
عنه كثيراً في كتبك ومقالاتك فقد شيع الرجل أيضاً يوم اعتدي علي زعيم الأمة سعد
زغلول، فانشغل الناس بسعد ولم يتح للمنفلوطي التشييع المناسب الذي يستحقه ويليق
بمقامه حتى إن شوقياً رحمه الله قد عبر عن ذلك شعراً فقال:

اخترت يوم الهول يوم وداع	ونعاك في عصف الرياح الناعي
هتف النعاة ضحى فأوصد دونهم	جرح الرئيس منافذ الأسماع
من مات في فزع القيامة لم يجد	قدما تشيع أو حفاوة ساع

ولكن ما يعزينا في هذا الوداع الهادئ، أنه يتمشي مع طبيعته الهادئة الوديعه
وتواضعه الجم، وإنكاره للذات، وإيثاره المعهود للجوهر والمضمون والموضوعية
وتغليبته للمصلحة العامة وابتعاده عن التزاحم في الصفوف الأمامية، وكل ما كان
يعتبره من الأمور الشكلية التي لا تقدم ولا تؤخر .
ومع كل هذا أشهد أنه لم يأخذ حظه بالمقارنة إلى كثيرين جداً ممن هم دونه
قيمة وقامة وقدرًا وعلمًا وعملاً وفضلاً، فلم يفز مثلاً بجائزة الدولة التقديرية في
الآداب مع إنه تجاوز بمراحل كثيرين ممن فازوا، بها كما لم يحظ بعضوية مجمع اللغة
العربية وهو من هو فهما لدقائق العربية وأسرارها وبلاغة وبيان كنوز تراثها من
القديم والمعاصر والحديث .

بل إن إدارة مجلة الأزهر دأبت بتعليمات مشددة منه — رحمة الله عليه — علي
رفض نشر أية مقالات حوله أو حول أدبه وكتبه، ظناً منه أن هذا ربما يدخل تحت ما
يعرف باستغلال النفوذ لكونه رئيساً لتحرير هذه المجلة العريقة، وأشهد أن لي تجربة

شخصية في هذا الصدد يشهد عليها الأستاذ الفاضل مدير التحرير . الدكتور محمد رجب البيومي رحمته الله وأسكنه فسيح جناته — قامة سامقة في مجالات شتى " (١) .

٨— قول الأستاذ الدكتور/ رضا عبد المجيد المتولي، وقال فضيلته: " الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عالم موسوعي، ورائد في مجالات الفكر المتعددة، في مجال اللغة، الأدب والنقد، البلاغة، النقد الاجتماعي، التربية، الدراسات القرآنية وغير ذلك " (٢) .

٩— فضيلة الشيخ / أحمد مصطفى فضليه، وقال فضيلته: " عالمنا وأديبنا الكبير الدكتور محمد رجب البيومي رحمته الله من أولئك الكبار الذين جددوا ديباجة الأدب وألوانه في موضوعاته وبحوثه، ولم يقلدوا في النظام وطرائق الأداء، وهو في أدبه يؤمن بالقديم وجلاله مستمسك به أشد الاستمسك، ومع ذلك فهو مجدد، مجدد في طرائق الأداء، وتنظيم موضوعات الأدب وتقريبها . ومؤلفاته التي تزيد علي السبعين والتي تنوعت بين الدراسات الأدبية والعلمية، والإبداع، والفكر الإسلامي، والسيرة والتاريخ، وقصص الأطفال والإسلاميات العامة " (٣) .

١٠ — قول د/عمر حسين المويج السعدي، وقال فضيلته: " إن حياة الدكتور البيومي رحمته الله تعالى حياة مشرقة ومشرفة قضاها في طلب العلم وتعليمه وعاش بين الكتب قراءة وتأليفاً حتى أصبح لديه ملكة نادرة يستطيع من خلالها أن يقرأ الكتاب الذي يتجاوز الخمسمائة صفحة في دقائق معدودة وترك تركة ثمينة من المؤلفات التي

(١) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر — مقال بعنوان (الدكتور محمد رجب البيومي سبعون عاما من العطاء الفكري والأدبي)

للأستاذ الدكتور محمد فتحي فرج بيومي — ص٥٨٤ — ٥٨٥ .

(٢) السابق مقال بعنوان (الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي وجهوده في الدراسات القرآنية) للأستاذ الدكتور رضا عبد

المجيد المتولي — ص٥٩٢ .

(٣) نفس السابق مقال بعنوان (محمد رجب البيومي . العلامة الأديب وداعا !) لفضيلة الشيخ / أحمد مصطفى فضليه —

تستطيع من خلالها قراءة هذه الشخصية الفاضلة فقد كان رحمه الله تعالى على خلق
فاضل وأدب جم " (١) .

١١- قول الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي الأمين العام للمجلس الأعلى
للشئون الإسلامية، وقال فضيلته: " والحق أن المتابع لسيرة العلامة الدكتور/ رجب
البيومي، يجد فيه الكثير من المعاني السابق الإشارة إليها (٢)، لما تفرد به الراحل الكريم
من نعوت وقدرات شكلت شخصيته، وصقلت موهبته في جانب، وبالأحرى في جوانب
تعدد بها عطاؤه وبرزت بها ملكاته في الأدب والشعر واللغة والتاريخ للأبطال
والأعلام الذين كان لهم دور بارز في خدمة العربية والإسلام .

لم يكن الرجل من ذلك النوع من العلماء التقليديين الذي يكتفي فيه صاحبه بأن
يكون مجرد ناقل يردد مقالة أو مقولات هؤلاء النفر من الرعيل الأول والثقات من
الأدباء والمؤرخين، وإنما كان مبدعاً بين المبدعين، وصاحب رؤية ومنهج بين
السالكين علي دروب علم الشعر والأدب يضيف إلي هؤلاء الكبار، ويأخذ عنهم،
ويسير على نهجهم لكن في ظل فكر ناقد وثرء بارز لا تخطئه العين " (٣) .

ثانياً: أقوال علماء السعودية عن رحيل د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ :-

١- قول د/ عائض الردادى، وقال فضيلته: "د/ محمد رجب البيومي هذا الاسم
عَلِمَ في مجال الأدب والنقد بخاصة والثقافة بعامة، عرفت مما نُشر في صحافتنا وهو
قليل أنه انتقل إلى رَحِمَهُ اللهُ، وللأسف أن أعلام الثقافة الذين ينيرون البصائر لا يكتب
عنهم إذا رحلوا فتات ما يكتب عن فناني الملاهي الماجنة .

(١) مجلة الأزهر عدد جمادي الأولى، مرجع سابق — مقال بعنوان (وترجل الفارس عن الجواد) د/ عمر حسين الموجان السعدي

(٢) المعاني هي : الطراز الفريد ، والقامة السامقة ، والعلم الذي يشار إليه بالبنان . ينظر السابق ص— ٧٥٢ .

(٣) نفس السابق مقال بعنوان (العلامة البيومي علي الوسطية) للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندي — ص — ٧٥٢ —

محمد رجب البيومي كان أستاذاً معروفاً في الدراسات الجامعية في مصر، وبرز اسمه في بلادنا عندما عمل عضو هيئة تدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود، ولم يقتصر نشاطه على الجامعة بل امتد إلى الصحف والمجلات والمنديات الثقافية والإذاعة، وكان إنتاجه مميزاً في كل ذلك، وقد توفيت زوجته وهو في الرياض تاركة عدداً من الأطفال فرثاها رثاءً حاراً في قصائد كثيرة، ولم تنفّس تلك القصائد شيئاً من ألمه، كيف والصغار يثيرون الأحزان كلما قالوا: (ماما) وأعاد الصغار إلى مصر وازداد ألمه بين حزن فراق الزوجة وفراق الأولاد، فعاد إلى مصر، ولكن بقي رثاء الزوجة، فأشار عليه بعض أصدقائه بأن يوجّه شعره إلى أمجاد العرب والمسلمين علّه يسلو، ويجد في تلك الأمجاد سلوة لأحزانه ففعل. أعدّ للإذاعة عدداً من الأحاديث الثقافية، وشارك في كثير من الندوات.

وكان يعاني عندما تصرف له المكافأة فاسمه الحقيقي في الجواز ليس محمد رجب البيومي، وهذا اسم ثقافي اختاره لنفسه ليس فيه من اسمه الحقيقي إلا (رجب) ولذا كان يجيّر الشيكات باسم زميله د/عبد الفتاح الحلو رحمهما الله.

كانت أيام د/البيومي في الرياض من أخصب فترات حياته فقد ارتبط بالمتقنين فأحبهم وأحبوه لعلمه الغزير وشخصيته المحببة، وثقافته العالية، ورأيه الحر، وعدم خضوعه لكثير من القيود القديمة في الأدب والنقد، فهو ذو رأي حديث، ومغرم بالتراث من غير انغلاق، وامتد نشاطه إلى المحافل الثقافية في جدة ولناديها الأدبي بخاصة، وطبع له النادي بعض إنتاجه مما أتى عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين في مقاله في صحيفة الجزيرة يوم ١٢/٦/١٤٢٧هـ. د/ البيومي من كتّاب مجلة الرسالة المشهورة، وأصبح في سنيه الأخيرة رئيساً لتحرير مجلة الأزهر، وكنت أتابع ما يكتبه فيها وما يستكتبه للآخرين مما تظهر فيه شخصيته الثقافية المميزة.

اهتم د/البيومي بأعلام العرب والمسلمين، وأبرز سير هؤلاء الأعلام، وكان له رأي مميز، وهو أن هؤلاء الأعلام ليسوا فوق النقد، ولكنهم فوق الهدم، وكان يكرر انقدوا الأعلام ولا تهدموهم، وكتب مقالاً عن ذلك في إحدى المجلات، وأظنها مجلة

رابطة العالم الإسلامي، فهو يرى نقد العلم وليس هدمه كما هو شأن الخانعين المهزومين ثقافياً أو أولئك الذين يرون في سقطة العالم إخراجاً له من ساحة العلم إن لم يخرجوه من ساحة الدين .

رحم الله البيومي فقد كان علماً سلك نفسه في سلسلة أعلام العرب بإنتاجه أدباً ونقداً وكتابة وتاريخاً ومنافحة ودرساً وأصالة رأي ومنهج في زمن الانكسار أمام هجمة الثقافة الوافدة" (١) .

٢- قول الأستاذ/ زهير الأنصاري، رئيس تحرير مجلة المنهل السعودية — وقال على صفحات المجلة: " الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي عالم ٠٠ أديب ٠٠ لغوي ٠٠ محقق ٠٠ واكتب ما شئت عن خلقه ونبله وإنسانيته ٠٠ ذلك ، أستاذنا ، وأستاذ الأجيال الدكتور محمد رجب البيومي انتقل من (الفانية) إلى (الباقية) وضراعتنا إلى الله سبحانه أن يكون في مشمول رحمته ورضوانه ورضاه، ولا نقول في فقدته إلا ما يرضي الله سبحانه (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

عاش حياته معلماً ومربياً وأستاذاً ٠٠ سادنا لرواق العربية الفصحى، حتى غدا أحد كبار أعلامها ٠٠ عاش حياته رافعاً لرايات دينه في تجرد واعتدال ٠٠ وهب نفسه للعلم ، فكان العالم المحقق المدقق الموثق ٠٠ درس وحاضر في قاعات الجامعات ومجامع العلم والعلماء ٠٠ شارك بموفور علمه في اللقاءات والندوات والمؤتمرات ٠٠ رحلته مع القلم والكتابة والتأليف بدأت مبكرة منذ شبابه المبكر حتى برزت فيه دلالات النباعة والذكاء ترفدها جميعاً ذاكرة حافظة ٠٠ كتب في المجالات والصحف ٠٠ شعراً ونثراً ٠٠ وتشهد له المجالات والصحف المصرية القديمة بمنازلاته ومحاوراته ومجادلاته العلمية والفكرية والأدبية والثقافية ، مع كبار رواد الحركة الأدبية والعلمية والفكرية في مصر ٠٠

(١) ينظر موقع ملتقي أهل اللغة — وفاة الدكتور محمد رجب البيومي مقال في جريدة عكاظ بقلم د/ عائض الراددي بعنوان

(د/ محمد رجب البيومي) الموقع / ٤٢٨١ t=showthread.php? http://www.ahlalloghah.com —

تاريخ الدخول — ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م حوالي الساعة الخامسة والنصف مساءً .

الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي له مع مجلة المنهل ود قديم ٠٠ وصلة موصولة ٠٠ وصداقة صدق ما انخرمت ٠٠ بل وثقت الأيام والسنون في عروتها ٠٠ منذ تعرف على مؤسس المنهل ورأى فيها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ٠٠ ووجد فيه العالم الباحث المحقق والأديب الرائد ، انعقدت بينهما صلة العلم ٠٠ وظل في تواصل علمي وأدبي وفكري مع مجلته المنهل ٠٠ وله في مجلة المنهل مئات المقالات والدراسات والأشعار ٠٠ بل لا تزال له بقية باقية من مقالاته ودراساته ، وسوف تنشرها المنهل تباعاً ٠

كتب في المنهل مجموعة من الأبواب بعناوين ثابتة دامت عدد سنين بغير انقطاع وهي (شذرات الذهب — رحلة في الذاكرة — رحلة في المكتبة — الحديث ذو شجون) وهذا الأخير (الحديث ذو شجون) له حلقات ستنتشر تباعاً بإذن الله تعالى ٠٠ أستاذنا الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي — عليه رحمة الله تعالى ورضوانه — العالم الأديب المحقق ظل وفيها لمجلته المنهل ، محبا لها ٠٠ والمنهل له محبة ٠٠ وبتوفيق الله سبحانه سوف نخصص في عددنا القادم ملفاً خاصاً بهذا العالم العلم ٠٠ الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ٠٠ رحم الله بفضلله أستاذنا ٠٠ وأحسن إليه ٠٠ وجعل الجنة مثواه ٠٠ وألهم أهله وذويه ومحبيه الصبر الجميل في فقد هذا العزيز ٠٠ وإنا لله وإنا إليه راجعون " (١) ٠

٣ — قول الأستاذ أحمد عرفات القاضي في مجلة الحياة السعودية، وقال تحت عنوان (محمد رجب البيومي ٠٠ ذاكرة الأزهر): " إذا كان الأزهر الشريف هو الوعاء الجامع للعلوم العربية والإسلامية، وذاكرة الأمة المحافظ على أصالتها والمجدد لوعيتها كلما ألم بها الاضمحلال والانحراف، فقد رحل عن عالمنا أخيراً رجل لا يختلف اثنان على أنه كان ذاكرة الأزهر المتفاني في رحابه والأمين على رسالته وآخر أفراد جيل

(١) ينظر موقع مجلة المنهل مقال بعنوان رحيل الكبار بقلم رئيس التحرير الموقع /

العمالة والموسوعيين العظام الذي جمع بين العلوم العربية والإسلامية بإتقان وحب على اعتبار أن كل منهما يكمل الآخر .

وإذا كان يتوجب على طالب العلم في تلك الجامعة الإسلامية العريقة أن يتخصص في أحد فروع الثقافة العربية والإسلامية بعد أن يلم بالقواعد الأساسية لتلك العلوم جميعها فقد كان الدكتور محمد رجب البيومي صوتاً فريداً ملماً بتلك العلوم جميعها بتمكن واقتدار فإذا طالعت مؤلفاته الغزيرة والمتعددة تجدها تدور بين تلك العلوم العربية والإسلامية لأنه كان من الرجال الذين يؤمنون بأن العربية كتاب واحد وأنه لا يمكن الفصل في ثقافتنا العربية والإسلامية بين فن وآخر لأنها متكاملة وكل فرع منها يتصل بالآخر .

لقد عاش الدكتور البيومي مرفوع الرأس موفور الكرامة لم يزايد على أحد ولا استغل صلاته بأحد لكنه عاش ملكاً غير متوج بعلمه منكفئاً على ذاته يردد في صمت مقولة الزهاد الأوائل: وادفن نفسك في رماد الخمول، حتى صار بحق كالذهب الإبريز كلما اقتربت منه عرفت معدنه الأصيل واستمتعت بثمار علمه المتنوعة والغزيرة .

عاش رحمته الله في هدوء ورحل في هدوء شأنه شأن العظماء الذين لا يكثرثون كثيراً لصخب الحياة وينأون بأنفسهم عن مشاكلها اليومية التي تأكل الوقت والعمر لعلمه أن الوقت من ذهب وعليه أن يقتنصه لما هو أغلى وأثمن ألا وهو العلم الذي عرف راحلنا قيمته وشرفه، كما وعى مقولة السابقين عن فضل العلم وأنه لن يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك" (١) .

ثالثاً: ما جاء في صحيفة العرب القطرية عن د/ البيومي، حيث كتب د/نعيم

محمد عبد الغني ، قائلاً : أقطع سلسلة الحديث عن قصة مهاجر لأنعى إلى الأمة الإسلامية عالماً من علمائها، رحل في صمت، رغم أن روح كتاباته من روح الزمن

(١) ينظر موقع الحياة — مقال بعنوان محمد رجب البيومي ذاكراً الأزهر للأستاذ أحمد عرفات القاضي يوم السبت ٢٣ أبريل

٢٠١١م . ٥٦٤٠٨٢٠٠ / internationalarticle/ http://international.daralhayat.com/ تاريخ الدخول

— ١٦ / ١ / ٢٠١٢م حوالي الساعة السادسة والنصف مساءً .

الجميل، زمن العقاد ومحمد فريد وجدي، ومحمد عبد الله دراز وعلي الطنطاوي وعظماء العلماء والكتاب والمفكرين .

أكتب عن الدكتور محمد رجب البيومي رحمته الله الذي فارقنا منذ أيام في الخامس من فبراير الماضي ٢٠١١، ودفن في مسقط رأسه بالكفر الجديد بمدينة المنزلة في محافظة الدقهلية بمصر .

ساعة معرفتي بالخبر سارعت إلى مقالة كتبتها عن الرجل في غمرة من الإعجاب، أحل فيها ما قرأت، وداعيا إياه كي يقرأ ما كتب عنه، وهو الذي اعتاد أن يترجم للأعلام المعاصرين، بأسلوب أدبي رائع، وبعبارة فخمة لا تتأشب بمعضل الكلام ولا وحشيه وغريبه .

وقد خاب سعيي إزاء هذه المقالة وحيل بيني وبين ما أشتهي من رؤية هذا العالم الجليل والجلوس إليه، إذ لم أنشر المقالة بمصر في مجلة الأزهر التي كان رحمته الله رئيس تحريرها، ولا مجلة منبر الإسلام التي كان أحد أساطين كتابها، وشاء الله لي ساعتها أن أفارق مصر وأنشغل بأشياء كثيرة، لأتنبه إلى وفاة الرجل بعد أن قضى حيناً من الدهر أديبا شاعرا عالما، أديبا له من النتاج الأدبي ما يفوق الأدباء، وشاعرا له من الشعر العمودي، ما زاحم به الشعراء، وعالما له من التحليل والتدقيق ما أهله لإمامة العلماء" (١)

رابعاً: ما كتبه أبو محمد السوري، وكتب قائلاً : " الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

(١) ينظر موقع صحيفة العرب القطرية بقلم د/ نعيم عبد الغني — العدد ٨٢٧٩ — الجمعة ٨ ربيع أول سنة ١٤٣٢هـ — ١١

فبراير ٢٠١١ م .

http://www.alarab.com.qa/details.php?docId = تاريخ الدخول — ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م حوالي الساعة

السابعة مساءً .

إنَّ الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى .. رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه .. لما نافح عن دين الله بأدبه . إذ لم يكن قلمه مأجوراً كحال الكثير من الأدباء اليوم . أخوكم من بلاد الشام أبو محمد السوري " (١) •

هذا والأقوال كثيرة عن أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي فقد منيت الأمة الإسلامية حقاً بفقده ، وجاءت هذه الأقوال شاهدة له عند الله تعالى بما قدمه للإسلام والمسلمين •

المطلب الثاني : الناقدون والمعارضون للدكتور البيومي: منذ أن

كتبت عن هذا الرجل العظيم وأنا أبحث عن ما أخذ عليه من مخالفه فلم أجد ، وقد سألت الأستاذ عادل خفاجة مدير تحرير مجلة الأزهر قائلاً: أريد أن أعرف من يختلف مع د/ البيومي رحمته الله ، فقال لي بالحرف الواحد: ومن ذا الذي ينطح في الصخر •

وهذه المقولة شهادة برسوخ قدم د/ البيومي رحمته الله • ولكنني أثناء تصفحي لما كتب علي شبكة الإنترنت عن هذا الرجل وجدت بعض الناقدين ل د/ البيومي في بعض آرائه وذلك كالآتي:

١- ما كتبه الأستاذ / أمير فوزي السلفي المصري، حيث كتب قائلاً عن د/ البيومي : " رحمه الله رحمة واسعة وكان رئيس تحرير مجلة الأزهر لكن يحذر من كتاباته في التصوف ويقرأ له بتمهل وحذر " (٢) •

٢- ما كتبه الأستاذ/ ربيع الزواوي، حيث كتب قائلاً : "وأخيراً... حتى لا يشغب البعض على ما ينتقد على الفقيه في بعض آرائه، وبعض ما كان يذهب إليه، فأنا أعرف عنه أنه هادئ الطبع، ميال للهدوء، يبرر كل خطأ لأي أحد!

(١) ينظر موقع مجالس الطريق إلى الجنة بقلم أبو محمد السوري

٦٩٦٨٨٠ http://www.way2jannah.com/vb/showthread.php?p= تاريخ الدخول — ١٦ / ١

٢٠١٢ م حوالي الساعة السابعة والنصف مساءً

(٢) السابق بقلم أمير فوزي السلفي المصري مشرف المجالس علي (الفيس بوك) • نفس الموقع ونفس التاريخ •

وهذه طباع المتصالحين مع أنفسهم،الذين يلفهم الهدوء والانسجام النفسي، وراحة البال، وأنه كان يحب الفكر الصوفي، والمتصوفة، وله ثناء على الكثير ممن له أفكار صوفية صادمة... أقول أنا أعرف عنه ذلك، ولا يدفعني ذلك لأن أترك ما عند الرجل من أدب وعلم وآراء سديدة... فإنه بحق كاتب موهوب غزير الإنتاج عميق الفكرة متين الأسلوب دقيق المعالجة، له قاعدة كبيرة من صفوة القراء والمتقنين الذين يجعلون كتاباته ومؤلفاته مراجع لبحوثهم وكتاباتهم " (١) •

٣- ما كتبه الأستاذ/ عبد الفتاح أبو مدين في صحيفة جدة الإخبارية قائلاً: "وأعود إلي وقفتي في كتاب الدكتور/محمد رجب البيومي وهو يتحدث عن الدكتور عبد الحليم محمود رحم الله الرجلين برحمته التي وسعت كل شيء .. قال الدكتور/ محمد رجب البيومي:

طلبني الأستاذ/عبد الحليم محمود هاتفياً من كلية اللغة العربية ذات صباح فسارعت إلى تلبية دعوته، وكان حينئذ أميناً عاماً لمجمع البحوث فأنسني بمقامات مشجعة، ثم سألني في هدوء : ماذا تعرف عن ابن عطاء الله السكندري؟ وكان السؤال مفاجأة لي، ولكن الله أمدني بما يرفعني في عينه، فقلت وقلت ، فابتسم الشيخ، ثم قال ملاطفاً: تذكر فأنت تعلم أكثر من ذلك، فتذكرت وفتح الله عليّ بما هو أتم وأكمل، فقال الشيخ: حدثني عن رأيك في حكم ابن عطاء الله السكندري، فكأنه عهد إليّ طريقاً جديداً للقول، فأفصت، وحين انتهينا من الحديث، قال الشيخ في هدوء: أجمع كل ما قلته في مقال جيد وأكتبه سريعاً ليكون فاتحة فتح باب تبرع خيري كي ابني ضريح ابن عطاء بمدفن الإمام الليث بن سعد في حي الشافعي لأنني زرتة من أسبوع ، فعز عليّ أن يكون مثواه هكذا !

إلى أن قال الأستاذ/ رجب البيومي: " فبادرت بتسطير المقال ، وفتح الشيخ عبد الحليم باب التبرع، وقد تم للشيخ ما أراد، فهيأ الضريح اللائق ، وحفظ لابن عطاء

(١) ينظر مع طيبة للدراسات الإنسانية — مقال بعنوان أ .د محمد رجب البيومي في ذمة الله بقلم ربيع الزواوي .الموقع /

http://www.tayyebah.org/Content.aspx?cid=j تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م حوالي الساعة

حرمته لدى الزائرين.. وعلقت على ما أراده الشيخ/ عبد الحليم محمود وما كتبه الدكتور محمد رجب البيومي فقلت: سبحان الله! ما أغرب عقول بعض الناس! هل الحرمة في الضريح وقيمتة؟ وهل هذا من الإسلام في شيء؟ إنه الحرام ينهض به علماء مسلمون، عشعش في عقولهم التخريف!

وقلت كلاماً أنكر فيه ما جنح إليه الشيخ/ عبد الحليم ونفذه الدكتور البيومي، وأن يعمل له، ويفخر به ويكتبه للتاريخ ليعقله بعض الناس ويقدموه! وكيف تقدمه إلى غير المسلمين كصورة؟ على أنني قرأت كتاب الشيخ/ عبد الحليم محمود عن أوروبا والإسلام فأعجبني، وليته مضى في هذا النهج إذا لنفع وبعد عن هذا الالتواء الصوفي المغرق في التخريف والمحرمات! وليته صرف جهده وما جمع من مال فيما ينفع الدعوة إلى الخير بكتب تنفع المسلمين ولغيرهم بلغتهم التي يحسنها!

وتدور الأيام فأتعرّف على الدكتور/ محمد رجب البيومي يوم حلت في نادي جدة الأدبي فنتكأ وأدعوه إلى النادي ليتحدث إلى جمهوره وندير الأحاديث وقت الفراغ! وقد قال لي مرة إن للدكتور/ عبد الحليم محمود ابن يعمل مستشاراً في سفارة مصر بألمانيا، فحدث الدكتور رجب بأنه قرأ ما كتبه عن والده وأنه استاء، وهذا من غضبه الدكتور/ البيومي، وقال له: بأن الكتاب من حقهم أن يعلقوا على ما يقرؤون، ويبدون آراءهم مع أو ضد، وهكذا الحياة وأهلوها!" (١) .

ويمكن مناقشة ما قيل كالآتي:

١- المقولة الأولى في التحذير من كتابات د/ البيومي في التصوف، فهذا ليس علي إطلاقه فإن د/ البيومي رحمته الله محقق ومدقق قلما يزل بحكم نشأته الصوفية، ولكن كثيراً ما ينتقد ما يراه مخالفاً من التصوف، وقد انتقد ما ادعاه محي الدين بن عربي قائلاً: "وإذا تركنا ابن الفارض وانتقلنا إلى الشيخ الأكبر محيي الدين نجده قد

(١) ينظر موقع مجلة المنهل — رحيل الكبار — مقال بعنوان (رحم الله أستاذنا البيومي) بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين الموقع /

جال في ميدان الإدعاء جولات خطيرة عاصفة، فقد عزّ عليه أن يفهم الناس أن النبي المرسل في درجته يفوق منزلة الولي الواصل، فانبري يوازن موازنة جريئة بين النبي والولي ثم أعلن — في غير تريث —: إن الرسول لا يمتاز إلا بالتشريع، أما الولي فميزته الكبرى هي الاطلاع على أسرار الوجود. وهذا إدعاء ولكنه من شطحات الرجل. لأن الرسول قدوة مثلي للناس، فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، فنحن ملزمون بالتمسك به، أما الولي فليس من ذلك في قليل أو كثير، بل إن فريقاً كبيراً من رجال الدين قد نصوا علي وجوب التحفظ الشديد مع الأولياء، وخاصة بعد أن اتسعت هوة الخلاف في المسائل الكلامية، وانتشر علي يد فريق من المتصوفة القول بمبادئ غامضة لا تدركها الأفهام" (١) .

كما أن د/ البيومي رحمته الله قد أعلن في مقدمة كتابه في التصوف قائلاً: "والتصوف الصحيح هو ثمرة علم الأخلاق الإسلامي، ويقوم علي دعائم راسخة من توجيه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة وسيرة السلف الصالح ممن اجتباهم الله برعايته فكانوا قدوة المهتدين، ومنازة السائرين، فإذا دلت مظاهر منحرفة من بعض أدعياء التصوف علي ما يخالف اتجاه الهداة المرشدين، فهم من التصوف الحقيقي بمكان بعيد" (٢) .

٢— وأما ما قيل من أن له ثناء عظيم علي الكثير ممن له أفكار صوفية صادمة، فلا يلزم منه تأييده في أفكاره، ولكن ثناءه عليه في الحق بدليل أنه ينتقد ما يراه مخالفاً .

٣— وأما قصته مع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود رحمته الله، فأوافق الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين في تعليقه، فإن تشييد القبور وزخرفتها يتنافي مع ما أمر به الإسلام، فقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور، ففي صحيح مسلم عن

(١) أشواق العارفين — مرجع سابق ج ١٠/ ١١ — .

(٢) السابق ص ٣— ٤ .

أبي الهَيَّاج الأَسَدِيّ • قال: قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام: { ألا أبعثك علي ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته • ولا قبراً مشرفاً إلا سويته } (١) •
كما أنه عليه السلام نهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، ففي صحيح مسلم أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: { نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر • وأن يُقعد عليه • وأن يُبني عليه } (٢) •

كما أن جمع التبرعات لتشبيد الضريح يُضفي علي صاحبه قداسة، فيفتح علي الناس باب شر، فيتوجهون نحوه ويعظمونه، وربما يطلبون منه قضاء الحوائج، فيقعون في الشرك، وهذا يخالف أيضاً قاعدة سد الذرائع، ولكن يمكن القول بأن د/ البيومي رحمته الله لم يتعصب لرأيه ولم يرى في تعليقه عليه خطأ، بل قال: " ولكل منحاہ الذي يثق في صحته " (٣) •



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه — كتاب الجنائز رقم ١١ — باب الأمر بتسوية القبر رقم ٣١ — حديث رقم ٩٦٩ — مرجع سابق ج ٤/٤١ •

(٢) أخرجه الإمام مسلم أيضاً في كتاب الجنائز — باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه رقم ٣٢ — حديث رقم ٩٧٠ — مرجع سابق ج ٤/٤٢—٤٣ •

(٣) من أعلام العصر — مرجع سابق ص ١٥٧ •

الفصل الخامس

وسائل وأساليب الدعوة عند د/ البيومي

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن أمرين :

أولهما : وسائل الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله . ويكون الحديث من خلاله عن هذه الوسائل : وسيلة القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة ، ووسيلة المناظرات والمسرحيات الدينية ، وأثرها في الدعوة ، ووسيلة المحاضرات وأثرها في الدعوة .

ثانيهما: أساليب الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله . ويكون الحديث من خلاله عن هذه الأساليب : أسلوب التأليف والتدوين وأثره في الدعوة ، وأسلوب التكرار وأثره في الدعوة ، وأسلوب الحوار وأثره في الدعوة ، وأسلوبه في معالجة القضايا المعاصرة .

وقد اشتمل هذا الفصل علي مبحثين وهما :

المبحث الأول : وسائل الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة عند د/ البيومي رحمته الله .

المبحث الأول : وسائل الدعوة عند د/البيومي رحمه الله .

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول وسيلة القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة: وقد كان العلامة د/ البيومي رحمه الله قدوة حسنة للدعاة الذين جمعوا بين العلم والعمل ، والقول والفعل ،ومما يدل على ذلك أنه أكد علي التزام الباحث بأدب الاختلاف، وذلك بأن يعترف بالآراء المتعددة في المسألة الواحدة، وكل له دليله وحجته،ويسلم لغيره بالاجتهاد الذي يبتغي به طلب الحق دون تخطئه ولا لوم علي المخالف في الرأي، وإنما تحرير لرأيه والرد عليه بالحجة في ظل الاحترام والتقدير (١) .

وقد التزم بما دعا إليه غيره وطبقه على نفسه أولاً، فقد اختلف مع الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله دون أن ينتقصه ،أو يقلل من شأنه، بل أبدي له كل احترام وتقدير،فقد رأى الذهبي رحمه الله أن التفسير الإشاري الصوفي لم يكن بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ، أشار إليه القرآن ونبه عليه الرسول ﷺ وعرفه الصحابة .

أما إشارة القرآن ففي قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٢)، وفي قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٣)، وفي قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٤) .

(١) ينظر مجلة الأزهر — عدد جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ — إبريل سنة ٢٠١١م مقال الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي

— العلامة البيومي شاهد علي الوسطية — الجزء ٥ — السنة ٨٤ — ص ٧٥٦ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ٧٨ .

(٣) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٤) سورة محمد آية رقم ٢٤ .

فهذه الآيات تشير إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وكذلك ورد في رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: {القرآن تحت عرش الرحمن له ظهر وبطن يحاج العباد} (١) ، وأما الصحابة فقد عرفوه • ثم استشهد الدكتور الذهبي رحمه الله ببعض ما فسر به ابن عباس رضي الله عنهما •

وبعد أن انتهى د/ البيومي رحمته الله من عرض قول الذهبي رحمته الله انتقده بكل احترام وتقدير قائلاً: "والذي أراه أن الباحث الفاضل قد استنتج من الآيات ما لا تدل عليه لأن تدبر القرآن وفقهه لا يصرفانه عن المدلول الواضح الذي يتفق والأسلوب العربي ، فقد يفهم العربي معني حقيقياً، وللنص معني مجازي كما سنري عند فهم ابن عباس، فلا يكون ذلك من التفسير الصوفي الإشاري، لأن التفسير الإشاري يترك الحقيقة والمجاز معا إلي ما يبتعد عنهما، وهو غير المراد من فقه القرآن وتدبره • ونضرب مثلاً بما استشهد به الأستاذ الذهبي لابن عباس، فقد عدّ من التفسير الإشاري رأي ابن عباس في معني قوله تعالى :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ (٢) أنه علامة لأجل رسول الله، فكأنه بالتعبير البلاغي كناية عن قرب الموت، وهذا ليس من قبيل التفسير الإشاري الذي نراه لدي المفسرين " (٣) • وفي كتابه البيان القرآني "حين يخالف رأياً أو يضيف جديداً، فلا نكاد نري أروع ولا أكثر تواضعاً من قوله: ولست بذلك أخطئ من اتجه غير هذه الوجهة، بل أضيف رأياً إلى رأي، وإذا احتمل الخطأ عند قوم فقد يحتمل الصواب عند الآخرين " (٤) •

(١) نص الحديث (ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد ، والرحم تنادي صل من وصلني واقطع من قطعني ، والأمانة) أخرجه الإمام السيوطي في كتابه الجامع الصغير من حديث البشير النذير وضعفه العلامة الألباني في كتابه ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ط المكتب الإسلامي — بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م حديث رقم ٢٥٧٦ صـ ٣٨٠ •

(٢) سورة النصر الآيات من ١ — ٣ • (٣) التفسير القرآني مرجع سابق ص ١٣٦ •

(٤) ينظر مجلة الأزهر عدد جمادي الأولى سنة ١٤٣٢هـ إبريل ٢٠١١م مرجع سابق مقال للأستاذ / عادل خفاجة بعنوان (قراءة في كتاب البيان القرآني د/ محمد رجب البيومي) ص ٧٧٤ •

فهو يرى نقد العلم وليس هدمه كما هو شأن الخانعين المهزومين ثقافياً أو أولئك الذين يرون في سقطة العالم إخراجاً له من ساحة العلم إن لم يخرجوه من ساحة الدين (١).

بذلك اتضح : أن د/ البيومي رحمته الله ينتقد الرأي الآخر بكل احترام وتقدير دون أن ينتقص قائله والأمثلة لذلك كثيرة، ولكن ما ذكرته يغنى عن غيره .

كما أنه سلك مسلك التواضع قال عنه أحد المعزين: " أتقدم بخالص العزاء والمواساة لأهل العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي والله الذي لا إله غيره ما رأيت في حياتي رجلاً متواضعاً مثل هذا الرجل الفاضل عليه من الله سبحانه الرحمة وأسأل الله أن يرحمه ويدخله الجنة ويجعل قبره روضه من رياض الجنة وأن يلهم أهله وكل من درّس لهم الصبر والسلوان والبقاء والدوام لله " (٢) .

وبلغ من تواضعه العلمي أنه " حين يستجد له رأي خلافاً لما قدمه في سابق عهده لتلاميذه — بعد طول تفكير يقول: هذا ما ارتضيته حينذاك، وقد بدا لي اليوم غيره فمن حق تلاميذي عليّ أن يعلموا أن الآراء العقلية تتجدد بتجدد التفكير المتصل، وأن اختلاف هذه الآراء يفتح مجال الموازنة بينها؛ ليميل كل دارس إلى ما يرتضيه .

ويتضح التواضع العلمي حين يصرح — رحمة الله عليه — بأن مشوار جهاده الممتد ما هو إلا خطوة قصيرة في طريق ممتد فياح لا يكاد ينتهي السير فيه ما دامت هناك عقول تفكر وأقلام تسطر " (٣) .

ثم حرص د/ البيومي رحمته الله على النبوغ الفكري لذا، "فقد صاحب معظم مفكري عصره وعلمائهم استمع إليهم وناقشهم، فارتبط بالكاتب الكبير محمد فريد وجدي رحمته الله وناقش منصور باشا فهمي رحمته الله أستاذ الفلسفة وأحد الرواد الأوائل في كلية الآداب في

(١) ينظر موقع مجلة الابتسامة مقال بعنوان (رحم الله الدكتور محمد رجب البيومي) بقلم محمد عباس عرابي .

الموقع http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_٢١٩٩٢٠.html . تاريخ الدخول ١/١٦

٢٠١٢م في الساعة الثانية عشرة ظهراً .

(٢) ينظر موقع متزلاوي — وفاة العالم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي — بقلم أحمد الشيخ من العزيزة دقهلية . سبق

ذكر الموقع ص ٥٠١ .

(٣) ينظر مجلة الأزهر عدد جمادي الأولى سنة ١٤٣٢هـ إبريل ٢٠١١م مرجع سابق ص ٧٧٤ .

الجامعة المصرية والذي كان مفتوناً في بداية حياته بالفكر الغربي حيث تتلمذ على المستشرقين، وتعرّف بالدكاترة: زكي مبارك والكاتب اللامع أحمد حسن الزيات والمفكر الشيخ أحمد أمين والدكتور محمد مهدي علام، ومن الدعاة ورجال الدين محب الدين الخطيب .

وكان يستمع لحديث الثلاثاء للشيخ حسن البنا رحمه الله مؤسس «جماعة الإخوان المسلمين». حكي لي أستاذي الدكتور حسن الشافعي أنه مازال يتذكر محمد رجب البيومي بقامته السامقة وعوده الفارع الطول وزيه الأزهري الأنيق وهو يقف في ميدان الحلمية يستمع لحديث الثلاثاء للشيخ البنا، كما ألزم نفسه بدراسة اللغة الإنجليزية التي كان يحسنها وكان صديقاً لبعض المستشرقين الذين اهتموا للإسلام وكتب عنهم في مجلة الأزهر التي رأس تحريرها حتى وافته منيته، وكان يطالعك في كل عدد رغم تقدمه في العمر بالجديد في كل فرع من فروع العلوم العربية والإسلامية فتجده يحدثك حديث العالم الذي يقف على دقيق وخبايا هذه العلوم " (١) .

بهذا السلوك الطيب استطاع د/ البيومي رحمه الله أن ينشر الدعوة ، وكان لدعوته عظيم الأثر لدي مدعويه، حيث انتفعوا بعلمه الغزير، فما سمع به أحد إلا وأشاد بفضله العظيم، وخلقه النبيل، فهو من الدعاة العاملين الذين انتفعوا بعلمهم ونفعوا غيرهم، ودعا بسلوكه قبل علمه، فهو محبوب لدى الجميع، ولا أعلم بينه وبين أحد عداوة، حتى من انتقده في التصوف أشاد بفضله في بقية العلوم، فهو أستاذ الأساتذة وعلم الأعلام .

(١) ينظر موقع مكتبة منارات — في وداع الدكتور محمد رجب البيومي — وكتبه أحمد القاضي بتاريخ السبت الموافق

١١ جمادى الثانية سنة ١٤٣٢هـ — ١٤ مايو ٢٠١١م . الموقع

http://www.manaratweb.com/news.php?newsid=٣٣٣٧/ . تاريخ الدخول ١/١٦ / ٢٠١٢م في

الساعة الثانية عشرة وثلاث دقائق ظهراً .

المطلب الثاني

وسيلة المناظرات والمسرحيات الدينية ، وأثرها في الدعوة: وفي البداية

تجدد الإشارة إلي أن العلامة د/ البيومي رحمته الله لم يستخدم وسيلة الخطابة عبر المنابر، ولا الدروس الدعوية في المساجد ، وإنما اقتصر علي وسيلة المناظرات والمسرحيات ، ووسيلة المحاضرات ، ومما يدل علي أنه لم يزاوّل الخطابة ولا الدروس في المساجد ، ما قاله عن نفسه عندما ذهب إلي قرية بنى عامر إحدى قري الزقازيق إحدى مدن محافظة الشرقية ؛ لزيارة صديقه الأستاذ / محمود أحمد هاشم رحمته الله في مولده السنوي ، ويحدثنا عن ذلك قائلاً : " توجهت في إحدى المناسبات إلي زيارة أخي الأستاذ / محمود أحمد هاشم رحمته الله ، فوجدت الجمع بساحة المسجد حافلاً يغص بالمجتمعين ، كعادة أهل الشرقية في مولد الشيخ / أحمد هاشم ، وعلمت أن الدكتور / عبد الحليم محمود رحمته الله يجلس في صدر الحفل مع نفرٍ من أساتذة الأزهر ، وحين رأي ، نهض فسلمت عليه مبتهجا ، فقال لي: نحن هنا منذ ساعة ، والناس يصخبون ، فتحدث إليهم يا رجب ، فقد ينتفعون ، فوجئت باقتراح الأستاذ ، فقلت : إني لم أهئ كلاماً يليق بالمجتمعين ، ولا بد من الإعداد الجيد لأفيد ، ولست من رجال المنبر ، فهل يتفضل سواي ؟ فقال الأستاذ : لا أري داعياً لهذا التحفظ ، إنك تحفظ كتاب الله ، ويكفي أن تقرأ آية أو آيتين وستجد الفتح المبين ، لأن القرآن نورا يشرح الله به صدر المؤمن ٠٠٠ وهنا نهض الشيخ حسيني هاشم رحمته الله فألقى كلمة موجزة حازت القبول ، فدعاني الشيخ قائلاً : هل قال الحسيني غير ما تعلم ، ولكن هنا في محيط العامة من ليس يعلم ، فنفحه إذن ضروري، تشجع يا أخي ولا تتكص " (١) . من هذا يتضح أن د/ البيومي رحمته الله ليس له خطب أو دروس بالمساجد ، وأما عن وسيلة المناظرات ، والمسرحيات الدينية فقد جاء منها الآتي :

١- من المناظرات، مشاركته في المناظرة الاجتماعية التي نظمتها جمعية الشبان المسلمين بالزقازيق، والتي كانت بعنوان (المرأة والتعليم العالي)، وكان ذلك سنة

(١) من أعلام العصر — مرجع سابق — ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

١٩٤٢م، وكان رحمه الله أحد المتناظرين في الفريق الذي يري أن من حق المرأة أن تتعلم التعليم العالي بجميع فروع، وقد تأثر في ذلك بقراءته للأستاذ الكبير / محمد فريد وجدي رحمه الله في هذا الموضوع، فقد قرأ له مقالا بمجلة الأزهر، وعنوانه (هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية)، ويرى الفريق الآخر أن المرأة تقتصر علي التعليم الثانوي إلا لكليات الطب والتمريض والتربية ومعاهد التدبير المنزلي مما يلائم طبيعة المرأة، ولكن هذا الفريق لم يكن عنده اعتقاد بصحة ما يدعو إليه، فقد ابتدأ الأستاذ الذي يرأسه حديثه بقوله: فرض علي أن أنصر الاتجاه الخاص باقتصار المرأة علي بعض الكليات، فكان ابتداءه بذلك سببا في هزيمته وخذلانه، مع أن رأيه قد يكون أقرب إلي الحق، ولكن تخاذله حال بينه وبين الانتصار، فانتصر الفريق الذي يري تعميم الدراسة في كل الفروع، وبذلك تحقق لـ د / البيومي رحمه الله نجاح باهر، وخرج من هذه الندوة ، وعنده رغبة جامحة في حضور الندوات، والاشتراك فيها (١)* .

يتبين من ذلك الآتي:

أ — تأثر د/ البيومي الشديد بالأستاذ الكبير/ محمد فريد وجدي رحمه الله، فقد تتبع كتبه، ومقالاته ونهل من علمه وانتفع بآرائه وتوجيهاته .

ب — أري أن الرأي القائل باقتصار المرأة علي بعض الكليات مما يلائم طبيعتها أقرب إلي الحق، فالمرأة لا تدرس ما يدرسه الفتى " لأنها تحتاج في حياتها العملية بعد التخرج إلى ما لا يحتاج إليه الفتى، فهي متهينة بفطرتها وخلقتها لتكون زوجة وأما، ومن ثم فمن الواجب أن تتعلم ما يفيدها في حياتها المقبلة " (١) .

" ويقول نابليون بونابرت: إن التعليم العمومي لا يوافق النساء، ما خلُقن ليعشن بين الجمهور، بل الزواج ولزوم البيت منتهي غاياتهن .

ونحن نضم صوتنا إلي صوت نابليون في ذلك ونقول: تتعلم المرأة تعليما خاصا بها حسب طبيعتها وإمكاناتها ووظائفها المختلفة عن الرجال ويكون ذلك التعليم في ظل

(١) * ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق — ص ٥٦ — ٥٧ بتصرف .

(٢) د/ مصطفى السباعي — المرأة بين الفقه والقانون — ط دار السلام بالقاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م

الفصل بين الجنسين لأنه ليس من الطبيعي أن تعيش المرأة بين جماهير الرجال كما ألمح بذلك نابليون" (١) .

ج — يستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله أن نجاح الداعية في دعوته لا يتحقق إلا إذا اعتقد صواب ما يدعوا إليه ، وإلا فكيف تُفلح دعوة صاحبها غير مقتنع بها في داخل نفسه؟ .

٢— ومن المسرحيات: تأليفه للمسرحية الدينية والتي بعنوان (عذاب المستضعفين)، وجمع فيها بين عمار بن ياسر رضي الله عنه، وخباب بن الأرت رضي الله عنه، وصهيب رضي الله عنه، وزنيرة رضي الله عنها، وبلال رضي الله عنه ممن لاقوا العذاب من جبابرة المشركين؛ ليتحدث كل ببعض ما لاقاه (٢) * .

وبالنظر في هذه المسرحية الرائعة يتبين أنها تميزت بما يلي:

أ — جزالة الألفاظ فهي قوية متينة، واستخدامه لها وهو طالب ناشئ يدل على ثمره قراءته لكتب الأدب، فإليها يرجع الفضل في رفعة أسلوبه ورصانة عباراته .

ب — روعة التمثيل لأدوار المستضعفين من أصحاب النبي ﷺ، وكيف نجوا من العذاب .

ج — التوصل من خلال أحداث هذه المسرحية إلى نصرته الحق مهما طال أمد الباطل .

د — معية الله تعالى للمظلومين المستضعفين، وخذلان الظالمين .

هـ — حسن عرضه لأحداث السيرة وإلمامه بها يرجع إلى قراءته المتأنية لكتب السيرة .

و — روعة النظم للأبيات، وجودة الأداء الذي يُمثل المعاني أحسن تمثيل .

ي — التعبير ببعض الألفاظ الغريبة وهو طالب بالقسم الثانوي يدل على تبحره في العربية الفصحى .

(١) حسن زكريا فليفل — ضرورة الفصل بين الجنسين وكيفية — ط مكتبة ابن سينا بالقاهرة بدون تاريخ ص ١٢٦ .

(٢)* ينظر ظلال من حياتي — مرجع سابق ص ٥٩ — ٦٢ .

ويمكن أن يستفاد من ذلك في مجال الدعوة إلى الله بأن علي الداعية أن يُنوع من وسائل دعوته مع المدعويين قدر استطاعته .

المطلب الثالث وسيلة المحاضرات وأثرها في الدعوة : ومن هذه

المحاضرات ما ألقاه في مؤتمر حوار الأديان في باريس إذ كان ممثلاً للأزهر الشريف هناك ، وكان المتحدثون جميعاً من أقطاب الفكر الديني، حيث يُمثل الإسلام، والمسيحية، واليهودية من يشرح رسالة دينه في أدب متزن .

و كان من أهداف هذه الجلسة الحديث عن حماية الشباب من النزعات الإلحادية، لذا فقد رأي د/ البيومي أن يوضح في كلمته أن كثيراً من الشباب يُعذر في انحرافه لأن بعض الكليات تؤسس أفكارها الحديثة علي أساس إنكار العقيدة، فعلم الاجتماع والنفس والتربية لدي كثيرين من أدعياء الفكر العلماني ترتكز علي إنكار عالم الغيب، وتؤيد كل نظرية تدعو إلي هذا الإنكار، والشباب معذور حين تفرع أسماعه هذه الاتهامات من أناس يلبسون طيالس المحاضرات .

والعلاج لهذا النشاز أن يكون الأساتذة من ذوي النزعة الدينية، لاسيما أن تزرع العقيدة هو الذي أدى إلي انحراف الشباب لأن الشاب الذي لا يعرف بوجود الله يقدم علي الموبقات غير هيّاب بل لا يري مانعا من ارتكاب الجرائم إذا احتاط في جريمته فلم يُبق أثرا ينبئ عنه! وهو مستريح تماما لأن الله في اعتقاده غير موجود! وما كاد ينتهي د/ البيومي من كلمته الرائعة حتى توالي التأييد دون اعتراض، وسجل الأستاذ الدكتور/ علي السّمّان في تقريره أن الكلمة كانت محل اتفاق بين المتحدثين (١) * .

يتبين من ذلك أن د/ البيومي رحمته الله عندما تحدث عن حماية الشباب من النزعات الإلحادية، استطاع أن يشخص المرض تشخيصاً صحيحاً— وهذا يرجع إلي

(١)* ينظر ظلال من حياتي مرجع سابق ص ١٤٤ — ١٤٥ .

غزارة علمه ، وتفهمه للواقع — فأبان عن أسباب الانحراف وقدم العلاج، وكانت كلمته موضع تقدير ومحل اتفاق بين الحاضرين .

وبذلك يستفاد في مجال الدعوة : أن علي الداعية أن يدرس الموضوع الذي يعالجه دراسة واعية متأنية ، وأن يكون ملماً بالواقع ، فعندئذٍ، يضع يده علي مكن الداء ويستطيع أن يصف الدواء الناجع ، فيبهر عقول السامعين، وتنشر صدورهم لما يسمعون ، وتؤتي دعوته الثمرة المرجوة بإذن الله تعالى .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة عند د/البيومي رحمته الله .

وهذا المبحث يدور الحديث فيه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول أسلوب التأليف والتدوين وأثره في الدعوة:

وفي الحقيقة : فإن من أهم الأساليب التي اعتمد عليها د/ البيومي رحمته الله في تبليغ الدعوة أسلوب التأليف والتدوين ، فقد ألف العديد من الكتب الإسلامية،وتخير الموضوعات الهادفة، وقد تنوعت في أفكارها فمنها ما يُصحح ما كتبه المغرضون عن الإسلام ويكشف الزيغ ويقر الحق، ومنها ما يبرز القيم الإسلامية داعياً إلي التمسك بها، ومنها ما ينصف شخصيات ظلمت وأجحفت وأسئ إليها عن قصد، ومنها ما يبحث في الدراسات القرآنية، ومنها ما يرد علي المستشرقين .

وقد انفرد د/البيومي في كتاباته بطابع خاص تميز به عن غيره حتى قال عنه الأستاذ الدكتور/عبد الله عبد المحسن التركي — الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: " . . . والحق أن روح الكاتب تجذب إليه قارئه — لأنه يبرز مكانة الإسلام الحضارية، وأثره في تقدم العمران شرقاً وغرباً، ويصور ما أحدثه الفتح الإسلامي في الأندلس من حضارة زاهرة، ومجد علمي تليد، ولم يرسل الباحث قوله إرسالاً دون تدليل، فقد كانت

مصادره الموثوق بها ذات إقناع حاسم، وبعضها مما كتبه قوم لا يدينون بالإسلام، ولكنهم يعترفون بالحقيقة العلمية بدون تعصب بغض ٠٠ " (١) .

وقال عنه الأستاذ الدكتور/ طه مصطفى أبو كريشة — نائب رئيس جامعة الأزهر سابقاً — الدكتور/ محمد رجب البيومي غني عن التعريف لدي قرائه ومستمعيه الذين عرفوه عالماً ومفكر إسلامياً وشاعراً وكاتباً ومحدثاً وخطيباً، يملك منهم الأسماع والقلوب والعقول " (٢) .

ومن مؤلفاته الرائعة كتاب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، وقد قال عنه الأستاذ الدكتور/ الحسيني عبد المجيد هاشم — الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية:

" من يتصفح كتاب (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) لمؤلفه فضيلة الدكتور/ محمد رجب البيومي، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، فإنه يجد الكاتب قد طرق بحوثاً مستفيضة تحدث فيها عن رواد النهضة الإسلامية الحديثة ٠٠ وكان كاتباً أليماً يتحدث عن فهم ثاقب، وغوص بعيد الغور، وأوفي كل رائد حقه من البحث والعرض والتحليل ٠٠ وكان الجهد، والعناية بالبحث واضحين، ولعل هذا التوفيق، فيما تناوله، من بحوث راجع إلي ما عرف عن المؤلف من علم، ودقة واهتمام بما يعمل ٠٠ وما عهد فيه من أخلاق وصدق إيمان ٠٠

وقد تناول المؤلف كل شخصية من شخصيات كتابه، وكل رائد من رواد النهضة الإسلامية المعاصرة بالعرض والتحليل ، وتحدث عنهم حديثاً وافياً ٠٠ ولقد كان بارعاً في عرضه للأفكار، وهو يري أن ما يقدمه ويسجله من روائع لهؤلاء الأبطال يحي مجدا ويرسم قدوة " (٣) .

(١) مجلة الأزهر عدد جمادي الآخرة مرجع سابق — مقال بعنوان (العلامة الأديب محمد رجب البيومي في عيون معاصريه)

للشيخ أحمد مصطفى فضليه ص٧٦١ — ٧٦٢ .

(٢) السابق ص٧٦٢ .

(٣) د/ الحسيني هاشم ، عن مقدمته لكتاب الدكتور محمد رجب البيومي (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين الجزء

الرابع ، السنة الخامسة عشرة ، الكتاب الثالث سنة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م ص٣ — ٤ .

وقد عُرف د/البيومي رحمته الله بالنباهة في مؤلفاته قال عنه فضيلة الأستاذ الدكتور/محمد عبد الرحمن بيسار — الإمام الأكبر/ شيخ الأزهر الأسبق رحمته الله: " ٠٠ مؤلف نابِه اطلع علي كثير مما صدر من دراسات فقدم دراسات تجتهد في دراسة النظم القرآني، بالتحليل الذي يكشف عن جمال الأسلوب وروعة التصوير مناقشا ما يراه مستحقا للمناقشة في إخلاص باد واجتهاد موفق " (١) .

وعن كتابه (الصراط المستقيم) كتب فضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي — الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في تقديمه لهذا الكتاب قائلاً: "هذا الكتاب (الصراط المستقيم) لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي، عضو مجمع البحوث الإسلامية، يقدم فيه لكل قارئ يريد أن ينهل من الثقافة الإسلامية في عصرنا الحاضر، ويحرص علي إتباع الطريق القويم الذي يسعده في معاشه ومعاده . وهذا الكتاب يتضمن فصولاً هادفة تدور حول أفكار تشغل الذهن إلى الآن، وتعرض لمفتريات كاذبة، فتدحضها بالحق، أو تعدد إلي ناحية خافية من نواحي الفكر والاجتماع والدين، فتكشف عنها النقاب مجادلة بالتي هي أحسن من يحرفون الكلم عن مواضعه " (٢) .

لذا فقد لاقت كتب د/البيومي رحمته الله رواجاً بين القراء وسارع في اقتنائها صفوة القراء الذين يعرفون قيمتها .

كتب الأستاذ الدكتور/ يسري عبد الخالق خضر قائلاً: " مما منّ الله به عليّ أن هداني لمؤلفات العلامة الأديب العملاق الدكتور/ محمد رجب البيومي، فوعيت وتعلمت وعرفت قدره، ورأيت فيه العظمة بأجلّ معانيها، مما دفعني إلى زيارته في منزله لأسأله عن بعض القضايا التي تتعلق بالشيخ/ البهي الخولي، رحمته الله، فرأيت أثناء زيارته التواضع في أصدق معانيه، لقد كان الدكتور/محمد رجب البيومي قمة عالية وقامة شامخة، وكان أكبر من تحتويه هالة أو تضمه شاشة أو يجذبه ميكرفون أو

(١) أ.د محمد عبد الرحمن بيسار عن تقديمه لكتاب د/ البيومي (البيان القرآني) نشر بمجمع البحوث الإسلامية .

(٢) الشيخ إبراهيم عطا الفيومي ، عن مقدمته لكتاب البيومي (الصراط المستقيم) مرجع سابق ج ١ / ٣-٤ .

تستهويه صورة ٠٠ ﷺ وغفر له وكتبه في المحسنين وعوض الأمة وطلاب العلم والمعرفة وعشاق الأدب عنه خيراً ٠٠ وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " (١) ٠

وكتب الأستاذ/ ربيع الزواوي قائلاً: "عشت سنين طويلة مع الفقيد في كتبه ومقالاته، وكنت لا أسمع عن كتاب له، إلا سعت لاقتائه، ولا عن مقال له في أي مجلة أو صحيفة إلا سارعت لقراءته، لأن الرجل طراز وحده فيما يكتب... أقول رغم ذلك، لم أشرف بلقائه وجها لوجه إلا مرة واحدة " (٢) ٠

وقال عنه أبو أحمد عزام: " ﷺ رحمة واسعة ، وأجل ثوابه ، ورفع درجته. منذ عام ست وثمانين وألف وتسعمائة أتابع مقالات فضيلته على صفحات مجلة الأزهر، وكنت وما زلت أتصيد كتبه وآثاره حيثما وجدت، وأنهل منها مستمتعا بموسوعية العالم، وموضوعية الباحث، وعمق المحلل، مع رشاقة الأسلوب، وجمال البيان، وحرارة العاطفة، ومهما قلت فلن أستطيع الإفصاح المبين عما أشعر به نحو هذا الشيخ الأجل، ولقد حظيت بشرف مصافحته ﷺ مرة واحدة في مدخل كلية اللغة العربية بالمنصورة، مع بعض الزملاء من كليتي اللغة العربية وأصول الدين، ولا أنسى ابتسامه الهادئة ووجهه المشرق وتواضعه لطلابه وحرصه عليهم، فاللهم ارحمه رحمة واسعة واجزه عن كل من تعلم منه خير الجزاء . وإنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرا منها " (٣) ٠

وقد قام د/ البيومي ﷺ بواجب الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب التدوين والتأليف خير قيام، وظل يحمل القلم، ويواصل الكتابة حتى آخر رفق في حياته، ومن أجمع ما قيل عنه في ذلك، ما قاله الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز الدسوقي، فقد كتب عن

(١) مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٢هـ مرجع سابق ص ٧٦٥ ٠

(٢) ينظر موقع مركز طيبة للدراسات الإنسانية — مقال بعنوان (أ . د محمد رجب البيومي في ذمة الله) بقلم أ ربيع الزواوي

موقع سابق ص ٥٢٠ ٠ (٣) ينظر موقع ملتقى أهل الحديث — وفاة الأديب الكبير محمد رجب البيومي

— بقلم أبو أحمد عزام ٠ الموقع / http://www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t-

٢٣٧٧٦٤.html تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢م حوالي الساعة العاشرة مساء ٠

د/ البيومي قائلاً: " حمل القلم، وواصل الكتابة، حتى لقد تحولت الكتابة عنده إلي رسالة يحمل رايتها وهو يمضي في الحياة، وكأنه يرى في التخلي عنها خيانة عظمي، كالجندي المحارب الذي يحمل الراية ولا يتخلي عنها " (١) .

ولقد سلك د/ البيومي رحمته الله في مؤلفاته أسلوباً تميز به عن غيره، وهو الأسلوب الأدبي العلمي، وقد قال عنه الأستاذ المحقق/ محمد عطا "الدكتور محمد رجب البيومي ممن تمرسوا بالدارسات الإسلامية الناضجة وتعمقوا روح الفقه والتشريع، ويمتاز بالأسلوب الأدبي العلمي أي الذي يجمع بين المادة العلمية والصورة الأدبية مما جعله محبباً إلي النفس" (٢) .

وقد جمع في مؤلفاته بين الأصالة والمعاصرة وهذا ما أكده فضيلة الشيخ أحمد فضليه في حديثه عن مؤلفاته بقوله: " إذا أمعنا النظر في قراءتها وجدناها جمعت بين الأصالة والمعاصرة، فلا ينكب علي القديم لقدمه، ولا ينصرف للحديث لحداثته فمادة مؤلفاته في تنسيقها وتناولها للمعلومات الأسلوب السلس الرقراق المعبر عن الوجدان هي التي تحبب القارئ للدرس والبحث والإنتاج " (٣) .

وقد أوضح د/ نعيم محمد عبد الغني منهج د/ البيومي في الكتابة قائلاً: "الدكتور/ محمد رجب البيومي كاتب موهوب، غزير الإنتاج ٠٠ وهو في هذا النتاج عميق الفكرة، متين الأسلوب ، دقيق المعالجة وهذا ما جعل له قاعدة كبيرة من القراء خاصة من صفوة المثقفين والمتخصصين الذين يجعلون من كتاباته مراجع لبحوثهم ونقاشهم العلمي المفيد " (٤) .

(١) مجلة الأزهر جُمادى الأولى مرجع سابق ص ٧٦٢ .

(٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ مرجع سابق ص ٥٩٦ .

(٤) جريدة صوت الأزهر — مقال بعنوان (الدكتور محمد رجب البيومي بين إبداع الفكرة وبراعة المعالجة) بقلم الأستاذ نعيم

محمد عبد الغني — العدد ٢٩٨ .

كما أن من منهج د/ البيومي في كتاباته أنه تميز بالموضوعية والحيدة، قال عنه الأستاذ سامي محمد متولي الشعراوي في مقدمة كتابه (محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح): " ولا يفوتني أن أنوه بظهور روح المحب فيما كتبه المؤلف، إلا أن هذه الروح، لم تُخل بموضوعية الباحث وحياده، واختلافه في الرأي — إن كان له محل — في أدب العالم المقدر، وأمانة المنصف المحايد، وصدق المسلم الغيور " (١) .

وجاء في آخر الفصل الذي كتبه عن الأستاذ العلامة أحمد محمد شاكر في كتابه (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) بالجزء الرابع بعد أن أثني علي الرجل وعدد مناقبه ثم قال: "وإذا كنت قد خالفت الأستاذ شاكر في تشدده المتربص بالدكتور/ هيكل، وبالأستاذ/العقاد فلأن ما أنشره الآن بمجلة الثقافة الغراء سأسجله بالجزء الرابع من كتابي: (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) وقد سبق الحديث في الجزء الثالث عن هيكل والعقاد! سبق الحديث عن دورهما الأدبي في إعجاب واثق، ولا بد من الدفاع عنهما حين يفرض الحق الملح علي الكاتب أن يجهر بما يري أنه الصحيح عن إخلاص لا يشوبه تعصب أو افتيات" (٢) .

هذا وقد أشاد بفضلته في التأليف " وأثنى على كتاباته العديد من علماء هذا العصر؛ مثل الشيخ عبد الرحمن بيبصار رحمته الله، والشيخ عبد الحليم محمود، رحمته الله والشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمته الله والشيخ محمد الغزالي رحمته الله والشيخ الشعراوي رحمته الله، والدكتور محمد عمارة، وغيرهم، وكانوا جميعاً يرون سموً منزلته وعلو كعبه. فرحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم لدينه وأمتة" (٣) .

وأما مقالاته فقد اتسعت اتساعاً عظيماً، "فانتظمت كتاباته منذ الخمسينيات من القرن الماضي في مجلات (الرسالة) في إصداريها القديم والحديث و(الثقافة) في

(١) مقدمة كتاب محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الفسيح — مرجع سابق ص— ١٠ .

(٢) النهضة الإسلامية مرجع سابق ج٤/ ١٤٠ — السنة الخامسة عشرة — الكتاب الثالث .

(٣) ينظر موقع ربيع الزواوي مرجع سابق ، ومجلة الأزهر عدد ربيع الآخر مرجع سابق ص— ٥٩٧ .

إصدارتها المتتالية و(الأزهر) و(الهلال) و(المنهل) السعودية التي ربطت الصداقة بينه وبين رئيس تحريرها ومجلس إدارتها، فكان الكاتب الوحيد الذي ينشر فيها مقالين، أحدهما باسمه الذي نعرفه به، والثاني بكنيته (أبو حسام) ونشر أيضاً في مجلة (الأديب) اللبنانية، كما كتب أيضاً في مجلات (التصوف) و(منبر الإسلام) و(الكاتب) و(البيان) و(الجديد) و(المنار الجديد) ومجلة (الفصل) السعودية و(الدوحة) القطرية في إصدارها القديم، حينما كان يرأس تحريرها الأستاذ رجاء النقاش رحمته الله كما كتب في (الوعي الإسلامي) الكويتية و(منار الإسلام) حينما كانت تصدر بالإمارات العربية إلى عهد قريب ومجلة (الأدب الإسلامي) التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي وصحيفة (صوت الأزهر) (١) .

وبالنظر في هذه المقالات يمكن تحديد اتجاهاتها كالاتي:

١- "ردود وتوضيحات إسلامية: وهي ردود على من ينكرون بعض الأسس الإسلامية الراسخة وكذلك علي بعض المغالطات التي تريد النيل من كتاب الله بقصد أو دون قصد ثم الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بالتبشير الإسلامي ليقف في مجابهة التبشير النصراني .٠٠ مثل مقالة (كيف يهتمون بكتاب الله) التي تضمنت بعض المناقشات والردود علي من يستهينون بكتاب الله ، لا سيما كُتّاب المقالة الأدبية، حيث وجد بعضهم يعتمد على الذاكرة دون رجوع إلي أصل السياق في كتاب الله .

ومقالة (حقوق الحيوان في الإسلام) التي توضح بواعث الرحمة الإسلامية علي الحيوان للرد على من يعتقدون أن جمعيات الرفق بالحيوان بأوروبا هي الأولى من نوعها في هذا الصدد . ومقالة (عقوبة الإعدام) التي ضمنها تصويراً واضحاً لعقوبة الإعدام عند الغربيين، وكيف أنهم امتنعوا عن هذه العقوبة فترة من الزمن، ثم عادوا وطبقوها مرة ثانية، ومقارنة ذلك بالتشريع الإسلامي الذي كان في قمة الحضارة عندما طبقها في حالاتها الخطيرة" (٢) .

(١) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر — مرجع سابق ص ٥٨٦ — ٥٨٧ .

(٢) الإبداع الأدبي — مرجع سابق ص ٧٥ — ٧٦ .

٢- نظرات قرآنية: "وهي نظرات نقدية تُعبر عن بعض الآراء المختلفة حول آية من آيات القرآن الكريم، أو سورة من سورته الجلية مقرونة بالردود والتوضيحات على التشكيك والتحريف . . مثل مقالة: (ويسألونك عن ذي القرنين) التي قدم فيها صورة تفسيرية عن ذي القرنين من خلال الآية الكريمة: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (١) ومقالة (حول سورة الكهف) التي ضمنها بعض التأملات التفسيرية والتحليلية حول سورة الكهف . ومقالة (التناجي في سورة المجادلة) (٢) التي عبرت عن نظرات حول ما ألفت به سورة المجادلة من مناجاة، وتوضيح أن المناجاة قد تؤدي إلى انحرافات إذا عدلت عن طريقها السديد " (٣) .

٣- حول القيم الإسلامية في إصلاح الفرد والمجتمع: "وتناول كاتبنا في هذا الاتجاه أثر القيم الإسلامية الرفيعة التي يتميز بها الإسلام على غيره من الأديان في إصلاح الفرد والمجتمع، مع الإشارة إلى البواعث والدوافع التي ساعدت علي ظهور بعض الانحرافات عن الطريق الصحيح في المجتمع الإسلامي . ثم تقديم المعالجات الملائمة لظروف العصر ومتغيراته . وهذا يتجلى في مقالة (الثرثرة الجوفاء) التي عرض فيها بعضاً من أحاديث العامة في مجالسهم المتعددة، لقطع طول الوقت في ثرثرة جوفاء تافهة — مع تقديم المعالجة الإسلامية المناسبة لهذه الآفة الاجتماعية — ومقالة (انتفاع المسلم بوقته) التي دعا فيها إلى ملئ الفراغ فيما يفيد، ونبذ كل من يمر عليه الوقت دون الانتفاع به — مع الاستشهاد والاستدلال . ومقالة (حيوانات تصوم كالإنسان) التي أطلق فيها صيحة تذكير لبعض المسلمين الذين لا يمثلون لأمر ديني، ولا يخافون من محاسبة اليوم الآخر، فتراهم يفطرون في شهر رمضان، هازئين غير مبالين، وقد استدل علي صدق حديثه بما تمتع به بعض الحيوانات من إقدام علي الصوم راضية مطمئنة دون أن تفتن إلي الثواب والعقاب . ومقالة (مثل الإسلام

(١) سورة الكهف الآية رقم ٨٣ .

(٢) مقال بمجلة التضامن الإسلامي مجلة الحج سابقا تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة — السنة السادسة والأربعون

— الجزء الثالث — عدد رمضان سنة ١٤١١هـ مارس ١٩٩١م ص ١٧ — ٢٢ .

(٣) الإبداع الأدبي مرجع سابق ص ٨٦ .

تبعث علي اعتناقه) التي وضح فيها أن مُثُل الإسلام السامية هي الباعث الأول على اعتناقه دون غيرها من حروب أو غزوات " (١) .

٤- صور من التاريخ الإسلامي: "كان كاتبنا يطالعنا من حين إلى آخر ببعض المقالات التي تصور بعض وقائع التاريخ الإسلامي، مثل مقال: (مصر تحتفل بالمولد النبوي) التي عرض فيها لبعض صور احتفال مصر بالمولد النبوي على مر التاريخ . ومقالة (عاشوراء في التاريخ الإسلامي) التي عرض فيها لبعض مشاهد من يوم عاشوراء في التاريخ الإسلامي . ومقالة (صور من رمضان في القرن الماضي - يرسمها مستشرق كبير) التي عرض فيها بعض الصور التي رسمها المستشرق الإنجليزي (إدور وليم لين) لرمضان: منها: موكب الرؤية - نهار رمضان - بهجة الليل - المسحراتي - الأذان " (٢) .

٥- نظرات علمية وثقافية: " وهذا اللون من المقالات يعرض لشئون الفكر . . دينية كانت أو فلسفية بالبحث والتحليل، فهي تعتمد أولاً وأخيراً علي تفكير الكاتب " (٣) . ويمكن حصرها في الآتي:

أ - تأملات فكرية متنوعة، مثل مقال (الجن في الأساطير العربية)، و(حرية البحث النزيه) ، و(كتابة التاريخ المعاصر) .

ب - تأملات فكرية في بعض المؤلفات، مثل مقال (انتشار الإسلام في رأي مفكر فرنسي) ، و (الموازنة في التاريخ الإسلامي) .

ج - مشاهد من الحركة العلمية في حرم المسجد، مثل مقال (المسجد النبوي) و(المسجد الحرام) و(مسجد الفسطاط) (٤) .

(١) السابق ص ٩٦- ٩٧ .

(٢) نفس السابق ص ١٠٣ .

(٣) نفس السابق ص ١٠٦ .

(٤) مقال بمجلة الوعي الإسلامي - تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت - السنة الثامنة عشرة العدد ٢١٤

- شوال سنة ١٤٠٢هـ - أغسطس ١٩٨٢م - ص ٩٦- ١٠١ .

د — دراسة الشخصيات الإسلامية، مثل مقال (الدكتور محمد أحمد الغمراوي بين البحث العلمي والنقد الأدبي)، و(عالم كبير يسجل اعترافاته)، و(الدكتور محمد حسين هيكل والتاريخ الإسلامي) (١) .

وقد تميز رحمه الله في مقالاته بالسّمات الآتية:

١ — "الاقتباس من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، بما يتواءم مع مضمون المقالة وأفكارها .

٢ — تسجيل آرائه الخاصة في بعض القضايا الإسلامية، مما يفصح عن عمق إيمانه وعقيدته، رغم إطلاعه على كتب المستشرقين، وما فيها من إلحاد وتشكيك .

٣ — دعم مقالاته الموضوعية بالحجج والبراهين، وحرارة الوجدان، وصدق العاطفة، وبساطة التركيب، وسهولة الألفاظ، — للدلالة على ترجيح وجهة نظره، بعد المناقشة والمحاورة . .

٤ — المزاجية في بعض الأحيان بين الأسلوب الأدبي والعلمي، حتى يلتفت انتباه القارئ، ويحمله على الاستطلاع والتتبع في شغف ولهفة .

٥ — تنوع المقالات بين الموضوعية والذاتية، وإن كان الاتجاه الموضوعي فيها أكثر من الذاتي، مع الإقرار بأن الموضوعية لا تخرج إلا من ذاتية الكاتب .

٦ — حسن التخلص من المقدمة إلى الموضوع إلى الخاتمة، بحيث يصعب الفصل بينهم أو تحديد أحدهم .

٧ — الاهتمام بإبراز صدق إيمانه بما يكتب، وحرارة عاطفته لموضوعه، وخفة روحه في عرضه، وكذلك تمتعه بالذوق اللغوي الممتاز في إلباس المعاني الألفاظ المناسبة، ووضع الألفاظ في أماكنها الملائمة وسوق الجمل في إيقاع يبعث في القارئ الإحساس بالمتعة — كما وضحت روح الملاحظة الذكية التي ترصد ما حولها، ثم

تختار ما تراه جديراً بالتعبير عنه من مظاهر الحياة وشئون الكون، ومن تجارب الآخرين على حد سواء .

٨- اعتماده على عذوبة الكلمة وإشراق اللفظ وسلامة العبارة ونصاعة البيان، فخرجت الفكرة قريبة من الأفهام متميزة بالبساطة والوضوح .

٩- اهتمامه في بعض الأحيان - بطرافة الأفكار، ليضيف على الموضوع جمالاً براقاً وروعة أخاذة ولا ريب في أن الاهتمام بالكتابة - بصفة عامة - يسبقه انصهار الفكرة في بوتقة تجربة الكاتب الخاصة .

١٠- اعتماده في دراسة الشخصيات علي الرسم والتصوير، لإظهار الجانب المادي والمعنوي، بالإضافة إلي التحليل والشرح الذي يُبرز من خلالهما موضوع نبوغ تلك الشخصية ومركز عظمتها .

١١ - يُلاحظ توسط كثير من مقالاته في الطول حيث تناول فيها موضوعاته بما يتفق مع ميوله وآرائه، غير أن الكثير منها أيضاً يتسم بالطول إلي حد ما، مما يجعلها أقرب إلي البحوث العلمية، لاسيما وأنها تحمل مضموناً دراسياً يعتمد علي البحث والتنقيب .

١٢ - انتقاء العناوين الملائمة لمضمون المقالة مما جعلها تمتاز بحمل القارئ علي المتابعة في شغف لما تحمله من لفت الانتباه وجذب العقول " (١) .

١٣- كما أنه كان إذا كتب في موضوع استوفاه، فقد قال الأستاذ الدكتور/ محمد ابن محمد أبو شهبه - عميد كلية أصول الدين، رحمه الله: قرأت المقال القيم الذي كتبه السيد الفاضل الدكتور/محمد رجب البيومي وأنا أحرص علي قراءة مقاله في المجالات التي يكتب فيها وتقع تحت يدي، وعهدي به أنه إذا كتب في موضوع استوفاه من جميع أطرافه ويعرض لما قاله القدماء، والمحدثون في الموضوع الذي يتناوله ثم يبدي رأيه " (٢) .

(١) السابق ص١٤٠-١٤١ .

(٢) مجلة الأزهر عدد جمادي الأولي مرجع سابق ص٧٦٤ .

١٤- وأخيراً يمكن القول بأن: "د/البيومي مدرسة أدبية متميزة فقلمه يمتاز بسمات فنية عديدة نذكر منها: جودة عرض المادة العلمية وعمق الفكرة وجدة الموضوعات والإبداع والتميز في تناول المشكلات وحلولها تشهد بذلك افتتاحيات مجلة الأزهر الرائدة التي شرفت برئاسته لها ويمتاز أيضاً بالدقة في الاستدلال والمهارة في الاستنباط والبراعة في التحليل والأسلوب الجذاب الشائق" (١) .

من هذا يتبين : أن د/ البيومي رحمه الله استحق بجدارة هذه المكانة المرموقة في الداخل والخارج بسبب ما اعتمده من سمات فنية كانت بمثابة الحلية لهذه المقالات فلاقت رواجاً وترحيباً من القراء ووجدوا فيها بغيتهم العلمية .

المطلب الثاني أسلوب التكرار وأثره في الدعوة:

وقد اعتمد د/البيومي رحمه الله علي أسلوب التكرار في كثير من كتاباته، حيث وجدت موضوعات في كتبه سبق أن تحدث عنها في مقالاته، ومن ذلك ما يلي:

١- مقال بعنوان (سفه متعمد ضد الحقائق الإسلامية) (٢) هو نفسه موضوع في كتاب (من منطلق إسلامي) الجزء الثاني صفحة رقم ٤٣ بعنوان (سفه متعمد في الحقائق الإسلامية) .

٢- مقال بعنوان (الصحة الإسلامية بين الأمس واليوم) (٣) هو نفسه موضوع في نفس الكتاب السابق بنفس العنوان وفي نفس الجزء صفحة رقم ٥ .

(١) ينظر موقع منتديات الشريف التعليمية — الأديب محمد رجب البيومي — إعداد محمد عباس عراي . الموقع / <http://www.alshref.com/vb/t283949.htm> تاريخ الدخول ١٦ / ١ / ٢٠١٢ م حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً .

(٢) مجلة التضامن الإسلامي السنة الخامسة والأربعون — مرجع سابق ص ٢٥ — ٢٩ .

(٣) مجلة الوعي الإسلامي — تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت — عدد ٣٠٤ — ربيع آخر سنة ١٤١٠ هـ — نوفمبر

- ٣- مقال بعنوان (عاشوراء في التاريخ الإسلامي) (١) هو نفسه موضوع في كتاب صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي بعنوان (عاشوراء في تاريخ الإسلام) صفحة رقم ١٨٨ .
- ٤- مقال بعنوان (المعرب في القرآن) (٢) هو نفسه موضوع في كتاب البيان القرآني بنفس العنوان صفحة رقم ٢٧٢ .
- ٥- مقال بعنوان (رمضان وقراء الإذاعة في عهدها الأول) (٣) هو نفسه موضوع في كتاب الصراط المستقيم الجزء الأول بنفس العنوان صفحة رقم ١٨٩ .
- ٦- مقال بعنوان (انطباعات الحج في الشعر المعاصر) (٤) هو نفسه موضوع في كتاب في ميزان الإسلام الجزء الثاني بنفس العنوان ١٩٦ .
- ٧ - مقال بعنوان (العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية) (٥) هو نفسه موضوع في كتاب من المثل الإسلامية بعنوان (العدل ظاهرة كونية) صفحة رقم ٤٤
- ٨- مقال بعنوان (ركيزة الإلحاد تتصدع) (٦) هو نفسه موضوع في كتاب قضايا إسلامية مناقشات وردود بنفس العنوان الجزء الثاني صفحة رقم ١٠٧ .
- ٩- مقال بعنوان (أمام الغار) (٧) هو نفسه موضوع في كتاب الصراط المستقيم الجزء الثاني بعنوان (أمام غار حراء) صفحة رقم ٤٨٩ . وغير ذلك كثير في كتابات د/ البيومي رحمته الله، ويرجع ذلك لأمرين:

(١) مجلة منبر الإسلام تصدرها وزارة الأوقاف المصرية — السنة ٦٠ — العدد ١ — المحرم سنة ١٤٢٢هـ — إبريل ٢٠٠١م ٣٧ — ٤١ .

(٢) السابق السنة ٦١ — العدد ٧ — رجب ١٤٢٣هـ — سبتمبر ٢٠٠٢م ص ١٧ — ٢٠ .

(٣) مجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٤٢٧هـ — أكتوبر ٢٠٠٦م — الجزء ٩ — السنة ٧٩ ص ١٣٩٨ .

(٤) مجلة الأزهر عدد ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ — يناير ٢٠٠٧م — الجزء الثاني عشر السنة التاسعة والسبعون ص ١٨١٤ .

(٥) مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤٢٢هـ — يوليو ٢٠٠١م — الجزء الرابع السنة الرابعة والسبعون ص ٥٦٢ .

(٦) مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤٢٥هـ — أكتوبر ٢٠٠٤م — الجزء الثامن — السنة ٧٧ ص ١٢٥٠ .

(٧) نفس السابق عدد ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ — مايو ٢٠٠٣م — الجزء ٣ — السنة ٧٦ ص ٣٣٨ .

أولاً: أن د/ البيومي رحمته الله يكتب في مجلات شتى في مصر، وفي غيرها من الدول العربية فما نُشر في الدول العربية لا يُعد تكراراً لما نُشر في مصر لأن القراء غير القراء والمكان غير المكان .

ثانياً: أما ما نُشر بمصر وكان مكرراً فهذا لا يُعد عيباً لأنه يعالج أدواء المجتمع، والمريض قد يحتاج إلى تكرار الدواء، فالداعية الناجح لا يمل من التكرار ليستأصل شأفة الأمراض .

لذا فإن د/ البيومي رحمته الله عندما كان يعالج مشكلات التعليم كرر الكتابة في ذلك وأبدي عذره قائلاً: "لقد أكثرت من الكتابة على مدى شاسع من العمر متحدثاً عن مشكلات التعليم في جميع مراحلها، ولا أزال كأني لم أقل شيئاً، بل يزيد من ألمي أن أضطر إلى التكرار في بعض ما أقوله لأن المرض الذي أعالجه يزيد ولا ينقص، وقد يعالج بما يضاعف من شدته، وأكاد أرى من يعترض هازئاً من هذا الإلحاح المتواصل، ولكني أقابله صابراً، ومتذكراً قول القائل:

وتضحك مني شيخة بدوية كأن ما رأت قبلي أسيراً يمانياً" (١)



المطلب الثالث

أسلوب الحوار وأثره في الدعوة:

لقد اعتمد د/ البيومي رحمته الله أسلوب الحوار في دعوته إلى الله تعالى، فكثيراً ما يعرض أقوال المغرضين من العلمانيين والمستشرقين ويناقشها مناقشة هادئة تكشف الزيغ، وتبرز الحق بالحجج الناصعة والبراهين الساطعة، ومن ذلك ما كتبه بعنوان (سفه متعمد ضد الحقائق الإسلامية) وعرض ما قاله المستشرق (مرجليوث) قائلاً: "

يري (مرجليوث) أن كلمتي (مسلم وحنيف) وُجدتا قبل الإسلام، واستعملتا استعمالاً دينياً بمعنى: موحد، لأن نوعاً من التوحيد الديني ظهر قبل البعثة بنحو عشرين سنة، ودعا إليه مسيلمة، فسُمي أتباع مسيلمة بالمسلمين، نسبة إلى اسمه، كما عرفوا بالحنفاء نسبة إلى قبيلة حنيفة، فلما بُعث محمد ﷺ استعمل الكلمتين، ولم يكن علي علم — على الأقل — بأصلهما، ثم بدا له بعد ذلك أن يشير إلى أنهما استعملتا منذ عهد إبراهيم (١) •

ثم شرع د/ البيومي رحمه الله في مناقشة هذا السفه قائلاً: "ونحن نقول: إن ما سطره المستشرق المضل، لا يدل علي عبقرية، لأن العبقرية تمنع صاحبها أن يهرف بأقوال المجانين، كما أن بذل الصبر والحيلة يكون في الدقائق الغامضة التي تتبهم فيها الدلائل، وتكثر الثغرات، وتلتوي الخطوط، أما أن نقذف بالأضاحيك العابثة، ونخترع الأوهام الزائفة، ثم نحاول أن نجعل من الأراجيف حقائق، فهذا عبث صبية، لا احتيال شيخ محنك يقارف الأضاليل " (٢) •

ثم شرع يتساءل متعجباً "من مسيلمة؟! صحيح أن تكون كلمة (المسلم) مأخوذة من مسيلمة؟! وهل كان تاريخ مسيلمة من الخفاء بحيث يجوز أن نجعل منه بطلاً أسطورياً سبق الإسلام ظهوراً، ثم جاء محمد ﷺ من بعده، فسمي أتباعه بالمسلمين انتساباً إليه، واقتداء به؟! أي سخف هذا؟!

ثم أجاب قائلاً: إن تلاميذ الصفوف الأولى في المدارس، ولا أقول طلبة الكليات في الجامعات، يعرفون أن مسيلمة لم يُعرف له اسم في التاريخ إلا بعد حجة الوداع حين قدم المدينة في وفد بني حنيفة من أهل اليمامة، وخلفه القوم علي رحالهم، وقدموا إلي رسول الله ﷺ مسلمين، فأحسن وفادتهم وأعطاهم، فأمر له بمثل ما أمر به لكل منهم •

(١) مجلة التضامن الإسلامي (الحج سابقاً) مقال بعنوان (سفه متعمد ضد الحقائق الإسلامية) د/ محمد رجب البيومي — عدد

شعبان سنة ١٤١٠هـ — مارس سنة ١٩٩٠م — السنة الخامسة والأربعون — الجزء الثاني ص ٢٦ •

(٢) السابق نفس الصفحة •

وكان مسيلمة أخاً طموحاً، وقد سمع عن رسول الله ﷺ ما أدهشه، فأخذ يفكر في ادعاء النبوة، ودلس علي بعض قومه فاستجابوا لمخرقته، فاندفع إلي مراسلة رسول الله ﷺ ليقول له: إنه نبي مثله، وإن لبني حنيفة نصف الأرض، ولقريش مثلها، ولكن قریشا قوم لا يعدلون، فقرأ الرسول ما كتب، وقال لرسولي مسيلمة: ما رأيكما؟ فوافقا صاحبهما علي ادعائه! فقال ﷺ: { لولا أنكما رسولان لقتلكما } لأنهما ارتدا دون موجب، ولكن الرسل في مأمن، ثم كتب إلي مسيلمة يعلن كذبه، وأن الأرض ليست لقریش ولا لبني حنيفة، ولكنها لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين! وصبر مسيلمة علي غيظ حتى التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، فأعلن نبوته، وقال لبني حنيفة: لستم أقل من قریش، فمنكم رسول ومنهم رسول، فأذكي في نفوسهم حمية الجاهلية، وزاد من خطره أن نهارا الرجال — وكان مسلما هاجر إلي المدينة وقرأ القرآن • وأرسله محمد ﷺ ليفقه أهل اليمامة — وقد خان الدين • وأغرته الحياة الدنيا حين وجد آلاف الآلاف من بني حنيفة يلتفون حول مسيلمة — وأنه شريكه في الرسالة، وأقبل الناس أفواجا يعظمون المتنبئ الكذوب • وكانت قوته عاصفة بحيث هزمت جيش الإسلام قبل وصول خالد بن الوليد، ولكن المسلمين أخذوا أهبتهم وفيهم أشراف الصحابة، وحفاظ القرآن، وبذلوا من ضروب الفدائية، وأفانين البسالة ما هو مدون في صحائف حروب الردة بمداد الفخار حتى تمت كلمة الله وقُتل مسيلمة! إذ انتصر الإسلام ••

هذا ما يعرفه تلاميذ المدارس! فكيف يجوز لدى من قضى في البحث التاريخي بأرقي جامعات إنجلترا خمسين عاماً أن يزعم أن أمر مسيلمة قد انتشر قبل مبعث الرسول، وأن محمداً ﷺ قد اقتدي به وسمي أتباعه بالمسلمين نسبة إليه! وإذا صح هذا في أي منطق، فلم لم يكونوا بادئ ذي بدء أتباع مسيلمة لا أتباع رسالة محمد!؟ (١) •

بهذا الأسلوب الرائع ناقش د/ البيومي رحمته الله الإدعاء الأول وأبطله بالمنطق السديد والحجة الواضحة، ثم شرع في نقض الإدعاء الثاني بتساؤل جعله عنواناً للنقاش، فقال: من الحنفاء؟!

ثم أجاب بعد أن بيّن أن ما زعمه هذا المستشرق بعيد عن قواميس اللغة، فكتب قائلاً: "المستشرقون قوم أعاجم، لا يعرفون اللغة العربية إلا من القواميس وحدها، فهي عكازهم الأوحده، فإذا رأيت أحد زعمائهم يرجع إلي تفسير كلمة (الحنيف) إلي الاحتيال السيئ ولا يرجع إلي قاموس واحد من القواميس التي لا تفارق يده لحظة، فماذا تقول فيه؟!

إن القواميس العربية كاللسان تقول: أصل الحنف: الميل، من قولهم رجل أحنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة إلي أختها بأصابعها • والقاموس يقول: الحنيف كأمير، الصحيح الميل إلي الإسلام الثابت عليه، وكل من حج، أو كان علي دين إبراهيم عليه السلام!

وقد توسع ابن القيم في كتاب (جلاء الأفهام) فقال: الحنيف: المقبل علي الله المعرض عما سواه، وأصله من الحنف؛ وهو الإقبال، ومن فسره بالميل فسره بلازم المعنى، فإن من أقبل علي شيء مال عن غيره • فهذه نصوص ذائعة مشتهرة، فإذا تركناها إلي التراث الشعبي؛ نجد معنى الحنيف في صدر الإسلام يطلق علي المسلم الذي يستقبل القبلة •

يقول ظالم بن البراء الفقيمي في وصف الحرباء:

يكون حنيفاً بالعشي وبالضحى يصلي لنصرانية ويصوم
وقد أخذ معناه ذو الرمة فقال:

إذا حول الظل العشي رأيتُه حنيفاً، وفي قرن الضحى يتنصر

قال شارحه أبو النصر الباهلي: الحنيف: المسلم، وإنما قال حنيفاً لأنه تلك الساعة بالعشية مستقبل القبلة، وفي حد الضحى مخالف للقبلة (قبلة المسلمين عند الصلاة) فإنما يتنصر من ذا، يدور مع عين الشمس إذا دارت •

فإذا كانت نصوص اللغة وشواهد الشعر تحدد معني الحنيف وتقيد به بأوصافه، فكيف خالفها مرجليوث إلي غير مصدر، غير الوهم المدخول؟

على أن أمر الحنفاء قبل البعثة النبوية من الشهرة بحيث تردد في أكثر كتب السيرة المطهرة، ومن أوائلها ما كتبه ابن إسحاق حين ذكر أن ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعثمان بن الحويرث الأسدي، وهؤلاء الثلاثة من قریش، ورابعهم عبيد الله بن جحش وهو من حلفائهم، اجتمعوا مرة يوم عيد لأحد أصنامهم فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم علي شيء، لقد أخطأوا دين إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يا قوم: التمسوا لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما أنتم علي شيء • ففرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم، فأما ورقة فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتاب، وأما عبيد الله بن جحش فأقام علي ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلي الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام، وأما عثمان بن الحويرث فقدم علي قيصر ملك الروم، فتنصر، وحسنت منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فطوّف في الشام والعراق ثم عاد، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح علي الأوثان، ونهي عن قتل الموءودة وقال: أعبد رب إبراهيم •

فإذا أضفنا إلي هؤلاء قس بن ساعدة وأمّية بن أبي الصلت، ممّن تحنفوا علي دين إبراهيم، فإننا لا نجد أحدا منهم من بني حنيفة حيث مسيلمة وأشياعه، فعلي أي مصدر اعتمد مرجليوث فيما زعم! حتى نلتمس له أدني عذر يتخيل!؟

وفي القرآن وردت كلمة حنيف وكلمة حنفاء في تسع سور كريمة هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنعام، ويونس، والنحل، والحج، والروم، والبيّنة • فلو كان مسيلمة يفهم منها النسبة إلي بني حنيفة لسارع إلي استغلالها، كما استغل نهارا الرجال حين وفد عليه من المدينة فأغراه بالمال والرياسة ليقول إن رسول الله قد جعل النبوة

شركة بينه وبين مسيلمة!! إن مسيلمة كان أذكى في بداوته من أستاذ أوروبي يفسر الكلمات دون إسناد، ليرجف بالإسلام " (١) .

وهكذا بدد د/البيومي رحمته الله الأراجيف التي أرجف بها مرجليوث بأسلوب النقاش الهادئ الملتبس بالبرهان الساطع، والحجة الناصعة، المتنوع في أدلته .
وأخيراً أفصح د/البيومي عن السر الذي دفع هؤلاء لإرجاف هذه الأراجيف قائلاً: "وتسأل عن السر الدقيق لهذا البهتان السافر؟ فتعرف بعد تأمل، أن ذوى الاستشراق حين أعيتهم الأدلة الهادمة لأسس الإسلام، تواصلوا علي الإرجاف المتدرج، وذلك بأن يبدأ أحدهم بأكذوبة، ليأتي ثان فيرددها مضيفاً بعض التخرصات! ثم يتسلل ثالث ورابع إلى الوهم ليؤكداه باعتباره حقيقة مشتهرة جهر بها فلان وفلان بعد بحث عويص، وما في هؤلاء جميعاً من يصدق بينه وبين نفسه بما يقول " (٢) .

(١) مجلة التضامن مرجع سابق ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) السابق ص ٢٨ — ٢٩ .

المطلب الرابع أسلوبه في معالجة القضايا المعاصرة :

وفي الحقيقة إن للعلامة د/ البيومي رحمته الله أسلوباً متميزاً في معالجة القضايا والمشكلات المعاصرة يدل على عمق فهمه للواقع ، وغزارة علمه ، ونظرته الصائبة ، فقد تناول عدة قضايا ومشكلات معاصرة ، وبين الدوافع عليها ، ثم طرح الحلول لهذه القضايا والمشكلات ، وبيان ذلك كالاتي :

١- كتابة المصحف بالإملاء الحديث :

وهذه مسألة هامة طرحها د/ البيومي رحمته الله لحاجة العصر الآن إليها، وقد تحدث عنها بقوله: "نحن في عصرنا - ولندع غيره من العصور - أمام مشكلة حقيقية يصطدم بها آلاف المدرسين من رجال التربية والتعليم، إذ أن آلاف المصاحف القرآنية توزع على الطلاب كل عام ليقروا بها ما تقرر عليهم شرحه وحفظه في دروس التربية الدينية، فإذا تهيأ الطالب للقراءة لاحقه اللحن في كل آية إذ يجد من اصطلاحات الرسم العثماني ما لا يعهده في جميع ما لديه من كتب الدراسة، فإذا انبري المعلم لتصحيح اللحن مرة بعد مرة ، وجد الأفهام الغضة لا تسيع أن تتطرق بغير ما ينبئ عن ظاهر الرسم، فإذا سأل السائلون عن خط المصحف وطريقة كتابته لم يجدوا في الإجابة المترنحة ما يقنعهم بفائدة القراءة في الصحف الكريم، فإذا أصر المدرس على ذلك غرق في خضم من اللحن المنكر، والخطأ المرير، فيضطر مستسلماً إلى كتابة النص القرآني على السبورة بالإملاء المتعارف لدى التلاميذ، ويسارع هؤلاء فينقلون الآيات في أوراقهم، كما دونها المدرس ثم يطوون المصحف الوزاري وقد اعتقدوا أن القراءة به مدعاة الخطأ المعيب!

وهكذا يصبح كتاب الله نائياً مجفوا لا ينتفع به غير من حفظوا القرآن على معلمي الكتاتيب، وهؤلاء كانوا منذ زمن قريب كثرة كاثرة في المدن والريف، أما الآن

فقد اكتسحت المدارس المدنية أكثر أبناء الشعب، تاركة لجماعات تحفيظ القرآن عدداً لا يذكر بالقياس إلى ما كان!! حتى أشفق الحريصون علي كتاب الله من يوم قريب يبحثون فيه عن الحفظة فلا يجدون إلا النزر القليل! " (١) .

وبعد أن عرض د/البيومي رحمته الله حاجة العصر إلي كتابة المصحف بالإملاء الحديث عرض قول المعارضين متعجباً من معارضتهم الشديدة لذلك فقال: "نسأل بعد هذا الموقف المحرج عما يدعو إلى تمسكنا الحريص بالرسم العثماني في عصرنا الحاضر فنجد لجنة الفتوى الموقرة بالأزهر الشريف تقول نقلاً عن مجلة الرسالة: وأما طبع المصحف الكريم علي قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن، فاللجنة تري لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه؛ وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله علي النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضي عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن علي هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل .

وقد كتب بها مصاحف عثمان رضي الله عنه ووزعت علي الأمصار لتكون أمماً للمسلمين، وأقر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأي تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلي تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثير بتلك القواعد .

هاك ما قالته اللجنة الموقرة ونضيف إليه ما قاله الباحث المتمكن الأستاذ حفي ناصف رحمته الله وهو صاحب الدعوة الأولى في مطلع هذا القرن إلي كتابة المصحف الشريف بالرسم العثماني حين همّ الخديوي عباس بكتابة نسخة منه بالإملاء الحديث إذ كان يخطأ كثيراً في تلاوته فترغم حفي بك ناصف فريق المناوئين لهذا الرأي وقاد حملة أدبية في المؤيد واللواء حتى انتصر رأيهِ بلباقته وحميته، ثم عهد إليه مع زميليه

الأستاذين: أحمد الإسكندري ومصطفى عناني بالإشراف علي طبع المصحف الحكومي وتصحيحه • وفقاً للرسم العثماني فقام ثلاثتهم بمجهودهم المشكور في هذا المضمار الكريم!! •

أقول إننا نضيف إلي قول اللجنة الموقرة ما يقوله الأستاذ/ حفني ناصف نقلاً عن مجلة المقتطف من بحث نشر بعد وفاته رحمه الله:

ومن هذا يعلم أن المحافظة علي رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة؛ لأن هذه الرسوم صارت أصلاً من أصول القراءة، ودعامة من دعائم الإسلام، وفي هذه المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن علي أصله لفظاً وكتابة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان؛ لأنه إذا فتح باب الاستحسان في الرسم فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ؛ ويتطرق إليه التغيير والتبديل، فسدوا هذا الباب بإبقاء كل شيء علي أصله، حتى ما هو مخالف لقانون الرسم المعتاد" (١) •

وبعد أن عرض د/ البيومي أقوال المعارضين شرع في مناقشتها قائلاً: "وأنت تعلم أن المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه كان غير منقوط إذ أن أول من وضع نقط الإعجام في العربية نصر بن عاصم الليثي، مستعيناً بأستاذه/ يحيى بن يعمر العدواني بناء على رغبة الحجاج بن يوسف الثقفي، فأدخل هذا النقط إلي المصحف الشريف وتغير بذلك عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان رضي الله عنه للمرة الأولى!

وأنت تعلم أن المصحف العثماني كان غير مشكول إذ أن أول من وضع الشكل في العربية هو أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن أبيه في عهد معاوية، وذلك ما كان بعد كتابة المصحف العثماني، فأدخل هذا الشكل إلي المصحف بعد قليل من اختراعه، وتغير بذلك للمرة الثانية عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان رضي الله عنه! وأنت تعلم أن المصحف العثماني لم تذكر به أسماء السور كما نري الآن في طبعات الوزارة التي أشرف عليها الأستاذ المتشدد حفني ناصف ولكنها ألحقت به نقلاً عن نسخ متأخرة

صدرت بعد العهد العثماني بأجيال فتغير المصحف الكريم مرة ثالثة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان رضي الله عنه.

وأنت تعلم أن أرقام الآيات مستحدثة لا تكاد تتجاوز القرن الأخير ومع ذلك فقد ألحقت بالمصحف العثماني فتغير بها مرة رابعة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، أما حروف الهجاء نفسها فقد تغيرت شكلاً في أكثرها، فمد حرف في رسمه، وصغر ثان في حجمه، واستدار ثالث في هيئته •

ولديك بدار الكتب المصرية صورة شمسية لصحيفة من مصحف أثري يرجع عهده إلى القرن الأول فلو تأملت بها لرأيت عجباً أي عجب في اختلاف رسوم الحروف!!

فإذا كان المصحف العثماني قد طرأ عليه ما أسلفنا من التغيير المتعدد أفلا نستحيز الآن تغييراً جديداً في رسمه؛ فنكتبه بإملأنا الحديث تفادياً مما يقع فيه الطلاب من خطأ مؤلم، ولحن شائن كريه!!

على أننا نعلم أن المصحف العثماني قد كتب في عهد أمي، ومن تولى كتابته كزيد بن ثابت رضي الله عنه وأبي بن كعب رضي الله عنه وغيرهما كانوا من البدائية الساذجة في رسم الكلمات إلى حد أفصح عنه العلامة ابن خلدون حين تعرض لهذا الموضوع في مقدمته الرائعة •

وقد اتضح أن جمهور الأئمة من صدور هذه الأمة قد أذنوا للمصحف الشريف أن يتطور منذ عهد عثمان رضي الله عنه هذا التطور شكلاً ونقطة ورقماً وكتابة لأسماء السور، وتعديلاً لأكثر رسوم الحروف، فإذا نادينا اليوم بتخليصه من الحروف الزائدة • واتجاهه إلى الإملاء الصحيح •

فنحن نسير خطوة لاحقة لها سوابقها الماضية، ولا نأتي ببدعة مستحدثة. وحسبنا أن ننقذ آلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين!! •

وإذا كانت لجنة الفتوي قد سلكت في إجابتها مسلك المستريب المحتاط، فإنها لم تدع ما ادعاه الأستاذ حفني من أن هجاء المصحف بضبطه العثماني يمنع القراءة بلغة مردودة غير لسان قريش، إذ أن الإملاء المعاصر لا يجيز للكلمة أن تنطق نطقاً آخر غير ما تعارف عليه الناس فكيف نحمله إذا ما لا يطيق؟

وإذا كنا نعلم أن عثمان الشهيد رضي الله عنه قد جمع الناس على لسان قريش، فقطع بذلك السبيل على من يقرءون بلهجات قبلية فإن مرور الزمن قد مكن لهذا اللسان القرشي أن يصبح منطق القرآن الوحيد، وإذا أتيح لكتاب الله أن يطبع بالهجاء المعاصر فلن تصله صلة ما باللغات المنقرضة، والألسنة البائدة ٠٠ وقد اندفع الأستاذ ناصف اندفاعاً خطابياً حين زعم أن التغيير في الرسم يفتح المجال للتغيير في اللفظ فتستبدل كلمة بكلمة!!

وأنا لا أدري كيف يوحى الإملاء الحديث بنطق جديد، ونحن نرسم آيات القرآن في مقالاتنا الصحفية وأبحاثنا العلمية بهجائنا المعاصر، أفهم منها القارئ أكثر مما يفهمه دعاة الرسم العثماني أو أقل!! ذلك وهم بعيد!!

نحن نعرف أن الغيرة على كتاب الله وحدها تدفع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وسواهم إلى المعارضة، كما نعرف أن محاربة الجديد شيء طبيعي يلاحظه دارسو التطورات الاجتماعية والثقافية في كل جيل، ولكننا نعرف أيضاً أن هذا التشدد لن يغنى شيئاً من الأمر الواقع، فسيقراً أحفادنا القادمون كتاب الله بإملائهم المعاصر مستريحين إلى سلامته ويسره!

ولنا أن نأخذ عبرة واضحة من تاريخ الرسم العثماني فقد كان الإمام الأوزاعي رضي الله عنه يعارض النقط حين أدخل على المصحف حتى قال في شأن كتبه المجتهدين ووددت أن أيديهم قُطعت!!

كذلك كان الحسن البصري رضي الله عنه وابن سيرين رضي الله عنه في بعض ما يروي عنهما يكرهان النقط والشكل في المصحف الشريف، ومع ما لهؤلاء الأعلام من المكانة الفقهية، فقد أجزى شكل المصحف ونقطه، وتداوله الناس بهذين أجيالا بعد أجيال!!

فإذا عارض فريق من علماء اليوم كتابة المصحف بالهجاء المعاصر فلن يقف ذلك أمام حاجة ماسة يلمسها المربون من الأساتذة، ويجأرون إزاءها بالشكوى الصارخة والضجيج الملحاح، وللايام أن تتضح الرأي الصائب على مهل فيعتنقه الناس مقتنعين!!

وإذ ذاك يقرءون قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١) فيعلمون أن الإملاء السهل من أدوات التيسير " (٢) •

يتبين من ذلك: أن د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ يُجيز كتابة المصحف الشريف بالإملاء المعاصر ويرى ذلك تيسيراً وصوناً للألسنة عن اللحن في كتاب الله، وأن العصر الآن بحاجة ماسة إلى ذلك، فلا تدفع الغيرة علي القرآن الكريم إلى التشدد بمنع ذلك والقول بالوقوف عند حدود الرسم العثماني، فإن هذا الرسم لم يثبت على هيئته يوم وضعه سيدنا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بل طرأ عليه التغيير في النقط والشكل والرقم والكتابة لأسماء السور • فلماذا لا يكون تغيير الهجاء من قبيل هذا التغيير؟ خصوصاً وأن فيه إنقاذاً لآلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين •

٢- القرآن وشريط الكاسيت :وقد عرض د/ البيومي رَحِمَهُ اللهُ

لمشكلة واقعية وهي قراءة القرآن الكريم في شريط الكاسيت وما يحدث فيها من أخطاء واستخفافات من قراء لا يرجون الله وقاراً •

وقد دفع د/ البيومي إلى الحديث عن ذلك ما سمعه بنفسه في شريط الكاسيت، وقد حكي هذا الموقف قائلاً: " كنت أسير في ميدان عام فسمعت شريطاً أثيماً يتلو قارئه قول الله: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (٣)

(١) سورة القمر آية رقم ٢٢ •

(٢) قضايا إسلامية مرجع سابق ص ٥٠ — ٥٢ ، ٥٤ •

(٣) سورة يوسف من الآية رقم ٢٣ •

وجعل القارئ يعيد كلمة ﴿هَيْتَ لَكَ﴾^١ بشتى قراءات شاذة لا يعرفها العلماء حتى بلغت ألفاظها عشر كلمات، على نحو هيئت، وهأت، وهيهمت وكل ذلك في استخفاف نذل خليع لا يعقل أن يصدر من قارئ لكتاب الله ويزيد الأسف اشتعالاً في النفس، حين تسمع صيحات الإعجاب من السامعين ترتفع إلى مستوى بعيد، وهم في الأكثر طبقة من الأميين لا يدركون حرمة القرآن، ولا يعرفون آداب الاستماع، ولكن الأصوات ترتفع، والقارئ يبدي ويعيد، وكأنه في سامر تهريجي تدوي به الطبول والرقصات .

وقد أخذني الضيق الكرب، فاتجهت إلى مصدر الصوت، فعلمت أن شريطاً خبيثاً يدور في دكان لبائع السجائر! وقلت له في غضب: إن هذا منكر، فأجاب: إن القارئ مشهور لدى بائع الكاسيت، وأن أصواته قد سجلت في شرائط كثيرة يحتفظ بها، وتقال إعجاب السامعين، ولم أر بداً من أن أتصل بالمسؤولين في الأزهر! بعد أن وزعت الشرائط في البلاد الإسلامية جميعها!!

ومما أشكر الله عليه أن أصدرت محكمة أمن الدولة بالإسكندرية كما جاء بالجرائد المصرية يوم ١/٣/ ١٩٨٦م قراراً بمحاكمة اثنين من القراء، ذكرت الجريدة اسميهما، كما أمرت بإحضار ثلاثة من أصحاب الشركات الخاصة بإنتاج الأشرطة السخيفة نتيجة لبلاغات تقدم بها الجمهور، وقد ضبطت وصودرت، وقرر الأزهر منع المستهترين من التلاوة وتحريمها عليهم وتقديمهم للمحاكمة .

ولكن المسألة ليست خاصة بمصر، لأن أصحاب الشركات قد بعثوا بإنتاجهم إلي البلاد الإسلامية، وقد يوجد من يظن التلاوة المأجنة مباحة، وخاصة في الدول التي لا تنطق بالعربية .

وإن فمتابعة هذا الإسفاف ومصادرته واجب إسلامي في كل مكان! وإذا جاز لنفر من المطربين والمطربات أن يستخفوا بالقيم فيذيعوا الأغنيات الخليعة، فكيف يجوز لقارئ مراهق أن يتخذ من آيات الكتاب مجالا للعبث البغيض " (١) .

(١) من منطلق إسلامي — مرجع سابق ج ١/٤١ — ٤٢ .

ثم ذكر د/ البيومي رحمه الله خطأ آخر لدي بعض قراء الكاسيت قائلاً: "وأنت تتابع بعض هؤلاء فتجد الالتزام المانع قد غاب عن مشاعرهم، فهم يحاولون استهواء العامة بما يقتربون، مهما انحدروا إلى أسوأ المستويات تجد الواحد منهم لا يتلو الآيات مرتبة علي نسقها المعهود، كما دونت في كتاب الله، ولكنه ينتقل في القراءة الواحدة من سورة إلى سورة، وفق ما يستحسن صوته من الآيات، لا وفق ما يطرد به السياق الحكيم من اتساق .

فقد يقرأ أحدهم — كما سمعت كثيراً — جزءاً من سورة البقرة، ثم ينتقل فجأة إلى الآيتين الأخيرتين من سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿١﴾، ويعلو صوته حين يصل السورة بالآيات الأولى من سورة الرحمن، وما يكاد يقرأ بعض السطور حتى ينتقل إلى سورة الزلزلة في الجزء الأخير من كتاب الله، وكل ذلك في مجلس واحد، والسامعون مبتهجون، وأصوات الاستعادة تعلو!!

وقد علمت أن القارئ يختار له بطانة خاصة تتبعه في كل مكان لتعلو أصواتها بصيحات الاستحسان، وإذا كان البلاء محصوراً من قبل في أضيق نطاق، فإن التسجيل الصوتي لهذا العبث، وانتشاره عن طريق الكاسيت في كل مكان أصبح مصدر خطر كبير" (٢) .

ثم بين د/ البيومي رحمه الله الحكم الشرعي للجمع بين أكثر من قراءة في مجلس واحد قائلاً: " إن الذين يجمعون عدة قراءات في مجلس واحد، مثل هذا الذي أخذ يردد آية يوسف، يجهلون أن العلماء من قدامى ومحدثين، قد حرموا الجمع بين القراءات في مجلس واحد، إلا إذا أريد بذلك الجمع لتعليم القراءات نفسها في مجلس علمي لا التلاوة بمجموعها في وقت واحد، كما اشترطوا حين يجمع قارئ بين قراءتين أن يوجد من العلماء من يعرف القراءات المختلفة ليصحح له ما يقع فيه من خطأ، علي أن يكون ذلك في مجلس التلقي والتدريس وحده، أما القارئ العام فملزم باختيار

(١) سورة القمر الآيتان ٥٤ ، ٥٥

(٢) من منطلق إسلامي مرجع سابق ص ٤٣ .

قراءة يتبعها، وكان على القارئ أن يعرف ذلك، ولكن الذين ينحدرون إلى المستوى التهريجي جهلة رزقوا الصوت الحسن، ولم يرزقوا حرارة الإيمان، ولا هيبة الخشوع" (١) .

ثم تحدث د/ البيومي عن الذين ينتقلون من سورة إلى سورة وفق استحسان الصوت قائلاً :

" أما الذين ينتقلون من سورة إلى سورة دون موجب إرشادي، فقد نسوا أن: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢) فالخشوع والهيبة والرغبة أحاسيس يستشعرها القارئ المؤمن والسامع المعتبر، وقد كان من السلف الصالح من يصفر وجهه هيبة عند تلاوة الكتاب!

فكيف ينسى هؤلاء رهبة الموقف وجلاله، ويندفعون في تصايح منكر، يسقط إيمانهم، وينخفض بمنازلهم إلى مستوي الرعاع، والقرآن هو القرآن، والأمة هي الأمة، أفيلق بشركة تجارية تبتغي الكسب العاجل أن تأثم بإذاعة العبت بالتلاوة! ثم أيلق بمن يحفظ كتاب الله أن ينسي جلال الذكر وهيبة الموقف فيندفع إلى سخف عابث لا يعرف منتهاه! " (٣) .

بذلك يتبين غيرة د/ البيومي ﷺ الشديدة على كتاب الله تعالى، فقد تحدث عن قضية واقعية تمثل خطورة شديدة على كتاب الله ألا وهي قراءة القرآن في شرائط الكاسيت وما فيها من أخطاء واستهتارات من بعض القراء مما يؤكد على إيجاد رقابة جيدة على شركات الكاسيت للحد من هذه المهاترات التي تسئ إلى كتاب الله ، مثلما كانت علي الإذاعات العربية من قبل، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك بقوله: " كانت الإذاعات العربية ذات رقابة جيدة، تلحظ ما يجب أن يذيعه قارئو الكتاب العزيز، فهي

(١) السابق ص ٤٣-٤٤ .

(٢) سورة الزمر آية رقم ٢٣ .

(٣) نفس السابق ص ٤٤ .

تختار الصفوة الفاضلة من كرام القراء ذوى الأداء الجيد، والتقوى الخاشعة، ولا تسمح لغير الأصلاء أن تنتشر أصواتهم عن طريقها، وكانت آمال القارئ من المتطلعين تنحصر في اقتحام الإذاعة لتكون شهادة حسنة لهم أمام الناس، فهم يبذلون الجهد الجاهد في التجويد والتحسين وإتقان التلاوة أو إحكام الوقوف، لينالوا قبول لجان الاستماع! وهكذا وجد العاصم المانع من تسلل ذوي القيم الهابطة، والتهريج الوصولي ممن لا يرجون الله وقاراً!" (١) .

٣- حول التراث الإسلامي

وتحدث د/ البيومي رحمه الله عن قضية واقعية تتعلق بكتب التراث وهي لصوص النشر، فإن نفراً من الباحثين عمدوا إلى كُتب من كتب التراث قد حُققت وبذل محققوها ما بذلوا من جهد دائب متصل، في تتبع المخطوطات، وقراءة السطور المتآكلة، ومراجعة النصوص المنقولة في مظانها المختلفة، بالكتب الذائعة أو الخافية، التي تحوي هذه النصوص، حتى ينتهي بهم هذا العذاب الكادح إلى عمل علمي باهر، فنشروها مرة ثانية مدعين أنهم عثروا على مخطوطات جديدة، وكتبوا في مقدمات هذه الكتب دعاوي عريضة .

فإذا ما قورنت طبعاتهم الحديثة بالتي قبلها، فلن تجد جديداً بل تجد السطو الصريح، والانتهاك المنكر، وربما تجد تهجماً عريضاً على المحقق الأول بدعوى أنه تسرع وأغفل سطر أو سطرين، أو تجد إهمالاً لدوره، وكأن هذه الكتب تري النور لأول مرة . في حين أن مجال النشر العلمي رحب فسيح، ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " إن مجال النشر العلمي فسيح مديد، وما طبع من كتب التراث لا يبلغ معشار ما أهمل، فلماذا لا يتجه هؤلاء إلى مخطوطات لم تنتشر من قبل، فيقدموا للقراء ما يضيف الجديد، إن مواهبهم الكلية تقعد بهم عن هذا المجال، فهم لا يستطيعون السبق فيه

مبرزين، إنما يستطيعون أن يغتصبوا جهد محقق سابق، بدعوي العثور على مخطوطة لا تضيف شيئاً ذا بال!

غير اختلاف بعض الكلمات والحروف وهو اختلاف لا يقدم ولا يؤخر، ولا يجيز لسارق مغتصب أن ينتحل فضل سواه، ولو صدقت النفوس، التي تدعي الاستغلال براية العلم، لسارع من يجد المخطوط الجديد إلى قراءته .

فإذا وجد جديداً كتب مقالاً عنه، ونبه إليه، ورجع إلي الناشر الأول كي يلفته إلي ما قد يكون أداة للتمام، وله إذ ذاك جهد الباحث الدقيق، وكرامة الصادق الأمين، إني أشبه هؤلاء الذين يدأبون على نشر ما سبق أن قامت الجهود الأمنية بإخراجه وتحقيقه ونشره .

مع إهمال ما يحتاج إلى نشر عاجل من مهمل المخطوطات، أشبه هؤلاء بمن يعمد إلي حجرة واحدة من حجرات قصر كبير، قد هيئت أكمل التهيئة حتى أصبحت متعة الناظر، فيعيد طلائها وزخرفتها دون أن يصل بها إلى ما كانت عليه من قبل، ويترك إلى جوارها عشرات الحجر في القصر الكبير خاوية مظلمة .

أفما كان الأجدر لو صدقت الهمم أن تتجه إلي حجرة جديدة تضيف عليها رونق الحياة، إن مثل من يفعل ذلك مثل من يعيدا نشرًا لكتاب حقق علي أكمل وجه، دون أن يضيف إليه ما يفيد، تاركاً مئات المخطوطات المهملة تدعوه فلا يستجيب " (١) .

ثم ذكر د/ البيومي رحمته الله مثالين علي هذه السرقة قائلاً: "ونضرب المثل أولاً بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، فقد بدأت بنشر أجزاءه الأولى دار الكتب في مصر ثم والت وزارة الثقافة المصرية نشر ما بقي من الأجزاء التي بلغت أربعة وعشرين جزءاً، أخذت نصيبها الرائع من التحقيق والاستقصاء، وجودة الطبع، ودقة الإخراج، ثم بيعت بثمن التكلفة فحسب، وإنه لزهيد زهيد، فكتب لها الذبوع الممتد في ربوع الوطن العربي، ولاقت من ثناء الناقدین ما لا مطمح بعده، وتكون المهزلة الأليمة حقا حين تعمد دار نشر لبنانية فتدعي أنها حققت الكتاب، وقد سرقت بأجزائه

(١) من منطلق إسلامي مرجع سابق ج ٢٩/١ — ٣٠ .

المتعددة من الطبعة المصرية المشار إليها، اختزلت الشرح اختزالاً مضحكاً، وأهملت فهارس الكتاب المتعددة على أهميتها البالغة، وباعت الكتاب بثمن فاحش يتجاوز ضعفي الثمن الأول، وتجراً الناشر فزعم في المقدمة أن لجنة ما ثابرت علي التحقيق والبحث حتى خرج كتاب الأغاني في وضعه الجديد ! فماذا تقول في هذا الاغتصاب؟

وهل يحتاج النهب إلى لجنة؟! ونترك كتاب الأغاني إلي كتاب السيرة النبوية الذي لخصه ابن هشام عن كتاب محمد بن إسحق، وقد حقق منذ نصف قرن تحقيقاً بالغ الجودة والتصويب بأجزائه الثلاثة، وتعددت طبعاته التي قابلها القراء في احتفاء، ثم جاء بعد ذلك من طبعوا الكتاب دون إضافة لأصله، فتوالت نسخ شتي لأكثر من محقق، كتب اسمه، ونسي فضل سابقه! فبم تعلل هذا؟

والمكتبة العربية تحوي عشرات المخطوطات في سيرة رسول الله، وكان الأولي بهؤلاء أن يبحثوا عن مخطوط جديد، وأن يستحيوا من رسول الله حين يجعلون من سيرته مجال غصب وابتزاز، لا لشيء إلا لأن القارئ المسلم متلهف يبحث عن تاريخ نبه في كل كتاب، ويسوءه أن يجد الذائع يعاد ويعاد وهو يتطلب الجديد المفيد! وما أكثره في المهمل من المخطوطات!" (١) •

بهذين المثالين اتضح الأمر للقارئ، وتبين مدى خطورته وأنه لابد من موقف حاسم تجاه لصوص النشر الذين يسطون علي كتب التراث ليغتصبوا جهود من سبقوهم من المحققين الأصلاء، تاركين آلاف المخطوطات المهمة التي تحتاج إلي تحقيق ونشر •

٤- نشر الجرائم في الصحف :

وهذه قضية واقعية تمثل خطراً عظيماً على الأخلاق، لأن فيها دعوة سافرة إلى مزاولة الجرائم، فالإعلان عن الفاحشة يشجع علي ارتكابها، وهذا ما ذكره د/ البيومي رحمته الله بقوله: "أما فاحشة الإعلان فهي التي يوجه إليها الملام، لأن في نشر الفضائح المخزية تشجيعاً على ارتكابها، ووضعاً لأمثلة حية أمام النشء، وقد يكون القاتل مثلاً جريئاً مندفعاً، فيظهر في ثوب البطولة أمام الأغرار ممن لا يزنون الأمور بميزانها الصحيح .

أذكر أن الجرائد المصرية شغلت لمدة طويلة بأنباء سفاح آثم عرف (بسفاح الإسكندرية) فكانت تنشر كل يوم جرائمه المتعددة، وتظهر صورته في وضع مضخم لافت، كأنه مصلح اجتماعي، أو مكتشف علمي، فصار بذلك موضع السمر بين الناس، وفيهم من يتحدث عن شجاعته وكأنه بطل يحمي البلاد! ثم أدانه القضاء وحكم بإعدامه، فلم يمنع ذلك الحكم العادل أن ينتشر حديثه بين العامة وقتاً غير طويل! لأن الكثرة من هؤلاء لا تفي إلى منطق العقل فتمتنع عن الإشادة بجبروته، بل يحلو لها أن تتكلم في كل ما يخطر على البال دون تمييز " (١) .

ثم ذكر د/ البيومي رحمته الله أن كثيراً ممن زاولوا الجرائم اعترفوا في التحقيقات أنهم ترسموا خطوات ما قرعوه في الصحف من تفاصيل عن الجرائم، فقال: " فإذا عرف القارئ بعد ذلك، أن جرائم قد تكررت من بعض المراهقين، وقد أثبتوا عند التحقيق معهم، أنهم تابعوا خطوات جرائمهم وفقاً لما قرعوه في الصحف عن جريمة سابقة نشرت الجرائد أخبارها بالتفصيل فكانت المثل المحتذي للمنحرفين، إذا عرف القارئ ذلك علم شدة الخطر التي يتيحها النشر التفصيلي للأحداث المنحرفة " (٢) .

ثم ذكر د/ البيومي: أن الصحافة تسعى لكشف الحجب عن كل مستور من أجل رواج الجريدة قائلاً: "والإسلام دين الحياء، وليس من الحياء في شيء أن تكشف الحجب

(١) من منطلق إسلامي مرجع سابق ص ٢٥٧ .

(٢) السابق ص ٢٥٩ .

عن كل مستور لتضمن رواج الجريدة في مجتمع تدفعه الجريدة — أولاً وبالذات — إلي الانحدار بما تبسط من منكرات!

وللصحافة حريتها الواجبة ولكن هذه الحرية يجب ألا تتعدي حدودها المنضبطة فتسلب الآخرين حرياتهم لأن الحرية كل لا يتجزأ، ودعوى الحرية هنا هي الإباحية التي تعمل علي قلب الأوضاع تملقاً للغرائز، وسيراً مع الشهوات الهابطة إلي أقصى مدي يستطيع! " (١) •

ثم سأل د/البيومي قائلاً: "ولنا أن نتساءل؟ أيجهل القارئون على تحرير هذه الصحف ما يعقبه نشر الجرائم بأسماء مرتكبيها، وتفصيل أدوار الجريمة تصويراً يعطى المثل السيئ لذوى الانحراف، أم أنهم يعرفون الخطر الماحق الذي يسببه النشر الفاضح؟

ثم أجاب بقوله: إن الجواب البديهي عن هذا السؤال، يؤكد أن القارئون على نشر الجرائم يدركون خطورة ما يصنعون، ولكنهم يبحثون عن رواج الجريدة، إذ يقع في وهمهم أن أمثال هذه المنكرات تجد القبول المندفع من القراء، لأن غريزة حب الاستطلاع تنشط أكثر ما تنشط حين تتجه إلي كشف المستور، وإزاحة الأغشية الواقية، وأي جرس أكثر رنيناً في الأسماع من صلصلة فاضحة تكشف المخزيات، وتعلن المنكرات، فتبعث الضجيج، وتوقظ النيام " (٢) •

وأخيراً شرع د/البيومي في الرد علي من زعم من الناس أن نشر الجرائم يبعث علي العظة والاعتبار قائلاً: "وفي الناس من يري أن نشر الجرائم يبعث علي العظة والاعتبار! وهو منطق لا يقنع القائل به في أطواء نفسه قبل أن يقنع غيره من الناس، لأن العظة إذا أريدت من نشر الجريمة فإنها تتحقق بالإشارة إلى الحادث دون نشر لأسماء، أما أن تكون الأسماء هدفاً مقصوداً للتشهير والتعيير، فليست هناك عظة

(١) نفس السابق ونفس الصفحة •

(٢) نفس السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٠ •

ترجى، ولكنه انتقام من أبرياء يجدون أنفسهم في مهب الاتهام لأن قريباً يمت إليهم بأوشج الصلات قد أغواه الشيطان فحاد عن الصراط فكانوا كما قال القائل (١):

وجرم جره سفهاء قوم
فحل بغير جارمه العقاب " (٢) •

يتبين من ذلك أن الصحافة وراء كثير من الجرائم التي أرتكبت بسبب ما نشرت من تفاصيل لأدوار الجرائم، وصورت للأحداث تصويراً يعطي المثل السيئ لذوى الانحراف •

كما أنها تعمل على تحطيم القيم الأخلاقية في الشباب المسلم وذلك ببث وسائل التحلل والإباحة والفساد (٣) * •
كما أنها أيضاً تؤذى الفضلاء من ذوي القرابة بالمتهم عندما تنشر اسمه واسم عائلته علي صفحاتها •

٥- جريمة الاغتصاب تحتاج إلي عقوبة صارمة :

وتناول د/ البيومي رحمته الله الحديث عن هذه القضية الواقعية تحت هذا العنوان الذي يبرز رأيه في هذه الجريمة النكراء، وهو أن قانون العقوبة على هذه الجريمة يحتاج إلى تعديل لأن عقوبة الاغتصاب لم تعد رادعة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه على نحو مروع .

وقد أعرب د/ البيومي عن رأيه قائلاً: " إن الأحكام التي تصدر علي هذه الجريمة في حاجة إلي تعديل جوهري، لأن القضاة ملزمون بما لديهم من القوانين التي قد تكون مناسبة حين سُنّت في زمان لم تنتشر فيه هذه المأساة علي ما نراه الآن من

(١) القائل هو: المتنبي • ينظر موقع من روائع شعر المتنبي • الموقع -/١٠٣١ http://www.alhasahisa.com/topic
• تاريخ الدخول ١٥ / ١ / ٢٠١٢ م في الساعة التاسعة مساءً •

(٢) من منطلق إسلامي ص ٢٦٠ — ٢٦١ •

(٣) * ينظر موسوعة التأصيل الإسلامي (من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوه) للأستاذ أنور الجندي — ط بيت الحكمة بالقاهرة بدون سنة طبع ج ٤/ ٧٤ •

ذبيوعها المروع، فإن شيوع الاغتصاب علي هذا النحو المفزع يدعو المشرّع إلى النظر في عقوبة رادعة تحد هذا البلاء، وقد قرأت أن ثلاثة من المجرمين قد اغتصبوا فتاة مسكينة وحُكم على كل منهم بثلاثة أعوام، والمضحك المبكي في هذه المأساة، أن المحكوم عليهم قد فرحوا فرحاً شديداً بما جُوزوا به، وقد قال أحدهم إنه سيجد الطعام والمأوى في السجن، بدل أن يرهق نفسه في العمل الكادح كي يقوت نفسه!

وهو قول لا يجب أن يمر هيناً دون نظر، فالمجرم الفاجر قد اعتبر الجريمة مغنماً لا مغرمّاً، ومثله من العاطلين من يسمع هذا العبث البغيض، وقد ضاقت به سبل العيش، فيلجأ إلى الاغتصاب مُرحباً بعقوبته التي تتيح له القوت ثلاثة أعوام، وهنا تكون البطالة التي انتشرت على هذا النحو المفزع سبباً من أسباب الفجور، كما يكون الجزاء القانوني من الهوان بحيث يصبح نعمة لا نقمة في رأى أناس فقدوا الكرامة الإنسانية، ولم يعد للرأي العام في نظرهم أدنى اعتبار! والذين يستنكرون حد الزنى في الشريعة الإسلامية ويرونه قسوة فظيعة لا تناسب مدنية العصر، في حاجة إلي أن ينظروا عاقبة السهولة المفرطة في تخفيف العقوبات وما أدى إليه هذا التخفيف من اللامبالاة!

وأنا أرى أن عقوبة المغتصب لا تقف عند حد الزنا فقط بل تتدرج في عقوبة الفساد العام الذي قال الله في شأنه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١). لأن المجرم المفسد الذي يهجم على المنزل، فينهب المال بسيف البغي، أقل خطراً من الذي يهجم على الفتاة المسكينة فيستل شرفها بطشاً وعدواناً. وكل رجل يهون لديه أن يفقد ماله، ولا يهون لديه أن يفقد عرض ابنته أو زوجته أو أخته!! وإذن فالنظر في سن عقوبة رادعة ذات بطش وشدة هو أول ما يجب أن يقوم به المشرّع دفعا صارما لهذا البلاء! " (٢) .

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣٣ .

(٢) افتتاحية مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٤٣١هـ — يونيه سنة ٢٠١٠م الجزء ٧ السنة ٨٣ — ٩٧٠ — ٩٧١ .

وأوافق د/ البيومي رحمته الله علي هذا الرأي، فإذا كانت عقوبة الحرابة والفساد في الأرض القتل والصلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض، فالقتل والصلب إن قتلوا وأخذوا مالا، والقتل فقط إن قتلوا ولم يأخذوا مالا، وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف إن أخذوا مالا ولم يقتلوا، والنفي من الأرض إن أخافوا الناس ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا (١)*، فيجب أن تكون عقوبة الاغتصاب مندرجة في هذه العقوبات على حسب ما يراه الإمام أو نائبه لأنه لا يقل خطراً عن سفك الدماء ونهب الأموال، بل إن القتل وأخذ المال أهون عند الناس من انتهاك الأعراض لما يترتب علي ذلك من العار والفضيحة .

ثم ذكر د/ البيومي رحمته الله: أن السبب في ازدياد جريمة الاغتصاب في العصر الحديث هو غياب الأمن داخل القرى والمدن، في حين أن الأمن قبل هذا العصر كان موجوداً بداخل القرى والمدن، ففي القرى ما يُعرف (بالخفير) وفي المدن ما يُعرف (بالشاویش) .

ويحدثنا د/ البيومي عن ذلك قائلاً: " وقد كان الشارع المصري قبل هذا العهد الثوري لا يخلو من (الشاویش) الذي يقطعه رائحاً غادياً ليحفظ أسباب الأمن، كما أن (خفير الدرك) في الريف، كان يقبع في الشارع ليلياً، فإذا رأي شبحاً قادماً من بعيد، صاح (مين اللي جاي) وكان للشاویش المدني والخفير الريفي أثرهما في ضبط الأمن، وتعقب اللصوص من ذوى الإجرام، وأنت تسأل عنهما الآن فلا تجد!

بل تجد ما يؤلمك حين تري الاهتمام بشخص من الحكام يتقدمهم الحرس مباهاة واستعلاء ولا من موجب لهذه الزفة غير التعاضم وإشباع الرغبات الصغيرة، ثم انتقل الأمر إلي الأثرياء، فأصبح لكل منهم حرس خاص دون موجب!

(١)* ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي — ط مؤسسة الرسالة

أما الشارع المصري فقد فقدَ الحارس الذي ظل يصحبه من عهد الاحتلال الإنجليزي حتى شاهدناه في سني الدراسة، ونحن نطالب الآن برجوع الشاويش والخفير كما كانا من قبل حفظاً للنظام كما يقول التعبير الإرادي!

ولا شك أن وجودهما قد يمنع كثيراً من الجرائم! ولو وجد الشاويش في الشارع ما اضطر كثير من الآباء أن يصحبوا بناتهم المدرسات حين يخرجن في السادسة إلى المدارس حتى يركبن الأتوبيس آمانات! وقد يكون الأب شيخاً يدب على العصا، ولكن خوفه يدعوه إلى التضحية والعناء!" (١) •

ثم تحدث د/البيومي عما يحدث من تزويج المغتصب بمن اغتصبها علاجاً لسوء ما ارتكب، وحلاً للمشكلة قائلاً: "وبعض ضباط الشرطة بنية طيبة، وسعي برئ، حين يجد المجرم ذا قدرة علي الكسب، ويستطيع أن يعول زوجة، وينفق على منزل، يري أن يُعالج الجاني سوء ما ارتكب، فيقترح عليه أن يعقد قرانه بالضحية كما يقترح علي الأب المتأزم أن يرضي بهذا الوضع، فإذا تم ذلك أوصد المحضر، فلا ينتهي الأمر للنيابة، وهذا الحل خاطئ مخطئ تماماً، لأن الجاني برضاه السريع يُحاول أن يفلت من العقاب، ويراهما حيلة تنقذه قبل أن تُتخذ مستقبل الضحية المسكينة، ومثله في انحدار خلقه الذي دفعه بدءاً إلى هذا الشر الوبي لن يرعى حرمة الزوجية، فسرعان ما يتتمر بالزوجة، ويحتسبها مجرمة وهو الذي أوقع بها الشر لعجزها عن دفعه، وآفة الآفات أن تنعكس الأوضاع فيتحول المجرم الحقيقي في نظر نفسه إلي شهم ذي تضحية يتحمل عبأ فرض عليه، وولي الأمر في ساعة ضعف يقع في حيرة تضطره اضطراراً إلي قبول ما يشق علي نفسه درءاً لألسنة الناس!

وما أقسى هذه الألسنة التي تتلذذ بإذاعة الفاحشة ولا ترحم الجناح الكسير حين تقترض افتراضات بغیضة تُحيك الأوهام، وهذا بعض ما عناه الله ﷻ حين قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ

سَمِعْتُمُوهُ فَلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ (١) فليتأكد كل من يحاول أن يرأب الصدع بهذا الزواج المتعجل، أنه لم يرأب صدعاً، بل عمل علي اتساع الهوة مستقبلاً، وأن الخير كل الخير في أن يلاقي الآثم عقابه، ويكون عبرة واضحة لمن يحاول أن تزل قدمه في هذه الوهدة السوداء، وأنا أثق جيداً أن الزوجة حين توافق مرغمة علي هذا الاقتراح إنما تحاول النجاة من مأزق ارتطمت فيه، وهي في أعماقها تكن من الغل الحاقد ما يشتعل ناراً في أعماقها، كراهة لهذا الوحش الذي افترسها معنوياً، فقضي علي آمالها الزاهية، في مستقبل كريم وبيت سعيد بني علي تقوى من الله ورضوان • ولم يتأسس علي شفا جرف هار، وقد يكون هذا الحل مقبولاً إذا كان الأمر في مبدئه يمثل زناً برضا الطرفين، حين تفقد الأعصاب اتزانها، فتحدث الجريمة ثم يتضح هولها بعد التنفيذ، فيكون الزواج العاجل حلاً ضرورياً وكلمة ضروري هنا تعطي الكثير من المعاني المستترة التي لو تكشففت لعبرت عن ألم مرير" (٢) •

وأوفق د/ البيومي أيضاً إذ لو كان الحل أن يتزوج الجاني المجنى عليها لكان إفلاتاً له من العقاب، وهذا ما يتمناه، فقد أدرك بغيته، وكوفئ بالظفر بالمرأة المسكينة التي منيت بالمصيبة وقبلت الزواج على كره كتماناً للفضيحة، ثم لم تسلم من أذاه بعد ذلك، فيعاملها معاملة سيئة، فهي في نظره مجرمة مع علمه بأنها مظلومة، وأنه هو الذي استل شرفها على كره منها فالمناسب لهذا المجرم الأثيم أن يلاقي عقابه دون هوادة أو رأفة •

وقد يكون هذا حلاً لو رضيت المرأة بذلك ويكون عند ذلك زناً من الطرفين معاً فلا حرج أن يتزوج كلاهما الآخر وهذا ما عناه الله تعالى بقوله:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) •

(١) سورة النور الآية رقم ١٦ •

(٢) السابق ص ٩٧٢ — ٩٧٣ •

(٣) سورة النور الآية رقم ٣ •

١٤١٩هـ — ١٩٩٨م ص ١٣ — ١٤٠

أهم نتائج البحث:

وتتلخص في الآتي:

أولاً: أن وراء د/ البيومي رحمه الله والدين كريمين كان لهما عظيم الدور في تكوينه العلمي والخلقي •

ثانياً: أن للبيئة التي نشأ فيها د/ البيومي عظيم الأثر في نشأته •

ثالثاً: أن نبوغ د/ البيومي بدأ مبكراً منذ أن كان طالباً فقد كتب في مجلة الرسالة وهو بالقسم الثانوي •

رابعاً: أن الجرائد والمجلات كانت زاداً للدكتور/ البيومي منذ عهد التلمذة •

خامساً: أن د/ البيومي بدأ طريق العلم بحفظ المتون في الفقه والنحو والتجويد •

سادساً: أن رغبة د/ البيومي الشديدة في تحصيل العلم جعلته لا يقتصر على الشهادة العالية بل واصل التحصيل للعلم عن طريق الالتحاق بمعهد التربية العالي بالإسكندرية، ثم الالتحاق بالدراسات العليا، وإتمام مرحلتي الماجستير والدكتوراه •

سابعاً: أن د/ البيومي رحمته الله تأثر بكبار المفكرين في عصره من أمثال الأستاذ/ محمد فريد وجدي رحمته الله، والأستاذ/ أحمد حس الزيات رحمته الله، والأستاذ/ محمد الخضر حسين رحمته الله، وغيرهم •

ثامناً: أن د/ البيومي رحمته الله أثري المكتبة الإسلامية بمؤلفات إسلامية متنوعة، منها ما يخص القرآن الكريم، ومنها ما يخص السنة النبوية، ومنها ما يخص السيرة والتاريخ الإسلامي •

تاسعاً: أن د/ البيومي رزق عقلاً راجحاً ورأياً حسيماً، وهدوء رائعاً، وسلامة صدر، فشعاره الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وشعاره رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب •

عاشراً: أن د/ البيومي رحمته الله رائد في الكتابة عن أعلام الإسلام، وإنصافهم بعد أن أجحفهم الجاحفون .

حادي عشر: أن د/ البيومي رحمته الله اهتم اهتماماً عظيماً بالبيان القرآني، والبيان النبوي، وخصهما بمؤلفات حافلة .

ثاني عشر: أن د/ البيومي موسوعة علمية متعددة الجوانب فلا يعرف الوقوف عند حد التخصص كشأن غيره من الأساتذة، وإنما برع في العلوم بنوعيتها الأدبية والإسلامية .

ثالث عشر: أن د/ البيومي رحمه الله جند نفسه وقلمه للزود عن الإسلام ودحض أباطيل المستشرقين، والعلمانيين .

رابع عشر: أن د/ البيومي أنصف الأزهر الشريف بإبراز دوره في مواجهة الطغيان على مر العصور الماضية بعد أن أغفل وكأنه خرافة .

خامس عشر: أن د/ البيومي اهتم بدروس العلم في حرم المساجد، فعرض تاريخ هذه الدروس مع ذكر مآثر من قام بها من العلماء .

سادس عشر: أن د/ البيومي استعان في نشر دعوته بالقوة الحسنة ، ووسائل المناظرات والمسرحيات الدينية والمحاضرات .

سابع عشر: أن د/ البيومي رحمته الله استعان في دعوته بأساليب التأليف والتدوين، الحوار، والتكرار .

أهم التوصيات والمقترحات:

وتتلخص في الآتي:

أولاً: أوصى وأقترح على أساتذتي الأجلاء بكلية الدعوة الإسلامية أن يطلقوا اسمه على أحد مدرجات الكلية ليكون ذلك حافزاً لطلاب الدعوة أن يراجعوا سيرته، ويقفوا على مؤلفاته العظيمة، فينهلوا من علمه الغزير، ويتخذونه قدوة لهم يقتفون أثره ويمشون على دربه .

ثانياً : أوصي وأقترح علي الأزهر الشريف أن يقوم بطبع ما كتبه فضيلته ولم يطبع ضمن كتب السلسلة الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية، لأن كل ما كتبه يمثل ثروة عظيمة يجب أن يطلع عليها كل مشتغل بالعلوم العربية والإسلامية .

ثالثاً: أوصى جامعة الأزهر الشريف أن تعقد ندوة عظيمة لتكريم هذا الراحل العظيم يُدعي إليها من بداخل مصر، ومن بخارجها من محبيه للحديث عنه، وعن فكره ونوادره .

رابعاً: أقترح أن نأخذ بمشورته في إصلاح التعليم بجميع مراحلهِ بإعداد مناهج ميسرة، وكتب مبسطة، ونبدأ بإصلاح التعليم الابتدائي أولاً لأنه الأساس الحافظ للبناء الممتد إلي ما يليه، وإعادة صياغة الكتاب المدرسي ليكون فيه الغنية عن الملخص الخارجي، والدرس الخصوصي .

خامساً: أقترح أن يعود رجل الأمن إلى الشارع المصري كما كان من قبل في داخل القرية الخفير، وفي داخل المدينة الشاويش حفاظاً على أرواح المواطنين، وحماية لأعراضهم .

سادساً: أقترح أن تقوم مجلة الأزهر بطبع كتبه وتوزيعها هدايا مع أعداد المجلة، لأن في ذلك نفعاً عظيماً للمسلمين، ووفاء لحق العالم الجليل الذي رأس تحريرها ما يقرب من عشر سنوات.

سابعاً: أقترح أن تقوم كلية الدعوة الإسلامية بتدريس كتبه في الإسلاميات، وشعره من نبع القرآن (١) على طلابها، ففي ذلك ثراء لغوي وفكري .

ثامناً: أقترح على مجلة الأزهر الشريف أن تجمع كل ما كتبه عن الأزهر من شعر أو نثر، وتقوم بطبعه وتوزيعه؛ ليعرف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها دور الأزهر العريق في مكافحة الظلم والفساد في القديم بعد أن شوّهت صورته في العصر الحديث وأهمل دوره .

(١) له كتاب شعر بعنوان (من نبع القرآن) ط مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض الطبعة الأولى سنة

قائمة المراجع (١)

١- القرآن الكريم .

أولاً: الكتب العلمية:

- ٢ - ابن تيمية والتصوف، د/ مصطفى محمد حلمي - ط - دار ابن الجوزي بالقاهرة - ط الأولى ١٤٢٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٣ - ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية - للإمام محمد أبو زهرة - ط دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٧٨م .
- ٤ - أحكام الجنائز وبدعها - للشيخ الألباني - ط مكتبة المعارف بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٥ - أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي - د/ محمد رجب البيومي - ط دار الأصاله للثقافة والنشر بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م .
- ٦ - أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - الطريق إلى بيت المقدس - القضية الفلسطينية - د/ جمال عبد الهادي - ط دار الوفاء بالمنصورة - الطبعة الثالثة سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ٧ - أخلاق الدعاة إلى الله تعالى النظرية والتطبيق د/ طلعت محمد عفيفي سالم - ط - دار عالم الكتب الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ٨ - أخلاق العلماء - للعلامة الآجري - حققه وراجع أصوله وعلق عليه فضيلة الشيخ / إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمته الله - ط - مطابع النشر الحديث بالرياض - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية - سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - ج ١ / ٣١ .

- ٩- أساس البلاغة للإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري — ط — دار المعرفة بيروت لبنان سنة ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.
- ١٠ — استشهاد الحسين — للإمام الطبري — ويليهِ رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية — ط دار الريان بالقاهرة — الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م
- ١١ — أشواق العارفين صفحات من تاريخ الصوفية — د/ محمد رجب البيومي — هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر رمضان سنة ١٤٢٤هـ
- ١٢ — إعادة قراءة القرآن — د/ محمد رجب البيومي يرد علي جاك بيرك — ط دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩٩٩م
- ١٣ — البحر الرائق في الزهد والرقائق — للشيخ أحمد فريد — ط — دار الإيمان بالإسكندرية سنة ١٩٩٠م.
- ١٤ — البداية والنهاية لابن كثير — ط — دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .
- ١٥ — البيان القرآني — د/ محمد رجب البيومي — ط الدار المصرية اللبنانية — الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م .
- ١٦ — البيئة ومشكلاتها — أ / رشيد الحمد ، أ / محمد سعيد صبارين — سلسلة عالم المعرفة — سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت — العدد ٢٢ — أكتوبر ١٩٧٩م —

١٧- البيان النبوي — د/ محمد رجب البيومي — ط دار الوفاء بالمنصورة — الطبعة الثانية
سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م .

١٨- البيعة في النظام الإسلامي — د/ أحمد صديق .

١٩- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر صحيح البخاري) للإمام أبي
العباس أحمد الزبيدي — ط — دار الحديث بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م
ج ٢/ ٥٩٥ .

٢٠- التفسير القرآني — د/ محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة —
بدون تاريخ .

٢١- التفسير والمفسرون — د/ محمد حسين الذهبي — ط دار الكتب الحديثة — بدون تاريخ .

٢٢- التفسير ورجاله — محمد الفاضل بن عاشور — ط سلسلة البحوث الإسلامية السنة
الثامنة والعشرون — الكتاب الثاني سنة ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م .

٢٣- الجمعيات الإسلامية ودورها في نشر الدعوة — د/ محمد بن عبد العزيز داود — ط
دار الوفاء بالمنصورة بدون تاريخ .

٢٤- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لابن قيم الجوزية — ط —
أندلسية دار الفجر بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .

٢٥- الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها — أساليبها في القرآن الكريم أ.د/ أحمد غلوش — ط —
مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ — ١٩٧٨م .

- ٢٦- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية - للأستاذ / صادق أمين -
ط دار النشر والطبع بالقاهرة - بدون تاريخ .
- ٢٧- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي د/ رؤف شلبي - ط - دار الفجر الجديد القاهرة
سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م .
- ٢٨- الدعوة تستقبل قرنها الخامس عشر - للشيخ / محمد الغزالي - ط دار النهضة
المصرية - بدون تاريخ .
- ٢٩- الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلي دين الحق - للشيخ محمود خطاب السبكي - ط
دار الاعتصام بالقاهرة - بدون تاريخ .
- ٣٠- الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية - صفي الدين المباركفوري - ط دار
التقوى بالقاهرة - بدون سنة طبع .
- ٣١- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام - للإمام السهيلي - ط دار الحديث
بالقاهرة سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- ٣٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر - للإمام ابن حجر الهيتمي - ط دار الحديث بالقاهرة
الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٣٣- السلسلة الذهبية في الأخلاق الإسلامية - للشيخ أحمد الطوخي، والدكتور أحمد
مصطفى - ط مكتبة السنة بالقاهرة سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- ٣٤- السلسلة الصحيحة - للألباني .

٣٥- السنة النبوية - مكانتها - عوامل بقائها - تدوينها - د/ عبد المهدي بن عبد القادر
- ط دار الاعتصام بالقاهرة بدون سنة طبع .

٣٦- الصراط المستقيم - د/ محمد رجب البيومي - ط سلسلة مجمع البحوث الإسلامية -
السنة السابعة والثلاثون الكتاب الثالث سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٣٧- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية - أبو الحسن الندوي - ط دار القلم
بالكويت - الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٨ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -
للعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط - دار الكتاب العربي - بيروت - سنة
١٤٠٧هـ - ج ٦٦٠/٤ .

٣٩- المتهم الأول - للشيخ وحيد بن عبد السلام بالي - ط مكتبة الصحابة بالإمارات ،
ومكتبة التابعين بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٤٠- المرأة بين الفقه والقانون - د/مصطفى السباعي - ط - دار السلام بالقاهرة الطبعة
الأولى سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٤١- المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين - خمسة وسبعون عاماً في خدمة الإسلام
والعروبة - تاريخ الإنشاء - الأهداف والأغراض - الإنجازات - طبع بمعرفة المركز
العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة - بدون تاريخ .

٤٢- المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ - ط - دار الحديث
بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٤٣ — الموسوعة الثقافية — إشراف د/ حسن سعيد — بدون بيانات سنة ١٩٧٢ م .

٤٤ — الموسوعة الإسلامية العامة ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إشراف أ — د / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م .

٤٥ — الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة — إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع بن حماد الجهيني — ط دار الندوة العالمية بالسعودية بدون تاريخ .

٤٦ — النبأ العظيم — نظرات جديدة في القرآن الكريم — د/ محمد بن عبد الله دراز — تقديم أ د/ عبد العظيم المطعني — ط — دار القلم للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م

٤٧ — النظام الاقتصادي في الإسلام — أ.د/ أحمد أحمد غلوش — كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣ هـ — ٢٠٠٢ م .

٤٨ — النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين — د/ محمد رجب البيومي — ط مجمع البحوث الإسلامية .

٤٩ — الاتجاهات الفكرية المعاصرة — د/ علي جريشه .

٥٠ — الإجهاز علي التفاض — د/ محمد أحمد إسماعيل المقدم — ط دار الصفوة بالقاهرة — الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م .

٥١ — الإخوان المسلمون والجماعات في المجتمع المصري — د/ زكريا سليمان البيومي — ط مكتبة وهبه بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٦ م .

٥٢ — الأزهر تاريخه وتطوره — اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر — ط الأزهر الشريف بالقاهرة — الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

٥٣- الأزهر تاريخه وتطوره - لمجموعه من العلماء - ط - وزارة الأوقاف ودار الشعب
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

٥٤- الأزهر في ألف عام - محمد عبد المنعم خفاجي - ط - عالم الكتب - بيروت (١٤٠٨هـ =
١٩٨٨).

٥٥- الإسلام في وجه الزحف الأحمر - للشيخ الغزالي - ط المختار الإسلامي - الطبعة
الخامسة سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٥٦- الإسلام والعلمانية وجهها لوجه د/ يوسف القرضاوي - ط - مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية
سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٥٧- الأعلام - لخير الدين الزركلي - ط دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط ١٢ سنة
١٩٩٧م .

٥٨- الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - د/ محمد عمارة - ط المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٥٩- أوراق ذبلة من حضارتنا - د/ عبد الحليم عويس - ط دار الوفاء بالمنصورة - الطبعة
الثالثة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٦٠- أوراق من تاريخ الإخوان - جمعه أمين - ط دار التوزيع والنشر بالقاهرة - الطبعة
الأولى سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٦١- بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته - د/ فرج محمد الوصيف - ط دار نور
الإسلام بالمنصورة سنة ١٩٩٦م .

٦٢ — تاريخ الجامع الأزهر — أ/محمد عبد الله عنان- ط - مكتبة الخانجي- القاهرة
(١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م)

٦٣— تاريخ الدولة العثمانية — د/ محمد فريد •

٦٤— تاريخ مصر الاجتماعي — د/ عبد العزيز سليمان نوار — ط دار الفكر العربي بالقاهرة —
بدون تاريخ •

٦٥ — تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل تأليف المستر جورج يانج —
تعريب على أحمد شكري ط مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م

٦٦— تحليل قصيدة البيومي (الذين جاءوا بالإفك) — د/ أمال أحمد خليل مخلوف — ط
السلاموني بأسيوط بدون تاريخ جامعة الأزهر — كلية البنات الإسلامية بأسيوط •

٦٧— تطور الحركة الوطنية في مصر — د/ عبد العظيم رمضان — ط دار الوطن العربي
— بيروت — بدون تاريخ •

٦٨— تفسير القرآن العظيم — للإمام الحافظ بن كثير — ط — مكتبة مصر بالفجالة بدون تاريخ •

٦٩— تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة — للشيخ عادل بن يوسف العزازي — ط مؤسسة
قرطبة بالقاهرة — الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م •

٧٠— تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي —
ط مؤسسة الرسالة — الطبعة السابعة سنة ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م •

٧١— ثورة يوليو — جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية — د/ محمد طه بدوي، د/محمود حلمي
مصطفى — المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر بالإسكندرية — الطبعة الأولى سنة
١٩٦٦م •

- ٧٢- جامع بيان العلم لابن عبد البر حققه وراجع أصوله أ / عبد الرحمن محمد عثمان — ط — مطبعة العاصمة — شارع الفلكي بالقاهرة — والمكتبة السلفية بالمملكة العربية السعودية — المدينة المنورة — باب الرحمة — الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م ج ١/ ٣٢ .
- ٧٣- جماعة أنصار السنة المحمدية دعوتها أهدافها — للشيخ محمد حامد الفقي — ط دار السنة المحمدية بالقاهرة — بدون تاريخ .
- ٧٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة علي محمد ﷺ خير الأنام — تحقيق أ / شعيب الأرناؤوط، أ / عبد القادر الأرناؤوط — ط — دار العروبة — الكويت — الطبعة الثانية — سنة ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .
- ٧٥- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين — لمجموعة من العلماء — ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م .
- ٧٦- حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة — العدد الثامن عشر — قسم الثقافة الإسلامية سنة ١٤٢٤ — ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٣ — ٢٠٠٤م .
- ٧٧- حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة — مجلة علمية سنوية محكمة — الجزء الثاني — قسم الثقافة الإسلامية — العدد الخامس والعشرون سنة ١٤٣٢هـ — ٢٠١١م .
- ٧٨- خطب الشيخ / محمد حسان — ط دار ابن رجب بالمنصورة — الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م .
- ٧٩- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم — د/ محمد رجب البيومي — ط سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف — السنة التاسعة والعشرون سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .
- ٨٠- ديوان حنين الليالي — د/ محمد رجب البيومي — ط مطبعة السعادة بالمنصورة — الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .

٨١- دراسات قرآنية - د/ محمد إبراهيم الجيوشي - ط دار الكتب والوثائق القومية سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٨٢- دراسات في السنة وعلوم الحديث - د/ عبد السلام بشر - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٨٣- ردود هادئة (تفنيد لبعض الأراجيف الذائعة دون تحقيق) - د/ محمد رجب البيومي - ط سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - السنة الثانية والثلاثون - الكتاب الرابع سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٨٤- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن قيم الجوزية - ط جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت - الطبعة الثالثة سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٨٥- سنن أبي داود - للإمام أبي داود السجستاني - ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٨٦- سنن ابن ماجه - للحافظ أبي عبد الله القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٨٧- سنن الدارمي - ط دار الريان بالقاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٨٨- سيد قطب حياته وأدبه - د/ عبد الباقي محمد حسين - ط دار الوفاء بالمنصورة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م .

٨٩- سيد قطب من الميلاد إلي الاستشهاد- صلاح الخالدي - بدون بيانات .

٩٠- سيد قطب من القرية إلى المشنقة - عادل حمودة - ط سينا للنشر - الطبعة الأولى
سنة ١٩٨٧م .

٩١- سيد قطب ناقد - أ.د/أحمد محمد البدوي - ط دار الثقافة للنشر - الطبعة الأولى
سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٩٢- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي - ط دار الفكر - بيروت - لبنان - سنة
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٩٣- سنن النسائي - ط دار الفكر - بيروت - لبنان - سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

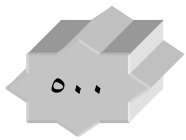
٩٤- شرح القاموس المسمي (تاج العروس من جواهر القاموس) للإمام محب الدين أبي
الفيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي - ط - دار الفكر للنشر والتوزيع - بدون
تاريخ .

٩٥- شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - جمع من العلماء - ط دار ابن حزم بالقاهرة الطبعة
الأولى سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٩٦- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - أحمد عبد اللطيف الجدع ، حسني أدهم
جرار - ط مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م .

٩٧- صحيح مسلم بشرح النووي - ط دار الحديث بالقاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٩هـ -
١٩٩٨م .

٩٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) - للشيخ الألباني - ط - المكتب الإسلامي
بيروت دمشق الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .



٩٩- صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي — د/ محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة — بدون سنة طبع .

١٠٠- ضرورة الفصل بين الجنسين وكيفيته حسن زكريا فليفل — ط — مكتبة بن سينا بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠١- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) — للألباني — ط المكتب الإسلامي — بيروت — الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م .

١٠٢- ضعيف سنن أبي داود — للشيخ / الألباني .

١٠٣- ضعيف سنن الترمذي — للشيخ / الألباني .

١٠٤- طه حسين وقضية الشعر الجاهلي — د/ محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة — بدون سنة طبع .

١٠٥- ظلال من حياتي (خيوط لترجمة ذاتية) — د/محمد رجب البيومي مخطوط تحت الطبع أخذته منه شخصيا أثناء لقائي معه بمنزلة بالمنصورة .

١٠٦- عبود الزمر كيف اغتلتنا السادات؟! — أ / محمود فوزي — ط دار النشر هاتيه ط٢ بدون سنة طبع .

١٠٧- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين — لابن قيم الجوزية — ط دار الريان للتراث بالقاهرة — الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م .

١٠٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري — ط دار الغد العربي — الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م .

١٠٩- فقه السيرة - للشيخ / محمد الغزالي - ط دار القلم - دمشق - بيروت - الطبعة السابعة
سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١١٠- في ظلال السيرة النبوية (غزوات الرسول) - د/ محمد رجب البيومي - ط المؤسسة
العربية الحديثة بالقاهرة - بدون سنة طبع .

١١١- في مجالس التصوف سلسلة التصوف الإسلامي الكتاب الحادي والثلاثون - د/محمد
رجب البيومي القاهرة - دون إشارة للسنة .

١١٢- في ميزان الإسلام - د/ محمد رجب البيومي - ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
بدون سنة طبع .

١١٣ - قضايا إسلامية مناقشات وردود - د/ محمد رجب البيومي - ط دار الوفاء بالمنصورة
- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١١٤- لسان العرب لابن منظور - ط - دار صادر بيروت الطبعة الأولى سنة
١٤١٠هـ-١٩٩٩م .

١١٥- محاضرات في النظام التربوي الإسلامي - د/ سمير عبد المنعم حسن - كلية الدعوة
الإسلامية بالقاهرة - بدون ذكر دار للطباعة - الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .

١١٦- مجالس العلم في حرم المسجد - د/ محمد رجب البيومي - ط المؤسسة العربية الحديثة
- بدون سنة طبع .

١١٧- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا - رسالة المؤتمر الخامس - ط دار الدعوة بالقاهرة -
بدون تاريخ .

- ١١٨- محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي - د/ محمد رجب البيومي - ط
دار القلم - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ١١٩- محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الفسيح - د/ محمد رجب البيومي - ط مكتبة
التراث الإسلامي بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ١٢٠- مختار الصحاح للإمام الرازي - ط - دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى
سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ١٢١- مختصر صحيح البخاري - للإمام أبي العباس أحمد الزبيدي - ط دار الحديث بالقاهرة
- الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ١٢٢- مدرسة المسجد صور من مجالس العلم في حرم الإيمان - د/محمد رجب البيومي - ط
- مطبعة السعادة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٢٣- مشيخة الأزهر - أ/ علي عبد العظيم - ط - مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية-القاهرة
(١٣٩٨هـ=١٩٧٨م)
- ١٢٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد - للشيخ / حافظ بن أحمد
الحكمي - ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ١٢٥- معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر د/ جاد طه - ط دار الفكر العربي بالقاهرة بدون
تاريخ .
- ١٢٦- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين - هيئة المعجم - ط - دار القبس
للصحافة، والطباعة والنشر بالكويت الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٢٧- من أعلام العصر (كيف عرفت هؤلاء) د/محمد رجب البيومي — ط — الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م .

١٢٨- موسوعة حكام مصر — ط مطابع الأهرام — بدون تاريخ .

١٢٩- من شيخ معمم إلي حاكم مسلم — د/ عبد الغفار عزيز — ط دار الحقيقة للإعلام الدولي سنة ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م .

١٣٠- مناهج البحث العلمي وطرق كتابة الرسائل الجامعية — د/ عبد الرحمن أحمد عثمان — ط — جامعة إفريقيا للنشر — الخرطوم — سنة ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م — ص ٤٥ .

١٣١- مناهل العرفان في علوم القرآن — للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني — ط دار الحديث بالقاهرة — سنة ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م .

١٣٢- مدخل الفقه الإسلامي دراسة مقارنة — د/ عبد الله بن عبد العزيز العجلان، والمحاضر نبيل ابن كمال الدين طاحون عضواً هيئة التدريس في كلية الملك فهد الأمنية بالرياض — ط المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام — الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ — ١٩٩١م .

١٣٣- معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر — د/ أحمد زكريا الشلق — كلية الآداب جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٦م .

١٣٤- من منطلق إسلامي — د/ محمد رجب البيومي — ط المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة بدون سنة طبع .

١٣٥- موسوعة التأصيل الإسلامي — من سقوط الخلافة إلي مولد الصحوة — للأستاذ أنور الجندى — ط بيت الحكمة بالقاهرة — بدون تاريخ .

١٣٦- من نبع القرآن - د/ محمد رجب البيومي - ط مؤسسة دار الأصالة والنشر والإعلام بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٣م .

١٣٧- موسوعة أعلام الفكر الإسلامي رقم ٣ من سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة ط المجلس للشئون الإسلامية إشراف وتقديم أ - د / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف سابقاً سنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

١٣٨- نضال الأزهر بين السياسة وحرية الفكر - د/ محمد رجب البيومي - ط مكتبة السعادة سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٣٩- نظرات في مناهج الإخوان دراسة نقدية إصلاحية - للأستاذ/ أحمد سلام بدون بيانات .

١٤٠- نونية القطاني - لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني - دار الهجرة بالقاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٤١- هجوم علي القصر الملكي - حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م - د/ محمد صابر عرب - ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م .

١٤٢- هذه دعوتنا - للشيخ عبد اللطيف المشتجري - ط دار الاعتصام بالقاهرة - بدون تاريخ .

١٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان - تحقيق أ / إحسان عباس - ط - دار صادر بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م - ج٧/٩٢ .

ثانياً: الرسائل:

- ١- أشهر شعراء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين وأشعارهم في الجانب الاجتماعي في الحياة المصرية عرض ودراسة ونقد - د/ السيد فتح الله عبد العزيز - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٢ - التصوير البياني في شعر د/ محمد أحمد البيومي وشهرته رجب البيومي - للباحث أحمد إبراهيم محمد علي - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالزقازيق - قسم بلاغة ونقد سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- ٣ - التيار الإسلامي في شعر محمد رجب البيومي - للباحثة / عبير عبد الصادق محمد بدوي - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية - قسم الأدب والنقد سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- ٤ - الشيخ / محمد الغزالي وأثره في الدعوة - للباحث / عيد محمد يوسف - رسالة ماجستير - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين بالمنوفية سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٥ - الإبداع الأدبي في نتاج د/ محمد أحمد البيومي - د/ على محمد علي إسماعيل - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالمنصورة - قسم الأدب والنقد سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٦ - محمد رجب البيومي - حياته وشعره - للباحثة عزة محمود البكري - رسالة ماجستير - جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة .
- ٧ - محمد رجب البيومي بين المسرحية الشعرية والقصة التاريخية - للباحث عوض عبد الونيس عبد الرازق عوض - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بإيتاي البارود قسم الأدب والنقد سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
- ٨ - منهج د/ رجب في الترجمة الأدبية - للباحث / إبراهيم أحمد عبد العزيز عزب - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة - قسم أدب ونقد سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .
- ٩- رسالة ماجستير بعنوان جهود الإمام السهيلي في التفسير وعلوم القرآن للباحث أحمد السنكري - كلية أصول الدين والدعوة بطنطا سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ثالثاً: الدوريات:

- ١- مجلة الأزهر عدد ديسمبر ١٩٨٦م - الجزء الرابع - السنة ٥٩ .
- مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤١٧هـ - ديسمبر ١٩٩٦م - الجزء الثامن السنة التاسعة والسبعون .
- مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٤٢٠هـ - أكتوبر سنة ١٩٩٩م - الجزء السابع السنة ٧٢ .
- مجلة الأزهر عدد ذو القعدة سنة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م - الجزء الحادي عشر - السنة الثالثة والسبعون .
- مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٢٢هـ - يوليو ٢٠٠١م - الجزء ٤ - السنة ٧٤ .
- مجلة الأزهر عدد حمادي الآخرة سنة ١٤٢٢هـ - يوليو سنة ٢٠٠١م - الجزء الرابع - السنة الرابعة والسبعون .
- مجلة الأزهر عدد ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ - مايو سنة ٢٠٠٣م - الجزء ٣ - السنة ٧٦ .
- مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤٢٥هـ - أكتوبر سنة ٢٠٠٤م - الجزء ٨ - السنة ٧٧ .
- مجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٤٢٧هـ - أكتوبر ٢٠٠٦م - الجزء ٩ - السنة ٧٩ .
- مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م - الجزء ١٠ العدد ٧٩ .
- مجلة الأزهر عدد ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٧م - الجزء ١٢ - السنة ٧٩ .
- مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٤٢٩هـ - يولييه ٢٠٠٨م .
- مجلة الأزهر عدد المحرم سنة ١٤٣٠هـ - يناير ٢٠٠٩م .
- مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م - الجزء ٧ - السنة ٨٣ .
- مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ - مارس ٢٠١١م .
- مجلة الأزهر عدد جمادي الأولي سنة ١٤٣٢هـ - إبريل ٢٠١١م - الجزء ٥ - السنة ٨٤ .
- ٢- مجلة منبر الإسلام وتصدرها وزارة الأوقاف المصرية -
- مجلة منبر الإسلام - عدد رجب سنة ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م - العدد ٧ - السنة ٦٠ .
- مجلة منبر الإسلام عدد محرم سنة ١٤٢٢هـ - إبريل ٢٠١١م - العدد ١ - السنة ٦٠ .
- ٣ - مجلة التضامن الإسلامي (الحج سابقاً) وتصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة .
- مجلة التضامن الإسلامي (الحج سابقا) عدد شعبان ١٤١٠هـ - مارس سنة ١٩٩٠م - الجزء ٣ - السنة ٤٥ .
- مجلة التضامن الإسلامي (الحج سابقا) عدد رمضان سنة ١٤١١هـ - مارس سنة ١٩٩١م - الجزء ٣ - السنة ٤٦ .

- ٤- مجلة الوعي الإسلامي: وتصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عدد شوال سنة ١٤٠٢هـ - أغسطس سنة ١٩٨٢م العدد ٢١٤ - السنة الثانية عشرة .
- مجلة الوعي الإسلامي عدد ربيع آخر ١٤١٠هـ - نوفمبر ١٩٨٩م عدد رقم ٣٠٤ .
- ٥- مجلة التصوف الإسلامي - عدد شعبان سنة ١٤٠٩هـ - مارس ١٩٨٩م .
- ٦- مجلة الرسالة عدد فبراير سنة ١٩٣٥م .
- ٧- مجلة الأديب عدد سبتمبر سنة ١٩٦٦م .
- مجلة الأديب عدد أغسطس سنة ١٩٦٩م مقال بقلم د/ محمد رجب البيومي (إنها زوجتي) .
- مجلة الأديب عدد فبراير سنة ١٩٧٣م السنة ٣٢ .
- ٨- مجلة الإخوان المسلمون .
- مجلة الإخوان المسلمون عدد جمادي الآخرة سنة ١٣٦٤هـ - مايو سنة ١٩٤٥م - العدد ٦٠ - السنة الثالثة .
- مجلة الإخوان المسلمون عدد ذو القعدة سنة ١٣٦٤هـ - نوفمبر ١٩٤٥م العدد ٧٦ - السنة الثالثة .
- مجلة الإخوان المسلمون عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥هـ - إبريل سنة ١٩٤٦م العدد ١٠٠ - السنة الرابعة .
- ٩- جريدة صوت الأزهر - مقال بعنوان (الدكتور محمد رجب البيومي بين إبداع الفكرة وبراعة المعالجة) بقلم الأستاذ نعيم محمد عبد الغني - العدد ٢٩٨ .
- ١٠- صحيفة عكاظ عدد يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ الموافق ١٧ يوليو سنة ٢٠٠٦م العدد ٨٥٦ وكتب تأبينه د/ عائض الرادادي .
- رابعاً: مواقع الإنترنت:**

ينظر موقع الحكواتي -

الموقع /http://www.al-hakawati.net/arabic/Civilizations/book13a845.asp

موقع صحيفة عكاظ /

http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/٢٠٠٦٠٧١٧/con٢٠٠٦٠٧١٧٣٢٧٤٩.htm

ينظر موقع الموسوعة الشاملة - مجمع الحكم والأمثال .

الموقع /http://islamport.com/d/3/adb/١/٢٣٤/١٥٥٥.html

ملتقى أهل الحديث •

الموقع / <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٣٧٧٦٤>

موقع منزلاوي التعليقات على وفاة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي تعليق الأستاذ أسامه الأباصيري المحامى •

الموقع /

http://www.manzalawy.net/main/article.php?id_art=١٠٣٢٩&id_top=٦

موقع طيبة للدراسات الإنسانية مقال بقلم ربيع الزواوى بعنوان (أ د محمد رجب البيومي في ذمة الله) •

الموقع / <http://www.tayyebah.org/Content.aspx?cid=٧٨٠>

موسوعة حكام مصر — الهيئة العامة للاستعلامات — الموقع

<http://www.sis.gov.eg/Ar/Story.aspx?sid=٢٢٨٩>

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الموقع / <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٥%>

موقع من روائع شعر المتنبي • الموقع / <http://www.alhasahisa.com/t١٠١٣١-topic/>

موقع منتديات الشريف التعليمية — الأديب محمد رجب البيومي — إعداد محمد عباس عرابي •

الموقع / <http://www.alshref.com/vb/t٢٨٣٩٤٩.htm>

موقع ملتقى أهل الحديث — الموقع /

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-٢٣٧٧٦٤.html>

موقع مكتبة منارات — الموقع

<http://www.manaratweb.com/news.php?newsid=٣٣٣>

موقع مجلة الابتسامة

الموقع / http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_٢١٩٩٢٠.html

موقع مجلة المنهل — الموقع /

<http://www.al-manhalmagazine.com/١٤٣٢/٦٢٦/pages/pa٠٦٢.htm>

موقع طيبة للدراسات الإنسانية - الموقع /
<http://www.tayyebah.org/Content.aspx?cid=j>

موقع الحية
<http://international.daralhayat.com/internationalarticle/٢٥٨٤٥٦>

موقع ملتقى أهل اللغة - الموقع /
<http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=٤٢٨١>

الموسوعة الشاملة جمهرة الأمثال - الموقع /
<http://islamport.com/w/adb/Web/٥٦٠/١١٣.htm>

موقع أزهرى - الشيخ / محمد الأحمدى الظواهري - الموقع /
<http://www.azharitv.net/text-pages/view/id/١٧٧>

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٤	إهداء
٥	شكر وتقدير
٧	مقدمة
٢٧	تمهيد
٣٤	الفصل الأول: البيئة الاجتماعية، والفكرية والسياسية للدكتور البيومي
٣٥	المبحث الأول: البيئة الاجتماعية للدكتور البيومي
٣٥	المطلب الأول/ تعريف عام بـ د/ البيومي
٣٦	المطلب الثاني: الأسرة ودورها في تكوينه
٤٥	المطلب الثالث: البيئة وأثرها في نشأته وأخلاقه
٥٥	الصفات الخلقية للعلامة د/ البيومي
٦٤	المبحث الثاني: البيئة الفكرية للدكتور البيومي
٦٤	المطلب الأول: مرحلة ما قبل التعليم الأزهري
٦٦	المطلب الثاني: د/ البيومي في التعليم الأزهري، وتدرجه في الدراسة والمناصب ...
٩١	المطلب الثالث: شخصيات مؤثرة في تكوينه
٩٩	المطلب الرابع: صلته بالجمعيات الدينية
١٠٧	المطلب الخامس: آثاره العلمية
١١٥	المبحث الثالث: البيئة السياسية للدكتور البيومي
١١٥	المطلب الأول: الحكم الملكي وأثره في نشأة د/ البيومي
١٢٠	المطلب الثاني: موقف د/ البيومي من قيادة ثورة ١٩٥٢م
١٢٢	المطلب الثالث: الحكم الجمهوري وأثره في نشأة د/ البيومي
١٣٠	المطلب الرابع: موقف د/ البيومي من الأحداث الجارية
١٣٦	المطلب الخامس : وفاة الراحل د/ البيومي رحمه الله
١٣٧	الفصل الثاني: د/ البيومي وجهوده في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية
١٣٨	المبحث الأول: جهوده في خدمة الدراسات القرآنية
١٣٩	المطلب الأول: جهوده في الحديث عن تاريخ التفسير عموماً، والتفسير البياني على

الموضوع	رقم الصفحة
وجه الخصوص.....	
:	
أولاً: الحديث عن تاريخ التفسير عموماً	١٣٩
ثانياً: الحديث عن تاريخ التفسير البياني على وجه الخصوص	١٥٧
المطلب الثاني: جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي وعلوم القرآن	١٦٩
أولاً: جهوده في قضايا تتعلق بالتفسير البياني	١٦٩
ثانياً: جهوده في قضايا تتعلق بعلوم القرآن	١٧٤
المطلب الثالث: التفسير المقارن لبعض آيات القرآن الكريم	١٧٧
المطلب الرابع: الرد على المستشرقين في قضايا قرآنية	١٨٤
المطلب الخامس: إبراز مناهج بعض المفسرين المعاصرين	١٩٨
المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية	٢٠٣
المطلب الأول: جهوده في الرد على المستشرقين حول الطعن في ثبوت السنة النبوية	٢٠٣
المطلب الثاني: جهوده في قضايا تتعلق بالبيان النبوي	٢١٣
المطلب الثالث: جهوده في إبراز سمات الأسلوب النبوي	٢٢٧
المطلب الرابع: جهوده في إبراز نماذج من التفسير النبوي للقرآن الكريم	٢٣٤
المطلب الخامس: جهوده في عقد موازنة بين الأسلوب القرآني والأسلوب النبوي ...	٢٣٧
المطلب السادس: جهوده في عرض ما كتبه بعض القدماء، والمعاصرين عن البيان النبوي	٢٤٢
الفصل الثالث: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً وحديثاً	٢٤٨
المبحث الأول: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة قديماً	٢٤٩
المطلب الأول: جهوده في عرض ثبت تاريخي لمجالس العلم في حرم المساجد في عصر النبوية إلى العهد الفاطمي	٢٤٩
المطلب الثاني: جهوده في إبراز مآثر أعلام مساجد هذه الحقبة الزمنية	٢٥٨
المبحث الثاني: جهوده في إبراز تاريخ الدعوة حديثاً	٢٦٤
المطلب الأول: جهوده في إبراز دور الأزهر الشريف في مواجهة الطغيان من العصر المملوكي وحتى قيام ثورة سنة ١٩١٩م	٢٦٤
المطلب الثاني: جهوده في الرد على الطاعنين في قضايا تمس الأزهر الشريف	٢٩٠

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: جهوده في إبراز مواقف الأزهر الشريف من المؤلفات التي تطعن في ثوابت الإسلام.	٢٩٧
الفصل الرابع: المناحي الفكرية لنتاج د/ البيومي	٣٠٣
المبحث الأول: الشخصيات الإسلامية	٣٠٤
المطلب الأول: تراجم لعلماء الإسلام	٣٠٤
المطلب الثاني: دفاع عن شخصيات دينية مظلومة	٣٢٨
المبحث الثاني: القضايا الإسلامية	٣٣٨
المطلب الأول: قضايا دينية — قضية الفدائية والتهلكة	٣٣٨
المطلب الثاني: قضايا فكرية	٣٤٤
أولاً: انحدار المستوى الثقافي في الجامعات	٣٤٦
ثانياً: ينالون ٩٩% في الثانوية ثم ينحدرون	٣٥٠
المطلب الثالث: قضايا اجتماعية	٣٥٤
أولاً: من مضايقات الزواج	٣٥٤
ثانياً: الطفولة المعذبة في مصر	٣٥٨
المطلب الرابع: قضايا أخلاقية	٣٦٣
أولاً: حقوق الحيوان في الإسلام	٣٦٥
ثانياً: العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية	٣٦٩
المطلب الخامس: قضايا سياسية — عقوبة الإعدام	٣٧٣
المطلب السادس: قضية التصوف وموقف د/ البيومي منها	٣٧٨
المبحث الثالث: ما يتعلق بالسيرة النبوية	٣٨٧
المطلب الأول: خطر يحيق بالسيرة النبوية	٣٨٧
المطلب الثاني: غزوات الرسول وأسبابها الدافعة	٣٩١
المطلب الثالث: الخلافة الراشدة	٤٠٠
المبحث الرابع: ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي	٤٠٥

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠٥	المطلب الأول: ما لم يكتب من تاريخ الأزهر
٤٠٨	المطلب الثاني: متى نكتب التاريخ المعاصر
٤١٠	المطلب الثالث: كتاب الأغاني والتاريخ الإسلامي
٤١٣	المطلب الرابع: عاشوراء في تاريخ الإسلام
٤٢١	المبحث الخامس: الأستاذ الدكتور / البيومي رحمه الله ما له وما عليه
٤٢١	المطلب الأول: المادحون والمؤيدون للدكتور / البيومي رحمه الله
٤٣٣	المطلب الثاني: الناقدون والمعارضون للدكتور/البيومي رحمه الله
٤٣٨	الفصل الخامس: وسائل وأساليب الدعوة عند دكتور/ البيومي
٤٣٩	المبحث الأول: وسائل الدعوة عند د/البيومي رحمه الله
٤٣٩	المطلب الأول: وسيلة القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة
٤٤٣	المطلب الثاني: وسيلة المناظرات والمسرحيات الدينية وأثرها في الدعوة إلى الله
٤٤٦	المطلب الثالث: وسيلة المحاضرات وأثرها في الدعوة
٤٤٧	المبحث الثاني: أساليب الدعوة عند د/البيومي رحمه الله
٤٤٧	المطلب الأول: أسلوب التأليف والتدوين وأثره في الدعوة إلى الله
٤٥٨	المطلب الثاني: أسلوب التكرار وأثره في الدعوة
٤٦١	المطلب الثالث: أسلوب الحوار وأثره في الدعوة
٤٦٦	المطلب الرابع: أسلوبه في معالجة القضايا المعاصرة
٤٨٥	الخاتمة
٤٨٦	أهم نتائج البحث
٤٨٧	أهم التوصيات والمقترحات
٤٨٩	قائمة المراجع
٥١٠	فهرس الموضوعات

	بسم الله

الموضوع	رقم الصفحة
.....	٤٧٠
.....	٤٧٢
.....	٤٧٣
.....	٤٩٢